منبر الإسلام
العدد ١٠ السنة ٢٢ – شوال ١٣٨٤ – ٢ فبراير ١٩٦٥

بيعة الملايين

نص خطاب

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

فى مجلس الأمة يوم الأربعاء

٢٠ يناير ١٩٦٥

الرئيس جمال عبدالناصر يلقى خطابه التاريخى

نص الخطاب

أيها الاخوة : لقدآثرت أنأجىء الىمجلسكم الموقر ، لكى أقدم اليكم الشكر والعرفان ،على ما أبديتم من مشاعر طيبة وما أوليتم من ثقة غالية قد هزتنى من الأعماق وكذلك فعلت كل المحاولات التى أرادت بها جماهير شعبنا العظيم أن تضع أمام مجلسكم الموقر وجهة نظرها منذ اللحظة التى وجهت فيها اليكم خطابى بتاريخ التاسع من هذا الشهر طالبا البدء باتخاذ اجراءات الترشيح لمدة رئاسة الجمهورية الجديدة .

واذا كان لى الآن أن أجيب على رسالتكم وعلى ماوصل الى من مظاهر ارادة جماهير شعبنا العظيم فانى أكرر ماقلته أمام مجلسكم فى جلسته الأولى حين كان لى شرف افتتاح أعماله وهو انه ليس لى مطلب الا أن تتاح لى الفرصة للخدمة العامة فى أى موقعيرى الشعب القائد أن أقف فيه .. واذا أبدى الشعبرأيه كاملا وواضحا يوم الانتخاب بأنه يريد منى أن أخدم فى موقع رئاسة الجمهورية للسنوات الست القادمة .. فاننى أطيعه مؤمنا بأنه وحده آمرى ..

الاعتماد على الفرد

شعبنا المصرى وأمتنا العربية وكنت أظن أن كان ذلك كله يخطر لى أحيانا ولكنكم ترون على أننى ظننت أن واجب الأمانة يقتضينى أن أجىء فى هذه اللحظة الهامة من تاريخنا لأضع أمامكم بعض فكرى . لقد كان يخطر لى أحيانا أنه قد آن الوقت لكى أتنحى عن مكان المسئولية التنفيذية لكى أتفرغ فىالمرحلة القادمة لمهمة استكمال بناء التنظيم السياسى لقوى الشعب العاملة المتحالفة فى الاتحاد الاشتراكى باعتبار أن ذلك ضمان الاستمرار الدائم للثورة وقوتها الدافعة أبدا ومن ناحية أخرى فلقد كان شعورى دائما ضد الاعتماد على الفرد وضد توهم احتياج النضال الشعبى الى شخص بالذات مهما كرمته أمته ، وكنت أصدر فى ذلك عن يقين لايتزحزح بأن الشعب وحده هو الباقى والخالد وأنه قادر فى كل

مراحل نضاله أن يخرج من صفوفه من يخدم أمانيه ويحقق أحلامه .

مشاركة جيل

كذلك فلقد كنت أتصور انني شاركت مع جيلى كله فى أداء بعض الواجب الذى القته علينا جميعا مرحلة تاريخية خطيرة فى حياة شعبنا المصرى وامتنا العربية وكنت أظن أن مهمتنا الآن هى أن نسلم الشعلة المقدسة الى جيل اخر يواصل التقدم أكثر شبابا ونشاطا واندفاعا .

كان ذلك كله يخطر لى أحيانا ولكنكم ترون الان غيره ولعل كثيرا من الحق معكم فان جيلنا لم يفرغ بعد من آداء مسئوليته كاملة والمهمة التى القاها عليه تاريخ أمتنا وماتزال لها بقية .

واذا كانت الجماهيريوم الانتخابات سوف تبدى رأيها فيما ترونه الآن فانه يتحتم علينا هذه اللحظة وبغير تأخير أن نحدد الواجب الذى ينتظرنا اذا جاءت الاشارة من شعبنا الحر بأنه يقر ماترونه .

جندى من جنود الأمة

أيها المواطنون أعضاء مجلس الأمة :

ان أمامنا الآن عدة مهام هى وحدها مبرر البقاء فى تحمل المسئولية وبدون عهدنا معا عليها فاننا نخطىء فى تقييم دور الخدمةالعامة ونحولها الى مجرد مناصب والقاب لها مهابة مظهرية لكنها فى جوهرها فارغة فى المضمون الحقيقى بمعنى الخدمة العامة خصوصا فى مجتمع قرر باختياره وفى مواجهة تحديات صعبة ان الثورة هى طريقه تعويضا لما فات ولحاقا بما يتعين عليه أن يبلغه وأقول لكم صراحة وأرجو أن تقبلوها منى بالصدر الرحب والنية الصافية ، انه اذا كان الأمر منصبا وقتيا فلست لها واما اذا كان الأمر خدمة حقيقية فانى كجندى من جنود هذه الأمة على استعداد لأن أضم يدى الى كل يد مؤمنة قوية لنشارك معا فى تشكيل ملامح الغد

رجال الـدين يوقعون وثيقة ترشيح الرئيس جمال عبد الناصر

الجديد وننتظر فى صبر الواثقين بالله حتى تشرق الشمس عليه ولست أريد أن أطيل عليكم فى هذا الموقف لكننى أرى أنه من الضرورى أن نحدد الآن عهدنا الذى نلتقى عليه .

الطريق الى جيل جديد

أولا : ان المهمة الأساسية التى يجب أن نضعها نصب أعيننا فى المرحلة القادمة هى أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية ولسنا نستطيع القول بأن هذا الجيل قد أدى واجبه الا اذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها أن نطمئن الى استمرار التقدم والا فان كل ماصنعناه مهدد بأن يتحول مهما كانت روعته الى ثورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت .. ان الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال ويتأكد الاستمرارحين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ولحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها أكثر وعيا من جيل سبق .. أكثر صلابة من جيل سبق .. أكثر طموحا من جيل سبق .

وينبغى أن ندرك ان التمهيد لهذا الجيل واجبنا .. واننا نستطيع بالتعالى والجمود أن نصده ونعرقله . وبالتالى نعرقل تقدمه وتقدم أمتنا .. ان علينا بالصبر أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية .. وعلينا بالفهم أن نقدم له تجاربنا دون أن نقمع حقه فى تجربته الذاتية .. وعلينا فى رضى أن نفسح الطريق له دون أنانية تتطور غرورا أنها قادرة على شد وثاق المستقبل الى أغلال الحاضر .. وعلينا أن نتيح له بفكره الحر أن يستكشف عصره ، دون أن نفرض عليه قسرا أن ينظر الى عالمه بعيون الماضى .. واذا تأخر وصول هذا الجيل الجديد الى موقع القيادة ، أواذا وصل هذا الجيل بأقل من الاستعداد المطلوب للمهمة الكبرى فسوف تكون هذه المسئولية مسئولية جيلنا الذى يسجل على نفسه كيف عرف أن يبدأ ولم يعرف كيف ينتهى .

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الأول للمرحلة القادمة ، فلسوف

يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أساهم بنصيبى فى تحقيقه خصوصا واننى أرى رأى العين ، ان الجيل الذى نضج تحت نيران المعارك السياسية والعسكرية والاقتصادية ، والثقافية يخطو الآن فى قرب مواقع قيادة النضال .. ولسوف يكون تقدم هذا الجيل الى مكانه الطبيعى والشرعى تحقيقا لأكبر آماله ..

لقد كان شرفا لى أن أحمل العلم لكنى أمامكم أؤكد بأن الشرف الأكبر لى ، يكون يوم أسلم العلم الى طلائع جيلنا الجديد .

تضحيات فى انتظارنا

ثانيا – ان علينا أن نروض النفس على أن هناك تضحيات أخرى مازالت فى انتظارنا .. مادام هذا الجيل قد اختار أن يحمل رسالته التاريخية وأن يحرص عليها كجيل انتقال بالثورة مما كان الى ماينبغى أن يكون .. ان الجزء الثانى من الخطة الأولى لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات .. وهو الجزء الذى سنبدأ سنواته الخمس .

هذا الجزء أكثر صعوبة واغلى كلفا من الجزء الذى قمنا بتحقيقه فعلا .. ان خطة السنوات الخمس التى تم تنفيذها كانت مقدمة ضرورية لخطة السنوات الخمس التى سيبدأ تنفيذها بعد شهور .. لقد أتممنا فى السنوات الخمس الماضية بناء المرحلة الأولى من السد العالى .. التى كانت مجرد تمهيد للمرحلة القادمة .. مرحلة الزراعة لقرابة المليونى فدان ومرحلة الكهرباء الكاملة لكل الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد أتممنا فيما نفذ من برامج الصناعة مايمكن أن نعتبره بحق قفزة عظيمة الى الأمام لكن هذه القفزة العظيمة الى الأمام لايمكن تدعيمها الا بمرحلة الصناعات الثقيلة وهى هدف خطة السنوات الخمس القادمة .. ان الصناعة الحقيقية هى الصناعة التى تستطيع ان تبنى الآلات للمصانع الجديدة وتلك هى الصناعة الثقيلة .. يرمز اليها فى الخطة القادمة ، أن يصل انتاجنا السنوى من الصلب الى اكثر من مليونى طن .

وليس ذلك بالسهل ولا هو باليسير .. والآمال لاتتحقق جزافا لكن الامال تشتريها التضحيات وبمقدار مايتسع الأمل ، يرتفع الثمن ، وتلك احدى المسلمات البديهة .. ومعنى ذلك أن نقرر فى حزم وضرورة ربط الاستهلاك حتى يبقى دائما تحت الانتاج بحد كبير ليسمح لنا بمدخرات نستثمرهامن أجل تحقيق الأمل .. وليس هناك غير ذلك من طريق الا أن نكف عن التنمية ونرتضى التخلف ونعترف بأن آمالنا نوع من أحلام اليقظة .. ولاتستطيع همتنا بلوغه وتقصر استسلاما واستكانة عن تحويلها الى حقائق واسعة ..

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الثانى للمرحلة القادمة فلسوف يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أساهم بنصيبى فى تنفيذ الخطة الطموح لمضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات لكى تبلغ غايتها .. بأكبر قدر من النجاح ، تؤكد ايماننا بقدرة العمل الوطنى .. وتغنى هذا العمل بخبرة لاتقدر بثمن تمكنه اكثر وأكثر من ثقة بالنفس تقوى على كل طموح .. وتمسك بالكفاءة أعنة كل نجاح .

القيم لحياتنا الجديدة

ثالثا – يتعين علينا فى المرحلة القادمة أن نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من أن تستقر فى الأرض وترسخ ... وتصل بجذورها الى أعماق حياتنا حتى يستطيع مانزرعه الآن أن يصمد للرياح بغير انحراف أو عوج ومن واجبنا جميعا أن نقف .. فى حسم لايعرف التردد ... وحزم يرفض أنصاف الحلول وراء مانتطلع اليه من القيم ونريده أن يستقر فى حياتنا الجديدة وأن ينمو .. ليس هناك طريق مسدود أمام الثورة .. ان الثورة هى مصلحة كل الشعب هى ارادة كل الشعب وحمايتها هى القانون الأول لهذا المجتمع .. ان الممارسة الديمقراطية هى الوسيلة لاستكشاف كل طريق وبالتالى فان سلامة الممارسة الديمقراطية هى نفسها سلامة الثورة .. ان العمل الثورى يحتاج الى الثوريين والسبق اليه هو حسن القادرين عليه .. حيث كان بغير ادعاء من أحد فى

فضل يتوهمه أو يوهم الاخرين به .. ان مقياس الاخلاص الثورى هو اداء المسئول للواجب وليس هو التظاهر بالسلطة .. ان الانسان الثورى رقيب أصلى على نفسه فى حدود قيم المجتمع واهداف عمله .

ونجاحه الكبير هو حريته فى اطلاق ملكاته الخلاقة خدمة لعمله .. دون خوف يأخذ بعض جهده التفاتا الى الوراء بدلا من الاتجاه بجماع نفسه الى الأمام .. ان العمل الثورى ليس له أن يخشى الخطأ .. أن الخطأ والصواب معا جناحا التجربة .. وانما الذى يخشاه العمل الثورى وينبغى أن يخشاه هو الانحراف .. وان العمل الثورى يتحتم عليه أن يؤكد طهارته وعليه أن يمحو محوا كل بقعة يمكن أن تشوب صفحته .. وأن تشوه جلالها فوق كونها بثورا قادرة على العدوى . ان وسائل العمل الثورى جزء لا يتجزأ من غاياته ..

وبنفس القياس .. فان سلوك كل انسان خارج نطاق مسئوليته ليس منفصلا عن هذه المسئولية .. كلاهما يصدر عن نفس الشخصية بغير انفصام أو ازدواج ..

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الثالث للمرحلة القادمة .. فلسوف يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أساهم بنصيبى فى التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى وأخلاقياته . خصوصا أن ميثاق العمل الوطنى سوف يكون موضع دراسة جديدة فى مؤتمر وطنى يعقد بمشيئة الله سنة ١٩٧٠ طبقا لنص الميثاق نفسه .

أمة عربية واحدة

رابعا : اننا جزأ لايتجزأ من أمة عربية واحدة تاريخها واحد ونضالها واحد ومصيرها واحد .. واذا كنا قد وصلنا بالكفاح الى حيث يكون فى مقدورنا أن نعطى وأن نساند .. فانه من الضرورى أن نعرف واجبنا ونقبل أعباءه .. ان سلامة الأمة العربية الواحدة لاتتجزأ .. والعدوان على أى جزء منها هو عدوان على الكل . واذا كان غيرنا يتعرض لظروف لاتمكنه من الاسهام فى الكفاح المشترك الابقدر محدود .. فلنذكر باستمرار أن الجميع يقاتلون بما فى أيديهم .. لتكون لهم القدرة غير المحدودة على الاسهام فى معركة المصير المشترك واذا كان ما فى أيدينا من وسائل الكفاح أمضى وأفعل فذلك شرف لنا .. بقدر ماهو أمانة ..

الاستعمار واسرائيل

ان الاستعمار لن يحمل عصاه على كاهله ويرحل من كل الأرض العربية بالاقناع وبالمنطق .. كذلك فان اسرائيل لن تنزاح من مكانها فى وسط الأمة العربية رضا وسلاما .. واذا كان الجزء الأكبر من المسئولية فى هذه المرحلة علينا .. فان قوى الطليعة العربية تتزايد كل يوم .. وسوف تتكامل طاقاتها باستمرار النضال اليومى للجماهير . فى كل أرض عربية .. واذا كنا نقول أن الحرية العربية لاتتجزأ .. فان التقدم العربى لايمكن بناؤه على التجزئة ..

ان الوحدة ليست نداء يردد أصداء الماضى وانما الوحدة العربية أصلا وأساسا هى نداء بالتجمع .. انطلاق الى بناء المستقبل، وتوفير رخائه .

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الرابع للمرحلة القادمة فلسوف يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أساهم بنصيب فى تحقيق سيادة الوحدة والحرية على الأرض العربية خصوصا فى فترة بدأت الثورة الاجتماعية فيها تدق أبواب كل وطن عربى .. وترتبط ارتباطا لاينفصم بدعوة الحرية السياسية والوحدة القومية كذلك .. فى فترة راح الخطر الصهيونى فيها يحاول بضراوة وشراسة أن يستميت على الأرض التى احتلتها بالعدوان والتآمر .

فى قلب الدنيا

خامسا — ان الأمة العربية ليست مقطوعة عن دنياها وانما هى فى القلب تماما من هذه الدنيا . ولقد كانت لها منذ فجر التاريخ رسالة حرية وحضارة جاهدت فى سبيلها لكى تنشر الأمل والنور وتحمل ألويتها الى أقاصى الأرض . واذا كانت الظروف قد صدت بالنكسة هذا الدور الانسانى الكبير فان أمتنا العربية قد تمكنت من الارتفاع فوق الظروف وعادت لتحمل رسالتها من جديد .. حرية وحضارة ، وتضيف اليهما

السيد رئيس مجلس الامة يتلو أمام السيدرئيس الجمهورية نص قرار مجلس الأمة بترشيح سيادته

دعوة السلام .. وعيا بالحقائق الجديدةالتى ابرزتها ثورة العلم الحديث وفى مقدمتها استحالة الحرب العالمية بسبب الخطر النووى . واذا كان الشعب المصرى فى هذه المرحلة يحمل النصيب الأوفى من هذه المسئولية العربية العالمية أصالة عن نفسه .. وتعبيرا عن أمته ، فليس ذلك فى الواقع الأمر مجرد تطوع وتبرع من أجل المبادىء وحدها ، وانما هو الى جانب المبادىءضرورة أمن فى عالم ضاعت فيه المسافات واختفى أثرها . ان هذا الوطن بالذات على سبيل المثال تعرض لغارات العدوان الثلاثى من قواعد تبعد عنه آلاف الأميال . واذا كنا اليوم ، فى مثال آخر ، نشغل أنفسنا بما يجرى فى الكونغو فليس ذلك عطفا على كفاح شعبه الباسل وحده ، وانما ادراك لحقيقة جغرافية تقول بأن حدود الكونغو ملاصقة لحدود السودان ، ولحقيقة نضالية أخرى هى أن الكونغو المستقل فى قلب القارةالافريقية سوف يرفض أن تتحول أرضه الى قاعدة لتهديد شعوب القارة كلها واخضاعهاللارهاب الاستعمارى ..

واذا كنت على صواب فى تشخيص هذا الهدف الخامس للمرحلة القادمة فلسوف يكون موضع فخر واعتزاز لى أن أساهم بنصيبى فى هذه الفترة التى بدات بالفعل تشهد بداية الانهيار الكامل لكل الأنظمة القائمة على الاستعمار وعلى شن الحروب .

مهام المرحلة القادمة

أيها الأخوة أعضاء مجلس الأمة ..

لقد قصدت أن أعد بعض مهام العمل الوطنى فى المرحلة القادمة ، تدعيما لمرحلة سابقة ، وتقدما بعدها ليكون منها عهد واذا كان ذلك هو العهد فانى أعتبره شرفا لى أن أقبل ترشيحكم وأن أقف بعده أمام الشعب فى انتظار أمره ، راجيامن الله عونه ورضاه حتى يتحقق العهد والسلام عليكم ..

كلمة السيد الأستاذ
محمد توفيق عويضة
أمين التنظيمات
بالاتحاد الاشتراكى العربى
في
مؤتمر شباب الجامعات والمعاهد العليا والأزهر الشريف

أقامت جامعات القاهرة والاسكندرية وأسيوط ، والأزهر الشريف والمعاهد العليا مؤتمرات كبيرة حضرها أعضاء هيئة التدريس وآلاف الطلاب للمطالبة بترشيح البطل الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر

وقد حضر هذه المؤتمرات السيد محمد توفيق عويضه أمين التنظيمات الطلابية بالاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد تكلم فى جموع الشباب الكلمة الآتية :

اخوانى الشباب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرنى ويشرفنى أن أحمل اليكم تحية كريمة من البطل الرئيس جمال عبد الناصر.

أيها الاخوة

قدمت لكم اليوم لا من أجل زيارة عادية، ولقاء ككل لقاء، ولا قدمت لكم لمجرد الحديث والخطب، انما قدمت لكم لأمر كبير، وانما أحمل لكم رسالة كبيرة.

أيها الشباب ..

اذا استعرضنا صفحات التاريخ معا، لوجدنا أن الشباب كان دائما اليد القوية الضاربة يوم يحتاج الوطن الى بدء الكفاح، كما كان الشباب دائما، اليد القوية البناءة يوم يحتاج الوطن الى اقامة البناء ..

ومنذ بدء الحركة الوطنية فى بلادنا، شهدت مصر ثورات الشباب، وشهدت شوارع مصر دماء الشباب، دفاعا عن الحرية والعزة والكرامة، وتاريخنا ملىء بصفحات كلها مجد على رأس كل صفحة منها اسم شاب من أبناء أمتنا، ولكن كان ينقص تاريخ كفاحنا أمر واحد، هذا الأمر كان سببا فى تعطيل هذه الثورات، هذا الأمر الذى كانت تحتاجه ثوراتنا الوطنية، هو التقاء شباب الجيش بشباب الجامعة والمدرسة، حتى يكتمل الصف، وتلتقى الأيدى وتتجه الضربة القوية لأعداء البلاد، حتى أراد الله لمصر الخير، فاتحد الصف فى ليلة من ليالى العمر .. ليلة تحركت قوى الشباب فى الجيش، وخرجت لتلتقى بشباب مصر العربية لتوقد نار الكفاح، ولتعلى راية الحرية فى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بقيادة **البطل جمال عبد الناصر ..**

أيها الشباب

واليوم قامت أمتنا، قامت كرامتنا، يوم أطاح جمال عبد الناصر بعرش الفساد والاستبداد ـ قامت كرامتنا يوم أرغم جمال عبد الناصر آخر جندى مستعمر على الرحيل من أراضينا، قامت كرامتنا، يوم أعاد جمال عبد الناصر الأرض الى أصحابها بعد أن كانت ملكا لحفنة من متشردى الأجانب، الذين كانوا يملكون أرضنا ومن عليها، ويتحكمون فى أرزاق المصريين، وقامت كرامتنا يوم استعاد لنا جمال عبد الناصر قناة السويس، بعد أن كانت دولة داخل الدولة، يسير أمورها صعاليك المستعمرين من الأجانب.

وعزت كرامتنا يوم أقام لنا جمال عبد الناصر الصناعة، وعاد المصرى من جديد ليحتل مكانه العظيم بين العالمين .. المصرى الذى علم الدنيا بالأمس فنون المدنية والارتقاء حتى تآزرت عليه قوى الشر والعدوان .. فرمت به فى ظلام التخلف والجهل، عاد المصرى بذكائه وعبقريته مرة ثانية .. عاد ليبنى خير أمة أخرجت للناس.

وعزت كرامتنا يوم أقام جمال عبد الناصر السد العالى ـ سد العزة والسيادة ـ وعزت كرامتنا يوم أقام جمال عبد الناصر صناعة السلاح فى بلادنا.

وهكذا أيها الاخوة استيقظ مارد الأمس العظيم .. استيقظ وأرضه بين قدميه .. وسلاحه بين يديه، ليبنى أكرم أمة وليرفع أكرم راية .. راية الحرية والعدل .. راية العزة والكرامة ..

ومضت أمتنا تحطم آثار الماضى البغيض، وتبنى مجد الحاضر .. وعظمة الغد القريب، والبعيد ..

ولكن كان لا بد من مصنع كبير تحتاجه أمتنا فى معركة الخلود ـ كانت أمتنا فى حاجة الى مصنع الرجال، فقد أفلحت بالأمس قوى الاستعمار والشر فى نشر روح اليأس والهزيمة بين الناس، وقد كان الظلم سيدا، وكان الاحتكار والاقطاع سلاحا مدمرا فى يد المستعمر وعملائه يرهبون به أبناء الشعب، حتى لقد ضاع الحق بين الناس وسادالانحلال والنفاق وأصبحت أمور الناس وأرزاقهم وأقواتهم لعبة بأيدى قلة فاسدة طاغية تعز من تشاء، وتذل من تشاء، ونسيت أن الخير كله بيد الله، ونسى الطغاة قول عمر بن

الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ٠

نسى الطغاة كل شىء الا أنفسهم، وفرضوا على أمتنا الأنظمة والقوانين التى تمكن لهم من رقاب الشعب ، وجاءوا بنظم نيابية مزيفة لتؤيد طغيانهم واستعلاءهم ، ولم يكن امام الأحرار الشرفاء الا السجن أو الموت فلما انتصرت كلمة الحق وعلت راية الثورة بقيادة البطل جمال عبد الناصر ، كان لا بد من أن يقوم العدل ويتساوى الناس ، ويزول استعباد القوى للضعيف ، فاتحدت قوى الشعب والشباب لتبنى بناء الرجولة والاخوة بناء الحرية والعزة ، لتبنى اشتراكيتنا العربية الانسانية ، وبذا أقمنا أعظم مصانع الأرض : مصنع الرجال الكبير ، فتوحد الهدف ، واتحد الصف ، ونهض كل مصرى وتاج الكرامة يزين رأسه ، وشعور العزة يملأ قلبه ، وهدأت النفوس الثائرة ، وهتفت الأرواح من أعماقها ٠

أن لا اله الا الله ، والله أكبر ٠

اخوانى الشباب

ذاك كان أمسنا ، وهذا هو يومنا، أما غدنا أيها الأخوة فهو يوم الأجيال القادمة من أبنائنا ٠٠ ان أبناءنا يرقبون كفاح شبابنا لكى يقيم لهم الوطن الكبير ، والأمر أيها الاخوة ليس هينا ، انه ثقيل وضخم ، ليس له الا سواعد الأقوياء ، ليس له الا عزيمة الشباب وفتوة الأبطال ان الطريق طويل ، والكفاح صعب ، وعلى الطريق أكثر من عقبة ، واكثر من عدو ٠

تربص بنا الاستعمار لما أحس بخطرنا ، فهو يعلم أن مصر كانت دائما مركز الاشعاع للأمة العربية وللأمة الافريقية كلها ، وأحس الاستعمار انه يوم تنطلق صرخة الحرية من مصر تدوى أصداؤها فى أرض العرب وتهتز لها جنبات افريقيا ٠

أحس الاستعمار بذلك فأعلن الحرب علينا ٠٠ حربا سلاحها الغدر والوقيعة ٠٠ هاجمنا بالأمس القريب فى بورسعيد فى حرب مكشوفة كتب الله عليه فيها الذلة والمهانة ٠٠ وهو يهاجمنا كل يوم وليلة ، فى حرب ضارية مقنعة تستتر بظلام الغدر والخيانة ٠

وعدونا أيها الشباب عنيد، انه لايجد حرجا فى أن يبعث بجنوده من أقصى الغرب الى أقصى الشرق ليدافع عن باطل وليقيم ضلالا ، ولا يجد حرجا فى أن يقدم المال والدم لكى يحمى وجوده وطغيانه ٠

فكان لا بد علينا أن نواجه عدونا والا هلكنا ، وهلك أبناؤنا من بعدنا ، كان علينا أن نحطم حصونه حصنا حصنا ، كان علينا أن ندمر قواه فى كل مكان ، كان علينا أن نشعل له نار الثورة فى كل أرض ، كان علينا أن نفزع أمنه وأن نهدد كيانه فى كل ميدان، فى افريقيا ، فى آسيا ، وكان لا بد علينا أن ندرك بوحى من ضمائرنا خطورة المعركة وما تتطلبه منا ، فعدونا كبير وقوى ومستبد ليس لنا معه الا صراع مستمر ورهيب ٠

ونحن اذا اتجهنا الى شقيقة عربية نأخذ بيدها ، أو الى شقيقة افريقية نشد أزرها ، أو الى يمن حبيب نعيد له حقه فى الحياة ٠٠ نحن فى ذلك أيها الاخوة انما نضرب عدونا وانما نحفر له قبرا على كل أرض ، فالمعركة بيننا وبينه حياة أو موت ٠

وهناك أيها الشباب اسرائيل ٠٠ هناك أيها الأحرار اسرائيل ٠٠

اسرائيل التى وضعت خريطة دولتها المشئومة بحيث تمتد من نيلكم العظيم الى فرات العراق الحبيب ٠٠ والتى تمتد جنوبا لكى تضم مدينة خير خلق الله ٠٠ مدينة سيدنا محمد رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ألا خسئت اسرائيل ، فوالله لو كان الأمر أمرها وحدها لوطئناها بأقدامنا ، ولمزقنا لحمها بأظافرنا ، ولكنها اسرائيل جسر الطغاة ووكر الأشرار ، تجمعت فيها كل عناصر الشر والكراهية ، وتجمعت لها كل قوى الاستعمار تسندها وتحارب معها ٠

ان الأجيال القادمة أيها الشباب تنادينا أن لا أمن واسرائيل فى الوجود ٠٠ أن لا رزق واسرائيل على الحدود فمن لاسرائيل سوى الشباب ، ومن للذئاب سوى الأسود ٠

وهناك أيها الشباب عدو ثالث على الطريق ٠٠ انه بقايا التخلف فى مجتمعنا ، انه بقايا الضعف واليأس ـ بقايا الدسائس والفتن ، بقايا الاقطاع والاستعلاء والانتهازية ٠

هذه البقايا عثرات على الطريق ، فى حاجة الى أعين الشباب اليقظة ترقب حركاتهـا ، وتضرب على يدها الخائنة الحاقدة ٠

هذا هو أمرنا أيها الشباب ، أمر لا هزل فيه ٠٠ أمر كله جد ، وكله عمل ، وكله كفاح ٠٠ وكله خطر ٠٠ ولذا ـ فقد آن الأوان لكى تنتظم الصفوف ويستعد الجمع للمعركة ٠

هذه هى الرسالة أيها الشباب ٠٠ سطورها من نار ، ومدادها من دم ، وصفحاتهـا من عرق ٠٠

هذه رسالتكم أيها الشباب ٠٠ وهـذه هى معركتكم أيها الرجال ، لن تكون منظمـة الشباب للتهريج واللعب ٠٠ ستكون المصنع الكبير ٠٠ مصنع الرجولة والفـداء ، الذى يحمى شعبا ويبنى أمة ٠٠

أيها الشباب ٠٠

ستقوم المنظمة لتنظيم صفوف الشباب ٠٠ لا أطماع ، ولا أحقاد ، ولا غرض ، ولا هوى ، ولكنه فهم للامور واستعداد لبدء البناء الكبير ٠٠ بناء الأمة العربية التى يرسم لناصورتها البطل الرئيس جمال عبد الناصر فى الميثاق الوطنى الذى آمنا به ، واتخذناه دستورنا ٠٠ والذى جاء ليمثل كل نبضة من نبضـات قلوبنا ، وكل أمل من آمالنا ، سيكون الميثاق النور الذى نهتـدى به وستكون الاشتراكية الانسانية العربية هدفنا ورايتنا التى نتجمع فى ظلها ٠٠ لنبنى أمتنا يدا بيد مع البطـل القائد جمـال عبدالناصر الذى علمنا انتصار الايمان على طغيان الباطل ٠

أيها الشباب :

ستقوم منظمة الشباب لتخوض أشـرف معركة ٠٠ معركة الحرية والكرامة والعـدالة والبناء ٠٠٠

****

اخوانى الشباب :

ان فى حياة كل أمة صورا مشرقة يجود بها الزمان ٠٠ وفى تاريخ كل أمة صفحات فخار يتيه بها أبناء هذه الامة .

ونحن أبناء الأمة العربية ٠٠ لنا فى حياتنا صور مشرقة كثيرة ٠٠ وصفحات فخار طويلة ٠٠ حتى تحالفت كل قوى الشر على أمتنـــا العربية منذ عشرات السنين ٠٠ حتى أصبحت الصور المشرقة باهتـــة ٠٠ وحتى تحولت الصفحات الغالية الى سطور من أنين الكفاح ٠ وأصبح اليأس يغزو قلوبنا قلبا قلبـــا ٠٠ ويهدد كياننا ٠٠ ويحطم عزمنا ٠٠

وانا لنذكر بيقيـن ٠٠ ان الأمر كان قد ضاق واشتد ٠٠ وان القلوب كانت تتجه الى الله كل يوم وليلة تناجيه ٠٠ متى الفـرج يارب ، وكانت الأبصار تتلفت عن المخلص فى كل مكان ٠٠ وكانت الأرواح الصافية تدعـو فى صلاتها « ربنا اكشف عنا العذاب » ٠

حتى اذا ما انتصفت ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ٠٠ استمعت الأرواح الهائمة الخاشعة لتباشير السماء ٠٠ وأحست القلوب الصافية العابدة بأن أمر الله قد صدر ٠

واستمعت القـاهرة ٠٠ لأكرم نداء ٠٠ وشهدت القاهرة أسمى ثورة ٠٠ وحمـل الشباب على أكتافه أشجع بطل كانت تنتظره الأمة العربية ٠٠ وكانت تعد له صفحات المجد من كتاب التاريخ ٠٠ فسطر الصفحات بيده القوية ٠٠ مرة بدمه ، ومرة بعرقه ، مرة بصبره ، ومرة بكفاحه ٠

فكانت خير أمة ٠٠ وكان خير زعيم ٠٠

وفى هذه الأيام ٠٠ يجرى الترشيـح **لرئاسة الجمهورية ٠٠ فمن لها غير البطل ؟ من لها غير الزعيم ٠٠ من لها غير الرجـل الذى قال للأقوياء قفوا مكانكم ٠٠ من لها غير الذى علم الاستعمار كيف يجثو على ركبتيـه أمام عزة الأحرار ٠٠ من لها غير العمـلاق الذى أقام الصناعة ، وبنى السـد ، وأعاد القناة ، وطرد العدو ٠٠ من لها غير الأمل الكبير الذى حقق العدالة ٠ ٠ونصر المظلـوم ٠٠**

وحرر عبيد الأرض ، وقسم الرزق بين الناس بما يرضى الله ٠٠؟

من لها غير العملاق الذى اذا تكلم استمعت اليه الدنيا ٠٠ والذى اذا غضب اهتزت لغضبته عروش الاستعمار وحصونه ٠٠ والذى اذا قال فعل ٠٠ واذا حدث صدق ، واذا عاهد كان والله خير أمين ٠٠

من لها غير الرجل الذى يقوم الليل يقرأ ويدرس من أجل أمته ٠٠ ويمضى النهار يعمل ويكافح من أجل شعبه ٠٠ حرم نفسه من كل شىء ٠٠ وهانت الدنيا بكل ما فيها أمام عينيه ٠٠ فلم يعد يرى الا أملا واحدا ، ولم يعد يهوى الا أمرا واحدا ٠٠

لم يعد يرى الا الشعب ٠٠ ولم يعد يهوى الا مصر ٠٠

أيها الاخوة :

باسم الله ٠٠ وباسم التاريخ ٠٠ وباسم الشهداء الذين استشهدوا تحت رايات الكفاح ٠٠ وكانوا يتمنون لو عاشوا معنا يومنا هذا ٠٠ وباسم الانتصارات الرائعة التى كسبناها فى كل معاركنا السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ٠٠

وباسم الأجيال القادمة ٠٠

باسم مصر القاهرة ٠٠ باسم الأمة العربية التى تناضل اليوم من أجل وحدتها وقوتها ٠٠ باسم افريقيا السوداء التى تكافح اليوم من أجل حريتها وأمتها ٠٠

باسم الملايين من رواد الانسانية ٠٠ ودعاة السلام ٠٠

باسم الرجولة والشجاعة والاباء ٠

نرشح لرئاسة الجمهورية ولمدى الحياة بطلا واحدا ٠٠

جمال عبد الناصر

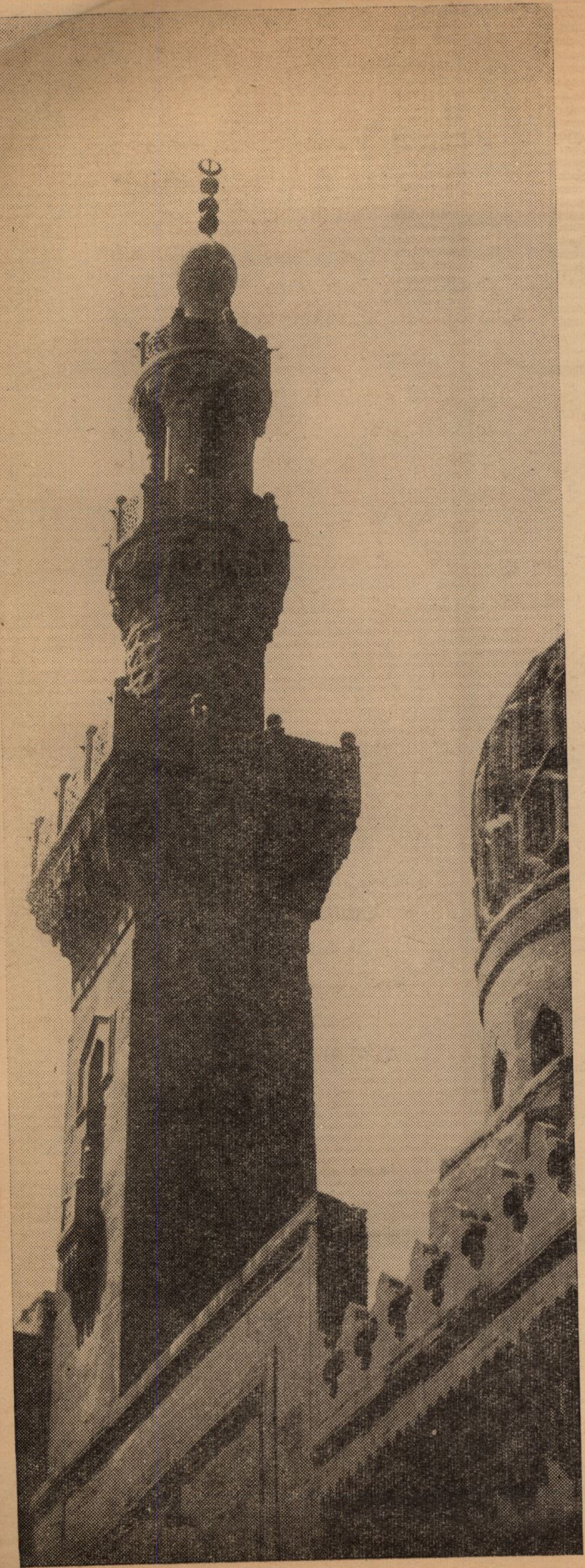

منبر الإسلام

جلة الثقافة الإسلامية

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ـب غرة كل شهر عربي

س التحرير

حمد توفيق عويضة

دد ١٠ - السنة ٢٢

وال ١٣٨٤ - ٢ فبراير ١٩٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

* معالم الطريق
* زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
* تطور التنظيم الشعبى من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ـ **السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية**
* علم عمر بن الخطاب ـ **فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى**
* الحديث الثالث ـ **فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد**
* الاسلام والقومية العربية ـ **الدكتور احمد الحوفى**
* اعجاز القرآن فى أصول الأحكام ـ **الأستاذ محمود كمال**
* من حضارة الاسلام ـ **الاستاذ عبدالعزيز سيدالأهل**
* دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ـ **الاستاذ حسنى عبد المجيد**
* الشريعة الاسلامية كمصدر أساسى للتقنين ـ **الاستاذ المستشار عبد الحليم الجندى**
* جامعات لها تاريخ ـ **الدكتور عبد الحليم منتصر**
* يحق أن يكون للصائمين عيد ـ **سماحة الشيخ مبشر الطرازى الحسينى**
* خواطر مستشار ـ **المستشار على على منصور**
* من المعانى الانسانية فى العيد ـ **الدكتور سعد الدين الجيزاوى**
* الثائر (قصة العدد) ـ **الاستاذ عبد الحميد جودة السحار**
* **أنت تسأل والمفتى يجيب ـ باب الرياضة ـ باب التحقيقات ـ باب المرأة المسلمة ـ باب العلم ـ باب الفن ـ باب الشعر ـ مع القراء ـ بريد التعارف ـ مواقيت الصلاة ..**

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة
يضاف الى هذا قيمة البريد
خارج الجمهورية العربية المتحدة
وما يساوى
هذه العملة فى البلاد الاخرى

•

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى
ذات القرشين

العنوان
٣ شارع الأمير قدادار المتفرع
من شارع التحرير بالقاهرة
ت ٣٣٩٥٦

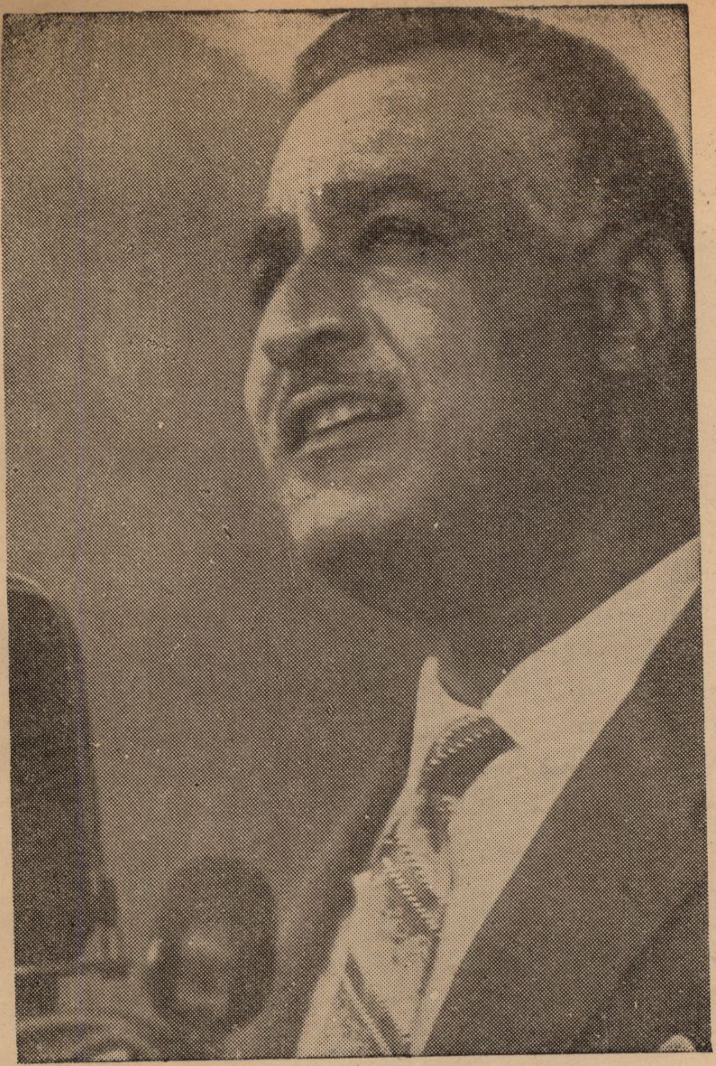

معالم الطريق

نص خطاب
السيد الرئيس جمال عبد الناصر
في الاحتفال بتخريج دفعة
جديدة من الطيارين

القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا خطيرا فى الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من الطيارين أول يوليو · أعلن الرئيس أن الحرب مع اسرائيل لايمكن تجنبها ، قال ان اسرائيل رأس جسر الاستعمار وقد اعتدت على شعب فلسطين وطردته من بلاده ·

نص خطاب الرئيس

وقد استهل الرئيس خطابه فى الضباط الطيارين قائلا :

فى كل مرة تتخرج دفعة جديدة من الطيارين الجدد نشعربالأمن والطمأنينة تزداد وتتدعم لأن السلاح الجوى هو قوتنا الرادعة ضد العدوان ، ونحن هنا نواجه اسرائيل رأس جسر الاستعمار ·· اسرائيل التى اعتدت علينا فى سنة ١٩٥٦ حينما ايدها الاستعمار ودفعها الاستعمار · نحن نبنى بلدنا وندعم الاستقلال بين ربوع وطننا ، ولايمكن لنا ان نبنى بلدنا وندعم استقلاله الا اذا كنا قد كونا الجيش الوطنى القوى الذى يستطيع ان يصد العدوان ويتصدى للصهيونية والاستعمار ، ولقد اثبت الجيش الوطنى القوى دائما أنه قادر على أن يتصدى للاستعمار وللصهيونية وللرجعية لأن الاستعمار والصهيونية والرجعية تحالفوا علينا منذ قامت الأمة العربية تنادى للتخلص من الاحتلال الأجنبى والسيطرة الرجعية السياسية . وتتصدى للاستعمار الصهيونى فى فلسطين ·

ان علينا أن نكون دائما على استعداد وعلينا أن نقوى قواتنا المسلحة · وعلينا أن نكون على استعداد فى أى وقت لان نرد العدوان بالعدوان بقوة رادعة تجعل من يفكر فى العدوان علينا يفكر أكثر من مرة ·

كانت سنة ١٩٥٦ درسا للاستعمار والصهيونية ولكن اعتقد أن الاستعمار والصهيونية لايمكن بأى حال من الأحوال أن ينسوا ما حدث لهم عام ١٩٥٦ من الهزيمة المرة والفشل الذريع ، وسيستمر الاستعمار والصهيونية فى التآمر علينا دائما ، والحل لهذا هو القوة الرادعة ·· وسلاح القوات الجوية هو القوة الرادعة الأولى لاسرائيل والاستعمار الذى يؤيد اسرائيل واذا رجعنا الى ما كتب عن العدوان عام ١٩٥٦ نرى ان اسرائيل ورئيس وزرائها طلبوا ان تساندهم قوات اجنبية منذ أول دقيقة للمعركة ثم طلبوا ان تدمر بواسطة انجلترا وفرنسا جميع المطارات المصرية وذلك لأنهم كانوا على ثقة من ان سلاح القوات الجوية المصرية سيدمر جميع منشآتهم الجوية منذ أول يوم من أيام المعركة ·

١٨ طائرة لاسرائيل

وانا اذكر قبل تدخل انجلترا وفرنسا تدخلا سافرا فى القتال ان الطيارين المصريين اكتشفوا ان هناك قوات أجنبية جوية تعمل مع اسرائيل من أول يوم للمعركة استنتج الطيارون المصريون أن هناك طائرات أجنبية تعمل مع القوات الاسرائيلية المعتدية ، ورغم هذا فان قواتنا الجوية اسقطت لاسرائيل ١٨ طائرة فى اليومين الأولين للمعارك فى اليوم الأول والثانى وطبعا بعد أن تدخلت انجلترا

الحرب مع اسرائيل لايمكن تجنبها

وفرنسا كان من الواضح أننا لايمكن ان نتعرض لهذه الدول الكبرى بقواتنا الصغيرة · كان يوجد لدينا سنة ١٩٥٦ عدد اكثر من الطائرات ولكن كان عدد طيارينا قليلا وكان الطيار هنا سنة ١٩٥٦ يطير بطائرته ثم يعود ليأخذ طائرة أخرى ، وكان كل شخص يشعر بالواجب وهناك فرق كبير بين سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٤ · اليوم لدينا طيارون وتوجد لدينا طائرات ونصنع أيضا الطائرات والسبب فى هذا اننا لابد ان نكون على استعداد فى أن نردع كل من يعتدى علينا · أى تكون لدينا قوة رادعة

الدول الأوروبية واسرائيل ·

أرى ان يكون لدينا قوة رادعة تنتقم فى الحال ولا يمكن ان نترك الامر للظروف أو للصدفة ، وعلى هذا فان تخرج دفعة من هذا المعهد هى تقوية لقواتنا الرادعة وقوتنا الجوية التى هى فى خدمة الأهداف التى تعمل من أجلها ،وفى خدمة الأمة العربية كلها ·

فى هذه الأيام يجب أن نكون أشد قوة ، ثم بناء الجيش الوطنى القوى لأن اسرائيل تستعدى علينا الدول الغربية والدول الغربية تستجيب لاسرائيل وتؤيدها وتهاجم الدول العربية .. الدول الغربية تؤيد اسرائيل فى اغتصابها لفلسطين ، والدول الغربية تعطى لاسرائيل كل أنواع الأسلحة وتتجاهل الدول العربية ·

مشكلة فريدة

حقوق شعب فلسطين ومشكلة فلسطين تختلف عن جميع المشاكل الموجودة فى العالم ·· فهى تختلف مثلا عن مشكلة برلين فمشكلة برلين الاختلاف فيها هل برلين مقسمة أو غير مقسمة ؟ هل هى محتلة أم غير محتلة ؟ أما مشكلة فلسطين فهى مشكلة فريدة فى نوعها فى العالم وتحاول الصهيونية أن تطمس معالم هذه المشكلة · شعب طرد من أرضه واغتصبت كل أملاكه ،وحل محله شعب آخر · أما مشكلة برلين فشعبها موجود فيها · جزء منه مع المانيا الشرقية والآخر مع المانيا الغربية ولكن الشعب هو الشعب الألمانى ·

مشكلة فلسطين ·· الشعب الفلسطينى طرد واغتصبت أملاكه بواسطة الصهيونية العالمية وبواسطة اسرائيل وبواسطة الدول التى ساعدت اسرائيل على أن تحتل فلسطين · وهى أمريكا وانجلترا وفرنسا ووجدت اسرائيل فى عام ١٩٤٨ كل الاسلحة ونحن لم نجد الفرصة للحصول على أى سلاح ·

الحرب مع اسرائيل

هذا الأمر لن يتكرر مرة أخرى واذا كانت الدول الغربية تؤيد اسرائيل وتساعدها بالسلاح فاننا لن نعطى اسرائيل الفرصة لتعتدى مرة أخرى ولابد

أن نستعد لاسترداد حقوق فلسطين ، وهم يستنكرون علينا الكلام فى استرداد حقوق فلسطين وان الحرب بيننا وبين اسرائيل لايمكن تجنبها لان اسرائيل معتدية ، والسلام الذى نتكلم عليه هو السلام المبنى على العدل ويوجد ناس يستغربون هذا ، ووجدت فى صحف انجلترا حملات ضد هذا الكلام ونحن نقول هذا لأن اسرائيل معتدية اغتصبت أرض فلسطين بمساعدة الاستعمار وبواسطة انجلترا والدول المعتدية طردت العرب أصحاب الأرض الحقيقيين من بلادهم واستولت على أملاكهم ٠

الرجعية والاستعمار :

واذا تعاون واتحد العرب فهنا يبرز دور الرجعية المتعاونة مع الاستعمار لمنع الاتحاد والوحدة العربية والابقاء على الدول العربية ، فاذا اتحد العرب فاننا نمثل قوة كبيرة مادية ومعنوية لها كل المقومات التى تمكنها ان تكون لها الكلمة العليا والكلمة المسموعة ٠

الوحدة مع العراق :

فى ٢٦ مايو الماضى توصلنا الى اتفاق مع الجمهورية العراقية الشقيقة ووقع هذا الاتفاق من الجانب العراقى الرئيس عبد السلام محمدعارف والغرض من هذه الاتفاقية هو العمل لكى نحقق الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق تدريجيا ونحن نسير فى هذا الطريق بخطوات من أجل توحيد قواتنا المسلحة ومن أجل توحيد قواتنا الجوية بحيث يصبح هناك تعاون كامل بين قواتنا الجوية والزيارات متبادلة بين القوات الجوية فى البلدين ٠٠ واننى أعتقد أن هذا العمل مهم جدا لتدعيم القوى العربية اذ لايمكن للقوات العربية فى البلاد العربية المختلفة أن تدخل معركة وهى بعيدة عن بعضها ومتفرقة ، وتستطيع اسرائيل أن تنفرد بكل بلد عربى على حدة ٠ ونحن نعتقد ان هذه الاتفاقية التى نعتبرها خطوة كبرى فى سبيل الوحدة عامل أساسى كعامل تسليح الجيوش والقوات وكعامل بناء الجيش الوطنى القوى وان الجيش الوطنى القوى هنا فى الجمهورية العربية المتحدة مع الجيش الوطنى القوى فى العراق يمكنهما أن يكونا قوة مسلحة عربية تتصدى لاسرائيل وتتصدى للاستعمار ولمن هم وراء اسرائيل ٠

فاذا شعر الاستعمار واذا شعرت الصهيونية ان الأمة العربية تسير باخلاص فى طريق وحدتها حتى على مراحل ٠٠ وحدة هدفها ٠٠ يمكن لهؤلاء أن يفكروا قبل ان يحاولوا العدوان على أى بلد عربى ٠ وقبل ان يصمموا على اغتصاب الأرض العربية فى فلسطين ٠

مؤتمر الملوك والرؤساء

فى ٢٣ ديسمبر الماضى دعوت الى عقد مؤتمر لملوك ورؤساء الدول العربية وكان السبب لهذه الدعوة هو ما قرأته فى محاضر جلسات رؤساء اركان حرب الجيوش العربية ، وكانت هناك قرارات عن اللجنة السياسية للدول العربية

لتكوين قيادة عربية موحدة وكانت هناك أيضا دعوة لعمل كيان فلسطين ووافق المجلس السياسى للجامعة العربية على هذا كله ٠ ولكن لم ينفذ شىء منه لمدة سنتين وفى اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية ظهر أن توصيات اللجان السياسية لايمكن تنفيذها وكان من أهم هذه التوصيات تحويل روافد نهر الاردن ٠

الخوف من اسرائيل :

وقال المندوب السورى فى اجتماع رؤساء أركان حرب الجيوش العربية اننا لانستطيع ان نحول روافد نهر الأردن الموجودة فى سوريا ، لاننا نخاف أن تقوم اسرائيل بالعدوان على سوريا وتحتل مناطق هذه الروافد ٠ وقال أيضا ان الفرقة والخلاف الموجود بين الدول العربية يساعد على عدم توحيد القوات المسلحة ٠

وكان من الواضح اننا فى حاجة الى قيادة عربية لكل القوات العربية وفى نفس الوقت العمل على تحويل روافد نهر الأردن ٠ وكانت الدعوة يوم ٢٣ ديسمبر بعد قراءتى لمحضر اجتماعات رؤساء أركان حرب الجيوش العربية وأحسست ان حريتنا فى بلادنا أصبحت مكبلة ، ونخاف أن نفعل أى شىء فى بلادنا ٠

الوحدة التى نريدها

فالوفد السورى يقول انه لايستطيع تحويل الروافد وبذلك أصبحت حريتنا داخل بلادنا مقيدة لأننا نخاف من اسرائيل ٠٠ ان العلاج الوحيد لهذا الخوف وهذا الوضع هو توحيد الجيوش العربية والسير فى طريق الوحدة العربية واننى حينما أقول السير فى طريق الوحدة العربية لا أقصد بأى حال الوحدة العربية الدستورية لان هذه الوحدة لها مصاعب وعلى هذا الاساس ٠ علينا أن نبنى قواتنا المسلحة وان نسير فى طريق الوحدة العربية لأنها هى هى الاساس لمنع مؤامرات الاستعمار والصهيونية وعلى هذا الاساس خرج مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية الأول بقرارات تكوين قيادة عربية وزيادة القوات المسلحة فى لبنان والاردنوسوريا وان تقوم بعض الدول بدفع مصاريف الأسلحة المطلوبة لهذه القوات ٠ وكل الدول دفعت الأموال المطلوبة منها ٠

يجب ان نبدا

وعلينا ان نضع هذا الكلام موضع التنفيذ ثم علينا ان نحول روافد نهر الأردن ونحمى عملية التحويل بقواتنا المسلحة حتى اذا اعتدت اسرائيل تجد ان القوات العربية كلها مستعدة للتصدى لها ٠ والخطوات حتى الآن تسير ٠ ولكن لم يبدأ العمل فى تحويل روافد نهر الاردن ٠ ونرجو أن يبدأ العمل فى تحويل نهر الاردن ٠ ونرجو ان تسير القيادة العربية للقوات المسلحة فى البلاد العربية فى طريقها ، وبهذا نستطيع أن نحمى كل منجزاتنا وبهذا نستطيع أيضا ان نبنى الوطن العربى القوى الذى تسوده العدالة ٠ والمساواة والله يوفق العرب جميعا والسلام عليكم ورحمة الله ٠

زعماء العالم الاسلامى ...

مجلس رؤساء الحكومات العربية فى القاهرة

اتجه الشعب العربى بأبصاره وآذانه وقلبه الى القاهرة ليتابع الاجتماع الذى عقده رؤساء الحكومات العربية من ٩ الى ١٢ يناير ١٩٦٥ ·

وترجع أهمية هذا الاجتمـاع الى أنه أول اجتماع يعقده رؤساء الحكومات منذ أن صدرت قرارات مؤتمر القمة العربى الثانى الذى عقد فى الاسكندرية فى شهر سبتمبر الماضى · ولأول

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الكولونيل هوارى بومدين

مرة يجلس رئيس وزراء السـودان الجديد سر الختم خليفة مع زملائه رؤسـاء الحكومات ومعه وزير الخارجية السيد محمد محجوب·· ولأول مرة أيضا يلتقى بزملائه رئيس وزراء الكويت الشيخ صباح السالم وهو فى الوقت نفسه ولى عهد الكويت · كذلك الأمير خالد ابن عبد العزيز نائب رئيس وزراء السعودية وأحمد باحنينى رئيس وزراء المغرب ·

ومن الشخصيات الثـورية التى حضرت الاجتماع لأول مرة الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق والكولونيل هوارى بومدين النائب الأول لرئيس الجزائر ووزير الدفاع والسيد زكريا محيى الدين نائب الرئيس جمـال عبد الناصر وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ·· واللواء حسن العمـرى رئيس الوزراء الجديد لحكومة الجمهورية اليمنية ·

ومن الشخصيات السياسية التى سبق أن اشتركت فى مؤتمر الاسكندرية ، الباهى الأدغم نائب الدولة للرياسة بالحـكومة التونسـية وحسن العوينى رئيس وزراء لبنـان ومحمود المنتصر رئيس وزراء ليبيا وبهجت التلهونى رئيس وزراء الأردن ·

ومع كل هذه العناصر التى تضمها الهيئة التنفيذية لمجلس الملوك والرؤساء على مختلف المستويات الوزارية والعسكرية - بدأ اجتماع مجلس رؤساء الحكومات العربية فى مقر الجامعة العربية بالقاهرة ··

وافتتـح الدكتـور نور الدين الأتاسى نائب رئيس مجلس الرياسة فى سوريا ورئيس وفدها

فى القاهرة

فى مؤتمر رؤساء الحكومات اجتماع مجلس رؤساء الحكومات باعتبار أن الرياسة لسوريا فى دورة مجلس الجامعة العربية ٠ وقد أعطى الكلمة للسيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية حيث ألقى كلمة الجامعة العربية ٠ وبعده ألقى السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس وفدها كلمة بوصفها دولة مقر الجامعة العربية٠ ثم ألقى الدكتور الأتاسى كلمة بوصفه رئيسا للدورة ٠٠ وتلاه السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان فألقى كلمة قدم فيها سياسة السودان فى عهده الجديد بعد ثورة ٢١ أكتوبر ٠٠

وبعد أربع جلسات طوال عقدها رؤساء الحكومات العربية خلال أربعة أيام متتالية وبعد اجتماعين طويلين لمجلس الدفاع العربى المشترك ٠ اختتم مجلس رؤساء الحكومات اجتماعاته مساء ١٢ يناير حيث تلا السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة نص البيان الذى اتفق على اصداره ٠٠٠ وهذا نصه :

نص بيان رؤساء الحكومات العربية

فى السابع من رمضان المعظم لعام ١٣٨٤ هـ الموافق التاسع من يناير (كانون الثانى) لعام ١٩٦٥ اجتمع مجلس رؤساء حكومات دول الجامعة العربية فى دورته الأولى فى القاهرة واتصلت اجتماعاته أربعة أيام أتم فيها نظر جدول أعماله واتخذ قرارات فى جميع مواده٠

وتأكيدا لما عبر عنه الملوك والرؤساء العرب فى العام الماضى بمقرراتهم التاريخية فى مؤتمرى القاهرة والاسكندرية تدارس رؤساء الحكومات ما تم اتخاذه من اجراءات تنفيذية تفصح عن روح التعاون والعزم الصادق على تحقيق الأهداف

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الفريق طاهر يحيى والوفد المرافق لسيادته .

الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل رئيس وزراء تونس

القومية العادلة وبناء القوة والعزة العربية ودعم السلام العالمى على أسس من العدل ٠

واتفق مجلس رؤساء الحكومات على وسائل التنفيذ التام الناجز للخطط العربية السياسية والعسكرية والفنية والاقتصادية والعلمية وغيرها ، وذللوا ما اعترض سبيل بعضها من مصاعب ٠

وابدى رؤساء الحكومات العربية الارتياح للتقدم الواضح فىدعم انعلاقات العربية وأكدوا حتمية المضى قدما الى الأهداف العادلة المشتركة صفا واحدأ ٠

وأكد مجلس رؤساء الحكومات العربية للتقدم الواضح فى دعم العلاقات العربية وأكدوا تأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى ومساعدتها بمختلف الوسائل على النهوض بواجبها المقدس ، كما وضع الحلول المتصلة بتنفيذ المشروع العربى لاستغلال مياه نهر الاردن وروافده ، وعقد العزم على ان يتبع خطة موحدة فى مجابهة أية دولة أجنبية تسعى لاقامة علاقات جديدة مع اسرائيل ودعم مجهودها العدوانى الحربى ٠

أما القرارات التى اتخذها المجلس والتى كان قد وضع مشروعها الدكتور سيد نوفل الأمين المساعد للجامعة العربية وناقشها وزراء الخارجية فى جلسة خاصة والتى تبلغ ١٦ قرارا فقد اعتبرت سرية ٠٠

سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان فى القاهرة

فى القاهرة ٠٠ التقت ثورتان ٠٠ ثورة ٢٣ يوليو وثورة ٢١ أكتوبر ٠٠

وكان اللقاء الأول بين الرئيس جمال عبد الناصر وسر الختم خليفة رئيس حكومة الثورة فى السودان ٠ واستقبلت القاهرة ممثلى حكومة الثورة السودانية المعبرين عن آمال الشعب السودانى وارادته الذين صنعوا الأحداث العظيمة فى السودان الشقيق ـ وكان استقبالا شعبيا ورسميا رائعا ٠٠ فان روابط الدم والعروبة واللغة والتاريخ والنيل والمصالح المشتركة قد أرست الدعامات القوية الصلبة للأخوة السودانية المصرية والتضامن السودانى المصرى وقد دعم الكفاح الطويل المشترك هذه الأخوة وزادها عمقا ٠٠

وفى ٦ يناير ١٩٦٥ وصل الى القاهرة سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان فى زيارة رسمية على رأس وفد يضم السادة : محمد أحمد محجوب وزير الخارجية وعبدالكريم ميرغنى وزير التجارة والصناعة وأزبونى منديرى وزير المواصلات وأحمد سليمان وزير الزراعة والرى ٠ وقد قدم الى القاهرة لاجراء مباحثات مع المسئولين وحضور مؤتمر رؤساء الحكومات العربية ٠

وقد أدلى السيد سر الختم خليفة عقب وصوله بتصريح قال فيه : « ٠٠ ان هذه الفرصة واللحظة التى نعيشها هى لحظة فريدة فى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان ٠ وأنتهز هذه الفرصة لكى أحيى اخوانى فى هذه الديار باسم أخوانى فى السودان وخاصة باسم الوفد الرسمى ووفد الصداقة الذى يحمل للجمهورية العربية المتحدة تحيات السودانيين الصادقة النابعة من القلوب وتمنياتهم

الطيبة بمستقبل زاهر لهذا البلـــد الشقيق ونحن اذ نتحدث هذا الحديث السهل انما نعبر عن مشاعر السودانيين فى شماله وجنوبه فى مدنه وقراه وهذا شعورطبيعي واننى اذ أتحدث بهذه البساطة انما أتحدث الى شعب شقيق عرف باصالته وصفاء نفسه ونحن نأمل أن تعود هذه الزيارة بالخير الوفير على البلدين » ٠

وقد تمت المباحثات الرســمية بين حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الثورة فى السودان وشهد المباحثات من الجانب السودانى السادة : محمد أحمد محجوب وزير الخارجية وعبد الكريم ميرغنى وزير التجارة وأحمـــد سليمان وزير الزراعة وأزبونى منديرى وزير المواصلات وعثمان الحضرى ســفير السودان بالقاهرة ٠ وشهد المباحثات من الجانب العربى الســـيد زكريا محيى الـــدين نائب رئيس الجمهورية والسيد سيف اليزل خليفة سـفير الجمهورية العربية بالخرطوم ٠

الرئيس جمال عبد النـاصر يسـتقبل رئيس وزراء السودان السيد سر الختم خليفة

وصرح السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان فى حديث صحفى بأن اجتمـاعاته بالرئيس جمال عبد الناصر تمت فى جو من الأخوة العميقة ٠ وقال ان هذه الاجتماعات تناولت كل نواحى العلاقات المصرية السودانية ـ وانه تم الاتفاق على أن الجمهورية العربية هى السوق الطبيعى للسودان ٠ كما تم الاتفاق على اعادة خطوط المواصلات النيلية التى تربط السودان بأسوان وكانت قد توقفت بعد اتمام المرحلة الأولى للسد ٠ كما اتفق فى اجتماعات الجانبين المصرى والسودانى التى تمت بالقاهرة على أن تتحرر العلاقات بين البلدين من كل عقبات الروتين والرسميات وأن تكون على أعلى مستويات الأخوة ٠

وقال سر الختم خليفـــة ان عـلاقات الود ستستمر وليست مؤقتة بوجود حكومة انتقالية، فأى حكومة تأتى بعد الانتخابات لن تحيد عن موقف الحكومة الحالية لأن الشعب السودانى يقف حارسا على هذه العلاقات ـ وستعرض أى حكومة تحاول أن ترجع عن هذه السياسة نفسها للسخط من جانب الشعب ٠ وقال ان الرئيس جمال عبد الناصر أبدى تقديره الـكبير لموقف القوات السودانية من مساعدة الكونغو ٠ واتفق أثناء تبادل الآراء على أن يكون السودان الشقيق مركز اتصـــال رائع بين الجمهورية العربية والقارة الافريقية ٠

وفى كلمة افتتاح أول اجتماع لمجلس رؤساء الحكومات العربية فى نطاق مؤتمر القمة أعلن السيد سر الختم خليفة رئيس وزراء السودان السياسة العربية للسودان بعد نجـاح ثورته الشعبية المنظمة الواعية يوم ٢١ أكتوبر والتى أعلنت أن فى طليعة مبادئها العمل على انتهاج سياسة عربية متحررة تستهدف تصفية الجيوب الاستعمارية فى المنطقة والقضـــاء على الوجود الصهيونى من قلب الوطن العربى ٠

وشرح فى كلمتـــه الدور الذى يتعين على السودان أن يقوم به بوصفه نافذة تهب منها رياح الثقافة والحضارة العربية الى الشعوب الافريقية ومساهمة الشعب العربى فى حركات التحرر الافريقية وتطوير حياة القارة ودعم العلاقات العربية الافريقية ٠

ثالثا : تطور التنظيم الشعبى من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية

نريد هنا أن نتكلم من الناحية التاريخية ومن ناحية التطور الذى سرنا فيه عن تطور التنظيم الشعبى من الناحية الاجتماعية والاقتصادية وماوصل اليه هذا التنظيم الشعبى حتى مرحلتنا الحالية .

اننا اذا أردنا أن نتكلم عن التنظيم السياسى فان الأمر يقتضى منا أن نرجع الى الماضى فنقول .. ان جميع التنظيمات فى الماضى كانت مستندة أساسا على الاقطاع ومستندة على رأس المال .

ونحن جميعا نذكر أنه فى أوائل الثورة ، عندما طلب الرئيس جمال عبد الناصر ، من حزب الوفد أن يتولى الحكم بشرط أن ينفذ الاصلاح الزراعى ولكن حزب الوفد رفض أن يقوم بهذه المسئولية وفضل ألا يباشر بنفسه عملية الانتحار ، وأن يأتى غيره لينفذ عملية تصفية الاقطاع ولكنه هو بذاته لا يمكن أن يحكم على نفسه بالاعدام ، لأن هذه القواعد وهى أحجار الأساس التى كان يستند اليها المجتمع كله وبالتالى كانت الحزبية تعبر عن هذه الصورة ، فكيف يهدم هو أساسه ويهدم القواعد التى يستند اليها ؟ لايمكن بطبيعة الحال ولهذا كان يعتبر ان فى ذلك القضاء

نهائيا ، فلم يقبل على نفسه اطلاقا أن يقوم بهذا الدور . ولذلك فان القضاء على الاقطاع والقضاء على سيطرة رأس المال ، قضى بالتالى على كل أمل للحزبيات القديمة التى كانت مستندة على أساس اجتماعى ، وكانت الدولة والحكومة وجميع الأجهزة فى خدمة هذه الصورة أى كانت تخدم الأحزاب التى تعبر عن الاقطاع وتعبر عن سيطرة رأس المال ، وبالتالى لم يكن من الممكن على الاطلاق أن يقوم أحد من أعضاء البرلمانات التى وجدت قبل الثورة ليطالب بالاصلاح الزراعى ، وينفذ ذلك . حقيقة أن بعض الناس تقدموا بذلك كفكرة ، ولكن لايمكن أن تصل هذه الفكرة الى درجة التنفيذ ، وما كان يمكن مطلقا أن يصدر شىء يعبر عن العدالة الاجتماعية ، أو أن يصدر قانون يعبر عن هذا التطوير لأنه لايوجد أحد - كما سبق القول - يلغى سلطته أو يلغى مصادر قوته أو يلغى مقومات عزه وسلطانه بنفسه ، لايمكن ذلك ، ولذلك عبر الميثاق عن هذه العملية بأن ارادة التغيير الثورى لابد أن توجد ، ولابد لمن يباشر ارادة التغيير أن يكون مؤمنا بهذه الارادة ثم بعد أن يأخذ الشعب فرصته لكى يفرض ارادته ، فحينئذ تعبر السلطات الشعبية عن هذا المفهوم ، فمبادىء الثورة الستة .. القضاء على الاستعمار ، والقضاء على الاقطاع والقضاء على سيطرة رأس المال ، واقامة عدالة اجتماعية ، واقامة جيش وطنى قوى ، واقامة حياة ديموقراطية سليمة ، هذه المبادىء هى تعبير عن ارادة التغيير الثورى فى المرحلة التى بدأت فيها الثورة - وفى عام ١٩٦٢ صور الميثاق هذه المبادىء بقدر ماوصلنا اليه من تجربة وما قطعنا من مرحلة وما نتطلع اليه من أمل لكى يكون هدفنا واضحا لنا ، ودليل عمل ومبادىء نلتزم بها فازالة العقبات موضوع رئيسى ، قبل أن تقوم الحياة الديمقراطية السليمة .

ان مبادىء الثورة بهذه الصورة كانت تحتوى على الأسلوب فى الرغبة الأكيدة نحو تقرير سلطة الشعب ، لأنك عندما تزيل هذه العقبات تمكن الشعب من سلطته . ذلك أن ارادته تكون بالفعل ارادة متحررة ، فلا يجتمع لكى يعبر عن ارادة رأس المال ، ولا يجتمع لكى يعبر عن ارادة الاقطاع ، لايجتمع لكى يعبر عن ارادة المستعمر أو عن صور من صور الطبقية أو صورة من صور خدمته فئة بذاتها ، ولكن لخدمة الشعب ككل .

عندما أعلنت الثورة مبادئها ، كان مجرد اعلان هذه المبادىء فى حد ذاته فى جو المصاعب والخطر والظلام ، كما حدد الميثاق ، دليلا على صلابة ارادة التغيير الثورى . ولذلك نقول دائما ((طريق الحرية طريق الثورة)) لأنه لايمكن أن تحقق الحرية الا اذا كانت الارادة الثورية وارادة التغيير قائمة ، ((طريق الثورة طريق الاشتراكية)) فاذا لم توجد الارادة الثورية ، ارادة التغيير ، لايمكن ان تقوم الاشتراكية ، وكذلك ((طريق الثورة طريق الوحدة))

لقد أزيلت العقبات ، ونرسى اليوم قواعد الديموقراطية السليمة . والحقيقة أن مدلول مبادىء الثورة من جهة مصلحة الشعب ، لايحتاج الى ايضاح وانما يحتاج دائما الى تأمل واستذكار ، دائما بصفة مستمرة ، فنحن مثلا عندما نتأمل هذه المبادىء وهى القضاء على الاستعمار وأعوانه ، وعندما نتولى القضاء على الاقطاع ، ثم القضاءعلى الاحتكار وسيطرة رأس المال ، ثم اقامة عدالة اجتماعية واقامة جيش وطنى قوى ، واقامة حياة ديمقراطية سليمة نشعر بان هناك بادىء ذى بدء ارتباطا وثيقا بين الحكومة وبين الشعب ، بل ان الثورة فى حد ذاتها وفى أسلوب قيامها ، وفى الطريق الذى تسلكه توضح هذا الارتباط وتعززه . وكما يتردد دائما أن الثورة لم تكن اطلاقا مجرد اطاحة بملك ، ولكنها كانت عملا متتابعا فى اقامة نظام يكون فيه للفرد وللجماعة نصيب فى المشاركة فى المسئولية ، ونصيب فى العمل ، وفى خيرات هذا العمل ، من أجل هذا اتخذت خطوات وعمليات شاقة وطويلة ودائبة ومستمرةلازالة القوى المعادية ، وطبيعى أننا كلنا نذكر الاقطاع الزراعى ورؤوس الأموال الاجنبية والاحتكارات بصورها ،

والشبكة التى كانت تقبض على المصارف ، واستنزاف أموال القناة · بل لقد أجريت عمليات لازالة القوى المعادية فى كل الميادين ؛ حتى صدرت قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ وهذه القوانين النافذة ، حررت رأس المال ، وأرست أوضاعا عميقة فى ملكية الشعب لمقدرات الصناعة والتجارة ، وأقرت اسهام العمال فى الادارة والربح وحولت الاقتصاد من اقتصاد رأسمالى الى اقتصاد مختلط ، الى اقتصاد للدولة أى للشعب ، ولكن أعمال الثورة لم تكن فى اتجاه واحد ولا فى ميدان دون غيره فبينما كانت الدولة مشغولة بتمهيد الطريق وتعبيده لقوى الشعب فى ميادين الاقتصاد وفى ميادين السيادة المحلية وفى القضاء على القوى المعادية للتطور الثورى ، كانت فى ذات الوقت تطور تجارب المشاركة الفعالة للشعب فى عملية التخطيط والبناء والعمل والرقابة الشعبية باقامة هيئة التحرير والاتحاد القومى ، والاتحاد الاشتراكى العربى ·

وأريد فى هذه النقطة أيضا أن أتكلم عن التنظيمات الشعبية بعد ان تكلمنا عنها كتطور للتعبير الثورى وللاعتبار الاقتصادى بعد ازالة العقبات الموجودة فى الطريق · فقد **انشئت هيئة التحرير فى منتصف ينايرسنة ١٩٥٣ وكانت هناك قبل حركة الضباط الأحرار ، وكانت تعبر عن الارادة الشعبية ولكن فى داخل الجيش الذى كان فى ذلك الوقت يعتبر ، أو يراد له أن يتخذ فى الوقت كسوط يلهب به ظهر الشعب ، لتنفيذ ارادة الأوضاع السابقة · وقد كانت هيئة التحرير تعبيرا عن اسم المرحلة التى كنا نمر بها ، ففى هذه المرحلة كان فى البلاد ثمانون ألفا من الجنود البريطانيين مازالوا موجودين ، وقد قامت هيئة التحرير بدور قد يكون فيه شكل للتنظيمات القديمة ، لأنه كان استمرارا للتطور ، بمعنى أنها كانت تقوم بدور دفاعى ، ولم تكن تقوم بدور بنائى ،** أما اذا نظرنا اليوم الى التنظيم الذى يجب أن نفكر فيه على صورة جديدة - فنجد أنه فى المرحلة التى نمر بها بعد ازالة العقبات، ليس مطلوبا من هذا التنظيم أن يقوم بدور دفاعى ، لأن البلاد ليست فى حاجة - بالنسبة لاستقرار كل الأوضاع فيها - الى مثل هذا الدور الدفاعى بقدر ماتحتاج الى دور بنائى ، ولذلك يسعدنى أن يكون موضوع المحاضرة ، هو تحديد العلاقة بين السلطات الحكومية والسلطات الشعبية التى تدخل بالفعل فى مرحلة الدور النهائى الذى نحن اليوم بصدده ·

عندما قام الاتحاد القومى فى سنة ١٩٥٦ كان تعبيرا عن الوحدة الوطنية التى أبرزت نفسها بشكل واضح جدا فى حرب السويس والعدوان على بورسعيد ، حيث قام الشعب كله يدافع عن بلاده ، فكان الاتحاد القومى تعبيرا عن هذه الوحدة الوطنية · ولكن أحداث سوريا فى سنة ١٩٦١ أظهرت أن المفهوم الخاص الذى كان قائما وهو أن يقيم جميع المواطنين فيما بينهم اتحادا قوميا ، للارتقاء بالوضع الاقتصادى والاجتماعى ، والسياسى ، دون أية تفرقة أو تمييز ، كان يتضمن نوعا من المبالغة المثالية ، لأن أحداث سوريا أظهرت ، أن الأشخاص الذين كانوا يتصدرون الاتحاد القومى فى دمشق ، كانوا هم على رأس الانفصال بمجرد حدوث هذا الانفصال ولذلك قدمت هذه المرحلة ،شعارات ترددت ، أطلقها السيد الرئيس ، مثل شعار الديمقراطية كل الديمقراطية للشعب ، ولا ديمقراطية لأعداء الشعب ، ووحدة الهدف قبل وحدة الصف « لامهادنة مع الرجعية » لقد كان ذلك فى الحقيقة ، تعبيرا عن المرحلة التى مرت اثر الانفصال · وبعد ذلك عندما شكلت اللجنة التحضيرية ، وبدات تستعرض الأوضاع جميعا وتدرسها · وحددت من المفروض أن يشارك ومن المفروض ألا يشارك ، وكان التفكير الأولى أن يبدأ التنظيم بعدد قليل فى بادىء الأمر ، وذلك أيضا كرد فعل لأحداث سوريا ، ولكن بعد أن التقينا هنا بالشعب ، وجدنا أن هذا الشعب نوع آخر من التضامن ،والاحساس بالهدف الكبير ، والارتباط بالثورة واهدافها مما جعل الدخول بالعضوية الكبيرة التى تحققت أمرا يمكن أن يطمأن اليه ، طالما أن يقوم كادر فى داخل التنظيم يمكن أن يدفع هذا التنظيم الى الخطوات الايجابية والى الأمام · ثم

اجتمع المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ـ بعد اللجنة التحضرية فى ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ ، **وتقدم السيد الرئيس بالميثاق ، وأقر هذا الميثاق وأصبح من يوم أن أقر هو دليل العمل الذى يحدد لنا الردود على كل المسائل التى يمكن أن نتعرض لها فى كل ميدان من ميادين النشاط ، كما أنه يحدد أيضا الأهداف ، ويحدد المبادىء . واذن عندما نقوم اليوم بتنظيم الاتحاد الاشتراكى لانفتقد الفكرة المفصلة ودليل العمل الواضح ، والمبادىء التى يمكن السير عليها ، ولكن قبل اعلان الميثاق كان كل الارتباط بالمبادىء الستة للثورة ، ولكن اليوم أصبح الارتباط بالميثاق بالكامل ، وهذا مصدر قوة كبيرة جدا ، لأن أى تنظيم يبدأ أساسا بالفكر ، ثم يلزم بعد ذلك أن يتبنى الناس هذا الفكر ، ولا يكفى أن يتبنى الناس هذا الفكر ، بل يجب أن ينتظموا بصورة تؤدى الى علاقات قوية بين الأفراد ، وبين التشكيلات وبين التنظيمات ، بحيث يستطيع التنظيم فى النهاية أن يتحرك فعلا الى العمل الجاد ،** ولقد فوض المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية السيد الرئيس فى اتخاذ الخطوات لتشكيل لجنة تنفيذية عليا مؤقتة ، تتخذ الخطوات التنفيذية لاقامة التنظيم ، وقد شكلت اللجنة التنفيذية العليا فبدأت بدراسة قانون الاتحاد الاشتراكى وتم اصداره ، ثم حددت الوحدات الأساسية بسبعة آلاف وحدة فى جميع انحاء الجمهورية ، منها اربعة آلاف وحدة فى القرى وثلاثة آلاف وحدة موزعة بين المؤسسات الجماهيرية سواء كانت مصالح حكومية ومصانع أو مدارس أو مستشفيات ، هذا التكوين فى الحقيقة يعطينا منطقا جديدا ، لأن مفهوم الوحدة الأساسية يختلف عن الوحدات السكنية فى الماضى فقد كانت تلك الوحدات السكنية تجمع الأشخاص الموجودين فى المؤسسات الجماهيرية حاليا ، وكان هذا هو التعبير ، ولكن أصبح اليوم وجود تلك التنظيمات داخل المصالح الحكومية لايجعلها مرتبطة بهذه المصالح بقدر ماهى مرتبطة بمكان التجمع ، والواقع اننى أتعرض لهذا ، لأن هذه النقطة التى ستحدد العلاقة المباشرة فى أول مرحلة من المراحل وهى مرحلة الوحدة الأساسية .

ان الواجب المطلوب من التنظيمات الشعبية على هذه الصورة ، هو المشاركة ، والرقابة وكل من المشاركة والرقابة تتطلب وعيا سياسيا ، واجتماعيا للجماهير وتنظيم هذه الجماهير على مراحل مع تقدم العمل الوطنى ، لذلك وكما يتضح ، ليس صحيحا مايتردد فى بعض الأحيان من أن تطور مشاركة الشعب فى العمل الوطنى فى هيئة التحرير وفى الاتحاد القومى وفى الاتحاد الاشتراكى العربى ، كان صورة عن التجارب ، بقدر ماهو تعبير عن المراحل التى مر بها التنظيم السياسى ، الذى أصبح اليوم لايفتقد الفكرة ، ولا يفتقد المراحل المتئدة فى قيام التنظيم ، خطوة خطوة حتى يكون قادرا على ممارسة هذا العمل .

العيد والعام الجديد

الأستاذ محمد بن احمد المطاع

بالأمس القريب مضى عام ١٩٦٤ . الذى اشار اليه رائد الفكر العربى الرئيس جمال عبد الناصر وسماه عام المؤتمرات .

ففيه وقع مؤتمر القمة العربى للملوك والرؤساء وفيه انعقد المؤتمر الافريقى وتبعه مؤتمر عدم الانحياز الذى ضم فى قاعته سبعة وخمسين دولة من آسيا وافريقيا وأوربا وأمريكا ..

مؤتمرات ثلاثة دعمت السلام وأدت الى التقارب والتفاهم ودعمت السياسة الدولية الموحدة . ودعت الى الخير وثبتت أواصر القربى بين الاخوة والجيران فى المحيط الدولى وقربت مراحل التباعد بين المختلفين ووفرت أسباب العمل الصالح والسعى النافع لخدمة الانسانية .

مؤتمرات ثلاثة باركها الله الذى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . فكانت كلها نعمة وكانت كلها فضل من الله الذى ألف بين قلوب عباده من الملوك والرؤساء ولو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم .

مضى عام ١٩٦٤ الذى عرفناه بعام المؤتمرات ودفناه فى بطاح التاريخ كما دفنا الأعوام من قبله ولكن قرارات مؤتمراته المؤمنة بالله وبالقومية العربية وبالوحدة وبالأهداف السامية والداعية الى السلام واستقلال الشعوب المستعمرة وتحرير فلسطين والجنوب اليمنى ما زالت حية لها تأثيرها ولها فاعليتها .

لم يمض على المسلمين غير يومين اثنين منذ ودعوا العام الماضى واستقبلوا العام الجديد حتى دخلوا فى مؤتمراتهم مع الله .

المؤتمر الأول منها هو شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس – وصيام رمضان أحد اركان الاسلام الخمسة فرض بالمدينة فى السنة الثانية للهجرة شرع الله فيه فريضة الصوم اشعارا بمؤتمر وحدة الدين فى أصوله ومقاصده ، وتنويها بما للصوم فى حياة المسلمين من عظيم الأثر وكبير الأجر والقرب من الله ، والصوم شعار المسلمين به تنمو الظاهرة الانسانية السامية والمبادىء الكريمة الاسلامية والتى من أبرزها مبادىء الحلم والمحبة والأمانة والسلام وبذل البر والاحسان ومواساة الفقراء ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ..

شرع الله جلت حكمته الصوم ليذكر الأغنياء وذووا اليسار والنعمة بحالة الفقير المعدم والبائس المحروم وأمر الموسرين أن يجعلوا فى أموالهم حقا معلوما للسائل والمحرم ، وسماه الزكاة ، امر بوجوب ذلك لمقاصد كبيرة ولأهمية عظمى أهمها تقوية الرابطة الأخوية باظهار عطف الأغنياء وابداء شعورهم

البقية ص ٢٠

علم عمر بن الخطاب

كما ترمز إليه رؤيا من رؤى النبى صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

تحدثنا فيما مضى عن بعض الرؤى النبوية الصادقة التى صح الحديث بأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رآها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعرفنا دلالتها على دين عمر أو تدينه ، وأنه كان طرازا عمليا نفسيا غير مصطنع تبدو آثاره فى كل تصرفاته ، وتطبق مقاييسه على النفس والأهل والأصدقاء فى خاصة الأمر وعامته ، لافرق بين شئون البيت وشئون الحكم .

ونتحدث الآن عن بعض آخر من هذه الرؤى النبوية وهو مارويناه أخذا من صحيح الامام مسلم بن الحجاج رحمه الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« بينا أنا نائم اذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى أنى لأرى الرى يجرى فى أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب ، قالوا : فما أولت ذلك يارسول الله ؟ قال : العلم »

وهذا وأيم الحق فضل عظيم لعمر بن الخطاب وشهادة تتقطع دونها الأعناق تدل على منزلة فى العلم لاتسامى ، فان الله عز وجل قدأرى رسوله عليه الصلاة والسلام أن عمر يشرب من الكأس التى شرب منها ، ويتشرف بما فضل من غذائه الذى أتى به فى عالم الروح ، هذا الغذاء الرمزى كان هو « **اللبن** » الذى هو غذاء الفطرة فى الحس وفيما يعرف الناس ، والذى يمتاز عن كثير غيره من ألوان الغذاء بأنه ملء بالعناصر المفيدة المغنية عما فى سواه وقد أول الصادق الأمين رؤياه بعلم عمر .

ونتساءل هنا كما تساءلنا هناك : هل كان عمر طرازا فى العلم يختلف عن غيره من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ؟ هل كان أعلم من أبى بكر أو من على مثلا ، مع أن أبابكر رضى الله عنه كان هو أول الرجال ايمانا ، وعلى هو أول الشباب ايمانا ، ومن لوازم ذلك أنهما كانا أقدم صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرف بعلمه ، وألقن لحجته ودعوته ؟ أفلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر : لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكنها أخوة الاسلام ؟ أو لم يقل لعلى **« أنت منى بمنزلة هرون من موسى غير أن لانبى بعدى »**

والواقع أن الصحابة رضى الله عنهم ـ ولاسيما كبارهم من أمثال هذين وغيرهما ـ ـ كانوا خزائن علم ، وكنوز عرفان وبصيرة ، وحسبهم قول رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم فيهم « **أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم** » .

ولكن الكلام فى نظرنا عن علم عمر ، ليس فى حصيلته وكميته ، وانما هو فى نوعه ومنهجه وكيفيته .

فربما كان فى الصحابة رضى الله عنهم من هو أكثر حصيلة فى العلم من عمر ، ولقد كان فيهم فعلا من هو أكثر رواية عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه ، وربما كان فيهم من هو أدرى بالأحكام ، وأعرف بالأسرار ، وأقضى فى النوازل كعلى رضى الله عنه الذى قال فيه عمر نفسه « **لا أبقانى الله لقضية ليس لها أبو حسن** » ومن قولته هذه نبع المثل السائر الذى يضرب حين تشكل الأمورولا تجد من يستطيع لها حلا ، فيقال « **قضية ولا أبا حسن لها** » ، ولقد كان عمر نفسه يستشير الامام عليا رضى الله عنهما ويأخذ برأيه ، وقال مرة :

« **لولا على لهلك عمر** »

ولكن عمر انما تميز بلون من العبقرية فى التفكير كان يتهدى به الى معرفة الحق ، وسداد الرأى ، وكان أكثر ماتتجلى فيه شخصية عمر وفؤاده العبقرى مايكون من الأمور جديدا لا عهد للناس به من قبل ، أو ذهل الناس عنه فلم يلتفتوا فيه الى سنة مروية ، أو رويت فيه سنة أخذت بظاهرها دون روحها وفقهها ، الى غير ذلك مما يحتاج الى روية مستبصرة ، الى جانب بداهة حاضرة كما يحتاج الى عقلية تمتاز بالجراءة الى جانب التوثق والتأكد والتثبت ، وانفراد عمر رضى الله عنه بهذه الميزة فى كثير من الأحيان كان ظاهرا على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وبعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولذلك كان له فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام موافقات لربه هى التى يرويها أهل الحديث بعنوان « موافقات عمر » ، وقد أنبأ عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم بأنه من الملهمين ، اذ روى الامام مسلم عن عبد الله بن وهب ، عن ابراهيم بن سعد ، عن أبيه سعد بن ابراهيم ، عن أبى سلمة ، عن عائشة ، عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : أنه كان يقول : **قد يكون فى الأمم قبلكم محدثون** - بتشديد الدال مفتوحة - **فان يكن فى أمتى منهم أحد ، فان عمر بن الخطاب منهم** » قال ابن وهب : تفسير « محدثون » : ملهمون .

وتعبير عائشة رضى الله عنها فى روايتها لهذا الحديث يفيد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال ذلك أكثر من مرة ، اذ تقول عائشة « عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول » أى تكرر هذا القول منه فى اكثر من مناسبة ، مما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يلاحظ هذا الأمر فيه ، ويراه طابعا له .

وقد أخرج الامام البخارى ذلك فى صحيحه أيضا ، وقال فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام « محدثون » : ملهمون يجرى الصواب على ألسنتهم .

وقد قلنا فى بعض ماكتبناه من قبل : ان اختلاف عمر عن أبى بكر رضى الله عنهما ، ليس اختلاف الايمان والشك ، ولا القوة والضعف ، وانما هو اختلاف ملامح الشخصيتين ، ولذلك نرى الصوفية يستخلصون من صفات هاتين الشخصيتين مقامين ، فيقولون : هناك مقام يسمى مقام « الصديقية » فان من الأمة من يكون فى صفاء فطرته شبيها بالأنبياء ، فنفسه قريبة المأخذ من النبى كالكبريت بالنسبة الى النار ، فكلما سمع خبرا ممن آمن به وقع فى نفسه بموقع عظيم ، وصار كأنه علم هاج فى نفسه من غير تقليد ، والى هذا المعنى الاشارة فيما ورد من أن أبا بكر الصديق كان يسمع دوى صوت جبريل حين كان ينزل بالوحى على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أنه من شدة التلبية والاتباع والاقتداء ، كان بمثابة من يسمع ذلك بنفسه لنفسه ، وهناك مقام آخر هو « المحدثية » ومظهره التأمل والتجوال بالفكر فى ملكوت العلم والنظر ، ومن كان هذا شأنه مع الاخلاص فى البحث والتطلع ، تواردت عليه الحقائق ، فكأنه يحدث بها ، وربما وافق فى الحوادث والأحكام ماينزل به الوحى ، وان لم يوح اليه .

وقد عرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منزلة « الصديقية » لأبى بكر ، وعرف أنه صاحبه المصافى الوفى الذى طبع حواسه

بطابع قلبه من الايمان المطلق ، فلا يشارى ولا يمارى ، فلذلك قال « **لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا** » وقال « أبو بكر أمن الناس على بماله وصحبته » كما عرف مقام « المحدثية » لعمر بن الخطاب فقال « لقد كان فيمن قبلكم محدثون ، فان يكن فى أمتى أحد فعمر » ولما عرف له هذه المنزلة ورأى الوحى فى بعض الحوادث ينزل برأيه ، لم يكن يعبأ بأسلوب عمر المنبعث عن قوته فى الحق . والذى قد يلابسه أحيانا شىء من الشدة او العنف والاسراف .

واذا أردنا أن نضرب الأمثلة التى توضح منهج عمر رضى الله عنه فى التفكير ، لوجدنا الكثير :

فمن ذلك موقفه حينما خرج الى الشام ، فبينما هو فى الطريق اليها علم أن الوباء قد وقع بها ، فاستشار من معه من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أيمضى فى سفره الى الشام حتى يدخلها ولا يعبأ بالوباء أم يرجع بالمسلمين خوفا عليهم من أن يصيبهم ؟ فاختلف الناس ، ولكنه عول على أن يرجع ونادى فيهم قائلا : انى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال ابو عبيدة : أفرارا من قدر الله ياعمر ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها ياأبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله ! الى قدر الله

أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان، احداهما مخصبة ، والأخرى مجدبة ، أليس ان رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله ، وان رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان غائبا فى بعض حاجته ـ فقال : ان عندى من هذا علما : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » فحمد الله عمر ثم انصرف .

انعمر رضى الله عنه تعرض فى هذا الموقف لمشكلة من المشكلات التى حارت فيها العقول قديما وحديثا ، وهى مشكلة « القدر » وكان فقهه فيها هو فقه العقيدة الاسلامية الصحيحة ، وفقه المنطق السليم فى شأن الألوهية وما اقامت عليه العالم من سنن لاتتبدل ولاتتحول

وخلاصة فلسفته رضى الله عنه فى ذلك هى فى هذه العبارة التى جرت على لسانه : «نعم نفر من قدر الله الى قدر الله » يريد أن المرض والصحة وكلاهما قدر ، ولهذا القدر سبب فى كل منهما ، فمن أخذ به كان موصلا الى ماقدر له ، فتعرضه للوباء يعرضه للمرض ، لأن العدوى سنة من سنن الله فى الخلق ، ولكن العدوى هى أيضا قدر ، له سبب أو أسباب، فربما وقعت بسبب القرب من المريض والاختلاط به ، وربما لم تقع ، لوجود حصانة فى بعض الأشخاص مثلا ، فعدم الحصانة سبب جعله الله تعالى موصلا الى العدوى بالمرض ، والحصانة سبب جعله الله موصلا الى النجاة منها ، والمؤمن يجب عليه أن يبتعد عن مظنة الاصابة احتياطا على نفسه ،وتحرزا من الأسباب الموصلة الى الضرر ، عملا بقوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » وحينئذ تكون نجاته بقدر من الله أيضا ، حيث ربط هذه النجاة بسبب هو الابتعاد والتحرز ، وفى الحديث بعد ذلك : « ان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : اذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » وهذا هو قانون الحجر الصحى الذى تأخذ به كل الأمم المتحضرة، دل عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولم يكن ذلك قد بلغ عمر ، ولكنه أدركه بنظره الثاقب ، ثم حمد الله تعالى على أن هداه اليه ، واطمأن لما عرف أن هذا هو هدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك موقفه من فاطمة بنت قيس حين افتى بأن المطلقة طلاقا بائنا لها النفقة والسكنى عملا بقوله تعالى ((**لا تخرجوهن من بيوتهن ،ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة**)) فقالت له فاطمة بنت قيس « لقد بت زوجى طلاقى فلم يجعل لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفقة ولا سكنى » فاجابها قائلا: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لا ندرى أصدقت أم كذبت ، حفظت أم نسيت

فهذا نهج سديد فيما يتصل بقبول الحديث الذى يرويه من لم يسم ضبطه أو عدالته عن مستوى الشبهة فى نظر المجتهد المتحرز ،

ولقد كان عمر رضى الله عنه شديد التحرز عن قبول مايروى له ، ومماهو معروف عنه أنه كان يستشهد على الحديث بغير رواية ، مع أن القاعدة التى أخذ بها علماء الحديث والأصول تقضى بقبول رواية الصحابى كائنا من كان ، اذ الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ، بل تقضى عند بعض العلماء بقبول رأى الصحابى والاستدلال به فى كثير من الصور ، لابقبول روايته فحسب ، فالذى كان عمر يفعله هو الاستيثاق حتى على الصحابى .

ومن شواهد ذلك مارواه البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : كنت جالسافى مجلس من مجالس الأنصار ، فجاء أبو موسى فزعا ، فقالوا : ما افزعك ؟ قال : أمرنى عمر أن آتيه فأتيته ، فاستأذنت فلانا فلم يؤذن لى فرجعت ، فقال : ما منعك ان تأتينا ؟ فقلت: انى أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا على فرجعت ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - » اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع « قال لعمر : لتأتينى على هذا بالبينة ، فقالوا : لايقوم الا أصغر القوم ، فقام أبو سعيد الخدرى معه فشهد له ، فقال عمر لأبى موسى : انى لم أتهمك ، ولكنه الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ومن أراد أن يدرس عقلية عمر الفقهية ، وأسلوبه فى تطبيق الأحكام والنظر فى المصالح ، فليرجع الى « موطأ مالك » فقد ورد فيه كثير جدا من اقضية عمر وأحكامه فى مختلف أبواب الفقه ، حتى أنه ليعتبر عهده بما فيه من تطبيق وتفسير وتحديد واستنباط لجديد ، مرجعاهامالفقه الاسلامى ، ولأصحاب الاجتهاد فيه .

وقد عرف العلماء والمفتون والقضاة ذلك لعمر رضى الله عنه من قديم ، فكان الشعبى يقول : من سره أن يأخذ بالوثيقة فى القضاء فليأخذ بقول عمر ، وقال مجاهد : اذا اختلف الناس فى شىء فانظروا ماصنع عمر فخذوا به ، وقال ابن المسيب : ما أعلم أحدا بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلم من عمر بن الخطاب . وقال بعض التابعين : دفعت الى عمر ، فاذا الفقهاء عنده مثل الصبيان ، قد استعلى عليهم فى فقهه وعلمه ، وقال محمد بن جرير : لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه فى الفقه غير ابن مسعود ، وكان يترك مذهبه وقوله لقول عمر ، وكان لايكاد يخالفه فى شىء منمذاهبه ويرجع من قوله الى قوله ، وكان يقول : لو سلك الناس واديا وشعبا وسلك عمر واديا وشعبا لسلكت وادى عمر وشعبه .

« بقية ص ١٦ »

نحو اخوتهم الفقراء ، وهناك تذوب الفوارق، بين المسلمين وتسود المحبة وتخبت نار البغضاء التى تتأجج فى قلوب المعدمين والتى تبثها روح الحسد .

وهناك ترتسم على وجوه الفقراء علامات الرضا عن الموسرين .

شهر رمضان موسم من المواسم التى يأتمر فيها المسلمون مع ربهم ويتعهدون على اقامة العدل والحب والتسامح والمصالحة فيما بينهم .

وسينقضى رمضان الخير والبر والاحسان كما انقضت الشهور من قبله ويهل علينا هلال شوال ونصبح فى صبح مشرق جديد نعلن فيه فرحتنا وابتهاجنا بعيد الفطر وهو المؤتمر الثانى الذى سيعلن المسلمون فيه فرحتهم وسرورهم بفوزهم بمؤتمرهم الأول الذى أعلنوا فيه توحيد كلمتهم وانضوائهم تحت راية الوحدة وهى راية الاسلام الذى ساير العقل وتمشى مع العلم وجاء مقررا ومشجعا على العمل فى سبيل الخير .

وسيتبادل المسلمون فى معايداتهم كلمات الاخاء وعبارات الود والصفاء ، وسيشاركهم غيرهم هذه الفرحة التى يسودها الانشراح والطمأنينة .

وسننتظر بعد ذلك موسم الحج الأكبر وهو المؤتمر الكبير .

الحديث الثالث

فضيلة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهمامشبهات لايعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وان لكل ملك حمى ، الا ان حمى اللهمحارمه، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »

هذا الحديث رواه الامام محمد بن اسماعيل البخارى مرة فى كتاب الايمان ، فى باب من استبرأ لدينه ١٩/١ ط استامبول ١١٦/١ بهامش فتح البارى ط بولاق ، ورواه مرة أخرى فى كتاب البيوع ٤/٣ ط استامبول ٢٤٩/٤ ط بولاق ــ ورواه الامام مسلم بن الحجاج فى صحيحه ، كتاب البيوع ٥٠/٥ ط استامبول ٤٧٠/١ ط بولاق ، وكلاهما يرويه عنالنعمان ابن بشير . وفى بعض هذه الروايات اختلاف يسير فى الألفاظ ، ولكن المعنى واحد ،وسننبه على هذا الاختلاف أثناء الشرح .

(١) الحلال : الأصل فى هذه المادة قولهم « حل العقدة يحلها حلا » اذا فكها وأطلقهـا، وقولهم « حل القيد يحله ، وحل الأسير يحله» ثم استعمل فى الأمور المعنوية ، ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وقالوا « حل فلان بلدة كذا » وأصله أن حلوله بها كان يستدعى انزال متاعه وحل أحماله ، ثم تناسوا ذلك وأرادوا منه مجرد النزول بها ، ومنه قوله تعالى (أو تحل قريبا من دارهم) وقوله جل شأنه (وأحلوا قومهم دار البوار) وقالوا « هذا الشىء حل » بكسر الحاء ــ و« هذاالشىء حلال » اذا كان مطلقا لفاعله لاعتب عليه أن يفعله ، ولعلماء الشريعة فى تعريف الحلال عبارتان ، احداهما أنه « ما أذن الشارعللمكلف فى أن يفعله » أو « ما طلب الشارع منالمكلف ان يفعله » سواء أكان الطلب جازما بحيث لايسوغ له تركه ، أم كان الطلب غير جازم بحيث يسوغ له أن يتركه ، وان كان فعله أحسن من تركه ، وعلى هذا يشمل الحلال شيئين وهما الواجب والمندوب .

والعبارة الثانيـة أنه ــ أى الحـلال ــ « كل شىء لم يـرد فى الشـرع نهى عن فعله » .. وعـلى هذا يشمل الحـلال ثلاثة أشياء : الواجب والمندوب والمباح ، وهـذا الاختلاف فى العبارة مبنى على اختلاف آخر ، حاصله ان الاباحة هل هى حكم شرعى أم لا وأن الأصل فى الأشياء الاباحة أو التحريم ، وذلك يستدعى أن نقرر لك ان طلبالشارع من المكلف أما ان يكون أمرا واما ان يكوننهيا، وعلى كل حال اما ان يكون الطلب جازما بـأن يتوعد من لايوافقه بالعقاب واما ان يكون غير جازم بان يوجه الى من لايوافقه لوما أويبين ان موافقته خيرمن مخالفته ، فاذاطلب الشارع من المكلف أن يفعل فعلا ماولم يرخص له فى تركه وتوعده على تركه بالعقوبة الشديدة ، أو دلتالعبارة الواردة عنه على كونه مفروضا

فذلك هو الواجب ، وحكمه أن يثاب فاعله الثواب الأوفى ويعاقب تاركه العقاب الرادع ، واذا طلب الشارع من المكلف ان يترك شيئا ما ولم يرخص له فى فعله ، أو توعده على فعله بالعقوبة الشديدة ، أو دلت عبارته الواردة عنه على كونه حراما ، فذلك هو الحرام ، وحكمه أن يعاقب فاعله العقوبة الرادعة ويثاب تاركه اذا قصد بتركه الخضوع لطلب الشارع والامتثال له ، واذا طلب الشارع من المكلف أن يفعل امرا ما ، ولم يتوعده على تركه وعيدا مثل الوعيد الذى يتوعد به تارك الواجب أو دلت العبارة الواردة عنه على أنه لا عقاب على المكلف فى تركه، فذلك هو المندوب ، وحكمه أن يثاب فاعله ثوابا دون ثواب الواجب ولا يعاقب تاركه وان طلب الشارع من المكلف ان يترك أمرا ما ولم يتوعده على فعله وعيدا مثل الوعيد الذى يتوعد به فاعل الحرام ، أو دلت العبارة الواردة عنه على أنه لا عقاب على المكلف فى فعله فذلك هو المكروه ، وحكمه أن يثاب على تركه ولا يعاقب على فعله ، وقد بقيت من بعد ذلك أمور لم يرد عن الشارع طلب جازم أو غير جازم بفعلها ولم يرد عنه أيضا طلب جازم أو غير جازم بتركها مثل أكل الشهى من المطعومات ولبس الغالى من الثياب ، وركوب المطهم من الخيل أو الفاخر من العربات والنوم على الوثير من الفراش ، وما أشبه ذلك ، فما حكم هذا النوع ؟ هذا هو موطن الاختلاف ، فمن فسر الحلال بأنه ما ورد عن الشارع اذن بفعله ، أو « ماطلب الشارع من المكلف أن يفعله » قال : ان هذا النوع لم يأذن الشارع فيه فليس من الحلال ، ومن فسر الحلال بأنه « مالم ينه الشارع عن فعله » قال: أن هذا النوع لم يرد عن الشارع نهى عن فعله فهو داخل فى نوع الحلال ، وهذا الرأى الاخير هو الصواب ، وهو الموافق للنصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يستدل لذلك بقوله تعالى من الآية ١٠١ من سورة المائدة (يأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم) وقد روى أن عبيد بن عمير كان يقول : ان الله أحل وحرم ، فما أحل فاستحلوه وما حرم فاجتنبوه ، وترك بين ذلك أشياء لم يحللها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله تعالى، ثم يتلو هذه الآية ٠٠ وقال أبو ثعلبة الخشنى: أن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ٠ ومما ينبغى أن تنتبه له فى هذا الموضع أن معنى كون الشىء مباحا لا لوم ولا عتاب على فاعله ولا على تاركه لايتنافى مع ماسيجىء لنا فيما بعد من أن كثيرا من العلماء كانوا يرون تركه أولى فان ذلك من باب اتقاء الشبهات والابتعاد عما من شأنه أن يجر الى الوقوع فى المحظور ، وسيتضح لك هذا عند الكلام على قوله عليه الصلاة والسلام « وبينهما أمور مشتبهات الخ »

(٢) الحرام : يطلق على كل ممنوع ، ومثله المحرم ، سواء أكان منعه بتسخير الهى أم كان بمانع قهرى ، أم كان بأمر صادر لمن يمتنع من جهة من يترسم أمره ويتبع ما يجيئه منه ، وهذا النوع الثالث يتناول أوامر السادة والرؤساء وأوامر الله جلت قدرته ، وقد ورد فى القرآن الكريم استعمال هذا اللفظ على هذه الانحاء الثلاثة ، فمن الأول ــ وهو استعمال الحرام بمعنى الممنوع بسبب التسخير ــ قوله تعالى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام (وحرمنا عليه المراضع من قبل) فذلك تحريم بتسخير، لان موسى لم يكن مكلفا حين حرمت عليه المراضع وحمل كثير من العلماء على هذا قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) وقوله جل شأنه (فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) ومن الثانى ــ وهو استعمال الحرام بمعنى الممنوع بسبب القهر ــ قوله تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة)وقوله سبحانه (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين) ومن الثالث ــ وهو استعمال الحرام بمعنى الممنوع بسبب أمر من تجب طاعته قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه ــ الآية وقوله تعالت كلمته (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) ولعلماء الشريعة فى تعريف

الحرام عبارتان تقابلان العبارتين الواردتين فى تعريف الحلال ، الأولى قول جماعة منهم « الحرام ما نهى الشارع عن فعله أو توعد على فعله » وعلى هذا يشمل الحرام والمكروه تحريما وتنزيها والوعيد المذكور يشمل الوعيد الشديد واللوم ، والعبارة الثانية قول بعضهم « الحرام مالم يرد عن الشارع اذن للمكلف بفعله ، وعلى هذا يشمل الحرام والمكروه تحريما أو تنزيها والمسكوت عنه ، وفيه ما ذكرناه آنفا

(٣) قوله عليه الصلاة والسلام « وبينهما مشبهات » يروى هذا اللفظ على ثلاثة أوجه : الأول « مشبهات » بضم الميم وفتح الشين وتشديد الباء مفتوحة ، والثانى « مشتبهات » بضم الميم وسكون الشين وبعدها تاء ثم باء ، والثالث « متشابهات » بميم فتاء فشين ، ومهما يكن من شيء فان الأصل فى هذه المادة هو الشبهة – بضم الشين وسكون الباء – وأصل معناها الا يتميز احد الشيئين من الآخر لما يكون بين هذين الشيئين من تمام المشابهة فى الوجه الذى وقع فيه التشابه بينهما، وانظر الى قوله تعالى (ان البقر تشابه علينا) أى اشتبه أمره فلسنا نقدر على تمييز واحدة منه نجزم بأنها هى المرادة دون غيرها . والمراد من هذه العبارة ان بين الحلال البين والحرام البين أمورا يلتبس أمرها ولا يتضح أهى من الحلال أم هى من الحرام ، فالأقسام اذن ثلاثة: حلال بين ، وحرام بين ، وأمور ملتبسة .

وقبل أن نخوض فى ايضاح ذلك نريد أن ننبه الى أنه ليس المراد بالحلال ماهو حلال فى الواقع ونفس الأمر ، وليس المراد بالحرام، ما هو حرام فى الواقع ونفس الأمر ، فان الامر بالنظر الى ما هو الواقع ونفس الأمر وماعند الله تعالى لايمكن ان يكون على هذه الأقسام الثلاثة ، بل الأمر فى الواقع ونفس الأمر وفيما عند الله تعالى لايمكن أن يكون الا حلالا أو حراما ، فهو – بالنظر الى ذلك – قسمان لاثلاثة، فوجب اذن ان يكون المعنى فى الحديث أن الأمر بالنظر الى مايدل عليه الدليل الشرعى ينقسم الى ثلاثة أقسام ، الأول ماقام الدليل الواضح على أنه حرام فهو حرام ، والثانى ماقام الدليل الواضح على أنه حلال فهو حلال ، والثالث ماله جهتان جهة لو أنك راعيتها وحدها لأثبتت حله ، وجهة لو أنك راعيتها وحدها لاثبتت حرمته فاذا أنت نظرت الى الجهتين معا وقعت فى حيرة ولبس ، فاذا لم يؤيدك الله بفهم ثاقب ولم يرشدك الى ما فى احدى الجهتين من قوة وما فى الأخرى من ضعف لم تستطع الاقدام على الحكم بقلب مطمئن ، وبالنظر الى هذا المقدار من البحث اختلف العلماء فى حكم ما اشتبه أمره فلم تظهر قوة احدى الجهتين اللتين أحاطتا به ، فذهب قوم الى أنه حرام ، وهؤلاء أخذوا بالاحتياط ، وذهب قوم الى أنه مكروه وهؤلاء راعوا الجهتين معا وأخذوا بالوسط بينهما ، وذهب قوم الى انه يجب التوقف فى الحكم وعدم الاقدام على التحليل أو التحريم، وهؤلاء اسقطوا الدليلين جميعا ، وهذه طريقة علماء الشريعة عند تعارض الدليلين ، وليس واحد من هذه الأقوال بمستقيم على اطلاقه ، وسيتضح لك ذلك فيما بعد .

فان قلت : فكيف يكون هنا أمر لاحكم له فى هذه الشريعة مع أن الله تعالى يقول (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**) وعلى تسليم أن حكمه ليس فى الكتاب فقد كان مما كلف به الرسول – صلى الله عليه وسلم مع التبليغ بيان مجملات الكتاب وتوضيح أحكامه بدليل قوله تعالى (**وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما انزل اليهم**) وما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله له ولأمته الدين الذى رضيه لهم وأتم نعمته عليه وعلى أمته بدليل ما أنزل الله عليه فى حجة الوداع وكانت قبيل لحاقه بربه بقليل من قوله سبحانه (**اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا**) وقد أفصح صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فى قوله « تركتكم على محجة بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، وكيف تكون ملته صلى الله عليه وسلم بيضاء نقية لا يزيغ عنها الا هالك وهناك أشياء تزعمون أن حكمها لم يتضح أهو من الحلال أم من الحرام ، وقد فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم انه ما من شيء الا وفى كتاب الله أو سنة رسوله حكمه بدليل قول أبى ذر رضى

الله عنه : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يحرك جناحيه فى السماء الا وقد ذكر لنا منه علما » وقول العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم « والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجا واضحا وأحل الحلال وحرم الحرام ، وتزوج وطلق ،وحارب وسالم ، وماكان راعى غنم يتبع رءوس الجبال يخبط عليها العضاه ويمدر حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيكم »

فالجواب على هذا الكلام أن نقول : انا لم نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين أحكام بعض الأشياء ، ولا فى الحديث الشريف الذى نحن بصدده شىء يدل على ذلك ، كما أننا لم نقل : ان جميع علماء هذه الأمة لم يعلموا حكم بعض الأشياء أو هم كلهم عاجزون عن ادراك حكم بعض الأشياء ، ولكننا نقول : ان حكم بعض الأشياء لاخفاء فيه ، وان حكم بعضها الآخر — قليلا كان أو كثيرا — فيه غموض واشتباه لأسباب سنبينها قريبا ، وان كثيرا من الناس لايعلمونه على حقيقته ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « لايعلمهن كثير من الناس » وذلك يدل على أن بعض الناس يعلمها ويعلم حكمها ، وما يدريك لعل من حكمة الله تعالى أن يجعل فى هذه الشريعة هذا النوع الذى يكتنفه جانبان على الوجه الذى بيناه والذى سنوضحه قريبا لتختلف أنظار المجتهدين فيذهب بعضهم الى حكم فيها ويذهب بعضهم الآخر الى حكم آخر ، تيسيرا على المكلفين ودفعا للحرج عنهم ، حتى يأخذ كل واحد منهم ، بالأيسر له والأخف عليه ، وهذا من مقاصد هذه الشريعة السمحة ، ومن علامات كونها شريعة الله التى كتب لها البقاء الى ان تنتهى هذه الدنيا ومن عليها ، وقد ورد « اختلاف أمتى رحمة » اى اختلاف أئمتها المجتهدين الذين أفرغوا وسعهم وأخلصوا نياتهم .

ونحن نقرر — على وجه الاجمال — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك حلالا الا بينه ، ولم يترك حراما الا بينه ، لكن بيانه فى بعض الأشياء كان أوضح وأظهر من بيانه فى بعضها الآخر للحكمة التى ذكرنا من قبل ، فما ظهر بيانه فيه واشتهر عند الناس حتى صار معلوما من الدين بالضرورة أنه حلال لم يجز بعد كل هذه الأوصاف ان يبقى عند أحد شك فى أنه حلال ، وما ظهر بيانه فيه واشتهر عند الناس حتى صار معلوما من الدين بالضرورة أنه حرام لم يجز بعد كل هذه الأوصاف أن يبقى عند أحد شك فى أنه حرام ولا يعذر أحد بجهل شىء من ذلك مادام يعيش فى بلد تظهر فيه أعلام الاسلام ، وما كان بيانه صلى الله عليه وسلم فيه دون ذلك البيان على ضربين منه ما يظهر للحذاق من علماء أمته أجمعين وان خفى على غير أهل الحذق والبصيرة ومنه ما يظهر لبعضهم دون بعض ، وقد جرت عادة الله تعالى مع هذه الأمة ألا يزال طائفة منهم قائمين بالحق ، وألا يجتمعوا على ضلالة ، وألا يظهر أهل الباطل فيها على أهل الحق ، وألا يبقى الحق مهجورا فيها غير معمول به فى جميع الأقطار وجميع الأعصار ، منة منه وفضلا واستجابة لدعوة رسولها وتكميلا لما أراده سبحانه من دوام هذا الدين وظهوره .

والاسباب الداعية الى الاشتباه فى حكم بعض الأشياء كثيرة ، نكتفى بذكر أربعة أنواع منها :

الأول : أن يكون فى الموضوع نص خفى لم يبلغ بعض المجتهدين ، فاذا عرض عليهم الموضوع اشتبه الأمر عليهم

الثانى : أن يكون فى الأمر نصان أحدهما يدل على التحليل والثانى يدل على التحريم ، وتحت هذا النوع ضربان : أحدهما ان يبلغ أحد المجتهدين واحد من النصين ولايبلغه الآخر فيأخذ بالنص الذى بلغه ويقضى به ، ويبلغ النص الآخر مجتهدا آخر فيأخذ به ، ولو بلغ كل واحد منهما ما بلغ الآخر لكان قائلا بمقتضاه ، والضرب الثانى أن يبلغ النصان الى المجتهد ولا يبلغه — مع ذلك — أن أحدهما سابق على الآخر فى التاريخ حتى يكون المتأخر ناسخا للمتقدم منهما ويكون النصان فى درجة واحدة ، وحينئذ يتوقف فى الحكم ، فان بلغه النصان جميعا وبلغه —

ـ مع ذلك ـ أن أحدهما سابق على الآخروجب عليه أن يلغى ما يدل عليه السابق ويأخذ بما يدل عليه المتأخر •

الثالث : ألا يكون فى الموضوع نص صريح وارد فيه بخصوصه ، ولكنه يدخل فى عموم نص ، أو يؤخذ من مفهوم نص ، أو يدل عليه قياس ، وفى هذا تختلف أنظار المجتهدين

الرابع : أن يكون فى الموضوع أمر من الشارع فتختلف أنظار المجتهدين فى حمل هذا الأمر على الوجوب أو على الندب ويؤيد كل واحد منهم رأيه فى ذلك بما يفتح الله عليه من عموم نص آخر أو مفهوم نص آخر أو تعليل ، أو يكون فى الأمر نهى فتختلف أنظار المجتهدين فى حمل النهى على التحريم أو الكراهة ويؤيد كل واحد منهم ماذهب اليه بنحو ما ذكرنا

ومن العلماء من ذهب الى أن «المشبهات» هى المكروهات لأنه قد اكتنفها جانبا الحل والحرمة ومنهم من ذهب الى أنها المباحات بناء على الاختلاف الذى قررناه آنفا ، وقد حكى هذين القولين الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ١١٨/١ بولاق ولسنا نأخذ بواحد من هذين القولين

ونضرب لك أمثلة من الأمور المشتبهة التى اختلف فيها علماء هذه الشريعة لتعرف سر اختلافهم ووجهة نظر كل واحد منهم ، من غير أن نبين لك الراجح فى كل مسألة ، اذ ليس بيان الراجح مما يعنينا فى هذا الموضع من البحث

(١) الملك المتيقن سبب لحل الانتفاع بالشىء المملوك ، ولايزول هذا الحل الا اذا زال الملك بيقين ، أجمع العلماء من مجتهدى هذه الأمة على ذلك فى العقار والمنقول ، فمن ملك دارا أو فرسا بيقين كان له ان ينتفع بهما بجميع أنواع الانتفاع ، فلو شك يوما هل باع هذه الدار أو هذه الفرس لم يزل حل انتفاعه بهما حتى يتيقن أنه باعهما ، ولكن هل تسرى هذه القاعدة على الزوجة ، نعنى أن رجلا متزوجا لو شك يوما ما هل طلق زوجته أم لا ، هل يزول عنه حل التمتع بها بهذا الشك أم لايزول حتى يتأكد أنه طلقها ، ذهب الامام مالك بن أنس الى أنه يحرم عليه التمتع بها لأن طلاقه مع الشك واقع عليه من باب الاحتياط والمحافظة على طهارة الأسرة وذهب اسحاق بن راهويه الى أنه اذا غلب على ظنه أنه طلقها لم يجز له التمتع بها لما ذكرنا عن مالك ، وذهب غيرهما من الأئمة الا أن حل التمتع بها لايزول الا اذا أيقن أنه طلقها •

(٢) رجل له مال بعضه حلال وبعضه حرام ولا يعرف عين الحلال من عين الحرام ، هل يجوز أن تنتفع من ماله بشىء ؟ ذهب قوم الى أنه يجوز الانتفاع بما يقدمه لك من ماله الا اذا علمت أن هذا الذى يقدمه لك بعينه حرام ، واستدلوا لهذا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم كانوا يعاملون المشركين وأهل الكتاب ويأكلون من طعام أهل الكتاب مع علمهم يقينا أنهم لايتحرزون عما هو حرام ، وذهب أحمد الى أنه ان كان ما قدمه لك قليلا فلا تنتفع به لأن القليل يتعذر خلوه عن الحرام وان كان كثيرا فانف منه مقدار نسبة ما تظن فى ماله من الحرام وانتفع بالباقى ، ومن أصحاب أحمد من أباح الانتفاع بقليله وكثيره ، وفى كل واحد من هذه الآراء وردت نصوص تدل ظواهرها على الرأى المستدل له

(٣) اذا قال رجل لزوجته « أنت حرام » فهل يجعل هذا طلاقا أو ظهارا أو يكون كما لو حرم على نفسه طعاما فلا يقع عليها شىء ؟ بكل واحد من هذه التفريعات قال قوم من أهل العلم ، ووجهة نظر الأول أن الذى يحرم الزوجة على زوجها هو الطلاق ، ووجهة نظر الثانى أن لفظ الحرام لما كان غير صريح فى الطلاق وكان فى معنى أن يقول الرجل لزوجته أنت كأمى أخذ حكم هذه العبارة وهى الظهار ، ووجهة نظر الثالث أن الرجل لو حرم على نفسه نوعا من الطعام أو الشراب المباح لم يحرم عليه شرعا ، فهذه أصول ثلاثة يحتمل أن يخرج اللفظ على كل واحد منها

ونحن اذا تتبعنا فعل النبى صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه من بعده وجدناهم يتحرزون عما لم يقطع بحله ، ويتركونه خشية الوقوع فى الحرام ، وهو النهج الذى اختاره صلى الله عليه وسلم لمن أراد أن يستبرىء لدينه وعرضه •

(١) روى البخارى ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال « **انى لانقلب الى أهلى فأجد التمرة ساقطة على فراشى فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون من الصدقة فالقيها** » وروى أنه صلى الله عليه وسلم أصابه أرق من الليل ، فقال له بعض نسائه : يارسول الله أرقت الليلة ، فقال: **انى كنت أصبت تمرة تحت جنبى فأكلتها ، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة ، فخشيت أن تكون منه** » والسر فى هذا أن الصدقة محرمة على محمد وآل محمد ، وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ الهدية ولا يقبل الصدقة ، لكن ما يجده الانسان فى بيته وهو لايعلم أنه ملك لغيره فهو ملكه ، فهو عليه الصلاة والسلام اذا وجد تمرة فى فراشه وتذكر أموال صدقة جاءته فقسمها على مستحقيها وظن أن هذه التمرة منها لم يطعمها لاحتمال أنها من الصدقة مع احتمال أنها من طعامه وطعام أهله ، واذا لم يتذكر أموال صدقة أو لم يظن التمرة التى يجدها فى فراشه منها ليس ثمة مايمنع من أكلها ، فهذه حاله فى المرة الثانية ، ثم توهم أنها قد تكون من تمر الصدقة فأخذه الأرق ولم ينم .

(٢) روى البخارى أن أبا بكر رضى الله عنه قدم له طعام فأكله ، ثم أخبره غلامه أن هذا الذى قدمه اليه كان قد أخذه هو أجرا على كهانة تكهنها فى جاهليته ، فاستقاءه

وقوله صلى الله عليه وسلم « لايعلمهن كثير من الناس » يدل على شيئين أولهما أن من الناس من يعلمها ، والثانى أن من لايعلمها كثير ، والذى لايعلمها أحد اثنين أولهما من توقف فيها أما لورود نصين مختلفين لم يستطع أن يجمع بينهما ، واما لتجاذب أصلين لها كل واحد يعطيها حكما غير الحكم الذى يعطيها الآخر ، والثانى من يعتقدها على غير الوجه الذى هى عليه فى الواقع ونفس الأمر لما انقدح عنده من الدليل الذى طبقه عليها

وقوله عليه صلوات الله « **فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام** » اتقى الشبهات معناه جعل بين نفسه وبينها وقاية ، واستبرأ معناه طلب البراءة ، والعرض - بكسر العين وسكون الراء - موضع المدح والذم من الانسان والذى يحصل له السرور اذا ذكره الناس بالجميل والحزن اذا ذكروه بالقبيح ، فمن جعل بينه وبين الوقوع فى الشبهات حصنا من التورع والحيطة والتزام الجادة فقد برىء دينه من النقص وبرىء عرضه من الشين فلا يذكره أحد بقبيح ، وفى رواية للترمذى ، « **فمن تركها استبراء لدينه وعرضه فقد سلم** » وهى تدل على أنه لابد لمن يترك الشبهات أن يقصد بتركه اياها براءة دينه وعرضه ، فان تركها بقصد الرياء ورغبة فى أن يشتهر بين الناس لم يكن له فى ذلك ثواب ، وفى رواية من روايات الصحيحين « **فمن ترك ما يشتبه عليه من الاثم كان لما استبان أترك** » ومعناها أن الذى يترك العمل لأنه يتوهم أن فيه مأثما رغبة منه فى التحرز عن المأثم فان هذا يكون أشد توقيا لما يعتقد فيه أنه يوقعه فى المأثم .

والخلاصة التى تدل عليها الروايات المختلفة لهذه الجملة أن من ترك الاثم مع اشتباهه عليه وعدم تيقنه قاصدا بذلك تجنب الشبهات راغبا فى تطهير نفسه فهو مثاب على ذلك وهو خليق بأن يترك ما يعلم يقينا أنه موقع فى الاثم ، وأن من ترك ذلك رغبة فى أن يتحدث الناس عنه ويشيدوا بذكره فلا ثواب له ولا يلزم من تركه هذا النوع أن يؤديه الى ترك ماهو أظهر منه وأن من أتى شيئا مما يشتبه أمره لأنه قد استقر عنده بالنظر والاستدلال انه حلال فى نفس الأمر فلا اثم عليه ولا حرج عليه عند الله تعالى .

وقوله عليه الصلاة والسلام « **كالراعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه** » **الحمى** - بكسر الحاء - مايحميه الملك أو الرئيس من منابت الكلأ والعشب ويمنع غيره من الرعى فيه ، ويوشك : أى يقرب ، وهذا مثل ضربه النبى صلى الله عليه وسلم لمن يواقع الشبهات ولا يتحرز عنها وأنه بسبب هذا التساهل يقرب من الوقوع فيما هو حرام لا شبهة فى حرمته ، وذلك لأن صغائر الأمور تجر كبارها ، ومعظم النار من مستصغر الشرر كما يقولون ، فكلما أتى شيئا مما فيه شبهة سهل عليه الاتيان بنظيره ويتكرر منه ذلك حتى لايرى على نفسه

حرجا فى أن يرتكب منه ما يعرض اليه ،فتدرب نفسه ، ويقسو قلبه ، ويطول الأمد عليه فاذا هو مقارف للذنوب غير مكترث بمالا شبهة فى أنه ذنب ، يشير الى ذلك قوله تعالى : (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقوله عليه الصلاة والسلام « **ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه** » هذه عادة من عادات الجاهلية وقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمصلحة العامة ، فقد ثبت بالرواية الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل حمى حول مدينته اثنى عشر ميلا ، وحرم أن يقطع شجره أو يصاد صيده ، وكان يرسل ابل الصدقات مع رعاتها ترتع فيه ، وحمى عمر رضى الله عنه وحمى عثمان من بعده أماكن ينبت فيها الكلأ والعشب لأجل ابل الصدقة ، والله سبحانه وتعالى جعل المحرمات حمى ، ومنع عباده أن يقربوها ، وقدسماها سبحانه فى كتابه حدودا فى نحو قوله جلت كلمته (تلك حدود الله فلا تقربوها) وفى نحو قوله **(ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون)**

وقوله عليه الصلاة والسلام « ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب» المراد بالقلب هنا مركز التفكير والتدبير ،وقد كان العرب يعبرون عنه بالقلب ، وبلغتهم تحدث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبلغتهم نزل القرآن الكريم ، لأن القصد الأول هو افهامهم ، ولايشك أحد فى أن القلب بهذا المعنى هو المسيطر على جميع أعضاء الجسم ، بأمره تتحرك ، وبأمره تسكن ، ولذلك كانوا يعبرون عنه بالملك ، ويعبرون عن أعضاء الجسم بالجند الذين لايخالفونه ولا يأتون الا مايريد ، وفى هذه العبارة النبوية اشارة الى أن صلاح المكلف واتيانه بالخيرات والمبرات واجتنابه للمحرمات والمكروهات واتقاءه للمشتبهات وتقديره للأمور ووزنها بالميزان الصحيح ميزان الشرع ، كل ذلك راجع الى صلاح حال قلبه ، ومن أجل هذا كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم يسأل ربه ان يهبه قلبا سليما وأن يثبت قلبه على ما يحبه ويرضاه ، وروى أحمد عن أبى ثعلبة الخشنى أنه قال : قلت يارسول الله أخبرنى مايحل لى ومايحرم على ، فقال : « **البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم مالم تسكن اليه النفس ولم يطمئن اليه القلب ، وان أفتاك المفتون** » وروى أحمد أيضا عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « **لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه** » **وانظر الى قوله تعالى (يوم لاينفع مال ولابنون ، الا من أتى الله بقلب سليم)** تدرك أمرين عظيمين لانرى ان نترك التنبيه اليهما ، الأول أن القلب السليم الذى امتلأ بخشية الله ومحبته لايمكن ان يدعو الا الى الاتيان بما يحبه الله والى اجتناب ما يكرهه الله ، وصاحب هذا القلب يأتى بمايأتى من محاب الله تعالى من غير تكلف ولا حاجة الى تنبيه ،ويصعب عليه الاتيان بما يكره الله، ولو سيق لذلك ودفع اليه استعصى على من يسوقه ويدفعه ، والأمر الثانى أن من مقاصد هذه الشريعة تربية الضمير الانسانى وجعل كل انسان مهيمنا على نفسه حاكما لها أوعليها مقدرا لما يأتيه ولما يدعه ، بحسب حقيقة الأمر وواقعه، لا بحسب ما يظهر للناس منها ، ومن أجل هذا عنيت عناية فائقة بتطهير القلب حتى يصير جوهرا نقيا لايميل مع هوى ولا ينحرف مع مطمع ولايتقلب فى مهاب الشهوات ، وحتى يرى الحق حقا فيتبعه وان نالته المتاعب ،ويرى الباطل باطلا فيجتنبه وان رغمت الأنوف .

اللهم انا نسألك أن تهبنا قلبا واعيا صالحا ثابتا على الحق صابرا على مرضاتك راضيا بقضائك ، آمين.

الإسلام - ٤ -

والقومية العربية

الدكتور أحمد الحوفي

لعله قد استبان من البحوث الثلاثة السابقة أن الاسلام دعامة فى صرح القومية العربية بالنسبة الى المسلمين والى المسيحيين .

ولقد ترددت فى سماء الوطن العربى أهازيج الشعراء بالاسلام ، متنوعة النغمات ، خلابة الرنات ، صادرة عن عواطف صادقة وشعور جياش .

والذى يعنينا من هتافهم بالاسلام فى هذا المقام ما يتصل بالقومية العربية ودعم الدين لصرحها الأشم . ولهذا الهتاف عدة مظاهر .

١ ـ الاسلام رابطة روحية :

كثيرا ما لهج الشعراء بالاسلام على أنه وشيجة روحية ، تصل القلوب بالقلوب ، وتؤلف ما بين الوجدان والوجدان ، وتجمع الشمل فى العقيدة والعبادة والتشريع ، وترفد الثقافة المشتركة وتمدها ، وتوجب على المسلمين أن يتحابوا ويتعاطفوا ويتعاونوا ويتحدوا .

قال أحمد محرم :

ولولا الدين كانت كل نفس
كمثل الوحش تسكن للوثاب
رأيت الدين والأرواح فينا
كما صحب الغريب أخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا
رأى راحا تصب بلا حباب ؟.

وقال الجارم فى مناجاة سكان الحجاز :

يا جيرة الحرم المزهو ساكنه
سقى العهود الخوالى كل منسكب
لى بينكم صلة عزت أواصرها
لأنها صلة القرآن والنسب

وقال لسكان العراق :

سموت الى بغداد والشوق نحوها
يساورنى حينا وحينا أساوره
كلانا نأى عن أهله وعشيره
ليلقاه فيها أهله وعشائره

حبيب الى نفسى العراق وأهله
وسالفه الزاهى المجيد وحاضره
ديار بها الاسلام أرسل ضوءه
فسار مسير الشمس فى الأفق سائره
ومدت بها الآداب ظلا على الورى
تساوت به آصاله وهواجره

وأرجع ما بين سكان السودان وسكان مصر من ود صاف ، وعهد مرعى الى أنهم يستظلون بالعروبة والاسلام . ويشتركون فى الاقليم والنيل :

ان جزت يوما الى السودان فارع له
مودة كصفاء الدر مكنونا
ظل العروبة والقرآن يجمعنا
وسلسل النيل يرويهم ويروينا

وحينما هجمت ايطاليا على طرابلس سنة ١٩١١ ثارت عواطف العرب والمسلمين ،وهاج الشعراء ، فحملوا على ايطاليا ، واستثاروا الأمة العربية لنجدتها ، وكان الدين من أقوى وسائل الاثارة . كقول الشاعر المصرى محمد عبد المطلب :

بنى أمنا أين الخميس المدرب
وأين العوالى والحسام المذرب
اذا اهتز فى نصر الحنيف تساقطت
نفوس العدا من حده تتحلب
خليلى مالى اذ تذكرت برقة
بجنبى نيران الأسى تتلهب
نعم ، راعنى من نحو برقة صارخ
يهيب بأنصار الهلال : ألا اركبوا
دعا صارخ الاسلام : يالنبى الهدى
أغار العدا ، أين الحسام المشطب ؟
أرادت حمى الاسلام روما فاقبلت
زعانفها فى بغيها تتشعب

وأهاب الشاعر المصرى العوضى الوكيل بالعرب أن يسارعوا الى نجدة عرب فلسطين تلبية لنداء الوحدة فى النسب وفى الدين :

دعت فلسطين ، رد الله غربتها
ورد كيد الليالى عن فلسطينا
لئن مضينا فلم نسمع لهاتفها
مضت دماء وأعراق تنادينا
قد وثق الله بالاسلام عروتنا
وبالعروبة قد أرسى تآخينا
لم تبتعد عن هوى القربى أواخرنا
ولم نكن غير شعب فى أولينا

وان ثقته فى الاستجابة الى اغاثة الأخوة فى فلسطين لتتجلى فى قوله اننا ان تهاونا فى تلبية نداء الأخوة دفعتنا اليه حوافز النسب والاسلام والود الموصول منذ زمان بعيد .

وذكر الشاعر المصرى على عبد العظيم من روابط العرب الدين الاسلامى والقرآن الكريم :

انا بنى العرب الكرام توحدت
آفاقنا وتلاقت الأبعاد
الله ألف بيننا بكتابه
والعرف وحد شملنا والضاد

وذكر الشاعر العراقى الرصافى أن عرب العراق ترف قلوبهم بالحب لعرب تونس ، لأنهم اخوة فى النسب وفى الدين :

أتونس ان فى بغداد قوما
ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم واياك انتساب
الى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا
نواصع آيه سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى
وان قضت السياسة بالبعاد

وذكر فى قصيدة أخرى أن الاسلام القائم على توحيد الله يجمع العرب فى وحدة الكيان والاخاء والايمان والعزة :

ويك ان الاسلام أوجد فينا
وحدة مثل وحدة الرحمن
فاعتصمنا فيه بحبل وثيق
هو حبل الاخاء والايمان
ليس معنى توحيدنا الله فى المل-
-لة الا اتحادنا فى الكيان
وحدة جاءنا من الله فيها
مرسل بالكتاب والفرقان
ما نرى سلطة علينا لخلق
غير سلطان خالق الأكوان

وقد بدأ الشاعر السودانى محمد الأمين القرشى الحسينى مناجاته لمصر بأن المصريين والسودانيين اخوة ، يجمعهم الدين :

يا مصر انا - كقول الله - اخوان
أليس يجمعنا دين وقرآن ؟
حبل متين من التفريق يعصمنا
والمؤمنون - بنص جاء - بنيان
يشد بعضا ومثل الجسم يؤلمه
عضو جريح فهم فى الأرض أعوان

وفى قصيدة الشاعر المغربى محمد معمرى الزواوى فى الابتهاج باستقلال الجزائر تفاؤل بالوئام بين أبناء الجزائر وتونس والمغرب الأقصى ، وتذكير بأن الاسلام يجمعهم كلهم فى اخاء وصفاء :

الله أكبر تم النصر والرجب
الله أكبر لا هم ولا نصب

ابن الجزائر وابن تونس وفدا
يصافحان أخافاس ولا عجب
صوت الأخوة من ليبيا يبشرنا
عم الوئام والاستعمار ينتحب
أخوة الدين والدنيا تحث لكى
ينظموا مغربا تحيا به العرب
وانما المؤمنون اخوة نزلت
من السماء هدى دينهم نسب
وزاد وحدتهم عزا جهادهم
صفا قويا لنصر الله يحتسب

وأما الشاعر السعودى خالد الفرج فانه يحذر العرب ان ينخدعوا بوعود المستعمرين الكاذبة ، ويذكرهم بنقضهم ما اتفقوا عليه مع الحسين بن على ، ثم يستبشر بنهضة العرب، ويتفاءل للاسلام خيرا موصولا بهذه النهضة:

أين الوعود التى غر الحسين بها
وأين كان مصير الملك ذى الشان ؟
وهل جنى فيصل من بعده أملا
سوى اغتيال وتسميم باوزان ؟
انى أعيذكم أن يستعاد بكم
عصر التفغل محشوا بأضغان
آمنت أن بلاد العرب سوف ترى
حزم الرشيد وعزمات ابن مروان
ووحدة الضاد تلتف العروش بها
وصولة الدين فى عز وسلطان
هناك ينبعث الاسلام ثانية
فى الأرض يهدى لارشاد واحسان

وأما الشاعر السعودى خالد الفرج فانه بعد أن لام العرب على تفرقهم الـذى مكن للمستعمرين ، اهاب بهم أن يتحدوا ، لأن الاسلام يجمعهم ، ووحدة النسب تربطهم :

لا يدفع الغرب سوى بأسه
أو قوة تسمو الى قوته
اولا ، فان لم نجتمع عاجلا
ونحصر العنصر فى وحدته
ستاكل الهرة أولادها
ويحصل القط على حصته
فحسبنا الاسلام من جامع
ونحن من يعرب فى دوحته

فاذا ما رجعنا الى أواخر القرن التاسع عشر حينما كانت الثورة العرابية تشعل نارها على الانجليز وجدنا شعراء الثورة يؤرثون حماسة الشعب بجذوات من الدين ، ويحذرونه أن يتواكل فيعتدى الانجليز على دينه ، كقول أحمد عبد الغنى فى تأييد عرابى :

وزير نال بالسيف المعالى
وأنقذ مصر من أيدى الذئاب
وقام لنصر دين الله فيها
باخلاص وحزم واحتساب

وقول احمد رشوان :

فهيا بنا يا آل مصر لنصره
لتعزيز أوطان ودفع مصائب
فلا دين ان حل العدو بأرضكم
ولا عرض يبقى فى شباب وشايب

وقول الشيخ محمد النجار :

ورجال دين حيث قد خافوا على
ذرية من بعدهم تكفيرا
خافوا على أوطانهم من أمة
خانت وكم فضحت وفضت حورا
خافوا على جعل المساجد مربطا
للخيل أو جعل الرجال حميرا
خافوا على الكتب التى قد دونت
ولكم حوت علما يزيدك نورا
خافوا على قطع الفروض وقطعنا
جهر الآذان وهجرنا التكبيرا

« للبحث بقية »

فانقطعت الكهانة اليوم، فلا كهانة ...

من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي

١ ـ يقول القاموس المحيط : الكهانة ـ هى الاخبار بالغيب ..

فهل يكون الاخبار بالغيب من طريق الكهان صدقا ندين به ؟ أو علما صحيحا نثق فيه ؟ ونعيش فى ضوئه ؟.. هذا سؤال الناس !

وجوابه الحق : فيما سلف من كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا كهانة ..!

والذى نعهده ـ أولا ـ أن العلم فيض من جانب الله تعالى ـ وهو رسالته الى خلقه ، من طريق الوحى الى رسله ـ وذلك علم الدين .

أو هو علم كسبى ، يهدى الله اليه من يشاء ممن توافرت لهم المواهب ونبهت فيهم القرائح ، ونشطت منهم العزائم .

فطرقوا أبواب المعرفة من جهاتها المتعددة .. والتمسوها بالحواس ، أو بالعقول .. والتجارب.. وأغراهم النجاح المتئد بمواصلة السير فى آفاق العلم ، حتى تكشفت لهم المجاهيل رويدا رويدا .. واستقامت لهم النظريات والقواعد .

وأسلست المعرفة لهم قيادها فى جوانب البحث الثقافى الى غير مدى محدود .. ثم هى لا تزال بجهودهم فى طريقها المحدود .. وذلك كله فى علوم الحياة الدنيا .

والذى نعهده ـ ثانيا ـ أن الكهانة فى قديمها ، أو حديثها تخمين مصطنع ، وتظاهر جرىء بمعرفة الغيب الذى لا يعرفه الناس ، ولا ينال من طريق المواهب والجهود الانسانية .

٢ ـ فان لم يكن العلم ـ على اطلاقه ـ مستمدا من الوحى ، أو كسبا ينال بالجهود فالكهانة غير ذلك .. وان يكن العلم فى أى نوع من أنواعه وسيلة الكمال للبشرية ، وسبيلا الى حضارتها الرشيدة .. فالكهانة فى حقيقتها اختلاق ، وفى غايتها تضليل ، وايقاع فى المهالك ..

وبيانها فى ضوء القرآن والسنة :

ان من حكمة الله فى ملكوته ، وفى تدبيره لشئون خلقه أن يكون علمه غيبا عنده ، فاذا قضى بتنفيذ شأن من شئونه فى دنيانا أبرزه من عالم غيبه لملائكته ، ليتهيأ كل ملك منهم للقيام بما يتعلق به فى تنفيذ قدر الله فى موعده ، وعلى الصورة المرسومة له ، وحينئذ تسبح الملائكة فى السموات العلا : تعظيما لأمر الله ، واكبارا لتكليفه اياهم ، وفرحة بما علموا مما كان غيبا ..

والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

٣ ـ ومن تجاوب الملائكة فى تأدية طاعتهم لله : أن يتحدثوا فيما بينهم عما هم بسبيله من أقدار علموها ، ويتهيأون لتنفيذها ، ومن شأن الله فى ملكه بجانب ما سلف : أن جعل لشياطين الجن قدرة على محاولات لا يطيقها الانسان ، وهو تدبير سبق به القضاء فى شأن ابليس وذريته ، ليختبر الله عباده فى أمور تغيب عنهم فى أنفسهم ، ويبينها الله لهم ليتبينوا الرشد من الغى فيما صنعوا وفيما يصنعون .. فكان من دأب الشياطين فى محاولاتهم الجبارة : أن يصعدوا فى الفضاء العلوى الى مقاربة السماء الدنيا ، ليسترقوا بأسماعهم شيئا من حديث الملائكة فيما علموه عن ربهم من شئون الناس فى دنياهم ..

ثم ينزل الجن بعد ذلك الى الكهان الذين يلابسونهم من الناس فى الأرض ، ويلقون اليهم بما سمعوا ، غير متثبتين مما يحكونه ، فيزيدون فيه ، أو ينقصون منه ، أو يبدلون شيئا بشىء ، ثم يتحدث الكهان بهذا الى الناس ويزيدون فيه كذلك ، أو ينقصون منه ، أو يبدلون ..

فاذا أصاب الكهان فى شىء من ذلك الحديث ، ووقع صدفة بين الناس ، حسب الكهان لأنفسهم شأنا ، وحسب الأفراد منا أن الكهان يعلمون الغيب من طريق الجن ، فيغمرونها بالثناء ، ويغدقون عليهم المال ، ويأخذون عنهم ما يهرفون به من حدس ، وتخمين ..

٤ ـ وبذلك صار للكهانة ، وللكهان شأن فى الجاهلية ، واتسع باب الافتراء على الله ، وعلى رسوله .. واستطاع خبثاء الجن ، وأشقياء الكهنة أن يفسدوا على بعض الناس عقائدهم ، ويزعزعوا ثقتهم فى علم الغيب عند الله ، وينفثوا فى نفوسهم بذور الشرك بالله من طريق المحاولات الشيطانية .

٥ ـ والقرآن يحيطنا علما بذلك التدبير الغريب على بعض العقول .. فيقول :

« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع ، وأكثرهم كاذبون » .

ويقول : « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ، ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون » .

ويقول : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » .

٦ ـ وكانت الكهانة على هذا النحو متفشية قبل الاسلام .. وكان يحترفها كثير من المبطلين ، فلما أشرقت رسالة محمد ـ صلى الله عليه سلم ، وأذن الله أن يقضى بها على كل باطل ، تغير الأمر ، وصار من مميزات بعثته تعجيز الجن عن نشاطهم ذلك ، وضاق فى وجههم مجال الاستراق لحديث الملائكة ، حتى أصبح كالمعدوم ، وتضاءلت كهانة الكهان ، اذ تكفل الله بحراسة الفضاء العلوى من كثرة محالاوت الشياطين وألاعيبهم ، وأقام من الملائكة حفظة يصدون الجن عن مقاربة السماء فكلما نزع مارد منهم الى استئناف صعوده عاجلته الملائكة الحراس بالشهب النارية المستمدة من النجوم ، فتحرق من يقترب ، وتكاد تحرق من هو فى سبيله الى السماء .

٧ ـ والقرآن يحكى لنا ما تحدث به الجن حينما صادفوا تغير الحال عليهم منذ نزل القرآن ، وبعث به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« قل : أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا .. الى قوله تعالى : وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا ـ ذلة ، وسفها « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا .. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » .. ويقول : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد » .

ويقول : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ، واعتدنا لهم عذاب السعير » الخ .

فهذه آيات بينات ، فيما تبين للجن من شأن الكهانة منذ نزل القرآن ، وسمعوه ، وآمن به من آمن ، وبقى على كفره وتمرده من بقى « وأنا منا المسلمون ، ومنا القاسطون ، فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون - هم الأشقياء منهم - فكانوا لجهنم حطبا » ..

٨ - وكذلك فى حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - ذكريات كثيرة لشئون الجن ، والكهانة ، وما لحق بهما .. ومن ذلك : ما روى عن ابن عباس ، عن جماعة من الأنصار - رضى الله عن الجميع - أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال يوما لهؤلاء الأنصار :

« **ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به ؟** »

قالوا : يا نبى الله ، كنا نقول حين رأيناها يرمى بها : مات تلك ، ملك ملك ، ولد مولود ، مات مولود ..

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا ، فسبح من تحتهم .. الى أن قال : فيهبط الخبر من سماء الى سماء ، حتى ينتهى الى السماء الدنيا ، فيتحدثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهم ، واختلاف .. ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به ، فيخطئون ، ويصيبون ، فيتحدث الكهان فيصيبون بعضا ، ويخطئون بعضا ، ثم ان الله - عز وجل - حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة » .

وذلك هو سياق الحديث الذى اقتطفنا منه آخر جملته ، توجنا بها موضوعنا ..

٩ - وفى ضوء ماذكرنا من قرآن وسنة ، لا يكون ذلك الشأن مكذوبا ، ولا تكون الكهانة حقا ، ولا علما مجديا .. فالمنكرون لهذا بحاجة الى تذكير ، والمبالغون فيه بحاجة الى تبصير ، وهل انقطعت الكهانة كلها كما يستفاد من قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - ؟ الظاهر كذلك : فلا كهانة ولكن ظاهر الآيات يفيد أن النجوم لا تزال زينة السماء الدنيا ، ولا تزال كذلك رجوما للشياطين ، فوظيفتها باقية ، والظاهر أن الملائكة لا يزالون فى حراسة السماء ، كما عهد الله اليهم بهذا ، وظاهر كذلك أن مفاتن الشياطين جارية ، ولم يقلعوا عن تمردهم ، وسوء صنيعهم اينما كانوا ، ولم يقرضهم الله بالموت ، ولا يزال فى الدنيا كهنة ، يلابسون الشياطين ، وان كان الكذب خصيصة لهم ، والصدق صدفة وندرة منهم ففى الكهانة على وجه الاطلاق فى حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحمل على الأغلب ، وما كان شائعا من أمرها قديما .. وهذه هى الوقائع التى تدور بين الناس ، ونتسامع بها من حين الى حين .

والكهان الذين يخادعون الأفراد ويلتهمون الأموال يملأون الدنيا ، ويلبسون لكل حالة لبوسها .

١٠ - هذا - ولم تكن محاولات الجن فى الاستراق للسمع عالقة بالوحى الى الأنبياء - لا قبل الاسلام ، ولا بعد الاسلام - بل كانت متجهة الى غير الوحى بشأن الدين .. ولم تكن تستطيع استراق كلمة منه ، كما كانت تستطيع اختطاف شىء من غيره أحيانا ..

وقد عرفت حكمة الله فى التحفظ بالوحى أكثر من غيره ، لئلا يشكل الوحى بشىء غيره من أخبار السماء فيلتبس الأمر على أهل الأرض فيما شرع الله من دين للعباد ، وبهذا التحفظ وقعت الحجة موقع الحق اليقينى الذى لا تلاحقه شبهة ، ولهذا المعنى آمن من الجن من آمن ، وهم الذين سمعوا القرآن ، وولوا الى قومهم منذرين « **قالوا : يا قومنا ، انا سمعنا كتابا ، أنزل من بعد موسى .. مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق .. والى طريق مستقيم .. يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به .. يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم .. الآيات** » .

١١ - وقد عنى القرآن بالتنصيص على استبعاد الوحى ، وتنزيهه عن محاولات الجن

وفى ذلك يقول الله عن الوحى كله : قرآنا أو سنة « **وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغى**

لهم ، وما يستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون ٠٠ »

ويقول : « لا يسمعون الى الملأ الأعلى ، ويقذفون من كل جانب دحورا ، ولهم عذاب واصب ـ عذاب دائم » ٠

ويقول : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٠٠ الا من ارتضى من رسول » ٠

وهو رسول الوحى ـ جبريل ـ فى أرجح التفاسير عند الأئمة ، فجبريل : هو الملك الذى ارتضاه ربه لتبليغ الوحى الى كل من أنبيائه ورسله ، ويكون الوحى فى أول أمره غيبا لا يعلمه الا الله ـ عز شأنه ـ فاذا شاء تبليغ شىء من هذا الغيب اطلع عليه جبريل ، فيخرج الوحى عن نطاق الغيب المكنون عن خلق الله جميعا ، الى دائرة أظهر منها ٠٠ فاذا ما نزل جبريل بالوحى المسموح به كان معه ملائكة آخرون يحرسون الوحى حين القائه من جبريل الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المبعوث من البشر الى أمته ٠٠ فلا يستطيع الجن أن يقتربوا من النبى أو اختطاف كلمة منه ، وفى هذا يقول الله ـ سبحانه ـ « ٠٠ الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه ، رصدا٠ وهم الحراس بالشهب ٠

١٢ـ وربما قيل ان الرسول المذكورهونفس النبى المبعوث ، فحينما يطلعه الله على الغيب بواسطة جبريل يكون فى حراسة الملائكة من حوله ٠٠ وكلا الوجهين قريب من الآخر ، وبهذه الحيطة البالغة يتأكد النبى المبعوث ، وتتأكد الأمة المبعوث اليها أنّ رسالة الله بالوحى تصل الى مستقرها فى الناس ، وهى بنجوة من كل مساس جنى ، وفى صيانة من كل هاجسة تخطر فى نفس انسان يعقل ٠

١٣ ـ وقد ترفع الله بالنبى محمد، وبكتابه العزيز عن سفاهة السافهين ، ونفى أن يكون كتابه ، أو رسوله فى مهب الظنون ، أو فى متناول الشبهات ، فقال عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« ما أنت بنعمة ربك بمجنون ـ يعنى ما أنت بانعام ربك بالوحى بمجنون ـ وقال : « علمه شديد القوى » علمه جبريل ٠**

وقال عن القرآن والرسول « وما هو بقول شاعر ٠ ٠ولا بقول كاهن ٠٠ وما هو بقول شيطان رجيم » ٠

وهكذا من تأكيدات تربأ بالنبى ، والقرآن عن **نطاق الكهانة ، والسحر ، والجنون ،** والكذب الخ ٠٠

فان يكن للخرافات أثر بيننا ، أو يقع فى روع الناس أن شيئا ـ من الكهانة ، أو الفنجان ، أو التخطيط فى الرمل ، أو طرح الودع على الأرض ، أو سوى ذلك ـ مما يشيع فى بعض البيئات له اتصال بمعرفة الغيب فتلك رواسب الجهالة الأولى ، وأن مجتمعنا اليوم لفى وعى جديد : يقتضينا أن نلتفت الى كل ذلك لفتة يقظة ، ونربأ بعقولنا عن هذه السفاسف التى تنزل بأقدارنا عند الغير وعند الله وتجلب على سمعة الاسلام ما لا يرتضيه ٠٠

من حضارة الإسلام

(٩)

فلسفة الزكاة

الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل

فريضة الرحمة – مسئولية المسلمين – آداب العطاء – صفات مؤقتة – زكاة الفطر – سمو الروح – مباذل الجود .

فريضة الرحمة :

اكثر من خمسين آية موزع بين سور قرآن يدور حول موضوع الزكاة فيحيط بها من كل جانب ويؤلف لهذه الفريضة أكمل دستور أعجبه . ومع هذه الآيات عشرات كثيرة من الأحاديث تكشف عن الواجبات فيها وتبين التفاصيل وتحدد التكاليف .

ولم تكن هذه الفريضة الا رحمة غامرة للمسلمين أفرادهم وجماعاتهم اذ هى تحفظ للفرد مكانه من المحبة والاعزاز ان كان معطيا وله حياته وصفو عيشه ان كان آخذا ثم هى تصون للجماعة وحدتها وقوتها وتدفع عنها كروبها ومآسيها .

ولما كانت متعلقة بفائض المال لم تكن عنتا وارهاقا ، فليس على المسلم أن يؤديها الا بعد أن يسد حاجاته ، وقد أوضح الفقهاء أنها لا تكون الا بعد المسكن الكافى والملبس اللائق والدابة التى تركب وحلى المرأة التى تزدان بها والخادم الذى يعين .

وكان من الرحمة أن جعل أمد زكاة الأموال عاما لدوران مواسم الانتاج والاثمار فيه ولاسيما انتاج الطبيعة ، بل ان كثيرا من الانتاج الصناعى يترتب عليه . وكذلك جعل أمدها عاما لتكون لذوى الأموال فرصة التنمية وتحقق الربح أو الخسارة . أما اذا فرضت زكاة المال عند بداية الحصول عليه فانه يكون ارهاقا وظلما ، ولجواز فقدانه أو فقدان جزء منه فى حاجات الضرورة أو الخسائر التى تحل به عند المداولة والعمل فى أثناء العام .

ثم كان من الرحمة – بفرض أنواع منها – ان يغمر المسلمين الفرح والسعة ولا سيما فى العيدين اللذين يتسمان أكثر من أى الأعياد عند الأمم بميسم الرحمة فتتقدم زكاة الفطر كل عمل فى عيد الفطر وتتقدم لحوم الأضاحى أعمال العيد الكبير ، وكذلك تكتسى أعياد المسلمين بسيما الايثار والاحساس بالغير دون أعياد الأمم الأخرى التى تتفاقم فيها مقاييس الشر والبذخ والأنانية ولا يحسب فيها الفرد الا لذة نفسه وتحللها من كل القيود والآداب .

وما من شك فى ان تقاليد الاسلام الفاضلة فى ذاتها قد جرت بأن ينصب المسلم شجرة العيد فى غير بيته وأن يعلو بها عن صفة الهدية التى تكون فى الغالب لمن لايحتاجها وانما ينير أغصانها لتضىء فى بيوت الذين حرموا الضوء وغمروا فى الظلام .

وقد سميت الزكاة بهذا الاسم الذى معناه الطهارة او التطهير لأنها تطهر المال من اختلاطه بحق الغير أو شبهة منه ، أو تطهيره من وباءة خزنه وطول كنزه فلا ينتفع به ، فكأنه لهذا المنع والخساسة قد أصابته النجاسة فاحتاج الى التطهير .

وسميت زكاة ايضا لتحقق النفع منها وحلول الخير مكان الشر بها ، ولعل هذا المعنى يلمح من غلام سورة الكهف التى يقول الله فيها .. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما » فقد جاءت الآية الكريمة بمعنى للزكاة هو معنى الخير وارادة النفع والعمل له . وعند تحقق العوض ذكر القرآن لفظ الزكاة . وفى مقابل الطغيان والكفر ذكره أيضا . وهذه اللمحة فى آى القرآن جديرة بالالتفات .

وحتى لو كان معنى التصدق التفضل بما بين الجيد والردىء فانما هو حب ورحمة فكأن المتصدقين يرجون قبول أعطيتهم على رداءتها ، وكأنما يرجى من اصحاب الحقوق المستحقين ان يقبلوها ويتفضلوا بالرضا عنها .

مسئولية المسلمين :

والنداء الصارخ الذى ناداه القرآن بقوله: « هانتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ــ هذا النداء لا مفر لمسلم ولا مسلمة من طاعته والاصاخة له ولا يمتنع عن الاستجابة له الا مشرك لقوله تعالى : « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » .

والفرد اذا امتنع يجبر ويقهر أو يجفى ويطرد ومن الميسور جبره وقهره أو ابعاده وطرده فاذا امتنعت الجماعة وجبت حربها حتى تفىء الى أمر الله . وقد أوقع النبى عقاب الجفاء والطرد بثعلبة بن حاطب حين رأى انه قد استغنى بما فاض من رزقه وتوالد من غنمه فامتنع عن الزكاة واعتزل الجماعة ، وقد أقصى عن رضا الرسول وصاحبيه فظل كالجمل الأجرب الذى يزاد عن الابل حتى أشقاه الاقصاء وأذله الابعاد .

ولكن لما كان امتناع الجماعة عن الآداء يبددها ويهدم نظامها فان الصديق حينما ارتدت « بزاخة » عن الاسلام ومنعت الزكاة خير وفدها بين الحرب المجلية او السلم المخزية فقال وفدهم لأبى بكر : قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية ؟ فقال ابو بكر : أن ننزع منكم الحلقة (الدروع) والكراع (الدواب) ونغنم ما أصبنا منكم وتردوا الينا ما أصبتم وتدوا (تدفعوا دية) قتلانا ويكون قتلاكم فى النار .

وهكذا اقام الاسلام من الدولة والحكام قواما على الزكاة كما أقام من ضمير الأمة قيما آخر حتى تؤدى حقوقها كاملة وفى رعاية كثيرة ، ولكونها تجرى فى مصلحة الناس فقد اباح الاسلام الانابة فيها .

وقد جعلها الاسلام فرض عين على كل حر مالك . ذكر وأنثى ، ولم يعف منها أحدا حتى الأنبياء ، ومع أن نبى المسلمين لم تجب عليه قط لأنه لم يستكمل شروط وجوبها فقد وجبت على كل من أستوفاها منهم ، وقد استنبط الفقهاء ذلك من قوله تعالى فى حق السيد المسيح عليه السلام : « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

ويصدق فى الرأى أن الزكاة اذا كانت واجبة تحت كل نظام فهى فى الاشتراكية أوجب ، اذ تقوم الاشتراكية على قسمة المال والأعمال وفرض الأجور بحيث يستغنى اكثر الناس ، فتتسع بذلك دائرة القادرين على دفع الزكاة من فائض أموالهم حتى بلغ هذا الفائض حد الزكاة .

آداب العطاء :

وقرر الاسلام من آداب الزكاة أن لا تخلط بالمن ولا توجبه ولا يحق لباذلها أن يمن بسببها أو يؤذى وحسبه أن له ثوابها . وتطهير ما له من اختلاطه بحقوق الناس او شبه منها كاف أن يكون ثوابا . والاسلام يكره من يمن كما يعاقب من يمنع لأن المنع

والمن – وفى لفظيهما جناس – انكار لحق صاحبه ومستحقه ، ذلك بظالم من الفعل وهذا بلوثة من الرأى والقول .

والصدقة بين الابداء والاخفاء تترجح بينهما فتحسن هنا حينا وتحسن هنا حينا فان لم يكن الاعلان مضرا فان تبدوا الصدقات فنعما هى .. ومن الصدقات ما لا يمكن اخفاؤه وليس فى اعلانه مذلة لأحد وذلك كالاسهام فى المشروعات العامة وتجهيز الجيوش وبناء القناطر وانشاء المدارس والمصانع ودور العجزة ومباحث العلم – كل ذلك وأشباهه لم يقيد الله ابداءه بقيد فقال : « ان تبدوا الصدقات فنعما هى » .

أما ما كان وراءه مضرة أو مس أحدا بمذلة – لو أعلن – فقد وجب أن لا يكون فيه اعلان واخفاؤه فريضة مثله ، ومن ثم يمتنع الفخر به والمن عليه ، بل ان المن سيكون ممتنعا من تلقائه لأنه من غير الممكن أن يجتمع الاخفاء والمن ، والله تعالى يكرم الفقراء فيقيد اخفاء الزكاة باتيانها اياهم فيقول : « وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » .

وليس للمتصدق أن يكون حرا ان شاء أعلن وان شاء أخفى لأن قول الله قيد شرط الاخفاء بمعيته للفقراء وحب الخير على كتمانها ان أصابت الفقراء حفاظا عليهم وسترا لحالهم ، بل تكذيبا للمن اذا حدث من بعد حيث لا يكون عليه شاهد من الناس ولئلا يخلق المن طبقة من المتكبرين وطبقة من الأذلاء المحقورين . ومن هذا كان المن مبطلا للصدقة محبطا لثوابها والله تعالى يقول : «يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » .

والقلق والتردد وانفاق الخبيث والسخرية بمنفق القليل والوقوف على حيدة والهمز واللمز وتشحيح الأنفس – كلها أمور تساور الناس وتدور فى كل مجتمع تطلب فيه الصدقات أو التبرعات ، وهى أمور واقعة لا محالة ولا تغيب عن مجتمع أبدا ، وانه لأمر يبعث على الاعجاب اذ نجد القرآن فى كثير من آيه يعالج كل هذه الآفات علاجا يبرىء ويشفى .

أما التردد والقلق فقد أراد الله من المنفقين أن يدفعوه عن أنفسهم ليدفعوا عنها البخل والشح فقال سبحانه : « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة ... » فاحب الله تثبيت النفوس حين البذل . اذ الاخطار بالنفس على شجاعة الانفاق كالاخطار بها على شجاعة اللقاء .

وأما انفاق الخبيث فينهى الله عن انفاقه فيقول : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه » فما لم تقبله من أخيك لنفسك فلا تقبله منك لأخيك الا ان أغمضت فيه ، وذلك محال ، لأن العيون لا تغمض على المناقص والعيوب .

وأما الوقوف على حيدة فجعل مقرونا بعدم الايمان وجوزى بالغل والاحراق فى قوله تعالى : « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين » فالوقوف السلبى من الحض على الاطعام كان قرين الكفر وكان جزاؤه مثل جزائه .

وأما اللامزون من يتطوع فى جمع الزكاة والساخرون بمن يبذلون القليل فيقول الله فيهم « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

وأما من يشحون النفوس فيقول الله فيهم « واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين » فمن وضع نفسه موضع التشحيح كان المعطى مؤمنا وكان هو بمنزلة الكفار المشححين .

أما ممانعة الزكاة فهو نفاق وفسق والله تعالى يقول « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » .

صفات مؤقتة :

ووصف الفئات التى تستحق الزكاة بما وصفت به فى قوله تعالى ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل)) ليس وصفا لازما على الدوام بل هى صفات طارئة تلم وتزول :

فالفقر والسكون ووظيفة جمع الزكاة والدخول الحديث فى الدين ثم الدين والجهاد والسفر أو الضيافة - كما فسر ابن السبيل أحيانا - ليست صفات لازمة أو جبلات مخلوقة ، وانما هى مظاهر وأشكال مؤقتة بأسبابها فاذا زال وصف عن صاحبه خرج من عداد الآخذين الى عداد المعطين . على أن هذه الأصناف لن تبقى ثمانيتها كاملة فى كل عصر بل انها تنقص بانعدام فئات منها . وفى عصرنا الذى نعيشه لا يكاد يوجد منها غير الفقراء والمساكين والغارمين .

ونحن - من غرائزنا - لا نحب الفقر ونابى المسكنة ولا نود أن نتهم بالتقلقل فى أفكارنا ولا نقر فى مضاجعنا ليلة واحدة على دين ومذلة ونحن نود العودة الى أهلنا وديارنا بعد عناء العمل أو مشقة القتال ونحن نتلهف على حط عصا التسيار ونفض وعثاء السفر ، اما مولى الصدقات فهو مولى على عمل ، والولاية عارية .

بل ان غريزة التعالى فى الانسان لترتقى حتى ليتعفف المرء وهو محتاج ويعوض مركبه المنقوص باكاذيب . فثبت بهذا كله أن الزكاة انما قسمت فى الاسلام على قوم سينزعون عن انفسهم صفاتهم المؤقتة لامحالة ، فاذا نزعوها لم يستحقوا العطاء ، فكأنهم لا يريدون اخذه الا مقهورين .

ويقول بعض الفقهاء ان الذين وصفهم القرآن بصفة الفقر وجعلهم مصرفا للزكاة انما هم المذكورون فى قوله تعالى : ((للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا)).

وابن القيم يستنبط من هذه الآية أن لهؤلاء ست صفات : هى الفقر وحبس النفس على الجهادين الأكبر والأصغر والعجز بالمرض عن الكسب ثم التعفف وحسن الصبر والاختفاء ثم ترك مسالة الناس أو الالحاف فيها . فهذه ست صفات للفقراء المستحقين فالفاها أكثر الناس ولحظوا منها ظاهر الفقر وزيه من غير حقيقته .

وقد اختلفوا فى حد المسكين فراى قوم انه من أسكنه الفقر واخمدته المذلة وراى آخرون أنه من يملك شيئا لا يسد حاجته لقوله تعالى ((أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر)) فيدخلون فى هذا الصنف الصناع وأهل الحرف الذين لا يجدون حاجاتهم مما يعملون .

اما الغارمون فهم المحصورون فى الذين نكبتهم الحوادث على فجاة فى مساكنهم أو تجاراتهم أو زروعهم وفيمن أغرقتهم - الديون فى غير تبذير ولا فساد ولم يفهم بعض ولاة عمر بن عبد العزيز ما أراده خليفتهم للناس من رفع قيم معايشتهم فلما كتب عمر الى ولاته أن يقضوا ديون الغارمين من بيوت الأموال كتبوا له : انا نجد الرجل له المسكن والخادم وله الفرس والأثاث فى بيته فكيف نقضى عنه ؟ فكتب اليهم عمر : لابد للرجل من المسلمين مسكن ياوى اليه رأسه وخادم يكفيه وفرس يجاهد عليه عدوه وأثاث فى بيته فهو غارم فاقضوا عنه .

وهناك طائفة واحدة لا تحل لها الصدقة وهم أهل البيت لأنهم من أصحاب الفروض فاذا منعوها جاز لهم أن يأكلوا من الصدقات كما يجوز أن يفضل أغنياؤهم على الفقراء منهم ، ولم يجد هذا التجويز خلافا كثيرا بين الفقهاء .

زكاة الفطر :

وزكاة الفطر تسمى الفطرة والمراد بها الزكاة التى يحسن ان تعجل فى رمضان . ولعلنا نلحظ ان زكاة المال من جنس المال ، والمعونات والتبرعات لا تكون الا منه ، أما ان يجعل الاسلام زكاة الفطر من المال ويرتب عليه قبول الصيام فهى زكاة مال بسبب

الأعمال ، وليست هذه وحدها ، وانما هناك تعويضات مالية كثيرة فى الاسلام ناتجة عن أعمال ويسميها الفقهاء زكاة الأبدان بينما تلك يسمونها زكاة الأموال .

والحكمة فيه - كما يبدو - ان عمل الصيام قائم فى مصحلة الفرد وثوابه راجع اليه ولا شأن للجماعة بالانتفاع به ولا بثوابه فكان لابد من عمل جماعى يخرج هذا العمل من الفردية الى مصلحة الجماعة فلم يكن الا بالفدية من المال .

وزكاة الفطر - التى هى زكاة عمل - تبدو من جهة اخرى اعترافا من الدولة الاسلامية بأن فرضا من فروض الزكاة يجب أن يتعلق بضمائر الأفراد أو بضمير الأمة)) . واذا شاءت الدولة أن تقوم فيه بعمل المحاسب - ليس غير - للمعونة على الهداية فلا بأس .

أما زكاة المال فذلك تعاقب عليه الدولة - اذا منع - باخذه قهرا ومصادرة قيمته ونفقات مصادرته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أعطى زكاة ماله مؤتجرا فله أجرها ومن منعها فانا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد فيها شيء)) .

فطلب الأجر بالزكاة مستوجب أجرها ، أما من منع فانها تؤخذ منه قهرا ويقسم ماله ، الجيد فى ناحية والردىء فى ناحية ثم تؤخذ الزكاة من الجيد وليس هناك من رخصة ولا تخفيف وانما هى عزيمة كما يتبين من حديث رسول الله .

وأما الاشراف على زكاة الفطر فمن الأمة نفسها ولعله لسد النقص الذى قد تقع فيه الدولة أولا يمكنها ملافاته . ولم يبد فى تاريخ المسلمين أن الدولة تدخلت فى زكاة الفطر بشكل عام الا فى مدة عمر بن عبد العزيز فقد الزم العمال أن يامروا من قبلهم من الناس فلا يبقى احد الا أخرج عن نفسه زكاة الفطر لا يعفى منها حر ولا عبد ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى : مدين من قمح أو صاعا من تمر أو من جل ما يعيش به البلد أو قيمة ذلك نصف درهم - حسب رخاء الأسعار فى مدته - ولعله لا يقل فى زماننا عن ثلاثين قرشا مصريا .

فاما أهل العطاء (الموظفون) فيؤخذ ذلك من أعطياتهم ويستقطع من اجورهم ثم يجمع فقراء كل حى ويقسم بينهم على الفور ما جمع من حيهم . فجعل يصيب الواحد الفريضة والفريضتين والثلاث - ولا ريب فى ان بعض المعطين فى هذه الزكاة سيصيرون آخذين وسيعوض عليهم الجزء باجزاء .

سمو الروح :

وفى ادراك الفقر من سيما الفقراء درس جد لطيف لسمو الروح الاسلامى وفيه حث عجيب من القرآن على أن لا تنساق كالجهلاء وراء المظاهر وانما نبحث عن الجوهر ، وفيه ترقية بمشاعر العالم الاسلامى فى أمر التفهم والبحث وأن لا يمضى المرء بين قومه كالأعمى لا يقرأ أحوالهم أو لا يتحسس الا مظاهرهم .

فالقرآن يحث أهله على أن يمشى كل مسلم بين قومه متوسما متفرسا ولا ينتظر حتى يفضح الفقر أهله الفقراء أو يفضح الجهل اهله الجهلاء - وكأن الاسلام يدعو مجتمع الناس الى العمل فى عزم صامت على الغاء أى مظهر للفقر فيه حتى اسمه ، ويضمن لمن يخفيه بالتعفف أن يجد فى اخوانه المتوسمين من يعرف فيسد الحاجة من غير أن يسأل ، وفى خفاء .

والمجتمع تتخلق فيه الصفات المتقابلة وتلتقى ، فحين يحدث التوسم والتفرس والبحث عن الفقراء يحدث التعفف منهم والتمنع ، وماالتعفف الا تصنع العفة وادعاؤها حيث يكون جهد معرفتها على المتوسمين . وما داموا سيعرفون الفقراء بالبحث فان التعفف لن يحرم أهله من الحصول على الحاجة فلا داعى لاظهار الفقر لأنه سيعرف بسيما وعلامات .

والحق ان التعفف فى مقابل التوسم مساو لكشف الفقر واعلانه حين انعدام التوسم ، بل

هو أكثر تكشفا وظهورا ، أما اذا عدم المجتمع خلق التوسم فان الفقر حينئذ يعلن عن نفسه مضطرا لأنه لن يجد من يبحث عنـــه ولا ما يعرفه الا الاعلان والسؤال والالحاف فيه .

وكذلك اذا انعدم التوسم أمكن للملحفين فى السؤال أن يخونوا الناس فيجمعوا منهـم أموالا طائلة يخفونها ، وقد فشت هـــذه الفاشية أحيانا كثيرة ، لأن أحدا من المعطلين لا يتوسم ولا يبحث ، ولو كان خلق التوسم موجودا لخاف الملحفون الخيانة واكتفوا بما يسدحاجاتهم منقليل ما يأخذون ، ثم يعفون

وهناك خطوة وراء اضطرار الفقـــراء للالحاف أخطر من الالحاف نفسه وهى التى تحمل معها الحقد والحسد وتخلق الحقدة والحساد ، فكان انعدام التوسم فى أى زمان هو الذى يشيع الشقاء الذى يغبـــر ايامه ويقلق لياليه .

مباذل الجود :

وطالما توفرت فى الأمة الاسـلامية - ولا سيما فى بداية أمرها - طباع الاخـاء وحب البذل . وتسابق الناس على العطاء فاشتهر فيها الأجداد ، حتى لقد عدوا جود كثيرمنهم اسرافا ولكنهم لم يبالوا بمن عذلهـم حين وسخت فيهم العقيدة وأيقنوا ان البـــذل متاجرة لله ليزيدهم فى الرزق والعطاء .

ولكن كثيرا منهـــم اشترط فى السخاء الكثير أن لا يمنح الا لصاحب غرم فادح او حمالة مفظعة (دية كبيرة) أو فقر مدقع . وكان الحسن والحسين لا يعطيان الكثير الا لواحد من هذه الأسباب ، ولما أعطى عبد الله ابن جعفر لغيرهذه الأسباب رمياه باللوم فقال لهما : انى أخاف أن أقبض يدى عن النـاس فيقبض الله عنى .

والأحنف بن قيس وهبه معـاوية أرضا تغل غلة كبيرة غير أنه استبطأ غلتها فرد الأرض لمعاوية وقال‌له : يا أمير المؤمنين ،أريد مالا عاجلا لأشترى به حمدا عاجلا ..

وجعفر بن محمد كسدت تجارته فتصدق ببقية ماله وتاجر الله بالصدقة فأربحه الله - ولم يكن عمل الصادق عنعفو من القصدولكن كان علمـا بالدين وعملا به ، فقـد رأى الله يقول : « ان الذين يتلون كتـاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا ممـا رزقنـاهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » .

فمن ذا الذى لا يرضى أن يكون أسطورا من هذه الأساطير ، حيث لا يرضى أحد لنفسـه ان يكون أضحوكةالناس فى جميع الأزمانببخله
انيكون أضحوكة الناسفى جميع الأزمانببخله
وشحه وأكل‌أنصباء الناس ؟وان دعوة الاسلام للانفاق لتكثروتتعدد وكما يقول جعفربن محمد الصادق : المعروف زكاة النعم والشفاعة زكاة الجاه والعلل زكاة الأبدان والعفو زكاة الظفر وما أديت زكاته فهو مأمون السلب .

ومن حق هذا الكلام أن يكـــون قوانين لا يخرج الناس عنها فان النعم اذا كثرت أو قلت وجب ان تشكر ويتحدث عنها بالبـذل والمعروف حتى تدوم أو تزداد ، والجاه يجب أن لا يكسب التجافى والقسوة والظلم بل يجب أن تصحبه الرحمة والعفو ليدوم بقاؤه ويرفل كساؤه ، والأبدان ان لم تصب بالعلل والآلام لم تنف فضلاتها ولم ترق قلوبها . والعفو ان لم يصحب الانتصار اضمر العـدو المغلوب حقده على الغالب وانتظر فرحة الظفر به . وقد عقب جعفر الصادق على الكلام بالعاقبة اللازمة لطرح الزوائد فحكم بأنها تبقى مأمونة من أن تؤخذ محفوظة من أن تسلب ، وهو جرى على قاعدة صحيحة وقياس على أساس سليم .

وقد جرى هذا مجرى قوله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث » ولا معنى للتحـدث فى هذا الا الاعطاء - ولم أسمع أروع ممـا قاله العلامة الباقورى فى بعض مجالسه برجح هذا الرأى قائلا : ان الله رد ثلاثا على ثلاث : رد قوله فأما اليتيم فلا تقهر على قوله ألم يجدك يتيمافآوى . ورد قوله وأما السائل فلا تنهر على قوله ووجدك ضالا فهدى . ورد قوله وأما بنعمة ربك فحدث على قوله ووجـدك عائلا فأغنى . وهذا النظم والنظام من ترتيب القرآن يوحى بقوة وبيان أن معنى التحدث بالنعمة انما هو البذل وفضل العطاء .

إعجاز القرآن في أصول الأحكام

(٢) تعدد الزوجات

للأستاذ محمود كامل

لقد افترى كثيرون على التنزيل الحكيم ، وقالوا انه ، فى بعض أحكامه لم يتوخ العدل بالمرأة ، بل ظلمها أيما ظلم ، وبغى على آدميتها وجعلها عرضة للمهانة والمذلة ، وضربوا لذلك مثلا من أحكام اباحة الطلاق ، وتعدد الزوجات وقارنوا تلك الاباحة فى شريعة الاسلام بالتحريم الوارد فى الديانة المسيحية التى تنتصف فى اعتبارهم للمرأة وتحلها من نفسها ومن المجتمع محلا كريما .

وحقيقة فان الشريعة الاسلامية تبيح الطلاق ، وتجعله أساسا حقا للرجل يستعمله عندما يجد أن مصلحته أو مصلحة الأسرة تستوجبه ، ويلجأ اليه عند الضرورات التى لا مفر منها ، وفى الوقت الذى يباح فيه الطلاق على هذه الصورة ، عند المصلحة أو الضرورة ، حذر الرجل منه ومن اساءة استعمال حقه فيه ، لأنه أبغض الحلال عند الله ..

وفى مقال نشر فى العدد السابق من هذه المجلة ، تكلمنا على اعجاز القرآن فى الطلاق ، ودللنا على صحة هذا النظر بأن دولا من الدول التى تدين بالمسيحية قد عدلت عن تحريمه ، بعد تقلبات فكرية وتشريعية طال زمانها ، الى تقرير اباحته ، واستقرت على هذه الاباحة بصفة قاطعة ، وليس ذلك فى ذاته سوى اعتراف واقعى بحكمة الشريعة الاسلامية ، التى قررت هذا المبدأ ، تقريرا حاسما ، لا تردد فيه منذ أول نزول القرآن منذ نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

أما عن تعدد الزوجات فالواقع أنه مثل الطلاق ، سواء بسواء ، من حيث اعتباره آية من آيات اعجاز القرآن فى الأحكام ، وأنف المفترين عليه راغم .

والأدلة على ذلك منطقية وواقعية .

فأما الدليل المنطقى ، فلن يكون واضحا فى الأذهان ، باديا للعيان ، مستقرا تماما فى الأفهام ، الا اذا عقدنا مقارنة ، ولو موجزة ، ولكنها فى الوقت نفسه وافية ، بين : مركز المرأة فى نظر الاسلام والشريعة الاسلامية السمحة ، ومركزها فى الجاهلية التى كانت سائدة فى بلاد العرب قبل أن يفىء عليها

الاسلام بظله الظليل ، ثم مركزها فى بعض الأمم القديمة ، وأيضا فى البلاد التى تعتنق المسيحية منذ زمن قديم والى العصر الحديث.

فالمرأة فى الجاهلية لم تكن تعتبر أكثر من متاع يورث ، كما يقول المرحوم الأستاذ العقاد فى عبقرية محمد ، « وتقسم تقسيم السوائم بين الوارثين » ، بل لقد كانت تعتبر « وصمة تدفن فى مهدها فرارا من عار وجودها » أو فرارا من نفقة طعامها ، وكان أهل الجاهلية ، بما هو معروف ، يئدون المرأة كراهة لها وازدراء لشأنها « واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب . ألا ساء ما يحكمون » .

واستكمالا للبحث فى مركز المرأة فى العصور القديمة ، نذكر أن الجاهلية لم تكن هى وحدها التى تنظر الى المرأة هذه النظرة ، وتنزلها هذه المنزلة ، التى يهدر فيها كيانها الآدمى ، وتمحى فيها شخصيتها الانسانية محوا تاما ، وانما كان ذلك على ما يبدو . هو الحال عند الأمم الاخرى ، ومثال ذلك اليونان فلم تكن المرأة عندهم تتمتع بحريتها ولا بشخصيتها ـ كما يقول المرحوم محمد على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » وكذلك الرومان اذ كانوا يعتبرون الزوجة متاعا ، مجرد شىء يملكه الزوج ملكا خالصا هى وما قد يكون لها من مال قبل الزواج ، كما ورد فى مذكرات للمرحوم الأستاذ عبد السلام ذهنى عن القانون الرومانى . وكانت « تباع بواسطة البيع العلنى المعروف ببيع الأشياء النفيسه الى من سيكون له عليها السلطة الزوجية » .. وكان الزواج عندهم « شركة وجود ومصلحة بين الزوجين . وفى هذه الشركة لايتساوى طرفاها فى الحقوق » ، اذ كانت الزوجة تصبح معدومة الأهلية فى اكتساب أموال جديدة . وقد ظلت الأمور جارية على هذا المنوال الى عهد الامبراطورية حيث بدات تلك الأوضاع تستحيل الى ما هو أحسن وأفضل بالنسبة للمرأة .

ونعود للكلام عن المرأة فى الجاهلية .. فقد كان تعدد الزوجات مباحا فيها الى عدد غير محدود وبلا شروط أو قيود .. وكذلك كانت التوراة تبيح التعدد دون تحديد « من محاضرة للاستاذ الشهاوى فى مجلة المحاماة »

وأما عن مركز المرأة فى البلاد التى تعتنق المسيحية منذ زمان قديم . فانها كانت تعتبرها هملا لا يحسب له حساب .. وكان علماء تلك البلاد وفلاسفتها يتجادلون فى أمرها .. هل لها روح أو ليس لها روح .. واذا كان لها روح فهل هى روح انسانية أم حيوانية ..! وعلى فرض أنها ذات روح انسانية .. فهل وضعها الاجتماعى بالنسبة للرجل هو وضع الرقيق أم هو شىء ارفع قليلا من الرقيق ..؟ (من « شبهات حول الاسلام » للاستاذ محمد قطب) .

وأما قبيل العصر الحديث فى أوربا ، فلم تكن المرأة فى منزلة أفضل من منزلتها فى الجاهلية . بل لقد كانوا يضيقون عليها فى العلم ، كما حققه العقاد « ويعتبرون تعلمها سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال ، فلما كانت اليصابات بلاكويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ ، وهى أول طبيبة فى العالم ، كان النسوة يقاطعنها ... احتقارا لها » ، ولما اجتهد بعضهم فى اقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فيلادلفيا الأمريكية اعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد ، وتذكر أيضا « ان عصر الفروسية الذى قيل فيه أنه عصر المرأة الذهبى بين الأمم الأوربية ، وأن الفرسان كانوا يفدون النساء بالدم والمال . فهذا العصر كان كما قال المعاصرون له عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة » .. وقد أقر جول لانجدون دافيز فى كتابه « التاريخ الموجز للنساء » بصحة هذه الاعتبارات .

ويقول « جوستاف ليبون » أيضا فى كتابه عن « حضارة العرب » أن سكان أوربا قد أخذوا من العرب وحدهم الى جانب قوانين الفروسية « الاحترام والتلطف اللذين تفرضهما هذه القوانين عليهم للمرأة فرضا .

واذن فليست المسيحية ـ كما يظن فى الغرب بصورة عامة ـ هى التى رفعت المرأة وانما هو الاسلام » ٠ (من كتاب الاسلام ـ للدكتور محمد غلاب) ٠

والخلاصة هى أن المرأة لم يكن معترفا لها الى ذلك الحين بأية حقوق أدبية ٠ أو اجتماعية أو اقتصادية ، لا ٠٠٠ بل لقدكانت لا يحسب لها حساب فى ميزان الجماعة ٠٠ فهى كانت مطلوبة للجنس والنسل والمتاع فحسب ٠٠

وحتى فى العصر الحديث ذاته ، منذ نيف ومائة سنة ، فان الاحترام الذى قيل أنها اكتسبته لم يكن مستمدا من المسيحية، ولكنه كان مستمدا من الاسلام ، كما يعترف بذلك أحد علمائهم الأعلام ٠

أما الاسلام ٠٠ فماذا كان موقفه من المرأة ـ منذ نزوله ـ منذ نحو أربعة عشر قرنا ٠٠

ويجيبنا على هذا السؤال ، فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ محمود شلتوت بأن الاسلام قد « رفع من شأن المرأة الى درجة لم تكن تحلم بها من قبل ، ولم تصل اليها من بعد فى غير جو الاسلام : جعل لها حقا فى المال كالرجل ٠ ومنحها اذنها شرطا فى صحة زواجها وجعل لها من حقوق الزوجية مثل ما عليها ٠٠ وجعلها ذات مسئولية مستقلة فى العبادات ، والمدنيات ، والجنائيات ، وفى الثواب والعقاب عند الله ٠

« ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » ٠

وهذه العبارة قد شملت ما منحه القرآن للمرأة من حقوق فى جمل قليلة موجزة ٠٠ ولعله من الخير فى معرض هذا الحديث ٠٠ أن نفصل هذا الايجاز بالقدر اللازم لشرح الأغراض التى تتوخاها من الكلام على الاعجاز فى تعدد الزوجات ٠

فالمرأة فى الاسلام لها حقوق سياسية واجتماعية :

ومن حقوقها السياسية ما هو مستمد من قوله تعالى « يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ٠٠ فبايعهن ٠٠ » وحق المبايعة هو بعينه الحق المتعارف فى هذا الزمان على تسميته بحق الانتخاب ٠

كذلك أعطيت المرأة حق التقاضى ٠ وحق الافتاء ، وحق الشهادة ٠

ولها حق ابداء الرأى واعلانه ، والدفاع عن عقيدتها فيما تبديه ٠٠ ومن ذلك أن عائشة ـ رضى الله عنهـا ـ خرجت مؤيدة للزبير فى خلافه مع على بن أبى طالب ٠

ولها حق التوظف والعمل لتكسب قوتها بعرق جبينها ، نزولا على الحديث الشريف « المغزل فى يد المرأة خير من الرمح بيد المجاهد » ٠

وهى ملزمة بأداء ما عليها من ضرائب لولى الأمر ٠٠

وأما حقوقها الاجتماعية فمنها :

حق ملك المال ، بأنواعه ، ومزاولة المهن الحرة ٠٠

وقد سوى الاسلام بينها وبين الرجل فى الشعائر والعبادات ٠

ولها حق طلب العلم والتعلم لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ٠

ثم أن « المرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها و « الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أو ضيع » ٠

ومن أهم ما منحها الاسلام من حقوق ٠٠ حق اختيار زوجها ، فقد ورد فى الحديث « الثيب أحق بنفسها من وليهـا ، والبكر تستأذن فى نفسها واذنها صمتها » ٠

وبالجملة فان الاسلام يكون :

أولا ـ هو الذى انتشل المرأة من وهدتها التى تردت فيها فى الجاهلية وغيرها ، وفى البلاد الأوربية التى قاست فيها الذل والمهانة الى العصر الحديث ٠ وذلك خلاف ما يرجف المرجفون ويتقول المتقولون ضد الاسلام والقرآن ٠٠

ثانيا ـ أنه قد ساوى بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات ٠٠ دون تمييز أو

البقية ص ٥٤

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين

الفصل التاسع

من كلام المرحوم الشيخ محمد عبده في تفسير المنار

الفصل التاسع

من كلام المرحوم الشيخ محمد عبده
فى تفسير المنار (١)

قال : ومن آيات العبر فى هذا المقام أننا نجد فى كلام كثير من علمائنا هدى ونورا ، لو اتبعته الأمة لاستقامت على الطريقة ، وخرجت من مضيق الخلاف والشقاق الى ساحة الوحدة والاتفاق .

الأمراء والسلاطين لهم استعانة بهم على اخضاع العامة ، وقطع طريق الاستقلال العقلى على الأمة .

لأن هذا أعون لهم على الاستبداد ، وأشد تمكينا لهم مما يحبون من الفساد والافساد .

لأن اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا ، بدليل كذا ملزم للحاكم باتباعهم فيه ، لأن الخواص اذا اتحدوا اتبعهم العوام ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكام .

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

والسبب فى بقاء قوة سلطان الخلاف والنزاع هو فشو الجهل ، وتعصب أهل الجاه من العلماء لمذاهبهم التى ينتسبون اليها ، وبجاهها يعيشون ويكرمون ، وتأييد

فالدين يأمر برفع الشقاق والتنازع ، وبالاعتصام بحبل الوحدة ، وهذا هو معنى قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، وقوله سبحانه « ولا تنازعوا فتفشلوا » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدى كفارا . يضرب بعضكم أعناق بعض » . رواه البخارى .

(١) جزء ٢ صفحة ٢٥٤ فى تفسير قوله تعالى : « ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين » .

وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا ، وحارب بعضنا بعضا باسم الدين ، لأننا سلكنا مذاهب متفرقة ، كل فريق يتعصب لمذهبه ويعادى سائر اخوانه المسلمين لأجله ، زاعما أنه بهذا ينصر الدين مع أنه يخذله بتفريق كلمة المسلمين ، هذا سنى يقاتل شيعيا ، وهذا شيعى يحارب أباضيا (١) وهذا شافعى يفرى التتار بحنفى ، وهذا حنفى يقيس الشافعية على الذمية (٢) .

ثم جاء المقلدون من الخلف يحاربون من اتبع طريق السلف .

فهل جاءهم بهذا أمر من الله ورسوله ، أو من الأئمة المجتهدين ؟ كلا ، بل كان التعادى والتنازع عندهم انحرافا عن الطريق المستقيم . واتباعا لخطوات الشيطان .

فكأنهم لم يقرءوا قوله تعالى « ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » وخطوات الشيطان هى كل أمر يخالف سبيل الحق ، والخير ، والمصلحة ، قال تعالى « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » آية ١٥٣ من سورة الأنعام .

فبين سبحانه أن له طريقا واحدة سماها صراطا مستقيما ، لأنها أقرب طريق للحق ، والخير ، كما بين سبحانه أن هناك سبلا ، متعددة ، تبعد من يتبعها عن الطريق المستقيم .

وهذا يدل على أن الذين يتبعون سبيل الله لا يتفرقون ، والذين لا يتبعونه يتفرقون .

قال تعالى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » آية ١٥٩ من سورة الأنعام .

نعم قد يطرأ عليهم سبب الخلاف ، ولكنهم متى شعروا بأن التنازع يدب اليهم لجأوا الى تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم ، خضوعا لقوله تعالى « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » آية ٥٩ من سورة النساء .

---

(١) الأباضية فرقة من الخوارج .

(٢) انظر هذا فى الفصل السابع « آثار الاختلاف » .

وذلك لأن الحق واحد لا يتعدد ، فيجب البحث عنه باخلاص ، وعدم تحيز ، ولا جدال ، حتى اذا ما ظهر الحق اتفقوا عليه . وأغلقوا باب الشيطان .

واذا دقت مسالك بعض الحق على بعض منهم . وجب أن يثابر على البحث والتأمل بشرط أن لا يعادى غيره ممن يخالفه ، ولا يجعل خفاءه عليه سببا لتفريق الكلمة ، بل يعذر كل صاحبه .

الفصل العاشر

ما قاله الغزالى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ فى كتابه الاحياء « الجزء الأول »

قال رحمه الله : يطلب من العلماء عند بحث مسألة أمور .

الأول : أن تكون المناظرة فى المسائل التى يكثر حدوثها ، وتكون واقعة ، أو قريبة الوقوع ، كما كان يفعل كبار الصحابة (١) ، والامام مالك بن أنس رضى الله عنهم .

الثانى : أن تكون المناظرة فى خلوة ، لأنها أجمع للفهم ، وأقرب لصفاء الذهن ، ولأن فى حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعى الرياء ، والحرص على الغلبة ، بالحق أو بالباطل .

الثالث : أن يكون كل طرف من طرفى المناظرة فى طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، فهو يرى فى رفيقه معينا ومساعدا فى الوصول للحق لا خصما ، فلذلك يشكره اذا نبهه لموضع الخطأ ، وأظهر له الحق .

كما لو سلك طريقا خطأ فى طلب ضالته ، فنبهه صاحبه الى أن ضالته سلكت الطريق الآخر فانه يسر به ويشكره .

وهكذا كانت مباحثات الصحابة رضى الله عنهم ، حتى ان امراة ردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونبهته للحق ، وهو على المنبر يخطب الناس ، فقال : أصابت امراة وأخطأ عمر .

وسأل رجل عليا رضى الله عنه عن مسألة فأجابه ، فقال الرجل : أظنها ليست كذلك

---

(١) وسنرى كثيرا من ذلك فيما سيأتى من كلام شراح البخارى .

يا امير المؤمنين ، ولكنى أظنها كذا وكذا ، فقال رضى الله عنه : أصبت أنت ، وأخطأت أنا ، وفوق كل ذى علم عليم .

هكذا كان احترام الحق بينهم ، فتأمل هذا ، وانظر اليوم الى مناظرى زمانك كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان مناظره ، وكيف يجتهد فى مكابرته بأقصى ما يستطيع ، ويبلغ به الغيظ ان يداوم على الطعن فيمن أفحمه طول عمره .

ثم قال الغزالى : وأعلم أن المناظرة لقصد الغلبة ، والتظاهر بالعلم والفضل ، والتشدق عند الناس ، وقصد المباهاة ، هى منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله ، ابليس ، ونسبتها للفواحش الباطنة من الكبر ، والعجب ، والحسد ، وحب الجاه ، وغير ذلك ، كنسبة شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وغير ذلك .

وقد جاء عن بعض السلف انه قال : اذا تعلم الناس العلم ، وتركوا العمل ، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب ، لعنهم الله وأعمى أبصارهم .

ثم قال ومن المطلوب من المفتى أن يكون اعتماده فى علومه على بصيرته ، وادراكه بصفاء قلبه ، لا على الكتب ، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره ، ولا يقلد الا صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما أمر به او قاله .

ويقلد الصحابة من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من النبى صلى الله عليه وسلم .

بشرط ان يكون حريصا على فهم أسرار ما بلغه عن الرسول صلوات الله عليه ، وعن أصحابه ، لأنه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان مجرد وعاء للعلم ، ولا يكون عالما ، ولذا كان يقال : فلان من أوعية العلم لا من العلماء ، فلا يسمى عالما اذا كان همه الحفظ من غير نظر الى أسرار الحكم .

وتأمل جيدا قول ابن عباس رضى الله عنه : مامن عالم الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ابن عباس تعلم من زيد بن ثابت الفقه ، وقرأ على ابى ابن كعب ، ومع ذلك خالفهما فى كثير من مسائل الفقه .

وقال بعض السلف : ما جاءنا من رسول الله قبلناه على الرأس والعين ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال .

واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرض ، فالاعتماد على الكتب أبعد .

ثم قال الغزالى : وقد أصبحنا فى زمان يشتغل علماؤه بدقائق الجدل ، ويزعمون أن ذلك من أعظم القربات ، وقد كان ذلك فى الصدر الأول من المنكرات ، كما علمته ، ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل : ان بعض العلماء تركوا العلم النافع ، وأقبلوا على الغرائب (١) فما أقل العلم فيهم .

وقال مالك بن أنس رحمه الله : لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الغرائب ، ولم يكن العلماء يقولون : هذا حلال وهذا حرام ، ولكن أدركتهم يقولون : هذا مستحب وهذا مكروه .

ومعنى ذلك أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب ، فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا ، أى فلا يحتاج الى بحث ، أو الى سؤال وجواب ، والله أعلم .

الفصل الحادى عشر
ما جاء فى كلام الحافظ بن حجر
المتوفى سنة ٨٥٢ هـ
فى شرحه على البخارى
«مع تعليقات عليه»

بعد ما أورد ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله « دعونى ما تركتكم ، فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » .

قال الحافظ : وروى مسلم عن أبى هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : يأيها الناس ان الله سبحانه قد فرض

(١) سترى توضيح ذلك فيما سيأتى فى كلام الحافظ بن حجر والتعليق عليه .

عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم ولم يجبه ، حتى كررها الرجل ثلاث مرات ، فقال صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم ، ثم قال : دعونى ما تركتكم الى آخر ما تقدم ، وفيه نزلت (يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) .

وروى البخارى أيضا عن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم حوط على قطعة من المسجد بحصير ، وصار يصلى فيها بالليل ، فعلم الناس بذلك ، فصاروا يصلون بصلاته وهم خارج هذه الحجرة من الحصير ، وصاروا يكثرون شيئا فشيئا .

فلما رأى صلى الله عليه وسلم ذلك امتنع عن الخروج من بيته الى المسجد .

ففقد الناس صوته ليلة ، وظنوا أنه قد نام ، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج اليهم ، فخرج اليهم وقال : « لم يخف على ما فعلتم فى الليالى الماضية . وانى خشيت ان واظبت على صلاتى خارج البيت ، وواظبتم أنتم على الصلاة معى أن يفرض عليكم قيام الليل .

ولو فرض عليكم لما استطعتم المواظبة . فصلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فان أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة » يعنى المفروضة وهى الصلوات الخمس .

ومن هذا الحديث الثانى نعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب التيسير على أمته ويكره لهم أن يلتزموا أشياء لم تفرض عليهم ، خوف أن يعجزوا فى النهاية عن القيام بها .

ولهذا السبب نهى صلى الله عليه وسلم عن النذر ، لأن المرء سيلزم نفسه بتكاليف جديدة قد يعجز عنها .

روى مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر ، وقال : انه لا يرد شيئا ، وانما يستخرج به من مال البخيل .

وروى مسلم أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تنذروا فان النذر لا يغنى من القدر شيئا ، وانما يستخرج به من مال البخيل .

وقال الشيخ الخرشى من علماء المالكية : وكره نذر العمل للكرر ، كصيام كل يوم خميس مثلا ، لأن الناذر ربما لا يأتى به الا على كسل ، أو مخافة التفريط فى الوفاء به .

وقال المازرى من المالكية : انما نهى صلى الله عليه وسلم عن النذر لأن الناذر يأتى بالقربة مستثقلا لها لما صارت عليه ضربة لازب ، وكل شخص ملزم بعمل لا ينشط لفعله نشاط الشخص مطلق الاختيار .

وقال الشاطبى فى الاعتصام : انما كره النذر لأنه التزام بعمل فيه مشقة ، وكثرة الأعمال من شأنها فى العادة أن تورث الكلال ، والكراهية ، والانقطاع ، لذلك كان النذر مكروها ، وأنه على خلاف وضع الشريعة من اليسر ، والسهولة ، التى تحببها للقلوب .

قال الحافظ : واستدل العلماء بحديث أبى هريرة عند مسلم على النهى عن كثرة التساؤل ، والتعمق فى المسائل .

قال البغوى فى شرح السنة : المسائل على نوعين أحدهما ما كان على وجه التعلم لما يحتاج اليه من أمر الدين ، فهذا جائز بل مأمور به ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

ومن هذا النوع أسئلة الصحابة عن الأنفال (١) وعن الكلالة (٢) وعن الخمر (٣) وغير ذلك .

وثانيهما ما كان على وجه التعنت ، والتكلف ، وهو المراد فى هذا الحديث .

ويؤيد هذا ما رواه الامام أحمد : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات (٤) .

قال الأوزاعى : ان الله اذا أراد أن يحرم عبده من العلم ألقى على لسانه المغاليط ، ولقد رأيت هؤلاء الناس أقل الناس علما .

(البقية فى صحيفة ٨٧)

---

(١) آية ١ من سورة الأنفال .
(٢) آية ١٧٦ من سورة النساء
(٣) آية ٢١٩ من سورة البقرة
(٤) فسرها الأوزاعى بأنها صعاب المسائل .

العيد

الأستاذ حسن الشيخة

لى فى كل عام كلمة فى هذا العيد الحولى ، الذى يرينا وجهه النضير بعد اداء فريضة الصوم ، والصوم والعيد متجانسان فى أصول أغراضهما ، فالصوم اذا أدى على وجهه الصحيح كما رسمت الشريعة الغراء ـ فيه حياة روحية لا يحس بها الا الصائمون حقا وصدقا ، ومن مقتضيات الحياة الفاضلة الروحية ـ الاحسان الذى يندفع اليه الصائم من تلقاء نفسه ، كأن يحسن الى الفقراء بالصدقة الجارية ، التى ليس لها فى الأيام وقت ولا أوان ، وكأن يجود عليهم من فضل مارزقه الله فى اطعام أقربهم اليه قرابة أو جوارا ، كلما أذن مؤذن الافطار وقت الغروب .

أما وجه التجانس فى العيد مع الصوم فهو اخراج الصدقات الشرعية ، بل الزيادة عليها بالرغبة ، وبدوافع الانسانية المهذبة ، ما دام مخرج الزكاة قادرا ، ولقد شهدت هذه الزيادة بنفسى عند الصالحين من عباد الله ، القادرين على تجاوز الحد الذى قررته الشريعة .

ان أول ما يرف بجناحيه عند التحدث عن العيد هو الزكاة ، لانه عيد الزكوات والصدقات ، ولقد صورت فى كلماتى فى الأعوام الماضية بهذه المجلة الحفية بالشرعيات .

وبكل طيب من القول ـ هذه الزكاة ، لا بمقاديرها المعروفة من الكيل والميزان ، أو النقود ، لأن ذلك شىء معروف لا يجهله أحد من القادرين على اخراجها ، ولكنى صورتها بآثارها الطيبة فى المجتمع الاسلامى ، الذى يحوى القادرين والمحتاجين ، وما كان لذلك من أثر فى التراحم والتعاطف الانسانى ، فماذا أكتب اليوم بعد ذلك من جديد فى العيد ، اننى لو كررت ما قلت فى الأعياد الماضية لكنت معيدا وليس فى هذه الاعادة كبير فائدة ، والأعياد فيها جديد من القول ، تأتى به الظروف والأحوال والعادات المتغيرة ، أو المتنقلة بالتعبير الأصح .

نحن الآن فى أوقات نهضة عربية ، وأرى من الحتم على من يكتبون فى العيد أن يجعلوا هذه النهضة أمام بصائرهم وهم يكتبون ، وأمام قلوبهم وهم يسطرون .

ان المعانى الصغيرة فى العيد كتغيير الثياب ، وأكل ما يستطاب ، والراحة من كد العمل ونصب الحياة هى معان لا تفارق أى عيد من الأعياد ، لأنها عادات موروثة لا تنسى ، ولا يوجد عنها محيص ، حتى الفقراء من الناس ، انهم يحاولون أن يحاكوا فيها القادرين عليها ولو أقل محاكاة ، ولكن هناك معان أكبر ، وتفكيرا أوسع ، وجديد لا يغفل شأنه ، هو واجبات النهوض الجديد ـ كما أسلفت ـ ، هو واجبات هذه الحركات المباركات فى العروبة والاسلام ، وفى الوطن العربى الكبير ، هو اشعار الملأ بأن فى الشعوب قوة تغير وجه الأيام ، ومنها أيام الأعياد ، التى تعرض فيها جمال نظامها الاجتماعى ، وكيانها التاريخى كأمة كبرى لها على الدنيا ذكر ، ولها فى سوالف الأيام تاريخ ، فيكون يوم العيد هو يوم الشعور الواحد فى نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ، وكأن الشعور واحد لا يتعدد ، واللسان الناطق واحد ، لاتجد ألسنة غيره ناطقة بما يتضارب بعضه ببعض ، لأنها ان وجدت كانت بلبلة ألسنة ، واضطراب أفكار .

ليس العيد الا تعليم من يستظلون برايته كيف يتسع روح الجوار ويمتد ، حتى يصير البلد العظيم ، كأنه لأهله دار واحدة ، يتحقق فيها الاخاء بمعناه العملى ، فتظهر فضيلة الاخلاص للجميع ويهدى القوم بعضهم الى بعض هدايا القلوب المخلصة المتحابة واظهار الذاتية القوية ، والشخصية الوثابة ، لأن الأمم الضعيفة لا ذاتية لها ، والشعوب المحكومة بغيرها لا نشاط لها ، والنفوس الهامدة لا بقاء لها ، اذن العيد حقا هو صوت القوة ، تهتف بالأمة ان عيدك وأفراحك هو يوم النصر المبين .

وكذلك من خصائص العيد العتيد ـ ابراز الكتلة الاجتماعية ، متميزه بطابعها الشعبى الذى يميزها عما عداها ، مفصولة من الأجانب عنها لابسة من عمل أيديها ومن صناعتها ، لا مربوطة بعجلة غيرها فى التصنيع ، وهى بهذه المثابة من الاستقلال الصناعى ـ تعلن فى يوم عيدها استقلالين ، استقلال الوجود ، واستقلال الصناعة ، ظاهرة بقوتين ، ايمانها ، وطبيعتها الصناعية ، مبتهجة بفرحتين ، فرح فى دارها ، وفرح فى أسواقها

وكذلك العيد هو تعليم الأمة كيف توجه بقوتها حركة الزمن الى الشئون الكبرى فى حياة الأمم والشعوب ، فتجعل للأوطان عيدا ماليا اقتصاديا ، تداعب فيه الدراهم والدنانير بعضها بعضا ، كما تجعل لصناعتها وزراعتها عيدا كما قدمت ، كما تجعل للعلم والفن عيدا كما هو واقع الآن عندنا كل عام ، وبالجملة تنشىء لنفسها أياما معدودات تكون متميزة فيها ببياض غرتها ، وحسن طلعتها .

هذه هى المعانى الجديدة التى رأيت أن أبسطها فى هذا العيد المتجدد على المسلمين كل عام ، والعيد ميراث حولى ، يجب أن نوزعه فى كل عام توزيعا جديدا ، بما يقع فى العام من مستحدثات لم تكن من قبله ، وبما يستجد من أحوال زمننا ، والزمن دائرة تدور أبدا ، فان كان يدور على أمة ضعيفة فهى هى دورته بالنحس : لا تغيير لها ، ولا تبديل ، وان كان يدور على أمة حية فانها متنقلة من حسن الى أحسن ، كلما تقدمت بها الأيام ، وامتد الأجل .

أرى أن أختم كلمتى ببعض ما ورد فى حق الصدقة من آيات القرآن ، ومن الأحاديث ، لاننا فى عيد الصدقة والاحسان ، واذا أطلقت كلمة الزكاة فانها تنصرف الى زكاة المال خاصة ، وتسمية صدقة عيد الفطر بالزكاة هو من باب تشبيه صدقة الفطر بزكاة المال ، من حيث أنه يزيد فى مال المعطى وينميه ، وقد استعمل الامام الغزالى عما يعطى فى هذا العيد التعبير بصدقة الفطر ، وسواء أكانت زكاة أم صدقة فان لها ثوابها وجزاؤها ، وانما هو تفريق لفظى جر اليه ان الزكاة من أركان الاسلام ، أى زكاة المال .

كلمات الصدقة ، والصدقات ، والمصدقين ـ جاءت بكثرة فى القرآن الكريم ، مثل :

١ ـ ففدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك
٢ ـ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى
٣ ـ ان تبدوا الصدقات فنعما هى
٤ ـ يمحق الله الربا ويربى الصدقات
٥ ـ ان المصدقين والمصدقات ، واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم .
٦ ـ ان الله يجزى المتصدقين

أما الأحاديث فكثيرة أيضا . مثل :

١ ـ ردوا صدقة البلاء ولو بمثل الطائر من طعام
٢ ـ ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان فى حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة .
٣ ـ تداركوا الهموم والغموم بالصدقات

هذه الآيات ، وهذه الأحاديث هى قطرة من البحر الذى جاءت به الشريعة المحمدية فى الحث على التراحم ، والتناصف ، وأولها صدقة عيد الفطر التى أجرى عليها بعض أئمة الاسلام حكم الوجوب .

الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للتقنين

الأستاذ المستشار
عبد الحليم الجندى

(إنشاء لجنة مختصة ذات برنامج)

١ ـ تتراءى آثار الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية فى كل حياتها لكن أثرها فى المجتمع العربى أوضح .. انها صنعت المجتمع العربى ـ بتمامه ـ على يديها فشكلته تشكيله الكامل . سواء فى شبه الجزيرة العربية أو فى أى مكان نطق باللغة العربية . والسبب واضح . هو أن العربية لغة القرآن ، والقرآن هو المعجزة ، ولهذا نفذت المعجزة قوية الى ضمائر الناطقين بلغتها ، فاهتدوا بهداها وتناقلوها ورتلوها ، جيلا بعد جيل ، وزادتها القرون عمقا فى ضمائرهم ، وتطبيقا فى واقع حياتهم فسيطرت على مجتمعاتهم سيطرة قاهرة فلم تقتصر مجتمعاتهم على تطبيق أصول الدين ـ ونظم الأسرة والميراث والعقيدة ولكنها تعدتها الى مبادىء الشريعة الاسلامية فى جملتها ، وتفصيلاتها ، أربعة عشر قرنا من الزمان . فاذا المجتمع العربى مجتمع اشتراكى متكامل فى قواعد القانون وقواعد الاجتماع ، وقواعد الديمقراطية ، وقواعد الاقتصاد ، حتى لينادى « شوقى » الرسول العربى بقوله :

الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء

٢ ـ فالشريعة الاسلامية تقيم المجتمع الاسلامى أولا على العمل . فالنبى عمل ، وكان ينادى بالعمل ، وتقيمه على العلم فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وتقيمه على التخطيط فى الصناعات والحرف وتجعله فرضا على الأمة وعلى وجوب المجاهرة بالرأى ، وعلى التضامن الاجتماعى ـ أى العدالة الاجتماعية ـ الى أبعد حد ، والعدل هو أساس الحكم ـ والعمل ، والعمل العلمى ، والتخطيط طريق الكفاية .

أما الشورى ، والبيعة والأمر بالمعروف والمجاهرة بالرأى واختيار الحكام فأسس الديمقراطية السياسية فى الاسلام .

واما العدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى والعدالة .. فهى طريق العدل . وهذان هما جناحا الاشتراكية العربية فى الميثاق واسس الديمقراطية الاجتماعية .

من أجل ذلك كان طبيعيا ان يقيم الميثاق الاشتراكية العربية على أساس العدالة الاجتماعية ليصلح المجتمع العربى فى آخره بما صلح به أوله ، وبهذا دخل الناس فى الاشتراكية العربية بمثل ما يقبلون على الأخذ بأسباب دينهم التى سودتهم فى العالمين .

وكان طبيعيا ان ينتقل الميثاق من الأساس الروحى للمجتمع وهو القيم الدينية التى تعمل عملها فى أعماقه ، كالماء يجرى تحت جذور الشجر الى الأساس القانونى الذى يسقى من الماء وهو الجذور نفسها ، أى القواعد القانونية التى تتميز بها الشريعة الاسلامية وينبنى على أصولها فروع الفكر القانونى كله ٠ فى مراعاة المصلحة وتغليب الفكرة الجماعية ، وسلوك سبيل التيسير فى العبادات والمعاملات ، وحرية الاجتهاد ، وفتح الأبواب للتطور اى الانفتاح نحو المستقبل ٠

ولهذا دعا الميثاق كما عبر تقريره الى كشف حقائق الدين و (تجلية جوهر رسالته لكى تكون قيمه الروحية الخالدة أساسا لقيم المجتمع الجديد ٠ ولكى تكون الشريعة الغراء مصدرا أساسيا للتقنين)

٣ ـ نص الميثاق فى الباب السابع على (ان سيادة القانون تتطلب منا الآن تطويرا واعيا لنصوصه بحيث تعبر عن القيم الجديدة فى مجتمعنا ٠ ان كثيرا من المواد التى مازالت تحكم علاقاتنا الاجتماعية قد جرت صياغتها فى جو اجتماعى مختلف ٠ أن أول ما يعززه سلطان القانون هو أن يستمد حدوده من اوضاع المجتمع المتطورة أن القانون ايضا هو فى حد ذاته صورة من صور الحرية لابد ان يسايرها فى اندفاعها الى التقدم ٠ ولا يجب ان تكون مواده نصوصا تصد القيم الجديدة فى حياتنا ٠ ان الطريق قد أصبح مفتوحا من غير حواجز ولا عوائق)

وفى الباب ذاته يقول الميثاق أن (٠٠جميع الأديان ذات رسالات تقدمية ٠٠ ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية ... ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ٠٠ ان الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة) ٠

ومن قبل ذلك ، وفى باب جذور النضال المصرى يقول الميثاق (وفى اطار التاريخ الاسلامى وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية)

هذه النصوص الثلاثة من الميثاق تنتج أمورا ثلاثة :

أولها : أن علينا اليوم أن نطور القانون الحالى تطويرا يستجيب للقيم الجديدة منذ كان القانون الحالى وليد مجتمع قد تغير ، ومرآة لعصر غير هذا العصر ، فعصرنا الحالى عصر الميثاق ، أى عصر الاشتراكية بدعامتيها من الكفاية للناس والعدل فى توزيع ثمرات جهادهم اما العصر السابق فعصر المشروع الفردى ، الذى يتيح الفرصة للبعض دون البعض الآخر ، فيزيد السابقين سبقا ويزيد المتأخرين تأخرا ٠ والعصر السابق عصر الغنى بلا حدود والفقر بلا حدود ، حيث لاتخطيط للاقتصاد العام ، ولا توجيه للنشاط الفردى ، ولا تحديد لاحتمالات الغنم والاستعلاء ، ولا للاحتكار ولا للسيطرة ـ فاذا لم يتغير قانون ذلك العصر ليوائم حاجات عصر الميثاق تبثت بين القانون وبين مجتمعنا ، لأنه لم يعد مجتمعه ٠

ويوم ينقطع التواصل بين القانون وبين المجتمع يمسى القانون سدا عاليا فى وجه القيم الجديدة ويومئذ يفقد القانون سيادته ٠٠

والأمر الثانى : هو ان الميثاق الذى وضع أساس الاشتراكية العربية ، قد أكد استمساكه بالدين ، فكان ميثاق قوم مؤمنين ، فوق انهم احرار ٠٠ وكانت الحرية الاجتماعية ، الحرية السياسية دعامته الأولى ، منذ كانت السماء لاتعرف الناس الا احرارا متساوين ، تتكافأ الفرص أمامهم فى الأرض كما هى متكافئة فى السماء ٠

والأمر الثالث : هو تخصيص الاسلام بين الديانات كمصدر وأساس لقيام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة ٠

فلئن كان اجدادنا الفراعنة أو مصر الفرعونية قد شهدت مولد الحضارة الانسانية بين أحضان وادى النيل ، ان آباءنا العرب أو مصر الاسلامية قد حملت الحضارة الاسلامية الى المشرق والمغرب على الف جناح ، اكثر من الف وثلثمائة عام ٠٠٠ بالقوة العسكرية ، وبالقوة الفكرية ٠٠٠ فابقت فى ظلمات العصور

الوسطى مصابيح الحضارة حيث لم يكن مصابيح سواها ٠

وفى ذات يوم حمت مصر الشرق من الغرب فى شمالها الشرقى سنة ١٢٥٠ ولم تكد تمضى عشر سنين حتى حمت الشرق من الغرب فى عين جالوت سنة ١٢٥٨ ، لكأنما كان فى يدها ميزان كثرة الأرض ٠٠ أجل كانت فى يدها وحدها القوة العسكرية ، والقوة الفكرية — من موقعها الجغرافى ، وموقفها التاريخى ، ومن حضارتها ٠

فالميثاق يسود حقائق التاريخ المصرى ، فتجرى على لسانه مفاخر هذه الامة ٠

٣ — جرى تقرير الميثاق مجراه يحث الخطى لتنفيذه ، ويرسم المناهج لتطبيقه فنص —١— على (ان كثيرا من مواد القانون التى مازالت تحكم علاقاتنا الاجتماعية حتى الآن قد جرت صياغتها على ضوء مفاهيم وقيم أسقطها العمل الثورى التقدمى ٠ ولما كان الاساس فى دعم سلطان القانون هو ان يستمد التشريع حدوده وضوابطه من أوضاع المجتمع المتطورة فقد اصبح محتما الآن أن تعاد صياغة النظرية العامة للقانون ، وان تعاد صياغة التشريعات واللوائح القائمة بما يسمح لها ان تلاحق المفاهيم الثورية الجديدة ٠

ونص — ٢ — على (ان لاشتراكيتنا العربية خصائصها المتميزة ، وعلى ذلك لايصح اطلاقا ان نفسرها فى ضوء أى مذهب اشتراكى آخر ان علينا أن نحمى اشتراكيتنا العربية من أن يستغلها البعض فينحرف بمفاهيمها الى مفاهيم مذهبية غريبة عنها ٠ ان على القيادات الشعبية والفكرية ، وعلى أجهزة الدولة أن تقوم بحماية اشتراكيتنا من مثل هذه الانحرافات التى يعمل لها الانتهازيون والعملاء)

ونص — ٣ — أولا (أن الحرص الذى جعل دستور سنة ١٩٥٦ ينص على ان دين الدولة الرسمى هو الاسلام وان لغتها هى اللغة العربية هو الحرص نفسه الذى قدر للدين كل اهميته وقيمته فى الميثاق)

ثانيا : (٠٠ ومن هنا يجب علينا فى مجتمعنا الجديد ان نعنى بكشف حقيقة الدين وتجلية جوهر رسالته لكى تكون قيمته الروحية الخالدة أساسا لقيم المجتمع الجديد ، ولكى تكون الشريعة الغراء مصدرا اساسيا للتقنين)

الحق ان الميثاق وتقريره فيما انتهى اليه كان وليد مجتمعه ٠ وكان بليغ الدلالة على تضامن الحاضر مع الماضى فى صياغة المستقبل ، واننا فى خطونا ، لانغفل ولا نهمل ٠ وان الاصوات التى تتعالى بالحق فى أى حقبة من التاريخ لاتضيع ٠

لقد سكبت الحضارة الاسلامية فى المجتمع العربى روحه ، وقوته الدافعة ٠ من رابطة الاسرة القوية كل القوة ، الى حرية التفكير والتعبير الواجبة وجوبا ، الى التعاون ، الى العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص الى المساواة بين الناس من كل الاجناس الى تغليب مصلحة الجماعة على مصالح الافراد ، الى فرض العمل فرضا ليبلغ الناس حدود الكفاية الى فرض التعليم والتعليم الى التخطيط فى العلم وفى الصناعة ، وتبلورت هذه الاسباب الاجتماعية اساليب تشريعية ، فكان الاسلام شريعة تطور وانفتاح نحو المستقبل ، وشريعة تيسير ، وأخذ بالمصلحة ، وتقييد للملكية الفردية وفرض الفروض على الأفراد مهما بلغت للمصلحة العامة وكان شريعة السلام الايجابى ، ونظام الشورى ، والبيعة التى يقوم بها الشعب — وكانت العدالة المطلقة ، الكاملة ، قاعدة قواعده حتى غدت صفة من صفات الله جل ثناؤه — واسما من اسمائه ٠

ذلك قول الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٤ (ونقف نحن العرب والمسلمين فى هذا الجانب من العالم نشهد الصراع يدور بين هذه المذاهب المادية والمبتدعه ونرقب المعارك الناشبة بين بعض الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب فنعجب أشد العجب ٠٠٠ لان مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة فى أوربا منذ قرنين أو منذ قرون قد وجدت الحل الصحيح فى بلادنا منذ الف وثلثمائة سنة منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو الى الأخوة الانسانية ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الأخوى والايثار على النفس

فى سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد ولا اذلال ولا انكار لذاتيته (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)

فليكتف المفكرون بما بذلوا من جهد . ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى - لمشكلة الفرد والمجتمع .. أن عندنا الحل . الحل الأول . الذى نزل به الوحى على نبينا منذ الف وثلثمائة سنة .. هو الحل الأخير لمشكلة الانسانية .)

التشريعات العربية والشريعة

٥ - وما دام المجتمع العربى وليد العقيدة الاسلامية ، فقد أصبح قانونه الطبيعى هو القانون الذى انتجه . والذى ازدهرت حضارته وبقيت على أساسه أربعة عشر قرنا منها عشرة قرون تفرد فيها بحمل اعلام الحضارة بين أمم الأرض وقد استمر الحال كذلك فى مصر منذ نشأ الاسلام حتى أواخر القرن السابق وفى اكثر البلاد العربية حتى القرن الحالى ، وما يزال الحال كذلك فى بعض منها .

بل انه عندما اريد ادخال قانون نابليون الى مصر جرت بعض الدراسات للمزاوجه بين نصوصه وأحكام الشريعة ، حتى اذا همت مصر بتعديل قانونها قبيل منتصف القرن جدت جماعة من مستشارى محكمة النقض ورجال الفقه للعمل على اتخاذ الشريعة اساسا للقانون الجديد ، فكان انصار القانون الجديد يروجون له بانه يعتمد بعض الاعتماد على الشريعة .. ولم يقدر أحد ان يذهب الى قول يفصل بين المبادىء الاسلامية وبين القانون الجديد ، بل ان القانون الجديد نفسه - بعد تعديله - نص على اعتبار الشريعة مصدرا للتقنين اذا لم يوجد نص يمكن تطبيقه من القانون الجديد .

٦ - وفى الفترة ذاتها وضعت قوانين سوريا ، وليبيا ، والعراق ، فاتجهت جميعا الى القانون العربى الموحد ، وصاغت قوانينها المدنية صياغة الزمتها بها ظروف الساعة ، لكنها اتجهت - بجمعها - كذلك الى الشريعة الاسلامية تهيب بأهل الفقه ان يتدارسوها ليجعلوها أساس التشريع العربى الواحد وكانما لسان حالها يقول عن مسألة التشريع ما سيقوله الرئيس جمال عبد الناصر فى سنة ١٩٥٤ عن العدالة الاجتماعية بعد بضعة أعوام (ان الحل الأول . هو الحل الأخير ..)

خذ مثلا قول لائحة القانون المدنى العراقى سنة ١٩٥١ .

(وقد روى ان يكون المشروع مثالا لما ينبغى أن يكون عليه التقنين المدنى فى البلاد العربية فجعل مزاجا متآلفا يجمع بين قواعد نقلت من الشريعة الاسلامية وقواعد نقلت من التقنينات الغربية ، وهو بتكوينه هذا بحكم التنسيق بين هذين المصدرين ينفسح لمواجهة أوضاع التطور الحديثه ويستحث الجهود لدراسة الفقه الاسلامى دراسة مقارنة ترده الى ربيع حياته وتمكنه من مسايرة هذه الاوضاع ومتى تم احياء الفقه الاسلامى على النحو المتقدم مهد السبيل للقانون المدنى العربى .

فما من شك فى أن هذا الفقه يصبح مصدرا يفيض بالحياة والحركة . هذا التقنين وان كان مجرد أمنية تجيش بها النفوس فى الوقت الحاضر الا أن المشروع يهيىء لتحقيق هذه الأمنية خير الوسائل .)

أما المذكرة الايضاحية للمرسوم التشريعى الصادر بالقانون المدنى السورى فى سنة ١٩٤٩ فتقول (ان اقتباس المشروع السورى من القانون المصرى يحقق مقصدا من أجل المقاصد التى يقصد اليها العرب فى هذا العصر وهو توحيد التشريع بين البلاد العربية . وهو أول خطوة لاقامة الوحدة القانونية بين الاقطار العربية .

وفى العام التالى صدر الدستور السورى فى سنة ١٩٥٠ يقول فى مادته الثالثة .

١ - دين رئيس الجمهورية الاسلام .

٢ - الفقه الاسلامى هو المصدر الرئيسى للتشريع .

أما دستور دولة الكويت فيقول :

مادة ٢ - دين الدولة الاسلام . والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع .

مادة ١٢ - تصون الدولة التراث الاسلامى والعربى .

ونص القانون المدنى الليبى فى المادة الاولى

على اعتبار الشريعة المصدر الذى يلجأ اليه القاضى اذا لم يجد نصا فى قانونه .

٧ ـ الشريعة الاسلامية اذن ، مطلوب رسميا وتشريعيا ، ان تكون مصدرا اساسيا للتشريع ، مطلوب بالميثاق تجلية مبادئها ليكون فقهها اساسا للتشريع .

وبعد أن كان ذلك محل خلاف فى سنة ١٩٤٨ بمصر وكان مجرد أمنية فى كل بلاد العالم أصبح فى قلب الأمة العربية (الجمهورية العربية المتحدة) فريضة ميثاقية تفوق النصوص الدستورية والقانونية فى مكانتها بمثل ما يعلو الميثاق على ماعداه ، باعتباره أساس المجتمع .

٨ ـ وليس أشكل ولا أمثل من الفترة الراهنة من حياة الامة العربية للقيام بهذا العمل الذى لاتتناسب سهولة القيام به مع عظمته التاريخية باحيائه لأكبر مقومات المجتمع العربى ، ولا مع آثاره الضخمة فى تسديد خطوات هذا المجتمع الى آفاق المستقبل الموعود كمثل ما سددتها هذه الشريعة فى ظلمات العصور التى عبرت والتى سودتها على العالم المعمور وستسودها مبادئها ذاتها فى العالم المعاصر . لما تمتاز به من خصائص التفكير المتطور مع حاجات كل عصر ، ومن تغليب مصلحة الجماعة ، ومن قيامها على أسس الكفاية والعدل ، وسلطة الشعب كما هو معروف لدى كل ذى علم بحقائق الشريعة الاسلامية .

وهذه الفترة من تاريخ الأمة العربية أولى الفترات فى تاريخها بهذا العمل اللازم :

أولا : لان المجتمع العربى يعيد صياغة قوانينه .. وصياغتها صياغة اشتراكية .

ثانيا : لان قواعد الشريعة هى قواعد العدالة الاجتماعية فهى اقدر نظام قانونى على المناقشة فى اى مجتمع عصرى . وليس مثلها فرع من فروع المعرفة أو الحضارة لايشق له غبار .. ومازالت قوانين انجلترا وفرنسا اقل من مستواها ثبوتا على التطور ، واتساعا فى التطبيق واقتدارا على الامتحان .

ثالثا : لان هذا عصر الاقتدار على التنفيذ ... وكل دارس للتاريخ يدرك هذه الحقيقة الى جوار الفرصة المتاحة بوجود الزعيم الذى تسيطر العقيدة الاسلامية على مثله العالية (الرئيس جمال عبد الناصر)

ولن تكون نغمة أعذب فى مسامع الأمة العربية ولا دعوة أقرب الى هواها فى اقطارها الشتى فى الشرق والغرب من نغمة الشريعة الاسلامية ودعوة القانون الموحد .

ان اللغة العربية ، هى لغة القرآن . لم تصنع لرفع كلمة الأمة العربية ولا فى صياغة المجتمع العربى أو فى سيادة الاسلام بعض ما صنعته الشريعة .

٩ ـ على ان تجلية مبادىء الشريعة لاتخاذها مصدرا اساسيا للتقنين حقيقى باعداد العدة لها من الرجال . ومن الزمن ، ومن التعاون الفكرى ، والدراسى ، لاستخراج النفائس الفقهية ونشرها فى الناس وفى رجال القانون

لقد كان خليقا بكل مشتغل بالفقه الاسلامى يوم صدور الميثاق فى سنة ١٩٦٢ أن يأخذ باسباب هذا المجد المتاح لجيلنا دون ان نبدد ثلاثين شهرا من العمر كانت وحدها اجلا صالحا لاداء عمل نافع .

ولئن جاء الميثاق بنظرية اجتماعية جديدة للمجتمع هى النظرية الاشتراكية ودعا بصياغة نظرية قانونية جديدة له أوضح كل معالمها ، وهى النظرية الاشتراكية . فقد أصبح حتما لزاما علينا ان نبادر من فورنا بصياغة النظرية القانونية الجديدة ، بعد اذ وضحت كل معالمها بالنسبة للملكية وقواعد الالتزام ، والاثبات والعقود ، والمسئولية وغيرها من عناصر النظرية القانونية .

وان علينا الا نضيع الوقت سرابا ، أى علينا ان نضع النظرية الميثاقية موضع التقنين فى القانون فى هذا العام ان أمكن ، فى حين نأخذ بأسباب الدراسة الشرعية لننشر اضواءها دائما للمشرعين كى يفيدوا منها فيما بعد .

(انشاء لجنة مختصة ذات برنامج)

١٠ ـ من أجل ذلك أصبح واجبا على المختصين والقادرين من رجال الشرع والقانون ان يتحملوا تبعاتهم فى هذا المضمار متعاونين مع جهة مختصة قادرة على تزويدهم باداة البحث ووسائل انجاحه .

وتستطيع هذه الجهة ان تؤلف لجنة أو لجانا للدراسات الشرعية تحدد لها هدفها ومنهاجها ، ومدة عملها ، تنشر فيها ما يكمل لديها على الناس فى الجمهورية العربية ،والامة العربية ، والشعوب الاسلامية وتقدمه أولافأول للجهة التى تشرف على عملها ٠

أما انشاء اللجنة فيكون بقرار جمهورى يحدد اعضاءها من رجال القانون من الجامعة الأزهرية والجامعات الاخرى ٠ ويكون لها ان تضم اليها من يعاونها فى مصر أو فى الخارج من أى جهة ٠ وان تنتفع بمكتبات الجامعات بالجمهورية العربية أو ـ بالمكتبات فى الخارج ٠

١١ ـ وأما هدفها ، فلا خلاف فى أنه نشر التراث الفقهى الاسلامى فى أضواء روح العصر لتنتفع به الأمة العربية قاطبه ـ والامم الاسلامية معها ـ فى حاضرها ومستقبلها ٠ سواء أكان ذلك فى تشريعاتها التى تعمل على تضمينها قوانين مجتمعها الاشتراكى أو فى تعميم الثقافة الاجتماعية والدينية والقانونية على الاطلاق ٠

١٢ ـ وأما المنهاج فيمكن أن ينص فيه على البدء بأصول الشريعة ، وأغراضها فى مصادرها من الكتاب والسنة ، ومن المذاهب والمصادر المختلفة ثم الاستطراد الى الفروع من الكتب الفقهية فى القرون الثلاثة عشر التى دون فيها الفقه ٠ على ان يتناول البحث شئون المجتمع كافة ، من الشئون الدولية الى شئون الاسرة، الى شئون المعاملات الى شئون الحكم ، وعلى ان تنشر نتائج البحث على الناس فى عبارات مألوفة للمثقفين مفهومة لطلاب المعرفة ، من الميسور ترجمتها الى اللغات الأخرى ٠

١٣ ـ واما المدة ، فمدتان ٠

الأولى ـ قصيرة نسبيا كأن تكون عامين ، وتختص بدراسات فى أصول الشريعة واغراضها فى خلق مجتمع عربى سليم ، قادر على تحديات العصر ، قائم على العدالة الاجتماعية والمساواة الفطرية ، والحرية الشخصية والحرية الاجتماعية وفرض العمل على كل الناس وفريضة العلم على كل مسلم ومسلمة وعلى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ٠

والثانية : تكون مدة غير قصيرة نسبيا ٠ فلا تزيد عن خمس سنين بما فيها المدة الاولى ٠ تستخرج فيها من تفريعات الأئمة والفقهاء ، ومن المراجع فى شتى المذاهب تفاصيل علمية وقانونية تتضمن جماع الرأى فى كل مسألة ٠

وعندما يتم للجنة عملها سيفاخر هذا الجيل ـ لا بأنه احيا دراسات الفقه الاسلامى فان هذه الدراسات لم تمت يوما واحدا ولن تموت ٠٠ وانما ستكون مفخرتهم انهم نشروها فى أضواء العصر ليطاولوا بها فقه العالم الغربى وتشريعاته ٠٠ ذلك العالم الذى لا يشعر بضآلته بالنسبة لنا الا فى باب التشريع ولا يحس بمخاطر الروح الفردية والانانية المسيطرة على مجتمعاته والتى تهدد بنيانه من اعماقه قدر ما يحسها الآن ٠

بقية ((تعدد الزوجات))

استثناء ٠٠ اللهم الا فى بعض المواطن التى تستلزم التفرقة وتستوجبها بسبب طبيعة كل من الجنسين التى فطر عليها ٠

والنتيجة المنطقية لما ثبت من موقف **الاسلام بالنسبة للمرأة على ما تبين من هذه** المقارنة .. تلك النتيجة ما هى ؟

هى أن الاسلام ، وقد فعل ما فعل فى سبيل المرأة ، يستحيل أن يكون من أهدافه التشريعية أن يتعسف معها أو يقسو عليها ، بأن يشرع تعدد الزوجات قصد الاساءة اليها، مهما يكن نوع تلك الاساءة ، والا فانه يكون متناقضا مع نفسه ٠ يعطى ثم يأخذ فى وقت واحد ٠

فالواقع اذن أنه اذا استن مبدأ تعدد الزوجات ، فقد قصد تحقيق مصلحة للمرأة والرجل والمجتمع أيضا ٠

واذ انتهينا من الدليل المنطقى ، نقدم الدليل المادى الواقعى مستمدا « أولا » من تفسير الاحصاءات الرسمية لتعداد السكان فى الدول المختلفة ٠٠ فى بعض السنين ، التى أمكن الحصول على تعدادها ٠٠ و « ثانيا » مما يقع فى الحياة بحكم طبيعتها من ظروف وملابسات ، يستحيل ، أو على أقل القليل ، يتعذر ، تفاديها وتجنب أضرارها والنجاة من المآزق التى توقعنا فيها الا بالالتجاء الى نظام تعدد الزوجات ٠

وموعدنا المقال التالى ان شاء الله ٠

مقارنة الأديان -٣-

اليهودية

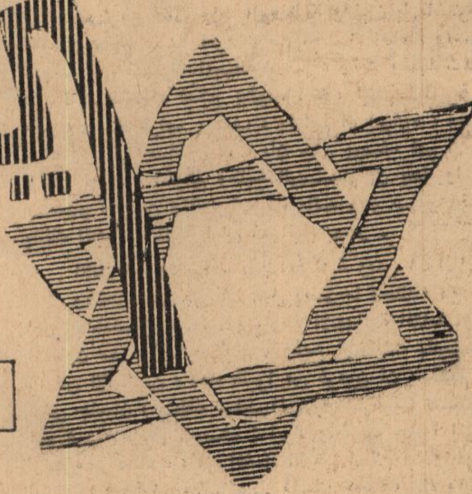

الدكتور أحمد شلبي

مقدمة

فى المقال الأول تحدثنـا عن المنطقة التى ستدور حولها هذه الدراسة ووصفناها وبينا مساحتها وثراءها واهمية موقعها بين الدول العربية بخاصة ودول العالم بوجه عام . كما تحدثنا عن سكان هذه المنطقة وعرفنا بأصولهم وتطور حياتهم ، وبعد الكلام عن هذه المنطقة تكلمنا عن المناطق المحيطة بها فشـملنا بالحديث ادوم وعمون ومؤاب كما تحدثنا عن مصر وآشور وبابل ، وعن الفينيقيين والاراميين والفلسطينيين .

وفى المقال الثانى اوردنا آراء الباحثين عن معنى كلمة « عبرى » ثم بدأنا نتتبع تحركات العبريين منـذ بدأ ركبهم فى مسيره ، وابرزنا نقطة مهمة فى تاريخ بنى اسرائيل كله وهى انعزاليتهم وعدم اندماجهم وعـدم تعاونهم مع غيرهم من الشعوب والأجناس ، تلك الانعزالية التى اوقفتهم موقف عداء وتحفز بالنسبة لكل من عرفهم من الشعوب على مر الزمن .

ونواصل فى هذا المقال حديثنا ، ولكنا نتوقفقليلا من الاستمرار فى وصف تحركات العبرانيين لنتحدث عن لغتهم ، فقد اصبح لهم لغة بعد هذا الشوط الذىقطعوه من الترحال . وينبغى عند الحديث عن لغة العبرانيين أن نتذكر أن هؤلاء المهاجرين استغرقوا فى رحلتهم فترة طويلة لم تحددها المراجع التاريخية ، ولكن رحلة من أور الكلدانيين الى ارض كنعان يمضيها مهاجرون معـهم انعامهم وأبقارهم لابد أن تكون قد قطعت فى عدةسنوات، وبخاصة اذا لاحظنا أن هؤلاء المهاجرين لم يكن لهم هدف يسعون اليه ، وانما كان كل هدفهم أن يهربوا منأعدائهم الذين نفروا من دعوة ابراهيم ، ومن أجل هذا نتصـور رهط ابراهيم يحط الرجال من حين الى حين كلمـا وجد مرعى للماشية ، أو مستراحا للرهط ، وفى خلال هذه الرحلة اقتبس رهط ابراهيم كلمات كثيرة من الأمم التى اخترقها ، فلما وصل هذا الرهط الى أرض كنعان كانت اللغة التى يتكلم بها أفراده عبارة عن لهجـة آرامية أقرب ما تكون الى العبرية ، ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم اللغوية ، وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة باللغـة العبرية ، ولم يبد للغة الجديدة استقلال الا حوالى سنة ١٤٠٠ ق م وأول النصوص المعروفة التى كتبت بهذهاللغة يرجع الى سنة ١٢٠٠ ق م ، وقد ماتت هذه اللغةحوالى سنة ٢٠٠ ق م فعمرها لا يزيد عن الف عام .

ولنعـد الآن الى مواصلة الـكلام عن تحـركات العبرانيين ، فان أرض كنعان التى نزل بها ابراهيم أصابها جدب ، ولم تعد وفيرة الخير لابراهيم ورفاقه وأنعامه ، فتحول ابراهيم عنها واتجه الى الجنوب ، الى مصر ، حيث وفرة الزرع وخصب الارض ، وكانت مصر ـ كمـا سبق القول فى المقال الأول ـ محكومة آنذاك بالرعاة العماليق ، فكانت هذه فرصة لابراهيم لينال مزيدا من الترحيب والتقدير ، فقد كان من سياسة الرعاةالهكسوس أن يقربوا لهم الغرباء ليقووا بهم ضد الحركات الوطنية .

وبقى ابرهيم فتـرة فى مصر فاضت عليه خلالها نعم الحكام ، فنمت ثروته ، وتضاعفت ماشيته ، على أن طمع فرعون فى سارة زوجة ابراهيم ـ كما سنشرح ذلك فيما بعد ـ لم يدع لابراهيم وذويه فرصة ليطول مقامهم

فى مصر ، فقفل ابراهيم راجعا الى أرض كنعان ومعه ثراؤه العريض ومعه كذلك « هاجر » وهى جارية مصرية اهداها فرعون لسارة ، فاهدتها هذه الى ابراهيم وطلبت منه أن يدخل بها لعلها تلد له اذ كانت سارة عاقرا ، ودخل ابراهيم بهاجر وأنجب منها ابنه الاول «اسماعيل» الذى نشأ فى مكة وصاهر قبيلة « جرهم » ومن نسله جاء العرب الذين يعرفون بالعرب المستعربة ، وهم الذين حملوا لواء الاسلام فيما بعد ، واقتحموا أرض الرومان واستعادوا فلسطين وما حولها محققين وعد الله لابراهيم أن يجعل هذه الارض لنسله من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ، كما اقتحموا بلاد فارس ، وسارت الويتهم منتصرة تنشر الاسلام فى مختلف النواحى والاصقاع .

وبعد مولد اسماعيل باربع عشرة سنة ولدت سارة ابنه الثانى اسحق ، ثم توفى ابراهيم وترك ابنه الأكبر « اسماعيل » بالحجاز ، وابنه الأصغر « اسحق » بارض كنعان ، وأنجب اسحق ولدين هما عيسو ويعقوب المسمى اسرائيل واليه ينسب بنوا اسرائيل ، وسنتكلم عن يعقوب فيما بعد عند الكلام عن انبياء بنى اسرائيل ولكنا هنا نذكر أنه تزوج ببنتى خاله وهما : ليئه وراحيل وتزوج كذلك من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل ، وأعقب من الأربعة اثنى عشر ابنا وهم الذين عرفوا فيما بعد بالأسباط .

وهؤلاء الأولاد هم :

من ليئة : رأوبين ـ شمعون ـ لاوى (من نسله موسى) ـ يهوذا (من نسله أخذت كلمة اليهود) يساكر ـ زبولون .

من راحيل : يوسف ـ بنيامين .

من زلفة : جاد ـ أشير .

من بلهة : دان ـ نفتالى .

وكان يعقوب يمنح مزيدا من العطف والحب ليوسف وبنيامين ابنيه من راحيل الحظية عنده ، فنفس عليه اخوته ، ودبروا المؤامرات ضد يوسف أكبر الاثنين وأحبهما عند يعقوب ، فاستأذنوا أباهم ليصحبوا يوسف معهم وهم يرعون أغنامهم فقبل يعقوب بعد تردد ، وهناك ألقوا يوسف فى بئر كانت قليلة الماء وجاءوا أباهم عشاء يبكون وقد لوثوا قميص يوسف بدم كذب ، وقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، ثم مرت بالبئر قافلة أرسلت واردها ليأتى بالماء من البئر ، فتعلق يوسف بالدلو ، وفرحت به القافلة ، وبيع يوسف لرئيس الشرطة فى مصر ، وزج به فى السجن نتيجة اتهامه بمحاولة الاعتداء على عفاف زوجة سيده ، وفى السجن تعرف على رئيس سقاة فرعون ، وبواسطته أفرج عن يوسف بعد حين ، واستخلصه فرعون لنفسه ، وفرعون هذا هو « فوتى فارع » أو « فوطيفار » كما تذكره التوراة وهو من ملوك الأسرة السادسة عشرة فى القرن السابع عشر ق.م ، وأصبح يوسف مديرا لخزائن الطعام بمصر ، وهو منصب يماثل منصب وزير التموين فى العهد الحاضر ، وقد هيأ هذا المنصب السبيل ليعقوب وأولاده أن يرحلوا الى مصر فرارا من الجوع الذى عم بلادهم مثلما حدث لابراهيم من قبل ، وكان السلطان لا يزال فى أيدى الرعاة العماليق (الهكسوس) الذين كثيرا ما خلت تصرفاتهم من الولاء لمصر وشعبها ، اذ كانوا غاصبين للسلطان فيها ، وكانت حركات المواطنين لا تفتأ تعمل للايقاع بهم ، فكان من تخطيط العماليق ان يتعاونوا مع غير المصريين ، ويبدو ذلك مما ذكرته التوراه من أن فرعون أغرى اخوة يوسف أن يحضروا لمصر ووعدهم بالغنى والثراء قائلا لهم : خذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا الى فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلوا دسم الأرض ، خذوا لكم من أرض مصر ، عجلان لاولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا ، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم .. وسنرى أنهم استجابوا لهذه الدعوة السخية .

اسرائيل وبنوه فى مصر :

مرت بمصر سنون من الرخاء ، فاض خلالها انتاجها ، وأدخر الكثير منه ، ثم جاءت سنون أخرى من الجدب والقحط ، فهرع الناس الى خزائن الملك يطلبون عونه ، ويسألونه القوت ، وأخذ يوسف يمنحهم القوت نظير ما يمتلكون من فضة وذهب وماشية وأطيان بل اشتراهم أيضا وجعلهم عبيدا لفرعون من أجل الطعام وامتدت المجاعة الى الممالك المحيطة بمصر ، وكان وقعها شديدا على العبرانيين ، فدفع يعقوب أبناءه ليطلبوا الميرة من مصر ، وهناك عرفهم يوسف ، ولكنهم لم يعرفوه ، وجرت بينه وبينهم أحداث انتهت بان جلى يوسف لهم الامر ، وأعلن لهم أنه أخوهم وطلب اليهم أن يحضروا أباه وأهليهم أجمعين وكانت أمه قد ماتت وهو صغير وبدأت بذلك الجولة الثانية لبنى اسرائيل بمصر .

الانعزالية والخلاف بين الفراعنة وبنى اسرائيل :

ويلاحظ على بنى اسرائيل بمصر ما لاحظناه من قبل على أجدادهم بارض كنعان ، وهو الانعزالية التامة ، وعدم التعاون مع من يحيط بهم ، وعدم الاختلاط باصحاب الأرض الأصليين ، فقد طلبوا من فرعون أن يسكنهم فى أرض جاسان (منطقة صفط الحنة بالشرقية) فاستجاب لهم فرعون وقال ليوسف : أبوك واخوتك جاءوا اليك أرض مصر قدامك ، فى أفضل الأرض أسكن أباك واخوتك ليسكنوا فى أرض جاسان .. فأسكن يوسف أباه واخوته وأعطاهم ملكا فى أرض مصر فى أفضل الأرض ، وعال يوسف أباه واخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الاولاد وكان تعداد بيت يعقوب آنذاك سبعين نسمة .

وتكاثر بنو اسرائيل بمصر تكاثرا واسعا جدا وسريعا جدا ، فلقد أحصاهم عند خروجهم من مصر كما تقول التوراة . فوجد حملة السلاح منهم أى الذكور من سن العشرين يبلغون ٦٠٣٥٠٠ ومعنى أن تعدادهم العام يتجاوز المليونين ، وكانوا لا يزالون فى عزلتهم ، لكن العزلة آنذاك أصبحت تستلفت نظر المصريين وتثير خوفهم ، فهى لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء ، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة ، فغدوا يكونون دولة داخل الدولة كما يقال فى الاصطلاح الحديث ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد نجح أمراء طيبة المصريون فى التغلب على الرعاة العماليق ، وطردهم احمس خارج البلاد وأقام حكما وطنيا قويا ، ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة ، ولم يتعرض أحمس لبنى اسرائيل بسوء لأنه فيما يبدو كان مشغولا بالعدو الاكبر ، فلما قامت الاسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثانى الفاتح العظيم ظهر الشعور العدائى ضد بنى اسرائيل ، ونقم الحكم الوطنى عليهم أنهم كانوا يكونون مع العماليق جبهة ناوأت الشعور الوطنى ، وأنهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم ، ثم ان الحكم الجديد كان يخشى أن يتآمر بنو اسرائيل ضده فى محاولة للانتكاس ، بل يرى بعض الباحثين أن « شعب مصر اكتشف بالفعل أن بنى اسرائيل كانوا يتآمرون عليه » وقد وصل التآمر الى عمل ضد سلامة الدولة فقد ذكر شاروبيم فى كتابه « الكافى » أن الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية ضد منفتاح فزحف عليهم .. وقرنت على عمارة فى طيبة انشاها منفتاح الاول أنشودة له ذكر فيها تنكيله ببنى اسرائيل بسبب ثورة ثاروها ضد الحكم الوطنى .

لم تكن الجامعات قبلا على الصورة التى نعرفها اليوم ، ولا مراء فى أن جامعات العصر الحاضر ، قد تطورت عن أخرى لها جذور ممتدة عبر التاريخ . وقد ارتبط التعليم قديما بدور العبادة من هياكل وصوامع ، وبيع ومساجد . ولم تعرف كلمة جامعة بمعناها الحديث الا منذ بضعة قرون ، وان عرفت فى العربية كلمة جامع ، والصلاة الجامعة ، وعرفت فى أوروبا قبيل عصر النهضة كلمة « استاد » أريد بها مركز التعليم والبحث العلمى .

ويحدثنا التاريخ عن جامعة « أون » أو « عين شمس » التى كانت مركز اشعاع للعلم والمعرفة فى مصر الفرعونية قبل أربعة آلاف سنة ، ولا شك أنها أقدم جامعة عرفت فى التاريخ ولا يتصور أن تزدهر الحضارة المصرية القديمة ، التى رفت على جوانب النيل ، وازدهرت على حفافيه ، دون هذا المركز الاشعاعى العتيد ، الذى غذى علماؤه روافد هذه النهضة العلمية العارمة ، ان فى الطب أو الهندسة أو التحنيط أو التعدين الى غير ذلك من مظاهر الحضارة الباذخة ، التى جلاها المصريون القدماء أبدع تجلية فى معابدهم وقصورهم ومقابرهم وأهراماتهم . وبقيت شاهدة على علو كعبهم فى العلم والمعرفة . ومن أسف أننا لا نعلم الكثير عن جامعة عين شمس القديمة ، فقد اندثرت آثارها ، وان بقيت بعض أخبارها متناثرة فى بعض البرديات .

وفى العهد الاغريقى ، لم تكن ثمة جامعات أو معاهد بالمعنى المعروف ، بل لقد عرف عن سقراط أنه كان يعلم فى الشارع ، وكان يدير محاوراته ومناقشاته البارعة ، على قارعة الطريق ثم عن لتلميذه أفلاطون أن يخصص مكانا يلقى فيه طلابه ومريديه فى أوقات معينة ، فاستأجر أو ابتاع مكانا ظليلا تحفه أشجار الزيتون وكروم العنب أسماه الأكاديمية، كان يلقى فيه محاضراته فى الرياضيات والفلسفة والعلوم ، وظل أفلاطون رئيسا للأكاديمية طيلة حياته وقد يظهر أن تلميذه أرسطو كان يطمع فى رياسة الأكاديمية بعد وفاة أفلاطون ، فلما آلت الرياسة الى غيره ، هجرها أرسطو ، واتخذ لنفسه مكانا آخر فى ضواحى أثينا ، أسماه الليسيوم أو الليفيوم ، كان يلقى فيه طلابه ويلقى عليهم محاضراته فى العلم والفلسفة وقد عمرت الأكاديمية عدة قرون بعد أفلاطون ومرت بخمس مراحل مختلفة ، كما عمر الليسيوم مدة من الزمان وما زال اسم الأكاديمية والليسيوم علما على بعض المعاهد فى كثير من البلاد .

ثم ظهرت جامعة الاسكندرية ، التى انتقل اليها علماء الاغريق ، وكان معروفا ان علماء الاغريق كانوا يقضون شطرا من حياتهم فى مصر ، وازدهرت جامعة الاسكندرية فى عهد البطالمة وحملت مشعل العلم والحضارة بضعة قرون ، وقد عرفت فى التاريخ باسم جامعة الاسكندرية أو مكتبة الاسكندرية كما عرفت أحيانا باسم متحف الاسكندرية . ولا شك أنها كانت كل أولئك فقد اشتهرت بمكتبتها التى كانت تضم أكثر من خمسمائة ألف مجلد ، كما اشتهرت بمتحفها الذى كان يضم نماذج للعديد من الكائنات الحيوانية والنباتية . وبرز فيها عدد من العلماء منهم هيرون صاحب نظرية الصاروخ ، الذى ظل يتطور الى أن بلغ صورته الحاضرة يعبر القارات ويمرق فى الفضاء ، وجالينوس الطبيب وبطليموس الفلكى ، وأرشميدس صاحب القاعدة المشهورة وديسقوليدوس النباتى الطبيب . **أما مكتبتها**

فقد قيل ان قيصر أحرقها ولكن أنطونيو عوض كليوباترة عن خسارتها بأن أهداها مكتبة برجامون فى آسيا الصغرى وكانت تضم نحو مائتى ألف مجلد • وقد ظلت جامعة أو مكتبة الاسكندرية بين مد وجزر الى أن أحرقت مرة أخرى قبيل الفتح الاسلامى •

أما جامعة أو مكتبة برجامون فقد أنشأها أمانيس الثانى فى آسيا الصغرى ، وكانت مركزا للاشعاع العلمى والفكرى فى هذا الركن من أركان المعمورة ، وظلت مزدهرة حتى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد •

ولما أن جاء الاسلام وكان تمجيده للعلم والعلماء موفيا على الغاية ، فمعجزته كتاب هو القرآن الكريم ، وأول آية « اقرأ باسم ربك » وقوله « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وحض الرسول الكريم على طلب العلم ولو فى الصين ، وقوله « الناس عالم ومتعلم والباقى همج » ، وقد نشأ التعليم أول الأمر فى المساجد ، فكان مسجد قباء أول مسجد اتخذ للتعليم فى الاسلام ثم كان جامع القيروان فى تونس أول جامعة بالمعنى المعروف أنشأها عقبة ابن نافع فى القرن الأول الهجرى ، ولم تكن مقرا للعلوم الدينية وحدها وانما درست فيها علوم أخرى كالهيئة والميقات وعلوم اللغة •

ثم أنشأ الفاطميون جامعة الأزهر فى القاهرة، وكانت مركزا لنشر الدعوة الفاطمية كما كانت تدرس فيها علوم أخرى كالطب والميقات والرياضيات وقد أثر عن عبد اللطيف البغدادى أنه كان يلقى دروسه فى الطب فى الأزهر الشريف ظهر كل يوم • وقد حفظ لنا الأزهر الشريف تراثنا العلمى واللغوى والدينى عبر القرون وحماها من عهود الانحلال والتدهور والظلم والفساد وقد تطورت جامعة الأزهر هى الأخرى حتى بلغت صورتها الحاضرة تخرج الأطباء والمهندسين الى جانب علماء الدين واللغة •

وكذلك كان الحال بالنسبة للجامع المنصور فى بغداد والجامع الأموى بدمشق وغيرها من المساجد الكبيرة ، فقد كانت تلقى بها الدروس وكانت بمثابة جامعات أو معاهد للعلم والمعرفة •

وليس من التجوز الكبير أن نطلق كلمة جامعة على ما أنشىء من مكتبات فى العصر الاسلامى الزاهر ، فقد كانت فى الواقع بمثابة مراكز للعلم والتعليم ، يجتمع فيها العلماء بطلابهم ومريديهم وتجرى فيها المناظرات والمحاورات ، ويحضر بعض اجتماعاتها الخلفاء والأمراء ، ويخلعون على العلماء الممتازين من الطلاب الخلع والمنح والعطايا • وكانت الكتب فى كل منها تعد بعشرات الألوف ، تبذل لراغبيها ويتناوب فيها المترجمون للعمل ليلا ونهارا حتى لا تخلو المكتبة من الناسخين الذين يعملون فى نسخ الكتب أو المترجمين الذين يعملون فى نقل العلوم الاغريقية الى اللغة العربية • ولا من طلاب المعرفة الذين يترددون عليها لحضور مجالس العلم التى تعقد فيها •

كذلك كان الحال فى بيت الحكمة الذى أنشأه هارون الرشيد فى بغداد وبلغ الأوج فى عصر المأمون ودار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر الله فى القاهرة ، ودار العلم التى أنشأها على بن يحيى فى الموصل ، وغيرها كثير من المكتبات العامة والخاصة التى كانت فى الواقع بمثابة جامعات بكل ما فى الكلمة من معنى فى العصر الحديث • حتى لقد ذكر أن الخلفاء كانوا يرتبون الأرزاق لطلاب العلم فى هذه الجامعات ، فلم يكن التعليم فيها بالمجان فحسب كما نقول فى العصر الحديث ، ولكنه بالنظام المجانى الداخلى ، بما فيه من مأكل ومشرب ومسكن • كما كانوا يقفون الأوقاف السخية للانفاق على هذه الجامعات والمكتبات ، حتى لا تندثر بانتهاء أيام حكمهم •

ثم انتقلت فكرة انشاء الجامعات الى أوروبا، فأنشئت جامعة فى باريس فى فرنسا ثم اكسفورد وكمبردج فى بريطانيا فى القرن الحادى عشر والثانى عشر ، وجامعة بادوا فى ايطاليا فى القرن الثالث عشر ، وكثر انشاء الجامعات بعد ذلك فى عصر النهضة الأوربية ، وها هى ذى تتطور وتتعدد الى أن بلغت صورتها الحاضرة ، وغدت لا يخلو منها اقليم يريد أن يلحق بركب الحضارة وأن يواكب موكبها •

فقهاء فى الدين

كانوا مصدر رعب للملوك والسلاطين وكانوا يمثلون سلطة الأمة بإزاء سلطة الحكومة ...

الدكتور عبد اللطيف حمزة

نعم للفقهاء المسلمين فى العصور الوسطى مكانة جليلة فى المجتمع الاسلامى . ولم يكن لهذا المجتمع الاسلامى فى تلك العصور مجالس شورى كالتى نراها فى العصر الحديث . فكان الفقيه الاسلامى حينذاك بمثابة الوسيط النيابى بين الحاكم والشعب .

وكان علماء الدين فى مصر وغيرها من اقطار العالم العربى الى عهد غير بعيد ينظرون الى انفسهم ، وينظر الشعب المصرى اليهم على أنهم نوابة والمتحدثون بلسانه والذائدون عن حقوقه . بل انهم كانوا أصحاب الحق فى عزل الحاكم الذى يسىء الى الشعب ، أو يفهم الشعب من بعض تصرفاته انه يسىء اليه عن عمد .

ولقد شهدت القرون الماضية عديدا من المواقف المشرفة التى وقفها علماء المسلمين للدفاع عن مصالح العربى المسلم ضد حكامه . وسنأتى فى هذا المقال على أمثلة من أولئك الفقهاء الأعلام الذين رعوا حقوق المسلمين ، ودافعوا بكل قوتهم عنها . ولم يرعوا الا الله سبحانه وتعالى فى هذا الدفاع .

ذلك اذن هو السبب الذى من أجله كانت للفقيه الاسلامى فى عصور ازدهار الاسلام كل هذه المكانة وهناك أسباب أخرى جعلت للفقهاء هذه المنزلة .

ومن هذه الأسباب اشتراك الفقهاء بأنفسهم فى الحروب التى كانت تنظمها الدول ضد الصليبيين تارة وضد المغول تارة أخرى . فقد كان من عادة الكثيرين من الفقهاء ان يذهبوا بانفسهم الى ميادين القتال . اما للاشتراك الفعلى مع الجند فى حمل السلاح . واما للقيام بمهمة لا تقل عن حمل السلاح خطرا فى حقيقة الامر . وهى مهمة اعلامية صرفة كما نقول فى وقتنا هذا .

انها مهمة تذكير الجند قبيل المعركة بسير الأبطال القدماء ابتداء من سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم من بعده .

فى الحروب الصليبية على عهد الدولة الأيوبية اشترك فقيه عرف ب (باش شاس) فى حصار (دمياط) حتى استشهد واحتسب اجره عند الله .

وفى حرب المغول ندبت الدولة فقيها مشهورا هو (ابن تيمية) لتحريض المسلمين على القتال . فابلى الفقيه فى مهمته أحسن البلاء . وقام بواجبه نحوالدولة بالرغم من الخصومة العنيفة التى كانت بينه وبين السلطان فى ذلك الزمان وكان للسلطان صلاح الدين الأيوبى صديق اسمه (الفقيه عيسى الهكارى) اشترك معه فى القتال كما اشترك معه كذلك أخ لهذا الفقيه استشهد فى الميدان . فجاء الناس يعزون الفقيه عيسى فى أخيه . فقال لهم : هذا يوم الهناء لا يوم العزاء . والله انى لأجد ان الحق باخى فى هذه الشهادة ! !

فاذا اضفنا لهذا السبب ـ وهو اشتراك الفقهاء بانفسهم وثقافتهم فى القتال ـ سببا تقدم شرحه . وهو نظر الفقهاء الى أنفسهم على انهم يمثلون سلطة الامة

بازاء سلطة الحكومة ـ عرفنا كيف سلمت الزعامة الحقيقية لفقهاء المسلمين فى تلك العصور .

وأكثر من هذا وذاك نظر أولئك الفقهاء الى أنفسهم كذلك على أنهم المسؤولون وحدهم عن تقويم الملوك والحكام متى انحرف هؤلاء وهؤلاء عن الحق ، او مالت نفوسهم الى الظلم ، وتهاونوا فى أمر من أمور الدين ونحو ذلك من اجل هذا شاع بين الفقهاء المسلمين قولهم « ان من أعظم القرب الى الله تعالى كلمة حق فى مجلس ظالم » . ولنضرب المثل هنا بفقيه عظيم هو

الشيخ عز الدين بن عبد السلام

ولد هذا الفقيه بدمشق فى الربع الأخير من القرن السادس الهجرى . اعنى فى سنة ٥٧٨ للهجرة . وقدم الى مصر واقام بها . « وانتهت اليه معرفة المذهب مع الزهد والورع وبلغ مرتبة الاجتهاد فى الفقه » .

وزادت اقامته بمصر على عشرين سنة . وهناك تنحى له العلماء عن مكان الرياسة . وتادب معه الشيخ زكى الدين بن عبد العظيم المنذرى وامتنع عن الافتاء من اجله ولبس الشيخ عز الدين عبد السلام خرقة التصوف من يد الشهاب السهروردى . وحضر دروس الشيخ أبى الحسن الشاذلى من ائمة التصوف فى عصره . وكان هذا الشيخ معجبا بعز الدين بن عبد السلام اعجابا عظيما » .

معنى ذلك أن الشيخ عز الدين ثبت على تصوفه فى الفقه الى درجة الاجتهاد من جهة ، وعلى سلوكه مسلك الصوفية وايثاره مذهب التصوف من جهة ثانية . ويضاف الى هذين الاعتبارين اعتبار ثالث له أكبر الأثر فى عظم شخصيته . وهذا الاعتبار الأخير قوة اخلاقه وصلابتها فى الحق ، وشجاعته الأدبية التى لا حد لها . وله فى هذه الشجاعة الأدبية نوادر شتى تزخر بها كتب التاريخ .

ودع عنك أخبار هذا الشيخ مع ملوك بنى ايوب . وانظر معى فى بعض أخباره مع سلاطين المماليك . فقد كان الشيخ شديد الوطأة عليهم حتى أعياهم أمره ، وباتوا يخافون على أنفسهم منه .

نظر الشيخ فى أمر أولئك المماليك من سلاطين مصر وقادتها وكبرائها فوجد أنهم ليسوا احرارا بوجه من الوجوه ، ووجد ان الرق ينسحب عليهم ، ويشملهم جميعا ويحرمهم صفة الحرية . وعلى ذلك فمن حق المسلمين الا يصححوا لهم بيعا ولا شراء ولا زواجا حتى يصبحوا احرارا بكل ما تحمل هذه الكلمة فى الشرع الاسلامى من معنى .

وجاهر الشيخ بهذا الرأى وأعلنه على الملأ . وكادت تتعطل به مصالح هؤلاء القوم من اعلاهم الى أدناهم . وكبر على المماليك ـ وهم أمراء هذه الدولة ووجوهها واعيانها مثل هذا القول الذى جاهر به الشيخ . فارسلوا اليه يقولون : ماذا تريد منا ؟ فرد عليهم بقوله : اريد أن أعقد لكم مجلسا وأنادى عليكم لبيت مال المسلمين وأحصل على عتقكم بطريقة شرعية .

واسقط المماليك فى أيديهم . ووقعوا فى ذهول عظيم . وذهبوا الى السلطان شاكين من هذا الشيخ مستكثرين عليه هذه الجراة التى لا نظير لها . فاستدعى السلطان هذا الشيخ ليكلمه ويقنعه بضرورة العدول عن هذا الرأى . ولكن بدون جدوى . والح عليه السلطان مرات كثيرة بعد ذلك . فغضب عز الدين وذهب الى داره ، وحمل حوائجه على حمار واركب أهله من خلفه ومشى بهم خارج مصر . فلم يكد يبعد عنها حتى هرعت اليه طوائف العلماء والصالحين والمتصوفين والتجار والخاصة والعامة . وشكل الجميع مظاهرة كبرى على حد تعبير المحدثين من الصحفيين فى أيامنا هذه . وعلم السلطان بذلك فلم ير بدا من الركوب اليه بنفسه . ففعل واسترضاه ووعده بما أراد . وعظم الخطب على المماليك وعزت عليهم نفوسهم ، وذهب الغضب ببعضهم الى حد التفكير فى قتل الرجل . فحمل السيف الى دار الشيخ وقرع الباب ففتح له ولد عز الدين ، فرجع الى ابيه مذعورا يخبره الخبر . فلم يهن الشيخ ولا جزع . وقال لولده فى هدوء ودعة : يا ولدى : ابوك اقل من ان يقتل فى سبيل الله ! !

ثم خرج بنفسه ليلقى القاتل . وكان يومئذ نائب السلطان . فلم يكد يراه هذا حتى جمد السيف فى يده . وقال للشيخ فى ضراعة :

يا سيدى خبرنا أى شىء نعمل ؟
قال الشيخ : انادى عليكم فى الأسواق ..
قال الرجل : ففيم تصرف الثمن ؟
قال الشيخ : فى مصالح المسلمين .
قال الرجل : فمن يقبض الثمن ؟
قال الشيخ : انا ..

فصدع المماليك بالامر .. ونادى الشيخ عليهم فى الأسواق وغالى فى ثمنهم . وقبضه كله . وصرفه فى وجوه الخير .

ومات الشيخ عز الدين بن عبد السلام . وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ٦٦٠ للهجرة . ومرت الجنازة به تحت القلعة . وشهدها السلطان بيبرس فقال يومئذ لبعض بطانته :

« اليوم استقر امرى فى الملك . لأن هذا الشيخ لو كان قال للناس أخرجوا عليه لانتزع منى الملك » ! !

وكما كان عز الدين شديدا على غيره كان كذلك شديدا على نفسه . حكى أنه أفتى مرة بشىء . ثم ظهر انه أخطأ . فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه قائلا : من افتى له ابن عبد السلام بكذا فلا يعمل به فانه أخطأ ! !

بهذه الأخلاق القوية كان الرجل خليقا بالزعامة الدينية ، وكان لهذه الزعامة الدينية أعظم الأثر فى قوة العلم الذى كان ينشره فى أهل عصره . كما كان لها أعمق الاثر كذلك فى الرأى الاسلامى العام الذى كانت تعبر عنه طائفة واحدة فقط فى المجتمع الاسلامى لتلك العصور ، وهى طائفة الفقهاء وحملة العلم فى ذلك الوقت

من المعاني الانسانية في العيد

الاستاذ سعد الدين الجيزاوي

بعد ان هاجر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الى المدينة المنورة ، وقبل أن يكتمل عام على هذه الهجـرة ، رأى ذات يوم مظـاهر من البهجة والسرور تبدو على بعض الناس بخلاف المعهود فى سائر الايام ، فسأل : ماالخبر ؟ فأجيب عليه الصلاة والسلام بأن هناك يومين منذ الجاهلية يلهو فيهما الناس ويلعبون من كل عام فقـال عليـه الصـلاة والسـلام : « ان الله قد أبدلكم بهمـا خيرا منهمـا : يوم الاضحى ، ويوم الفطر » فكان هذا تشريعا للعيدين الكريمين .

وعيد الفطر يأتى عقب صوم رمضان ، بعد أن يكون المسلمون قد استمتعوا بما فى الصوم من سعادة الروح وتهذيب النفس ، وتصحيح البدن ، ويأتى عيد الاضحى فى العاشر من ذى الحجة أثناء موسم الحج ، حيث يكون فريق كبير من المسلمين من مختلف الاقطار مجتمعين فى الاماكن المقدسة يؤدون فريضة الحج ، وقلوب البقية الباقية من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها تهفو الى أولئك الملبيـن المحرمين ، السعداء بما أنعم الله به عليهم ، ويتمنى كل منهم أن يكون له فى الحج من العام القادم نصيب .

ولقد أضفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التشريع المبارك على أيام هذين العيدين مايجعل أوقاتهما مشرقة هادئة ، محببة الى النفوس ، يترقبهـا الصغير والـكبير ، والغنى والفقير ، حتى لكأنهـا لا تسير فى ركب الزمن المألوف ، لمايغمرها من المعانى السامية التى تهدف الى خير الانسانية .

تأمل يارعاك الله وقت صلاة العيد ، والحكمة فى ذلك التوقيت ، وماتخرج به من معنى لقيمة الانسانية .

ان المسلمين يؤدون الصلوات المكتوبة فى أوقاتها المحددة ، ويصلون من النوافل ما شاءوا فى أوقاتها المستحبة دون تقيد . ولكن مابال صلاة العيد قد جعل وقتها بعد ارتفاع قرص الشمس فى الافق بقدر رمح أو رمحين ، أى بما يوازى حوالى عشرين دقيقة ؟

ان فى ذلك تذكيرا للانسانية بما كانت تفعله بعض الامم السالفة فى عبـادة الشمس من تحرى وقت شروقها ليخـروا أمامها سـاجدين ، اذ كـانـوا - لغفلتهم - يعتقدون انها مصدر القوة فى هذا الكون وانها لذلك تستحق العبادة والسجود ، وقد بين الله تعالى فساد هذه العقيدة ، وبين ان أمر السموات والارض للاله الواحد القادر على كل شىء ، فجاء القرآن الكريم ببيان ذلك فى قوله تعالى :

« ومن آياته الليل والنـهار ، والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسـجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون » .

ثم جاء توقيت صلاة العيد مؤكدا هذا المعنى ، حيث يؤديها المسلمون بعد ان يتحروا ، ويتأكدوا ان الموعد الذى كان يتحراه عبدة الشمس قد مضى ، وان الشمس قد مضت فى دورة الفلك آية من آيات رب العالمين ، حتى لا يتشبهوا بمن كانوا غافلين .

ومن المعانى الانسانية فى العيد شـعور المسلمين فى مشـارق الارض ومغاربها بالوحدة التى دعا اليها الاسلام ، فان الاسـلام يربطهم جميعا برباط العقيدة ، وهـذا الرباط فى حاجة لان يكون قويا محكما فى كـل حين ، وعـنـد ما يأتى العيد يشعر المسلمون جميعا بتجديد تلك الرابطة ، فيقبل بعضهم على بعض مصافحين مهنئين : فى المسـاجد القريبة المألوفة ، والمصليات التى تكون على مشارف القرية أو المدينة حيث يستحب الخروج اليـهـا لاداء صلاة العيد ، ثم فى الطرقات حيث ينتشر المسلمون ذاهبين الى الصلاة من طـريق وعائدين من طريق ، ثم فى دورهم ومنتدياتهم ، ثم فى تلك الرسائل التى تكتظ بها صناديق البريد وترسل من اقليم الى اقليم ، ومن قطر الى قطر ، ومن قارة الى قارة ، ثم فى تلك البرقيات التى يتبادلها ملوك ورؤساء الشعوب الاسـلامية فى سائر الاقطار . وماأجمل ذلك الشعار .

ان كل مسلم يشعر بالحنين الى أخيـه المسلم فى يوم العيد مهما تنـاءت الديار وتباعدت الاقطار ، وكثيرا ما يتخذ المسلمون من أيام الاعيـاد فرصا يجتمعون فيهـا للتشاور فيما يعود على الامة جميعها بالخير والبركات . ومن هنـا نرى فى العيد معنى الوحدة ، ومظهر القوة ، واشعار الناس جميعا بوحدة الشعور ، وامـكان التجمع عند الملمات ، فتصبـح الامة مرهوبة الجانب ، عزيزة السلطان .

وفى العيد يتجلى المعنى الاشتراكى باوضح مظاهره ، وتبرز المعانى الانسانية فى أقوى صورها ، فانك لا ترى طوال العام أياما تتساوى فيها الرءوس بالاشتراك فى البهجة والسرور مثـل أيام العيد ، فالكل يترقب تلك الايام ، والكل يستعد لها ، فهم فى الترقب والاستعداد والاحساس بالفرحة سواء ، وان تفاوتت المظاهر بيـن المترفين والمقلين .

ان الطفل الفقير لا يهتم بالفارق بين نوع من الثياب ونوع ، بقدر مايهتم بالفرق بين قديم وجديد ، فاذا هو لبس ثوبا جـديدا أيا كان نوعه ، ووجد فى يده نقودا يشـترى بها الحلوى كيفما كان مقدارها ، فقد شعر بفـرحة العيد ، وأحس بانه فى يوم يختلف عن سائر الايام ، لانه لا يكاد يشعر بهذه الفوارق التى بينه وبين أبناء الموسرين فى سائر الايام كشعوره بذلك فى يوم العيـد . واننا لنرى الرجل والمرأة فى الاسر الفقيرة يحرص كل منهما على توفير مايبهـج طفلهـما فى العيد بلبس الجديد ، سواء مما يقتطع من القوت الضرورى ، أو مما تجود به أيدى المحسنين .

وهنا يتجـلى المعنى الانسانى فى العيد ، وتبرز معانى

التعاون والاحسان ، فيتذكر الموسرون اقرباءهم وجيرانهم من المعوزين ، فتلين قلوبهم ، ويذكرون تلهف المحتاج الى ما يحقق فرحته فى العيد ، ومن هنا ندرك الحكمة فى مشروعية زكاة الفطر ، وجواز تقديمها على يوم الفطر ، وجواز تاخير صلاة عيد الفطر قليلا لتصل الزكاة الى ايدى مستحقيها قبل ان يرتفع الضحى ، وتذهب بهجة العيد

ان النظم الاشتراكية الحديثة فى ارقى صورها تدعو الى ان يحصل كل فرد على حاجتـه وحقوقه من غير اعتداء على حقـوق الغير ، وتسن القوانين لتوزيع الفائض ممن يملك بغير حساب على من لا يملك شيئا حتى يستطيع الجميع ان يعيشـوا بغير تحاقد او تحاسد ، ويعمل الكل على رفع المستوى العام للامة .

وقد جاء الاسلام من قبل بهذه المعانى ، وسبق كل تشريع يصـون حقوق الفرد ويرعى صالح المجموع ، واعتبر سد حاجة المعوز ركنا من اركانه فشرع الزكاة ، ثم شرع الوانا من العبادات ينبغى فيها الانفـاق ومن بينها زكاة الفطر التى يخرجها المرء عن نفسه وزوجـه واولاده وخدمه دون ان يشـترط حولان الحول على ملك النصاب .

والاسلام حينما دعا الى اخـراج الزكاة وحث على الصدقات المتنوعة ، لم يكن فى ذلك دعوة الى التكاسل او ايجاد طبقة من المتعطلين كما يقول المتشدقون المدعون على الاسلام ، وانما هو نوع من التعاون بين افراد الامة فى اوقات يحتاج فيها بعض الناس حتما الى المعاونة . ونحن نشـاهد ذلك بين الامم ، اذ يحتـاج بعضها الى القروض ، والى المساعدات ، وتعاون النامية منها غير النامية ، فمن باب اولى ان يـكون ذلك بين الافراد ، ولقد كان الاسلام حكيما حين جعل مظهر هذه المعاونة بين الافراد فرضـا معلوما ، ووعد المنفقيـن مضاعفة الجزاء وحسن الثواب . ولو راعى المسلمون بدقة ما امرهم به الاسلام فى ذلك لما بقى بينهم محتاج .

ولقد اراد الرسـول الكريم ان تكون الفرحة بمباهج العيد عامة شاملة فحث على ان يعطى من عنده فضل ثوب الى من ليس عنـده ليتزين به ، فقد روت حفصة بنت سيرين قالت : « كنا نمنع جوارينا أن يخرجن يوم العيد ، فجاءت امراة فنزلت قصر بنى خلف ، فاتيتها فحدثت أن زوج اختها غزا مع النبى صلى الله عليـه وسلم اثنتى عشرة غزوة ، فكانت اختها معه فى ست غزوات فقالت : فكنا نقوم على المرضى ، ونداوى الكلمى ، فقالت : يا رسـول الله ، هل على احدنا باس اذا لم يكن لها جلباب الا تخرج ؟ فقال : لتلبسها صاحبتها من جلبابها ، فليشهدن الخير ودعوة المؤمنين » .

ولكى تعم الفرحة الجميع ، كان يؤذن للنسوة شهود صلاة العيد ، فقد روت حفصة عن ام عطية قالت : « كنا نؤمر ان نخـرج يوم العيـد ، حتى نخرج البكر من خدرها ، حتى نخـرج الحيض فيكن خلف الناس ، فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعـائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهـرته » . وفى رواية اخرى ، « ويعتزل الحيض المصـلى » .

ولم ينه الرسول الكريم زوجه السيدة عائشة حين كانت عندها جاريتان تغنيان فى يوم عيد ، بل انه قال لابى بكر رضى الله عنه حين استنكر ذلك « يا ابابكر : ان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا » .

ولما كان الرسول الكريم حريصا على ان يربى امتـه على القوة ، ويبعث فى افرادها روح الشجاعة ، فانـه لم يشأ أن يتركها فى أوقات البهجة والسرور بالعيـد دون أن يذكـرها بما ينبغى ان يكون عليه المسلم من اليقظة للقتال ، والاستعداد بالسلاح لما فى ذلك من اسباب العزة وحياطة الدعوة ، وضمان الهيبة ، وخلق المؤمـن الشجاع ، فقـد كان ينصب حربـة امامه . فقد روى عمر « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان تركز الحـربة قدامه يوم الفـطر والنحر ثم يصلى » وروى كذلك ، قال : « كان النبى صلى الله عليـه وسلم يغـدو الى المصـلى ، والعنزة بين يديه تحمل وتنصب بالمصلى بين يديه فيصلى اليها » .

وبعد :

فما اجمل العيد حين يقبل علينا ونحن متمثلون هذه المعانى السامية ، وما اجمل العيد حين تتقـابل الوجوه بالابتسامة المعبرة عن صفاء النفوس ونقاء القلوب من الاحقـاد !

وما اجمل العيـد حين يقبل العيد فيجد كل مسلم قد عرف ربه فآمن به وعبده وحـده ، وعرف نفسه فوثق بها ، وآمن ان زمامها بيد الله وحده ، وعرف وطنه العربى الكبير فركـز جهوده على السـعى فى رفعتـه ، والتضحية فى سـبيله ، وعرف مالـه من حقوق فاستمسك بها ، وعرف ماعليه من واجبات فاداها كاملة غير منقوصة ، وآمن بان « كل نفس بما كسبت رهينة »!

اللهم عرفنا طريقك ، وارزقنا رضاك ، ووفقنـا الى ما تحب ، وجنبنا مسالك الشيطان ، وارحمنا برحمتـك التى وسعت كل شىء يا ارحم الراحمين .

العقوبات

جوانب العقوبات

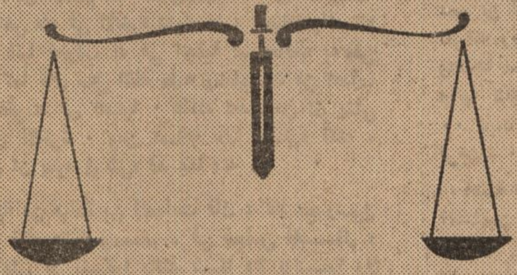

الأستاذ محمد فادي عمير

قبل الاسلام ـ كانت العقوبة فى شبه الجزيرة العربية قائمة على الثأر والقصاص يتولاها الفرد وتتولاها معه القبيلة . وكان الغرض منها الانتقام

ولما جاء الاسلام وضع للعقوبات مبادىء انسانية عظيمة مبنية على أسس علمية قوية . ويمكن تلخيص ما انتهى اليه الفقه الاسلامى من اعتبار أن للعقوبة وظيفتين : الوظيفة الخلقية . والوظيفة الاجتماعية ـ أى فكر العدل والتفكير وفكرة مصلحة المجتمع . وهذا يعتبر اسمى ماوصل اليه فقهاء القانون فى تكييف الغرض من العقوبة .

وفى سبيل تحقيق ذلك وضع الاسلام قواعد واضحة حتى لايكون القاضى حرا مختارا فيما يفعل . فهو مقيد بما يفرضه الشارع من الجزاء على الجريمة . فليس للقاضى ان ينشىء عقوبة خاصة . وليس له ان يتعدى المقدار المحدد سلفا . والمشرع يهدف من ذلك الى الفصل بين السلطتين التشريعية والقضائية وكذا الى حماية حريات الافراد .

هذه مبادىء حقيقية وأساسية فى العقوبة فى الفقه الاسلامى . وان كان هذا لا يمنع أن هذه الفكرة لم تجد النور دائما فى جميع العصور الاسلامية . وهذا لا يعنى عيب النظام فى الاسلام وانما كان مرجعه الى فساد أولى الامر فى بعض العصور الاسلامية والى شدة ظلمهم وانصرافهم عن مبادىء الدين الحقة .

ومن ناحية اللفظ يمكن أن نفرق بين العقوبة والعقاب .. فاذا وقع الجزاء فى الدنيا فهو عقوبة واذا وقع فى الآخرة فهو عقاب .

ويرى فقهاء الشريعة أن العقوبات جوابر أى أن تنفيذها على الجانى فى الدنيا بغية عذاب الآخرة . فقد قال السمرقندى : ان المسلم اذا حد واقتص منه فى الدنيا لايحد ولا يقتص منه فى الآخرة لقوله عليه الصلاة والسلام « من أذنب ذنبا فعوقب به فى الدنيا لم يعاقب به فى الآخرة » . كما قال صلى الله عليه وسلم : « من أصاب حدا فعجل عقوبته فى الدنيا . فالله اعدل من ان يثنى على عبده فى الآخرة . ومن اصاب حدا فستره الله ، فالله أكرم من أن يعود فى شىء قد عفا عنه .

وفى رواية عن عبادة بن الصامت قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى مجلس فقال : « تبايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق . فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن اصاب شيئا من ذلك فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له . ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه » فبايعناه على ذلك .

والعقوبة فى الاسلام نوعان حدود وتعزيزات ونرجىء الكلام فى كلا النوعين الى مجال آخر . وان كان هذا لايمنع أن نذكر ان الحدود كفارات لاهلها لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحدود كفارات لاهلها » وهو نص عام

كما وان الحدود جوابر وزواجر . فقد قال احد فقهاء الاسلام : الحدود تشتمل على مقصد أصلى يتحقق بالنسبة الى الناس كافة وهو الانزجار عما يتضرر به العباد ، وغير أصلى وهو الطهارة من الذنوب . وذلك يتحقق بالنسبة الى من يجوز زوال الذنوب عنه لا بالنسبة الى الناس .

وقد ملأت هذه الفكرة على المسلمين أنفسهم وتفكيرهم ، وكانوا يؤمنون بوظيفة العقوبة فى تطهير نفوسهم وفى التكفير عن ذنوبهم . ومن ثم كانوا يراعون وجه الحقيقة فى اعترافهم او شهادتهم ، ويتقبلون مايوقع عليهم من جزاء بنفس راضية مطمئنة .

ومن أمثلة ذلك ما حدث لماعز والغامدية . فانه عن بريدة رضى الله عنه : أن ماعز بن مالك الاسلمى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت وانى اريد ان تطهرنى . فرده . فلما كان من الغد اتاه ، فقال يارسول الله انى قد زنيت . فرده الثانية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه . فقال : تعلمون بعقله باسا ؟ تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا : مانعلمه الا وفى العقل من صالحينا فيما نرى . فاتاه الثالثة فارسل اليهم ايضا . فسألهم عنه فاخبروه انه لاباس به ولا بعقله . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم . قال : فجاءت الغامدية فقالت يارسول الله انى قد زنيت فطهرنى . وانه ردها .. فلما كان من الغد قالت :

- يا رسول الله لم تردنى ؟ لعلك ان تردنى كمارددت ما عزا والله انى لحبلى .

قال : أمالا ، فاذهبى حتى تلدى .

فلما ولدت أتته بالصبى فى خرقة قالت : هذا قد ولدته .

قال : فاذهبى فارضعيه حتى تفطميه .

فلما فطمته أتته بالصبى وفى يده كسرة خبز : هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام .

فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ، ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها .

وعن ابى واقد الليثى أن رجلا من اهل الشام اتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر له انه وجد مع امرأته رجلا . قال ابو واقد فارسلنى عمر اليها . وعندها نسوة حولها . فاتيتها فاخبرتها بما قال زوجها . وانها لاتؤخذ بقوله . وجعلت القنها اشباه ذلك لتنزع .. فابت مضيا . وتمت على الاعتراف فامر بها عمر فرجمت .

أمثلة قوية وواضحة عن مدى تمكن العقيدة ، من نفوس المسلمين وعن ايمانهم الشديد بشرعية العقوبة وعن أهدافها ومقاصدها السامية فى اصلاح النفس البشرية وفى حماية المجتمع .

ويجمع جمهور الفقهاء على أن التوبة لاتسقط فى الحد فى الدنيا ، فعقوبة الذنب لم ترتفع بالحد بل بالتوبة معه .. فقد قال تعالى فى قطاع الطرق وهى عقوبتها التقتيل والصلب والنفى « ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا » . ومعنى ذلك أن جزاء فعلهم عقوبة دنيوية وعقوبة أخروية الا من تاب فانها حينئذ تسقط عنه العقوبة الاخروية .

والعقوبة فى الشريعة الاسلامية عامة يتساوى امامها الامير والحقير والغنى والفقير . وليس أدل على ذلك من واقعة تقدم اسامة بن زيد الى النبى صلى الله عليه وسلم للتشفع فى أمر المخزومية التى سرقت . فقال له رسول الله : « ياأسامة . اتشفع فى حد من حدود الله ؟ انما هلك بنو اسرائيل أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

والعقوبة فى الاسلام شخصية لاتصيب الا الجانى ولا تتعداه الى غيره وهى قاعدة مطلقة فى الشريعة الاسلامية فقد قال تعالى : « ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى »

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لايؤخذ الرجل بجريرة ابيه ولا بجريرة أخيه »

وتنقضى العقوبة فى الشريعة الاسلامية - فى الدنيا - بتنفيذها كما تنقضى بالموت والعفو والصلح والتقادم . وهذه الطرق جميعها عرفها الفقه الغربى . الا أن الشريعة تتميز بسبب آخر من اسباب الانقضاء وهو التوبة . فقد انفردت بها الشريعة دون القانون الوضعى وذلك لسبب لايخفى وهو الحث على الكف عن المعاصى . فقد قال تعالى فى الزنا : « فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما . » وقوله تعالى فى السرقة : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « التوبة تجب ما قبلها » .

وفى القانون الوضعى اتجاه للاخذ بفكرة التوبة كوسيلة من وسائل انقضاء العقوبة فى بعض الحالات وذلك باعفاء بعض الجناة من العقوبة فى بعض أنواع الجريمة ان هم اعترفوا بالجريمة قبل وقوعها او قبل القبض على المحرضين والمدبرين لها كحالة الاتفاق الجنائى - او حتى بعد وقوعها كما فى التوسط والرشوة

موقف الإسلام

من الوثيقة المقدمة الى المجمع المسكونى لتبرئة اليهود من دم المسيح

الدكتور على عبد الواحد وافى

تقدم جماعة من رجال الدين المسيحى الى المجمع المسكونى المنعقد الآن فى روما تحت رياسة بابا الكنيسة الغربية الكاثوليكية بوثيقة يقررون فيها تبرئة اليهود من دم المسيح ، وأن تبعة صلبه لا تقع الا على من اشترك منهم فى هذا الجرم أو ساعد عليه ، فلا تقع على جميع اليهود الذين كانوا معاصرين لهذا الحادث ، ولا تقع من باب أولى على من خلف من أجيالهم من بعد هؤلاء ، ويطلبون الى المجمع أن يأخذ برأيهم ، ويصدر بشأنه قرارا يعدل ما جاء فى أناجيلهم فى هذا الصدد ، ويلغى ما يكرره المسيحيون فى صلواتهم من عبارات تدل على تأثيم جميع اليهود ـ وذلك أن أناجيلهم الأربعة المعتمدة « أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا » تحمل اليهود جميعا تبعة صلب المسيح ، سواء فى ذلك من اشترك منهم فى صلبه أو ساعد عليه ومن لم يشترك فيه ولم يساعد عليه ، وسواء فى ذلك المعاصرون منهم لهذا الحادث ومن يجىء بعد ذلك من ذرياتهم ، وتضع فى صلوات المسيحيين عبارات تدل على هذا الشمول .

ومن وراء هذا التصحيح الدينى النظرى الذى يتظاهر أصحاب هذه الوثيقة بأنه الدافع لهم على ما أقدموا عليه ، يختفى غرض سياسى عملى لعله هو المقصود بالذات لديهم ولدى من حركهم ووقف من ورائهم ، وذلك أن تتحسن نظرة العالم المسيحى الى اليهود

وتاريخهم ، فيزداد عطفا عليهم ، ومساعدة لهم ، ومناصرة لعصاباتهم في أرض فلسطين .

وقد انتصر لهذه الوثيقة عدد كبير من أعضاء هذا المجمع ، وعارضها كثيرون من رجال الدين المسيحي بحجة تعارضها مع نصوص الأناجيل ، وحمل لواء هذه المعارضة بوجه خاص رجال الكنيستين المرقسية المصريه والشرقية اليونانية أو كنيسة الروم الأرثوذكسية . وعنيت صحفنا أيما عناية بمتابعة أخبارها ، وانحازت انحيازا ظاهرا الى طوائف المعارضين لما تقرره .

والاسلام لا يقر شيئا مما يذهب اليه المؤيدون لهذه الوثيقة ولا مما يذهب اليه المعارضون .. فكلا الفريقين يقرر ان المسيح قد صلب بالفعل وأنه قد اشترك في صلبه أو ساعد عليه جماعة من اليهود ، على حين أن الاسلام ينفى حادث الصلب نفسه ، ويقرر أن المسيح لم يقتل ولم يصلب ، وانما شبه لمن حاولوا قتله أو صلبه . وفي هذا يقول القرآن الكريم متحدثا عن اليهود : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف - بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا - ، وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » .

(آيات ١٥٥ - ١٥٨ من سورة النساء) .

وما يقرره القرآن في هذا الصدد يقرر مثله انجيل من الأناجيل غير المعتمدة لديهم وهو انجيل برنابا - فيقرر هذا الانجيل ان الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الأسخريوطي (تذكر الاناجيل وسفر اعمال الرسل للوقا أن يهوذا الاسخريوطي كان من حواريي المسيح ، ثم خانه ويسر للرومان واليهود قتله وأرشدهم اليه وتقاضى منهم أجرا على ذلك) فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح . وفي هذا يقول ما نصه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع . سمع يسوع دنو جم غفير ، فانسحب الى البيت خائفا . وكان الأحد عشر نياما (يقصد الحواريين الأحد عشر) . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه جبريل وميخائيل ورفائيل وأدريل (أى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل) أن يأخذوا يسوع من العالم . فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب ، ووضعوه في السماء الثالثة مع الملائكة الذين يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ... ودخل يهوذا بعنف الى الحجرة التى عرج منها بالمسيح ، وكان التلاميذ كلهم نياما .. فأتى الله بأمر عجيب . فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، وأصبح شبيها بيسوع في كل شيء حتى اننا اعتقدنا أنه يسوع (يحكى هذا برنابا عن نفسه وعن اخوانه) اما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين هو المعلم (يقصد المسيح) . لذلك تعجبنا واجبنا : أنت يا سيدى معلمنا ! انسيتنا الآن ؟ ! » .

ويذكر هذا الانجيل نفسه في موطن آخر الحق أقول : ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع ، لذلك خرج بعضهم من تعاليمه ، معتقدا أنه كان نبيا كاذبا وأن الخوارق التى ظهرت على يديه انما ظهرت بصناعة السحر ، لأن يسوع قال انه لا يموت ... » - ثم يذكر هذا الانجيل أن يسوع طلب الى الله أن ينزل الى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره ، ومن اعتقاد بأنه هو الذى صلب ، وأنه نزل ثلاثة أيام .. ثم يقول : « ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا انه مات ، وقال لهم : « ان الله قد وهبنى أن أعيش ، أتحسبوننى أنا والله كاذبين .. الحق أقول لكم اننى لم أمت ، بل الذى صلب هو يهوذا الخائن . احذروا

لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، وكونوا شهودى فى كل اسرائيل وفى العالم أجمع على جميع الأشياء التى رأيتموها وسمعتموها » .

والاسلام يقرر أن الوزر لا يحتمل اثمه وتبعته الا من اقترفه . وفى هذا يقول الله تعالى فى كتابه الكريم : « .... **ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للانسان الا ما سعى » ..**

(آيتى ٣٨ ، ٣٩ من سورة النجم » .

* * *

ولذلك لا يقر الاسلام المبدأ نفسه الذى يذهب اليه المعارضون لتبرئة اليهود من دم المسيح ، وهو أن تتحمل الذرية تبعة الجرم **الذى اقترفه آباؤهم أو أن يتحمل الخلف تبعة جرم ارتكبه نفر من سلفهم ، بقطع النظر عن صحة وقوع الجرم الذى يتحدثون عنه أو عدم صحته . ولذلك أيضا يقرر الاسلام بطلان جميع ما جاء فى أسفار اليهود والنصارى من عقائد من هذا القبيل .**

ومن ذلك ما تذهب اليه جميع طوائف المسيحيين وتقرره أناجيلهم الأربعة المعتمدة لديهم من أن المسيح قد صلب ليكفر بدمه الخطيئة الأزلية التى ارتكبها آدم اذ عصى ربه وأكل من الشجرة ، والتى انتقلت الى جميع نسله واحتملوا تبعتها واثمها ، وكانت ستظل عالقة بهم الى يوم يبعثون لولا أن افتداهم المسيح بدمه .

ومن ذلك أيضا ما يذهب اليه اليهود وتقرره أسفار توراتهم المزعومة من أن جميع شعب كنعان قد حقت عليه اللعنة لجرم ارتكبه أبوهم . وذلك أن نوحا - حسب ما يزعمه سفر التكوين - قد شرب مرة نبيذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصيته المسكرة ففقد وعيه وانكشفت سوأته فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه وحمل الخبر الى أخويه : سام ويافث . ولكن هذين كانا أبر منه بوالدهما وأكثر أدبا حياله ، فحملا رداء وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه . فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ولعن جميع نسله ودعا عليهم أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافث (فقرات ٢٠ - ٢٩ من الاصحاح التاسع من سفر التكوين) .

* * *

ومن هذا يتبين أن من واجب المسلمين ألا يلقوا بالا لهذه الوثيقة وما يحدث بين طوائف المسيحيين من خلاف فى صددها ، وأنه **لا ينبغى لمسلم أن ينحاز لرأى فريق منهم ، سواء فى ذلك فريق المؤيدين لما جاء فيها وفريق المعارضين ، فكلا الفريقين يبنى آراءه على مبدأ لا يقره الدين الاسلامى ، وأن واجبنا الدينى يقضى علينا فى هذه المناسبة أن نعلن على رءوس الأشهاد أن عداءنا لعصابة اسرائيل وعملنا على القضاء عليها لا ينبعثان عن عدائنا لشعب ولا لدين ولا عن تحميلنا لليهود تبعة اثم اقترفه آباؤهم ، وانما يرجع سببهما الى اغتصاب هذه العصابة لقطعة من أرض الوطن العربى ، ولأنها صنيعة الاستعمار وأداته لتحقيق مآربه الآثمة فى الكيد للعرب والعروبة .**

الإسلام ودستور العلاقة بثروة الأرض

-١-

الأستاذ البهى الخولى

ليس هذا بحثا فى الاشتراكية ، ولا فى استغلال موارد الأرض ، ولا هو مما اعتاد الناس ان يتداولوه من شؤون الاقتصاد ... انما هو خطوات الى الوراء ، الى ما قبل الاشتراكية ، واستغلال الموارد ... خطوات الى الأزل البعيد لنتبين على ضوئه حقائق تنظم صلتنا بثروة الأرض ، فان البشرية لم تستطع فى قديمها ولا فى حديثها أن تنظم تلك الصلة على أساس يكفل لها الاستقرار والسلم

لقد امتلأ تاريخها فى القديم بنزعات الأثرة ، والاستبداد ، والمنافسة ، والحروب والثورات بين الأمم بعضها وبعض ، وفى النطاق الداخلى للأمم بين الأفراد بعضهم وبعض ، لأن صلتها بثروة الأرض لم تكن تقوم على أساس سليم ، وهى فى حديثها على النهج نفسه من نزعات الأثرة ، والمنافسة ، والحروب ، والثورات ، ولقد ذهبت تحاول تنظيم تلك الصلة بكل ما هديت اليه من فلسفة وعلم وتجربة ، ولهجت خلال ذلك بالشيوعية والاشتراكية والرأسمالية ، ونوعت تلك المذاهب انواعا معتدلة ومتطرفة ، ويمينية ويسارية .

لقد وقف الاقتصاديون والاجتماعيون يقررون : أن كل ما تضطرب فيه الانسانية اليوم من منافسة أو عداء ، أو مشكلات انما يرجع الى سوء علاقة الانسان « بالمواد الخام » ولم يذكروا شيئا لتحسين تلك العلاقة .. لقد وصفوا أعراض العلة ، ولم يصفوا العلة نفسها ولا علاجها .. فهل من دستور يحسم الحيرة ويبرىء من العلة ، وتستقر به العلاقة على قرار من الطمأنينة والسلم ؟

نعم .. ولكن هل نجد فى النفوس والأذهان استعدادا للسماع والتقبل ؟

ليس لدينا أى منهاج اقتصادى ، فقد جربت الانسانية كل ما فى جعبتها من مناهج وحلول اقتصادية ، ولم يعد فى تلك الجعبة شىء يجرب ، وكل ما بيننا وبين غيرنا اننا نؤمن بالاقتصاد المتصل بالروح ، وهم لايرون الا الاقتصاد المحض ... ومع أن فيهم من لاينكر الله والروح فهم جميعا يتصرفون على ان الله لا شأن له بالكون .. لقد خلق الكون كله سماءه وأرضه ، وشمسه وقمره ونجومه

وجباله وبحاره ونباته وحيوانه وانسانه ، ثم تركهم وشأنهم يدبرون انفسهم على مايريدون .. فالانسان على هذا واحد من تلك الخلائق الطبيعية ، لايمتاز منها بشيء الا بأن درجته اعلى منها فى سلم الحياة ، كما أن من الحيوان الأعجم ماهو أعلى من غيره فى ذلك السلم .. وهذه النظرة الحسية الضيقة تحصر أذهانهم فى حيز ضيق حين نظرهم فى علاج المشكلة ، ويزيد من خطورة ذلك انهم يعتقدون أنه هو الحق ، وان التحول عنه انما هو امتهان للانسان وكرامة العقل .. ويزيد عجبك اذ تراهم يؤثرون البقاء مع الحيرة والاضطراب على محاولة التجربة شيئا مما يقع خارج تلك النظرة الحسية .. لقد فضلوا البقاء مع اليأس على أن ينظروا صلة الكون بخالقه وامتياز الانسان بوصف الهى ..

• ان ما بيننا وبينهم هو فارق النظرة الى الانسان والكون ، وهو ليس فارقا يهدر العقل وأوضاع الواقع ، بل يوسع مجال العقل بمنطق يصل حقائق الواقع بحقائق الروح ، وليس فى اعتقاد الانسان أن الأرض لله مايدعوه الى نبذ الواقع ، بل فيه احساس جديد يهب لتصرفاتنا فى ذلك الواقع لونا من السمو والرفق ، وليس فى ايماننا بأن فى الانسان وصفا الهيا مايجعله يعتزل الدنيا ويضل فى متاهة الغيب ، بل فيه أن هذا الايمان يستصفى لضميره من التأمل فى عبر ثمار الأرض وخيرها زادا من المعرفة والجمال ومكارم الخلق يعلق همته بالمثل العليا والعمل على تحقيقها ، ويجعله يقبل على الواقع على أنه خادم لغايته ، ووسيلة لتحقيق مثله .. وليس ثمة ضير على الانسانية أن يتصرف الانسان فى أوضاع الواقع بأدب المؤمن بالله ، ووجدان المتعلق بتحقيق مثل الحق والخير ، فماذا عليها ان تجرب مالا ضير فيه بدل البقاء على الضير الواقع بها من نظرة الحس وعقل لاروح له ؟

— ٢ —

لقد قلنا : انه ليس لدينا أى منهاج اقتصادى وقلنا : انما هى خطوات الى الوراء ، الى ماقبل الاشتراكية ، والشيوعية ، والرأسمالية واستغلال الموارد ... خطوات الى الأزل البعيد لنتبين على ضوئه « حقائق » نؤسس عليها صلتنا برزق الله فى الأرض .. وكتابنا الحق ، القرآن الكريم ، قد جاء بما لا نستطيع الاحاطة به من تلك الحقائق الأزلية البديهية ، ولكنا نقدم منها بجهد العقل بضع حقائق ، أو قواعد ذات غناء وكفاية فيما يأتى :

القاعدة الأولى : أن نلحظ فى كل نعمة — سواء أكانت ثروة حسية ، أم موهبة فى الانسان — أنها من عند الله تعالى ، ومن خلقه سبحانه

وذلك أمر توجبه البديهة وتمليه الفطرة أو تقر به .. فالانسان لم يخلق لنفسه تلك النعم وهى لم تخلق نفسها له ، فبقى أن خالقا خلقها هو الذى يجب أن نعترف له بها ، وننسبها اليه جل شأنه ، واذا كان هذا هو حكم البديهة ومنطق الفطرة فقد قرره الله تعالى بقوله فى القرآن : « **ومابكم من نعمة فمن الله** » .

وملاحظة هذه الحقيقة ضرورية لعدة أمور منها :

١ — ان ذلك هو الحق الذى تسلمه الفطرة ويقرره الوحى ، فيجب أن يكون ماثلا فى أذهاننا لنقيم تصرفاتنا على مقتضاه ، فاذا لم يكن ذلك الحق ماثلا فى أذهاننا تولى الباطل مكانه ولابد وليس بعد الحق الا الضلال ..

٢ — أن ملاحظة نسبة النعمة الى الله تعالى معناها ورود ذكر الله على ضمير المرء ، وهو من صميم عبادة الله جل شأنه ، وله أثره الحسن فى سلوك صاحبه .

٣ — أن ملاحظة انعام الله بالنعمة ، وأنها محض فضل الله على عباده ، يعصم المرء من غرور مدمر لحقيقته الروحية والعقلية غروره بماله ، أو غروره بمواهبه ..

● وقد ضرب الله مثلا لغرور المال صاحب سورة الكهف اذ قال لصاحبه وهو يحاوره : « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا » فقال له صاحبه وهو يحاوره : « أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ، ثم سواك رجلا ؟ » فهذا الفقير بلغ من احساسه بأن الله مصدر النعم والخلق كله ، أن ذكر أصل التراب الذى خلق منه الانسان .. ثم النطفة التى

تطور اليها .. وان النطفة وقبضة التراب كل منهما تمثل حالا من السلب والعجز لايتصور لهما فيه أى حول أو طول أو تصرف فى شىءما فضلا عن أن تكون مالكة لشىء .. فاذا تطورت حتى صارت رجلا يملك الأموال والعقار ،فذلك كله تدبير الله وفضله الذى يجب ألا يجحده الانسان والا يغيب عن ذهنه ، ولذا نصح لصاحبه الذى اخذته فتنة المال ان يشهد صدور نعمته من الله ، وأن يذكر أن هذا المال هو شىء قد اراده الله له ، فقال : « ولولا اذ دخلت جنتك قلت : **ماشاء الله ، لاقوة الا بالله**» فقوله : ماشاء الله ، خبر لمبتدأ محذوف ، وسياق الكلام بدون حذف : « هذا ماشاء الله » .. اى هذا الذى أرى من المال هو مال أراده الله لى ، بلا حول منى ولا قوة ، فهو صاحب المنة به ، وله الحمد عليه .

فنحن نرى فى هذا المثل : ان الرجل ــ اذ فاتته ملاحظة نسبة النعم الى الله ــ أخذه غرور المال فقال كلمته الآثمة الفارغة : « أنا اكثر منك مالا وأعز نفرا » .. وهى كلمة اذا وزنها العقلاء كانت دركا أسفل فى التفاهة ، واذا وزنها أرباب الأخلاق ، كانت مثلا مخزيا فى الصفة ، واذا قدرتها بصائر المؤمنين كانت جحودا لشأن الله هو الكفر بعينه ، ولذا قال له صاحبه : « أكفرت بالذى خلقك من تراب ..الخ » .

● وضرب الله مثلا لغرور الموهبة ذلك الأحمق الذى نصحه قومه **أن يبتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة ، وأن يحسن كما أحسن الله اليه** ، ولكنه كان قد أخذ نفرور موهبته ونسى احسان الله فقال فى جحود واستعلاء : « **انما اوتيته على علم عندى** » مشيرا الى كفايته الاقتصادية وخبرته بتثمير المال ، وهو لون من الذهول عن ملاحظة نسبة المواهب والنعم الى الله ، لاتعليق لنا عليه الا معنى ما علقنا به على شأن صاحبه فى سورة الكهف .

● على أن الاعراض عن ملاحظة أن النعمة من الله لايورث صاحبه تفاهة الفكر ، وضعة الخلق ، وجحود الله فحسب ، بل يمهده لضربين من السلوك لكل منهما أسوأ الأثر فى قومه وبيئته ..

أحدهما : سلوك يفتن الناس عن قيم الحياة الصحيحة ، ويشوش عليهم مثلها العليا ، ويردهم الى أخس الأهداف فيجعلها مادية محضة ، وينزع من صدورهم نعمة الرضا بما هم فيه ، وذلك هو مايتضمنه قوله تعالى : « **فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ، انه لذو حظ عظيم** » وحسب المرء شرا أن يحل بقومه تلك الآثار المدمرة .

والسلوك الآخر : هو أن تفاهة الفكر والخلق تثمر فى نفس صاحبها ــ الغنى أو القادر ــ طغيانا وبغيا ، فيكون ذا سلوك ايجابى فى استضعاف من حوله .. فقارون صاحب المثل الثانى ينسب اليه القرآن أنه « كان من قوم موسى فبغى عليهم » والبغى سلوك بالجور والاستطالة ينشأ فى نفس صاحبه حين يستشعر ــ بماله وموهبته ــ القوة على من دونه من الضعفاء .. وصاحب سورة الكهف لايرى فى غناه وفقر صاحبه الا معنى القوة والضعف ، فيقول له وهو يحاوره : « **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا** » وهى كلمة تدل على طبيعة السلوك الذى ينبعث اليه فى قومه هو ومن على شاكلته ..

● والقرآن الكريم بهذين المثلين ــ وغيرهما ــ انما يقرر أصول الحقائق ، ولا يستطرد الى الفروع وجزئيات السلوك ، فان الناس فى كل عصر يعرفون الكثير من تلك الجزئيات حين يختل بينهم تقدير القيم ، وتشيع آفات النسيان ، وهى آفات **لايعصم منها الا أن نلاحظ فى كل نعمة انها من عند الله** .

***

القاعدة الثانية أن نلاحظ تدبير الله فى ملاءمة نعمه لطبائعنا ومصالحنا ..

وهذا أيضا أمر طبيعى ، لايتكلف فيه الانسان أى معاناة فكرية ، فان التمييز بين الملائم وغير الملائم أول ما يلتفت اليه المرء .. واذا كان الله تعالى هو مصدر النعمة فان اسناد تلك الموافقة الى عنايته سبحانه بنا أمر يوجبه المنطق ، فليس من المسلم به أنه تعالى اذا خلق نعمة أرسلها جزافا ، فجاءت الموافقة رمية من غير رام دون تقدير لها أو علم بها ،

حاشاه ، وما أحكم منطق القرآن اذ يأخذ الطريق على كل تفكير جزافى بقوله تعالى : **« أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم انزلتموه من المزن ، أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون »** . فاذا كان قوله تعالى « أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » يوجه الذهن الى مضمون القاعدة الأولى بملاحظة ان الله تعالى هو مصدر النعم ، فان قوله : **« لو نشاء جعلناه أجاجا »** يوجه الذهن الى ملاحظة تدبيره فى جعله ملائما لأذواقنا وطبيعتنا ، وهو مضمون القاعدة الثانية ، فان ماء المزن قدا ستخلصه الله - بقوانينه - من ماء البحر الأجاج الملح ، وكان مقتضى ذلك أن يأتى أجاجا كمصدره ، فاذا خالف المصدر وجاء عذبا فراتا كان ذلك آية التدبير الذى عدل بالشيء عن أصله ليوافق ما أراد سبحانه من مصلحة خلقه .. فاذا راعنا أن ذلك تم بقوانين مقدرة دقيقة كان الحكم باسناد التدبير الى ارادته سبحانه أمرا لامناص منه فالقاعدة يوجبها نظر الفطرة ، ومنطق الطبيعة ، ونص الوحى ..

● والمقصود بملاحظة تدبير الله أمران :

الأول : شهود عنايته سبحانه بنا ،ومايبنثق فى نفوسنا بهذا الشهود من اقبال عليه تعالى بالثناء ، والشكر والحب ، وما أحكم المناسبة اذ ختمت عبرة الماء بالشكر فى قوله تعالى : « لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون » .. وانظر ذلك أيضا فيما وجهنا سبحانه اليه بقوله : **« وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون »** ، فهو شهود نرى فيه عنايته سبحانه بنا ، وحفاوته بجعل نعمه ملائمة لنا : جميلة الألوان ، حسنة الطعوم ، سائغة المذاق .. ولاشك أننا نرى فى اللبن السائغ ، وسكر الفاكهة أمرا زائدا على ماتدعو اليه ضرورة البدن يبدو فى تودد الخالق الينا بجعلها أنيقة فى الذوق والنظر ، فلا يكون من أثر الذكر والشهود الا التأثر بكرمه وفضله سبحانه ، وأن نقبل على الود بالود ، والنعمة بلزوم الثناء والحمد ..

والأمر الثانى : شهود آيات الله الدالة على قدرته وسائر صفاته الى جنب ما نشهد من عنايته سبحانه بنا ، ومايبنثق فى نفوسنا ووعينا بهذا الشهود من آيات المعرفة ووجدان تعظيم الله جل شانه ، وانظر آياته سبحانه فى تسخير الانعام والبحار لنا - مثلا - ومدى ملاءمة ذلك التسخير لمصالحنا .

● فمما جاء فى تسخير الانعام قوله تعالى : **« أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت ايدينا أنعاما فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون »** .

وتذليل الأنعام مراد به أن طبعتها سونت على احكام الانقياد ومقتضيات الطاعة ، ولو اعفى الله الأنعام من فطرة الانقاد ، ووهب لها من الملكات مايعارض سيطرة الانسان عليها ، لما أمكنه ان ينزلها على حكمه وطاعته ،واكثرها اشد قوه منه ، ولو استطاع أن يغلبهاويدخلها فى أسره وقهره ، لما تذللت ، ولبقيت علىطبعها النافر الشموس ، تتربص أن تفتك به أوتهرب او تدركها الذبول فتنفق - تموت - بعد قليل لأنها حملت على غير طبيعتها .. وفى كل ذلك لا ينتفع بها : لا يركبها آمنا ، ولا يحمل عليها ولا يجر ، ولا يحرث ..

ولكنه تعالى جبلها على فطرة الانقياد ، فهو غريزة لها ، اذا تعطلت فيها يوما ظلت تنشد الظروف التى تجرى فيها على سجيتها ، فما هو الا ان تراد ، أو تروض على التأنيس حتى تلقى بزمامها لأنها هدت الى ناموس فطرتها ، حتى لترى الطفل فى سن الثامنة او السابعة يقود البعير بخطامه فينقاد له فى ذهول عن الفارق الشاسع بين قوته وقوة الطفل ، ولو أنه ضربه بخفه ضربة واحدة لأرداه ، دون أن يجد الطفل من القوة أو الحيلة مايدفع به عن نفسه أو ينجو .. **فهذا الذهول عن الفارق بين قوتها وقوة الطفل يحمل لونا من اسرار التذليل الذى تمت به منفعتها للانسان .**

● ومما جاء فى تسخير البحار قوله تعالى **« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »**

ومن معنى التسخير بالنسبة للماء أن الله تعالى خلقه على كثافة تجعله قادرا على حمل كثير من الأشياء فتظل طافية عليه ، أوتجرى الى حيث يدفعها التيار أو الريح ، أو الى حيث يريد الانسان .. وقد علمنا القانون الذى تطفو به الأجسام على الماء ، وانتفعنا به فى صنع الزوارق الصغيرة ، والعمائر التى تجرى فيه بما ينفع الناس .. ولو جعله الله على عشر كثافته - مثلا - لما أمكن لسفننا الحالية أن تطفو عليه ، لأنه لايستطيع حملها ، فتهوى الى القاع ، فتتعطل كافة مصالحنا التى تقضى الآن بقوانينه الحالية .. وقد لقننا الله الى ذلك المعنى ، وأشار الى عجزنا بازائه اذ قال : « وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون» وخلقنا لهم من مثله مايركبون ، وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ، ولا هم ينقذون » .. وآية الفلك تتضح للأذهان اذا غير الله فجأة كثافة الماء ، فاذا كل شىء عليه يغرق لفوره ، دون ثورة ماء ، أو هياج عاصفة ، ودون أن تكون لهم فرصة يصطرخون فيها ، فما هو الا الأمر الواقع ، لايستطيعون أن يغيروا منه شيئا ، ولا تجدى حيلة من انبعث اليهم للاغاثة لأنه يذهب الى القاع مع من جاء يغيثه « فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون ،الا رحمة منا ومتاعا الى حين » .

● فملاحظة تدبير الله فى ملاءمة نعمه لطبائعنا ومصالحنا تثير فينا احساسا عميقا بعنايته سبحانه بنا ، وتكشف لبصائرنا آثار صفاته وآيات تدبيره فى الخلق ، ونجد لها فى الضمير والوعى وجدانا بتعظيم الله وتقديسه والثناء عليه ، مع لون من المعرفة هو أقدس مايسمو اليه الانسان من حقائق العلم .. فاذا كان ذلك من صميم عبادة الله ،واستنارة الذهن والضمير بأشرف المعانى والمثل ، وهو أفضل مايرشح الانسان للحياة المثلى ، فانه رباط روحى لابد منه يتآزر فيه الوجدان والعقل الراشد على توثيق علاقة الانسان بحقيقة الكون ، اذ لابد للانسان أن يتعاطف ، وأن يتوائق مع الكون الذى يحيا فيه ، بذلك الرباط ، أو العهد الغنى بالمدارك المبصرة ، والمشاعر النابضة بالخير ، والوفاء ، والحب ، ليصحب الكون على فهم ، والفة ، واحساس بجماله وقدسيته .

***

القاعدة الثالثة : ذكر فضل الله فى النعمة حين الانتفاع بها ، مع شهود عجز النفس عن تدبير مثلها .

وذلك - ايضا - طبيعى ، فانه اذا كانت النعم من الله ، وكانت ملاحظة تدبير الله فيها أمرا طبيعيا ، كان ذكران فضل الله فيها حين الانتفاع بها أوكد وأولى ..وقد شرع الله تعالى تلك القاعدة بقوله : « **والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون ، لتستووا على ظهوره ، ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ، وتقولوا سبحان الله الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين** » ، ففى الآية الكريمة نص على أمرين :

الأول : ان تذكر نعمة الله حين الانتفاع بما سخرلنا ، وذلك قوله : « ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه » .

والثانى : أن نشهد عجز أنفسنا وقصور طاقتنا عن تسخير تلك الكائنات - الأنعام والفلك - وتذليلها للخدمة ، فضلا عن خلقها « وما كنا له مقرنين » أى ماكنا مطيقين تذليله

فاذا رأى الانسان نفسه قد استوى على تلك الكائنات ذلولا مسخرة بلا حول ولا قوة ، فليذكر أثر الخالق ونعمته فى ذلك ، وليذكر اليه عجز نفسه التام بازائه ، فانه ذكر يكشف له القناع عن أفق الحقيقة ، حيث تشهد بصيرته أثر صفات الله ووده ، فينفعل وجدانه وينطق بأقدس مايلخص اعتبارات الموقف : **« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »** .

على اننا اذا رجعنا الى القرآن وجدنا كثيرا من آياته يقرن استعمال النعمة بالتفكر فى شأن المنعم بها وتسبيحه جل شأنه : **«ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون »**

« يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » « وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ، وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ، سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون » .

● ومن مزايا تلك القاعدة أنها تجعل الانسان فى حال ملكية حين الانتفاع بنعم الله من طعام أو شراب أو نحوهما ، فان صفات الحيوانية أشد ماتكون استيلاء على الانسان ؛ وهو يأكل أو يشرب ، أو يقضى لجوارحه ونفسه شهوة من شهواتها ، فاذا استرسل يتخوض بلا زمام فى تلك الشؤون ، تمكنت منه نهمة الحيوان ، وعوقت جوهر انسانيته أن يطلع زهره وثمره .. فاذا ذكر نعمة الله فيما بين يديه ، انسلخ سلطان الحيوانية عنه ، واستولى عليه وجدان التقديس لرب الكائنات فأكل ، أو شرب ، أو قضى ماهو بصدده وهو فى حال زاكية ، نازعة الى ماهو ازكى ، تقف بضرورات الحيوان عند مقاصدها الطبيعية ، ولا تدع لها سبيلا الى النشوب فى مزاجه والاستيلاء على ضميره ، ولعل ذلك يتصل ببعض المقاصد التى أراد الله تعالى بقوله : **« والذين كفروا يتمتعون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى »** ، فان وجه الشبه فى الآية يتجاوز الصورة الحسية التى تتقابل فيها مشابه أكل الكافرين فى الظاهر بأكل الأنعام ، الى الصورة المعنوية الباطنة التى يخلو فيها ضمير كل منهما من أى خاطرة لذكر الله ، أو فكرة تقدر نعمة من نعمه .. فاذا استطاع الانسان ان يحرر ضميره من وصف الحيوانية ويتحقق بأوصاف الكمال فى الأوقات التى يؤدى فيها لبشريته حقها الطبيعى ، كان على ذلك أقدر فى غير تلك الأوقات .. فالقاعدة التى نحن بصددها معراج من الفكر والوجدان يسمو به المرء من النزعات المعارضة لأوصاف الكمال الى المستوى الربانى الذى يحقق فيه ذاته العليا ، ويمارس ما أسند اليه من تكاليف رسالته الخالدة .. رسالة الحق ، والعدل ، واقامة أحكام الله فى الناس .

- ٣ -

تلك حقائق مما نريد عرضه من كتاب الله .. وقد وضح منها أنها تمتاز بأمور ، منها أنها روحية محضة .. وأنها مع روحيتها تقترن بالمنطق ، بل تتغلغل فيه ولا تفارقه .. وأنها مع اجتماع الروحية والمنطق فيها تتجنب النظريات ، وتلتزم الواقع : تسوقنا الى التأمل فيه ، وتجعله أساسا لاستنباط الحقائق ، فالأنعام ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، واللبن السائغ ، والماء الذى نشرب ، وثمرات النخيل والأعناب ، ذلك ونحوه امور من واقعنا الحسى ينفذ بنا القرآن من ظاهر مادتها الى أصول الروح فيها ، وما أصول الروح الا أثر صفات الخالق جل شأنه فى تدبيرها على قوانين علمية محكمة

ذلك مايقال عنه انه غيبيات تبدد طاقة العقل فى وهم لاواقع له ، قد رأيناه يهدينا الى حقائق واقعة بديهية ، ويثير الذهن الى تقليب وجوه النظر فى عبرها وأحكامها ، وينير جوانب النفس بثروة من المعانى العالية والوجدانات الشريفة ، فاذا رأينا فيه لونا من الثقافة الكونية يصلنا بما نجهل من الكون ، ويهدى الينا نفوسنا فى اطار من المعرفة والوضوح ؛ فانه الأصول التى جهلتها الانسانية ، فاضطربت فى واقعها العملى اضطرابها المعروف ، وما شاكل الاقتصاد فى السياسة ، والحروب ، والمنافسات ، والقلق النفسانى الا اعراض عدم الاهتداء اليها .. فلعلنا نفيق من تلك الخمرة التى يسمونها الواقع ، ونقوم بعملية استكشاف لمعالم الواقع الحق على ضوء ايماننا بالله . استكشاف لأنفسنا وحقيقة ماحولنا ، فان الانسان لم يفهم نفسه بعد ، ولم يفهم ماحوله ، وليس من عجب لمن يعيش بغير نفسه ، ويحيا فيما يجهل ، أن تدركه الحيرة ، وأن يكون أمره كله عناء فى عناء ... وليس عليه الا أن يفهم .. فما حقيقة الانسان ؟ .. وما حقيقة صلته بما حوله ؟ .. وماضرورة ثروة الأرض له ؟ وما مكانها فى رسالته ؟

ذلك ماستجيب عنه قواعد المقال القادم ان شاء الله

فرحة العيد

الأستاذ محمد محمد السباعي

اليوم عيد ..
اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..
يا أخا الاسلام ..

لقد أعتادت الأمم الناهضة ان تحتفل وتقيم الاعياد لانتصارها على الأعداء وعلى قوى البغى والطغيان .

والنفس البشرية عالم من العوالم التى تتصارع فيها القوى قوى الخير وقوى الشر ولكل جنود مجندة . فجنود الخير يقتادها الايمان وجنود الشر يقتادها الشيطان .

ان انتصار الايمان وجنوده يخلق من الانسان بشرا سويا بل ملاكا سماويا . وانتصار الشيطان وجنوده يجعل الانسان أقرب الى الحيوان ويربطه بفصيلة الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون . كيف لا وقد أخلد الى الارض واستهوته الشياطين فكان كما وصفه الله « اسفل سافلين » .

ولننظر الآن الى ذلكم الانسان المؤمن الذى خرج من شهر رمضان صائما لأيامه كما اراد الله ومؤديا لزكاته كما اراد الله .

اليس ذلك هو الانتصار الذى تقام له الأعياد وينشرح له الفؤاد وتحتفل به البلاد .

اليوم عيد ..
اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..
يا اخا الاسلام ..
انه عيد جاء بعد امتحان عسير وجهاد مرير .

امتحان فى صحة العقيدة والايمان . فلم يكن الصوم الصحيح المقبول الا امتحانا يمتحن الله به عبدا من عباده ائتمنه على يقينه وعلى دينه ولم يكن الا سرا بين العبد وربه . بخلو الصائم الى نفسه وفى استطاعته ان يفطر فلا عين ترقبه ولا لأحد عليه لائمة فلا يمنعه من الأفطار الا خشية ربه الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ولا يحول بينه وبين ارتكاب الآثام وغشيان الموبقات والمحارم الا ايمانه بان الله معه اينما كان وحيثما رحل . ومن هنا كان صومه امتحانا لهذا الايمان . وكم من الناس يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية فأولئكم لا يعمدون لمثل هذا الامتحان ولا يجنون من صومهم غير الجوع والظمأ والحرمان .

وأما كون الصوم جهادا مريرا فلان الصائم يجاهد نفسه ويجاهد طبيعته ويجاهد ما هو مركوز فيه من الميل الى الهوى فليس الصوم امساكا عن الطعام والشراب فحسب ولكنه ايضا اقلاع عن الشهوات وعزوف عن الموبقات وامساك عن اللغو من الكلام – هنا الجهاد المرير وهنا الانتصار على قوى البغى والطغيان .

اذن ليس كل من امسك عن الطعام والشراب يعد صائما انما الصوم الذى يهدف الاسلام اليه هو الصوم الذى يقف حائلا بين النفس وبين شهواتها . بين النفس وبين بلوغ اهوائها . فكم للنفس من شهوات وكم للنفس من أهواء وغايات لو خلى بين النفس وبينها لبلغ منها التلف أقصى مداه ولكان الهلاك مصيرها المحتوم .

اليوم عيد ..
اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..
يا اخا الاسلام ..

انك حينما تجردت من مادتك الارضية وتخلصت من موبقات النفس وتخففت من أثقال الجسم سموت بروحك الى الملأ الأعلى وشابهت الملائكة المقربين الذين لا يفترون عن ذكر الله — كيف لا وقد تخلصت من أوضار الحياة ومن كل ما يربطك بنزغات الشيطان فكنت انسانا ربانيا تقول للشيء كن فيكون .

وما للملائكة لا يحسدونك كما حسدوا من قبل أباك آدم حين خاطبهم ربهم بقوله « انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم » .

هل بلغت ما بلغت أيها المسلم الصائم الا بصبرك وجهادك وعزوفك عن متاع الدنيا الفانى وزخرفها الكاذب فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

اليوم عيد ..

اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..

يا اخا الاسلام ..

لك أن تفرح بهذا العيد لانك انتصرت على هوى النفس وهوى النفس أضر على الانسان من كل أعدائه .

— ان الهوى ما تولى يصم أو يصم —

يؤيد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم . ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه . ويؤيد هذا ايضا قوله عليه الصلاة والسلام : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى .

هنيئا لك أيها المسلم حينما انتصرت على شهواتك وعلى نفسك وعلى رغباتك وحرمت نفسك لذيذ الطعام وجرعتها كأس الحرمان . وهذا الجهاد اعنف جهاد يصادفه الانسان فى حياته .

يرى الطعام أمامه وهو جائع فلا تمتد اليه يده ويرى الماء الزلال أمامه وهو غرثان فلا تذهب اليه نفسه ويرى الشهوات تتراقص أمام عينيه وتحاول ادناءه منها واصطياده فى حبائلها فلا يخضع لها ولا يستسلم لمشيئتها — يظل على هذا الحال ثلاثين يوما وهو لايمانه ولثقته بربه يتمنى أن يكون رمضان السنة كلها .

مثل هذا الصائم له كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : فرحتان فرحة عند فطوره وفرحة عند لقا ربه .

فما له اذن لا يفرح فى هذا اليوم .. يوم العيد ؟ يوم النصر .. ما له لا يفرح وقد طهره الله تطهيراوفضله على كثير ممن خلق تفضيلا وفرض عليه الفطر فى هذا اليوم فضلا منه وكرما بعد ان اجتاز الامتحان بجدارة واستحقاق وقدم البرهان على صدق ايمانه وقوة يقينه فكان جزاؤه كما قال الله تعالى فى حديثهالقدسى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وانا اجزى به .. الخ .

اليوم عيد ..

اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..

يا اخا الاسلام ..

لك أن تفرح فى هذا اليوم لان انتصارك على النوازغ الشيطانية والحوافز النفسية الأمارة بالسوء كان سببه الصوم والصبر والجهاد طوال هذا الشهر العظيم شهر رمضان الكريم وان ما قدمته فيه من عمل صالح لم يذهب هباء فقد كتبه الله فى صحيفة أعمالك اضعافا مضاعفة وتوجه بالرضاء الكريم بعد ان اديت زكاة الفطر فان صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر .

يا اخا الاسلام ..

ان فرحتك فى هذا اليوم لا تتم ولا يبلغ السرور مداه الا اذا كنت فى قرارة نفسك تشعر بحاجة جارك الفقير وتحس بما يعتمل فى صدر المسكين وابن السبيل. لان المؤمن الصادق الايمان لا يرضى ولا ينبغى له ان يبيت شبعان وجاره جائع او يمسى مكسيا وجاره عريان ولا يصح له ان يفرح هو واولاده فى الوقت الذى يبتئس اولاد جاره لعوزهم وفقرهم .

اليوم عيد ..

اليوم عيدك أيها المسلم وأى عيد ..

يا اخا الاسلام ..

لك أن تفرح ما شاء لك الفرح فى هذا اليوم لسعيد بعد اجتيازك لهذا الامتحان العسير وهذا الجهاد المرير . لك أن تفرح فرحة المنتصر على عدويك اللدودين النفس والشيطان

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وان هما محضاك النصح فاتهم

حقا انه يوم النصر ..

يوم العيد ..

الاشتراكية العربية

مادية وروحية

الدكتور شحاتة السيد شحاتة

تمهيـــد :

حمدا لله تعالى على تبصيره لهذا الشعب العربى بكثير من عبر ماضيه ، وعلى هدايته له حيال حاضره ومستقبله ، وعلى تمكينه اياه من أن يحسن ترسم أهداف له سليمة، فأرشده فى ضوء ذلك كله الى الأخـذ بالتطبيـق الاشتراكى والى أن يحسن بلورته ليتخذ منه نظاما وفلسفة وحياة . فلم تولد الاشتراكية العربيـة عبثـا بل برر مولدها ماض فاقت أخطاؤه اصاباته وجاوزت سيئاته حسناتـه وزاد فشله على نجاحه. واستند مولدها أيضا الى حاضر يمكن اصلاحـه وتهذيبه ليقودنا بدوره الى مستقبل زاهر ننتظره ونتطلـع اليه .

ويعنى المفهوم العصرى للاشتراكية تأثيرات اقتصادية واجتماعيـة وسياسية تتكامل وتترابط ، أى يكمل بعضهـا البعض ويؤثر كل منها فى الآخرين ونتأثر بهما بدرجـات تعتمد كثيـرا على الأسلوبين التخطيطـى والتطبيقى للسياسات الاشتراكية المنشودة . وبدرجات متفاوتة تعنى الدول فى تخطيطها وتطبيقها الاشتراكيين بالميادين الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية . وقد تركز أساسا على أحدها مع الاكتفاء باليسير من العناية لميدان آخر أو اكثر ومع التفاوت أيضا فى مقدار التركيز أو العناية اليسيرة . ولا بد بالطبع أن تتزن الأساليب الاشتراكية فى جميـع حالاتها لتتزن أيضا الجهود المقترنة بها فتتزن بالتالى درجات الانضاج التى تستدفهـا مختلف المجتمعات . وفى هذا الصدد أيضا قد ينتحى الأخذ بالنظام الاشتراكى ناحيـة مادية بحتة دون أى اعتبار للناحية الروحيـة اللهم الا ما يأتى منها كعرف طبعت عليـه العلاقات الانسانية فى المجتمـع . وقد تلتزم الاشتراكية الناحيتين المادية والروحيـة بدرجات متفاوتة الحدة ، فقد تسوى بينهما وقد تغلب احداهما على الأخرى حسبما تمليه ظروف مجتمعها .

الأديان والقيم الروحية :

وأساسا تعتبر الأديان السماوية المنهل العذب للقيم والانطباعات الروحية التى جبلت عليها أعرق المجتمعات البشرية وأنبلها قصدا فمع اختلافات عقائدية – قد يقل أو يتسع مداها – ساهمت الأديان السماوية الرئيسية الثلاثة مساهمة جوهرية فى التهذيب الروحى للأجناس البشرية فى مختلف الأزمنة والأمكنة. فاليهودية والمسيحية والاسلام مليئة أحكامها المنزلة من السماء بحصيلة زاخرة من تعاليم سماوية كانت عونا دائما للآخذين بها على الجمع بين المادية والروحية خلال اجيال البشر ، وعلى مر حلقات وقرون التاريخ البشرى الطويل . وبدون الدساتير الأصلية التى صاغتها هذه الأديان ، ما كان للانسان أن يعى فلسفة السلوك الدنيوى فى ضوء الحساب الأخروى المرتقب . بل ان بقايا التراث الروحى التى قد تضعف أو توشك على الاندثار فى عدد غير قليل من المجتمعات الضعيفة الايمان أو المجتمعات اللامؤمنة ، هذه البقايا هى فى حقيقة الأمر قبس تخلف أو تسرب عن هذه الأديان فى أزمنة مبكرة .

وللدين فى المجتمع فضائل كثيرة ووظائف هامة تساعد فى مجموعها على استمرار حياة أفراد المجتمع على ركيزة قوامها التضامن والنظام والعمل اسعادا للفرد وللمجتمع الذى يعيش فيه . فمثلا يدعو الدين الى التماسك والترابط والى حب الخير للناس ومن ثم يدعو الى قيم جديرة بدورها بتهذيب شخصية المواطن والارتقاء به عقليا وروحيا . ويلطف الدين من هزات الحياة بفلسفته لها فيعمل فى ذات الوقت على الاراحة النفسية للأفراد وعلى جعلهم أكثر اصرارا على العمل وأكثر جلدا على مواصلته . وبالدين يحيا الضمير فتزداد رقابة المرء على نفسه وتقوى قدسية الضبط الاجتماعى بين أفراد المجتمع . وبالجملة فان نتائج الأخذ بالتعاليم والأحكام الدينية تتبلور فى مجموعها فى اطار روحى ثمين يشكل ويحدد الخصائص النوعية المرغوبة لمختلف فئات المجتمع .

ويمكن عمليا أن تأخذ دولة ما بنظام اقتصادى « واجتماعى » معين دون افساح أى مجال للانطباعات الدينية ودون اعتبار للقيم الروحية والايدولوجية المشتركة للافراد فيمكن وقتئذ أن يقوم النظام الاقتصادى « والاجتماعى » لهذه الدولة على أسس مادية بحتة كلها من صنع الانسان وحده وفى اطار دنيوى بحت قد تستهدف التنظيم الشامل تحقيقا فقط للاسعاد الدنيوى العاجل نسبيا . قد يحدث هذا عمليا وقد تسعد به شعوب وافراد وقد يؤتى ثماره التى لا تتعدى فى حدودها الواسعة الأسس المادية المرسومة . وفى شعوب ولأفراد آخرين لن يتحقق الاسعاد المنشود دون ان يجمع نظام الدولة الاقتصادى « والاجتماعى » بين دينهم ودنياهم ، فيعتمد فى ذات الوقت على دعامتى الأسس الروحية والأسس المادية .

ويأتى فى مقدمة هذه الشعوب شعبنا العربى الذى يؤمن بالأديان « وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء » .

المادية والروحية فى الاشتراكية العربية :

وقد قامت اشتراكيتنا العربية فى بداية الشوط على أسس مادية كأهداف مرغوبة للتطوير الاقتصادى « والاجتماعى » للمجتمع فقامت على سبيل المثال مستهدفة انماء القطاع الزراعى وتوسيع القطاعات اللازراعية بغرض زيادة الدخل القومى ورفعا للدخل الفردى . وقامت أيضا تحقيقا لكفاية الانتاج وتسييدا لعدالة التوزيع ، وقامت كذلك بالاسراع فى معدلات التنمية لمواجهة الزيادة السكانية ، وكلها اجراءات مادية فى الشكل والموضوع لا بد لها من أن تنحى بدورها ناحية مادية ، ولا بد لها كذلك من أن تستهدف أهدافا مادية هى فى الواقع أهداف دنيوية بطبيعتها وبطبيعة مختلف السياسات والبرامج التى ترسم لتحقيقها .

وكان يمكن أن تستمر عجلة هذه الاشتراكية فى الدوران فى كنف قيم وأهداف دنيوية بحتة لولا أننا شعب يؤمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر . فكان لا بد والحال كذلك من أن يصبغ التطبيق الاشتراكى الدنيوى بصبغة دينية تقترن بدورها بقيم روحيـــة وآمال أخروية تسهم فى الاسعاد النفسى لافراد المجتمع . أيا كان ولا بد أيضا من أن تقــوم اشتراكيتنا العربية فى الوقت نفســه على أسس روحية تسند الأسس المادية وتدعمها.

فجاء الميثاق معبرا عما يختلج بصـــدور هــذا الشعب المؤمن من ضرورة اسـناد اشتراكيته المعاصرة الى قيم روحية تعمــل عملها . فأشاد بأن حرية العقيـدة الدينيـة يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة ، وبأن القيم الروحية الخالدة النابعـة من الأديان قادرة على هــداية الانسان وعـلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحــه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحــق والمحبة . واكد الميثاق أيضا أن رســالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته . واهاب بالمفكرين الدينيين ان يراعوا واجبهم الأكبر فى الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته ، مسلما بأن جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، ومنبها الى أن الدين لا يرضى بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبيــة الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

وساق الميثاق أسسا روحية أخرى مؤداها ان جميع الأديان ذات رسالات تقدمية وأننا فى تطبيقنـا الاشتراكى نؤمن بحـــق الارث وبحقيقة الانســـــان وبالضميرين الاجتماعى والعالمى . وخلاصة القول فقد جاء الميثاق مرآة صافية تنعكس عليها آمال هذا الشعب التى يتطلبها - بحكم تراثه وظـروفه - فى اشتراكيته المنشودة لتجمع فى تخطيطهـــا وتطبيقها بين أسس مادية وأسس أخرى روحية يؤمن الشـعب العـربى بجوهريتهـا ولا سبيل له الا أن يعيش فى كنفها .

وفى اكثر من مقام وباكثر من قول تؤكـد الأديان السماوية بعض هذه الأسس الروحية أو توصى ببعض منها أو تحبذ الأخذ ببعضهـا الآخر . والاسلام بدوره يتعرض أيضا فى أكثر من مقام وباكثر من قول لأسس روحيـــة لا شك أنها تسهم هنــا فى الشرق - على الأقل - بعمق وايجابية فى صنع الشـعوب لحياتها الحرة على أراضيها . وما دمنا قد عقدنا العزم الأكيد على أن ناخذ بالاشتراكية كحل حتمى لمشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية، وما دام الميثاق قد التــزم بجوهر الدين الحنيف ، فطوبى لتنمية ترتكز على دعامتى المادية والروحية ، وما أجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا .

الصراط المستقيم

الأستاذ
عبد الرحيم فودة

روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه خط بيده خطا ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط عن يمين هذا الخط وعن شماله عدة خطوط وقال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : وان هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

هذا الحديث الذى أوردنا معناه وبعض ألفاظه يشير الى أن الصراط المستقيم هو سبيل الله ، أو الطريق الذى شرعه وارتضاه . وماعداه من السبل أو الطرق لم يشرعه الله ، ولم يرضه لعباده ، وانما ابتدعه الشيطان ودعا اليه وأغرى الناس بسلوكه والسير فيه ، ومن ثم كان انحرافهم واختلافهم . وكان ماتبع هذا الانحراف والاختلاف من المظالم والمآثم والفساد فى الأرض . والضلال البعيد ..

وكلمة الصراط معناها فى اللغة الطريق المستسهل أو الجادة الواضحة . كما أن معنى السراط « بالسين » كذلك ، بل هى الأصل فى ذلك ، فان علماء اللغة يذكرون فيما تركوه من مراجع ومعاجم أن السين قلبت صادا لتوافق الطاء فى المخرج كما قلبت السين صادا فى كلمة مصيطر ، فان اصلها « مسيطر » لأنها من السيطرة بمعنى الغلبة والهيمنة وقالوا كذلك فى السراط أنه من سرط الشىء اذا ابتلعه ، والسراط يبتلع السابلة أو المارة اذا سلكوه ، ثم قلبت السين صادا لما قدمنا ، وأشمت الصاد صوت الزاى فقيل « الزراط » وقرىء بذلك فى قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » فالسراط والصراط والزراط بمعنى واحد وهو الطريق .. أو المذهب . أو المنهج . أو الجادة ..

لكن ما الصراط المستقيم الذى شرعه الله وطالبنا باتباعه فقال سبحانه : **وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه** » ؟ لقد اختلفت عبارات المفسرين فى تفسيره ولكنها على اختلافها تتفق فى مضمونها ومعناها ، فقيل انه طريق الحق ، وقيل انه ملة الاسلام ، وقيل انه كتاب الله ، وقيل انه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه ، وقد عرض هذا الرأى على الحسن رضى عنه فوافقه وصدقه وأثنى على قائله ، وعقب ابن كثير فى تفسيره على هذه الأقوال فقال : انها صحيحة وهى متلازمة ، فان من اتبع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقتدى بالذين من بعده أبى بكر

وعمر فقد اتبع الحق ، ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن ، وهو كتاب الله ، وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا ٠٠ ومعنى ذلك كذلك أنها تنطبق على معنى الصراط المستقيم وتصدق عليه ٠

ونحن اذا تتبعنا آيات القرآن التى وردت فيها هذه الكلمة نجد فيها بيان معناها ٠ ونخلص منها بتعريفات أخرى للصراط المستقيم ٠ وان كانت كلها تتلاقى فى حقيقة واحدة هى الدين القيم الذى ارتضاه الله وقال فيه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » فان الاسلام هو الدين الذى أمرنا الله بالاتجاه اليه والاستقامة عليه ٠ كما يفهم من قوله تعالى : « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون** » وقوله سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين** »

والدين من معانيه اللغوية المعتقد والمذهب ، اذ يقال دان فلان بكذا على معنى أعتقده واعتاده واتخذه مذهبا له يحترمه ويلتزمه ، والشبه بينه على هذا المعنى وبين الصراط قريب قوى القرابة ولا تقل قرابة الشبه بين الصراط وبين الدين بمعناه الاصطلاحى عند الأصوليين عنها بمعناه اللغوى الذى ذكرناه ، فقد قالوا : انه وضع « الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود الى مافيه نفعهم أومصلحتهم ٠٠ ومعنى ذلك أن الدين وضع الله وشرعه وأنه بما فيه من عقائد وقواعد وأحكام طريق يوصل الذين يؤمنون به ويدينون بنظامه ٠ ويخضعون لأحكامه الى الخير والبر فى الدنيا والسعادة والنعيم فى الآخرة ، ومن ثم نستطيع أن نعرف الصراط المستقيم بأنه الدين القيم كما يفهم من قوله تعالى : « **قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما** » وقد بينه الله بأنه صراط الذين نعموا بما أسبغه عليهم من النعم وسلموا من غضبه ، والضلال عن طريقه وذلك حيث يقول جل شأنه ـ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وبهذا البيان نستطيع أن نعرف الصراط المستقيم بأنه طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين » لأن الله بين الذين أنعم عليهم بهؤلاءحيث يقول سبحانه « **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** »

والمتأمل فيما حكاه الله على لسان عيسى عليه السلام حيث قال « **ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** » يستطيع أن يعرف الصراط بأنه اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، فالانحراف الى عبادة غيره من وثن أو صنم ، أو انسان أو شيطان ، بعد عن سبيل الله ، وضلال عن طريق الحق والخير ولا شك أن مما يقوى ذلك قوله تعالى « **ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم** » ، وكذلك يفهم من قول الله لرسوله وخاتم أنبيائه عليه الصلاة والسلام : « **انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم** » أن ماكان عليه صلى الله عليه وسلم هو الصراط المستقيم ، وأن ماتلقاه من الله وهو القرآن الكريم هو كذلك الصراط المستقيم ، لأنه كما يقول الله فيه « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** » وكما يقول فيه : **وانك لتهدى الى صراط مستقيم** » وكما يقول فيه وفى الكتاب الذى أنزل عليه : « **كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد** » أدركنا أن منهجه وسنته وطريقته هو الصراط المستقيم ، ومن ثم كان أتباعه هو الطريق الى حب الله كما يفهم من قوله تعالى « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** » وكان صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وتقريره كما يقول الله فيه « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » وكما تقول فيه عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الإسلام

الأستاذ حسنى عبد المجيد

عندما صعدت الانسانية الى المراتب العليا من نضوج الفكر واتسعت آفاق حياتهـــا العريضة جاء القرآن الكريم لينير أبعاد وأعماق الوجود الانسانى كله فى دنياه وآخرته فى أسلوب من البيان العالى المستند الى الاقناع العلمى . قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » صدق الله العظيم .

والواقع أن القرآن الكريم جاء جامعا لكافة الأحكام التى نظمت وحكمت العلاقات بين الناس حتى تثبت وتستقر فى أجل وأبهى صورها وأصبح الاسلام للبشرية جمعاء . دين البناء والتعمير . بناء الفكر والروح وتعمير الحياة بكل نبضات العمل الخلاق . الا أن العالم الاسلامى بعد أن ابتعد عن كتاب الله . وبعد أن نسى .. « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » بات تائها حائرا .. وعاشت الدولة الاسلامية حياة قصيرة النظر ..

وطفت الخلافات المذهبية على كل ماعداها فتشتت فى الأرض معزولة عن الحياة والحضارة .. والواقع أن هذه الخلافات والاختلافات افتعلت افتعالا بل وبولغ فى استبقاء آثارها حتى تجسدت فى أخطر صورها وهى النزعات القبلية وبدلا من أن تقود الأمة الاسلامية ركب الحياة والحركة نست وظيفتها الاجتماعية فى تصرفاتها على المستوى الوطنى أو القومى وبدلا من أن تصطحب أهدافها الروحية والثقافية فى علاقاتها كتأكيد لشخصيتها المعنوية وهى حاملة رسالتها العظيمة . تجمدت الأمة العربية فى اطار ضيق هو فى أصله من صنعها. وظهر

عجز الأمة الاسلامية فى الرد على الأباطيل والأضاليل التى برع المستعمرون فى لصقها بالاسلام ، والحق أن المسلمين أنفسهم هم الذين حجبوا الاسلام . حجبوه بأعمالهم وتواكلهم . واذا كان الدين الاسلامى قد انتشر فانما تعدته الذاتية والطاقات الروحية الكامنة فيه وأصبح الغربيون يستمدون فكرتهم عن الاسلام من مجرد رؤيتهم للمسلمين فانهم يرون المسلمين متخاذلين أذلاء. فرقت بينهم الأهواء والشهوات . وقعدت بهم الصغائر وانصرفوا عن عظائم الأمور ولو كان الاسلام — فى رأيهم — دينا قويا لما كان المسلمون هكذا .. هذه هى الحقيقة المؤسفة التى فتحنا عليها أعيننا .. ولكن كيف السبيل الى أن يقف المسلمون صفا واحدا معتصمين بحبل الله وهى لا تكاد تأخذ مكانتها بين سراديب وأسرار السياسة الدولية . وكيف السبيل .. والاسلام الذى قام على كتاب يؤسس الايمان باستثارة المواهب الانسانية دون جنوح الى الخوارق المعجزة ويطالب بجهود المؤمنين العاملين فى كل الحياة وأبعادها ..

ان السبيل . والسبيل الوحيد . لم يكن سوى الثورة على أنفسنا . الثورة على واقعنا .. ثورة نستجمع بها قوانا ونقوم باقتحام عنيد لكل العوائق والموانع التى وضعها المستعمر الصليبى فى طريق حياتنا .. وكأن النصر العظيم الذى أحرزناه ضد الاستعمار لم يكن نهاية المطاف وانما كان بداية العمل الحقيقى .. كان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة الحرب من أجل وجودنا الحى . وحريتنا الحقيقية .. فكأن ارادة التغيير الثورى حملت فى جوهرها اتجاهات متعددة تلتقى كلها لتخلق المواطن والوطن المسلم كما نراه فى القرآن وكما رآه وعاصره التاريخ الاسلامى وأصبحت هذه الارادة هى السبيل الوحيد والممكن فى مواجهة السيطرة الخارجية المعتدية والسيطرة الداخلية المستغلة . التى ساءت وحكمت الى الحد الذى طحن بين عجلات جشعة الملايين من المسلمين الذين لم يتمكنوا على الاطلاق من تنظيم أنفسهم داخل منظمات لها صوت الحق والعدل والحرية .

ولم يكن فى طاقاتهم الا أن يعيشوا سنين حياتهم خلال بؤس الساعات وقسوتها الرهيبة .

ويقول الميثاق فى بابه الثامن « أصبح العمل سلعة من السلع فى عملية الانتاج يشتريها رأس المال المستغل تحت أحسن الشروط موافقة لمصالحه » وكانت النتيجة أن زادت الضغوط على الملايين فكسر مقاومتها وفرض عليها (اما أن تستسلم لاغراء ما يلقى اليها من فتات الامتيازات الطبيعية واما أن تذهب الى الانزواء والنسيان) .. ولم يكن ذهابها الى النسيان وحدها . وانما حملت معها مجتمعها المسلم .. وانطبق علينا قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ..)

ومجتمعنا قبل ٢٣ يوليو انطبق عليه حديث رسولنا الكريم تمام الانطباق . حيث يقول عن البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما « يامعشر المهاجرين خصال خمس أن ابتليتم بهن ونزل بكم واعوذ بالله أن تدركوهن .

١ — لم تظهر فاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم .

٢ – ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان .

٣ – ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء .

٤ – ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سقط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم .

٥ – وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم .

« ولقد ورد فى الميثاق فى الباب الرابع «ولسوف يبقى الوطن زمانا طويلا يشعر فى حلقه بمرارة الذل الذى أحس فى هذه الفترة المتأزمة من جراء استهانة الاستعمار بنضاله استهانة فاقت كل حدود الاحتمال البشرى ، ان الثورة على الاستعمار حق طبيعى لكل الشعوب المستعمرة . لكن الكراهية المرة التى يشعر بها شعبنا تجاه هذا الاستغلال الداخلى والخارجى هى التى دفعت بنا الى أن نثور . لتنتزع مقومات حياتنا ولم تكن أولى هذه المقدمات سوى تحرر المواطن المسلم المؤمن من كل الاستغلال وأن يكون له فرصته المتكافئة

حقوق الحياة . حق الرعاية الصحية . وحق العلم . وحق العمل . وحق التأمينات . ولا يترك الميثاق الطفولة كصانعة للمستقبل ويبين الميثاق واجب الأجيال العاملة حيالها . وكذا المرأة التى يجب أن تسقط عنها الأغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع أن تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة . والأسرة وهى خلية المجتمع الأولى .

وهكذا يهدف الميثاق الى أن يصيغ ويشكل مجتمع الرفاهية على أسس أخلاقية جيدة . وكل هذه القيم التى أوردها الميثاق .. تعكس نفسها على كل فرد مسلم مؤمن . لتخرج الينا فى ثقافة وطنية حرة. تفجر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحر .. وجوهر الدين الاسلامى يؤكد حق الانسان فى الحياة والحرية . وحقه فى التكريم والاعزاز والاجلال . وليست مهانة الانسان وازلاله الا بابا يخرج منه المسلم مبتعدا عن دينه الصحيح .. ويقول تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

فى نصيب عادل من الثروة الوطنية وأن يتخلص من كل قلق يبدد أمن المستقبل فى حياته ..

ونحن اذا سلمنا ايمانا وثقة بأن الاسلام وشرائعه جاءت للأحوال الشخصية والتجارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وجاءت كلها متضافرة بغرض ايجاد بيئة صالحة لها رسالة نبيلة .. ونحن لو دققنا بين سطور الميثاق على ما أورد من فاعلية ومثل ومبادىء لوجدنا أن الميثاق فى كل خطوطه العميقة ، وأماله وأمانيه انما يهدف الى خلق مجتمع الكفاية والعدل . مجتمع يمنح المواطن كل

تفضيلا « سورة الاسراء » . ويقول تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » « سورة التين » .

ولقد نبعت حقوق المرأة كاملة من فيض القرآن الكريم .

يقول تعالى فى سورة آل عمران :

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »

« وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . (التوبة) .

« ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله

قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم .. « الحديد » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. « الروم » .

« ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامي بالقسط .. « النساء » .

ويسلط القرآن الكريم الأضواء على الأطفال (الأولاد) .

ـ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم . أن قتلهم كان خطئا كبيرا .. سورة الاسراء .

ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . سورة الكهف .

ـ يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . « المنافقون » .

واذا كان الميثاق قد عظم الأسرة باعتبارها الخلية الاولى فى المجتمع .. فان القرآن الكريم قد شرف الأسرة بالكثير من منهله ..

ـ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا « الفرقان » .

ـ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا .

ـ يسالونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل « البقرة » .

ـ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم « سورة الطور » .

ـ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسالكم عليه أجرا الا المودة فى القربى « الشورى » .

والعدل .. وهو سيد القيم .. اذا كان الميثاق فى بابه الثامن قد تناول أن العدل هو حق مقدس لكل مواطن فرد ولا يمكن أن يكون سلعة غالية وبعيدة المنال على المواطن . ان العدل لا بد أن يصل الى كل فرد حر ولا بد أن يصل اليه من غير أى موانع) . فان القرآن الكريم .. قد رفعه الى أرفع القيم .

ـ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ـ سورة الأنعام .

ـ واقسطوا ان الله يحب المقسطين ـ الحجرات .

وترتفع العدالة الالهية الى أسمى مراتب الأمل والأمانى حينما يوردها القرآن الكريم وهى بذلك تعتبر نبراسا للأمة الاسلامية لتحذو حذوها :

ـ ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون. من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ـ الأنعام .

ـ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ـ النحل .

ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ـ الأحزاب .

وهكذا .. يمضى مجتمعنا الاسلامى قدما الى الأمام من واقع منجزاته الثورية التى دفعت الانسان العربى الى أن يستعيد حقه فى صنع حياته الثورية حيث بدت له معركة الحقيقة واضحة .

وهى معركة الانتاج وهى التحدى الحقيقى الذى سوف يثبت فيه الانسان العربى مكانه الذى يستحقه تحت الشمس ..

فالانتاج هو المقياس الحقيقى للقوة الذاتية العربية تعويضا للتخلف واندفاعا للتقدم ومقدرة على مجابهة جميع الصعاب والمؤامرات والأعداء وقهرهم جميعا وتحقيق النصر فوق شراذمهم المندحرة .. ومن هنا فقط يطمئن المجتمع الى صحة وسلامة المواطن المؤمن المسلم ليعيش قويا آمنا غيورا على دينه بعد أن دفعته مكاسبه لأن يدرك ادراكا عميقا بأن جوهر الرسالة الاسلامية لا يتصادم مع حكمته الالهية السامية .

١) لا يقل شان الصحف وكتابها خارج الحدود ، عن شان السفراء السياسيين الذين يمثلون دولهـــم فى محيط الشعوب فيكونون المرآة الصادقة الصـــافية ، وتنطبع عليهـــا صورة البلاد التى يمثلونها بمادياتها ومعنوياتها ، وهم سمع البلاد وبصرها الحريصون عــلى سمعتها الواعون لما يتعرض لها .. والسفير السياسى يرقب الاتجاهات الدوليـــة والمشكلات السياسية . والصحافة وكتابها ، مع هذا عنوان للثقـافة والافكار وترجمان للاحاسيس والمشاعر ، وصورة مطابقة لشعب تنتسب اليه : فى ثقافتها وقوة عارضتها وقدرتها على اشعاع العلوم والعرفان وتمكنها من ادوات البيان - واذا كان التمثيل السياسى يخدم البـــلاد فى تنمية العلاقات الدولية ، ويشرف على مدى التقلبـــات السياسية . فان الصحف تسهم فى الخدمة فى جملة نواح هامة : من السفارة بين الافراد والجماعات وتملك نواحى الاتجاهات وربط الشعوب بعضها البعض بذلك الرباط الثقافى الادبى ، مما يوثق بين الشعبين ، ويكاد يجعل منهما روحا واحدة فى اقليمين ، وينقل المعـارف ويؤمن الخائف ويجعل الكل يعيشون فيما تنقله اليهم من افكار وآثار ، فيصبح القـراء جميعـــا ابناء اسرة واحدة . ابوهم الادب والفكر وامهم الصحيفة الراشدة لا يعدلون بذلك بين لحمةالادب ولحمة النسب . وقديما كان العلم رحما بين أهله : « ان المعارف فى أهل النهى ذمم » .

ليس هذا موضوعا انشـــائيا ، بل هي حقيقة ماثلة لمسناها بايدينا ورأيناها باعيننا حين طوحت بنـــا الظروف خارج بلادنا العزيزة وحللنا مقاما كريما ، دارا بدار ، وجيرانا بجيـــران ، وكان من الاسس فى غير الأصل والجوار ، هذه السفارات الادبية الثقافية التى تكفلت صحفنا بالاضطلاع بها والعمل الحثيث على زيادة نموها وتوهج أشعاعها - ولتجدنصحف القاهرة ومجلاتها واسماء كتابها وكتبهـــا وعمق آثارها تكاد تطغى على ماسواها بدون استثناء ولا مواربة - وكم تهزنىالغبطة، ويملكنى التحمس حين أرى هذا (المنبـــر) الذى له من اسمه النصيب الاوفر . قد تصدر المكان بين الصحف . ويرقب طلعته قراؤه الكثيرون غرة كل شهر عربىلينهلوا من بين أنهره سلسبيلا منهذه المعارف العامة والخاصة، يقدمها كتاب حلبـوا الدهر اشطره ، فكانوا كالانواء فى السماء كلما تغيب منها نجم فى المغرب طلع بحياله نجم فى المشرق ، فلا يزال العالم الدينى الثقافى الأدبى منهم فى ضوء مستمر وغيث متصل . ولا ينسى غروب الغارب شروق الشـــارق ، اذ لكل من النجمين دوره فى تعميق الفكر وتوطيد المعرفة وتذليل السبيل - وقـــد يمضى أول الشهر واحاول العثور على نسخة منه فاجده قـد نفد جميعه على كثرة ما يوزع فى ليبيا .. لا أقول هذا لأنى أحد محرريه . لا والله بل هو الحق أقرره : تحدثا بنعمة الله ، واشادة بفضل هذا الشـاب الموفق المؤمن المجاهد رئيس تحريره ، وأسرة المنبر ، تلك التى تقدم كل شـــهر ثروة ضخمة من العلم والخلق والمواهب والتجارب ، عمل فى تكوينها - معالضمائر الحـــرة ، والزمن الطويل - عوامل جمه ، حتى أصبحت قوة فى طاقة الانسانية ، وقطعة من ثروة العالم الاسلامى . ولم يبق (المنبر) علما على مجلة شهرية . وانما صار علما على ثروة ثقافية وفكرية : ثقـــافية تجمعت بالحفظ والـــدرس والتحصيل والتمحيص والدأب والصبر والايمان . وفكرية واتت اكلها جنيا . والفكرة الطيبة كالبذرة الطيبة تتعهدها الطبيعة بالغذاء والرى حتى تخرج باذن ربها نامية باقية .!

٢) تلك شهادة أملاها شهر الصـــوم : شهر الوفاء والايمان ، نستأنف بعد أدائها الكلام عن العيد وتقاليده فى بلاد جارتنا وشقيقتنا ليبيا الخالدة .

- لا يقل الأثر الروحى عند المسلمين فى العيد عن أثر اجتماعاتهم فى صلواتهم وحجهم وسائر عباداتهم . فالعيد وشعائره ومباهجه العامة فى الصعيد الاسلامى ، من مظاهر التكافل الدينى المحمدى ، ومن أهم اللبنات فى بناء الوحدة الاسلامية والتضحية العارية عن الزيف والغرض البعيدة عن الاهواء والغايات . تلك الوحدة التى رسمت الطريق اللاحب لأصحاب المبادىء ووضعت المعالم لرواد الحق ، أن يدلجوا فى السير ويستحثوا الخطى ليصلوا الي الغاية فيحمدوا السرى .

- والمسلم الحق يدرك فى العيد - الذى منحه القدر للمسلمين ، يدرك أنه أزاح عن صدره عبئا ثقيلا وأن هناك قلوبا مؤمنة تتعاطف معه فى مشكلته .. وما زالت الأضواء الكثيرة تكشف الطريق الصحيح ، واذا كان المرء يعيش بعقله فيخبر الحياة ، حلوها ومرها وقد يألم ويشقى ، حتى فى النعيم على حد قول المتنبى . فان يوم العيد يجعل الانسان يعيش فيه بخياله والخيال دائما هو الواحة التى يستريح اليها الانسان من عناء تعبه ومشاكله وسعيه وطموحه ويعرف كذلك أن للحياة جوانب طيبة ، منها العيد وجوانب قاسية فى بعض الأحيان (فيما سوى العيد) ، وفيها لحظات سعادة وفيها لحظات شقاء وفيها الدمعة الحارة ، وفيها الابتسامة الحلوة ، وانه دائما فى حاجة الى أن ينطلق ويلقي الاثقال عن كاهله ويجتر السعادة فى خلسة من المشاكل والمتاعب .. وهذا ليس هروبا من الواقع بل هو تجديد للقوى والافكار لأجل أن يستطيع مجابهة الواقع فى استعداد أكثر وعزيمة أشد

- تلك المعانى فهمها المسلمون المتقون . ولمستها واضحة الصوى بارزة الملاح ، فى ليبيا الشقيقة .

فحين يوشك رمضان على الرحيل تجد المدن والقرى على السواحل وداخل السهول وعلى روابي الجبال وفى مطاوى الزوايا والكهوف . تأخذ زينتها وتظهر بهجتها ، وتعد العدة لمطاعم العيد وملابسه واستقبالاته . والحال فى كل هذا على استواء : فى طرابلس وبنغازى وسبها ودرنه ومصراته . وفى القبائل من عبيدات وبراعصه وبرغثيه .. وفى الجفيوب والكفرة . تتناسى الاحقاد وتطهر الصدور من الغل . فكان هذا العيد المشعر الحرام ، تنتزع فيه كل أسباب العداوة والشحناء - ثم يؤمون المساجد مهللين مكبرين ، يؤلفون دعاء واحدا تجأر به النفوس المؤمنة ، جؤارا تردده الصحراء والسماء ولم يستطع الاستعمار الغاشم حتى فى أشد جبروته أن يقطع بينهم هذه الأسباب ويحرم التواصل . مع أنه عمل جاهدا على فصل الحاضر عن الماضى بطمس التاريخ وقتل اللغة واطفاء الدين : فتلك ايطاليا لم تكن تعترف الا باللغة الايطالية فى المعاملات الرسمية او المخاطبات الفردية . ولم يكفها هذا فقد تدخلت فى عقائد الناس وشعائرهم ومنعتهم من مزاولة طقوسهم الدينية وتدخلت كذلك فى تصرفاتهم الشخصية فمنعتهم من شرب الشاى فى المحال العامة الا فى ساعات القيلولة . ومنعتهم من السير فى شوارع خاصة فى المدن الكبيرة ، الى غير ذلك مما دونه التاريخ القريب ، ونقلناه فى كتابنا الخاص بليبيا .

٣) وبعد الصلاة يقبل بعضهم علي بعض متعانقين عناق المشتاق المستهام . وتفتح البيوت (الحيشان) على مصاريعها لكل وافد معروف لديهم أو غير معروف . ويقدم اليه الكعك والغريبة التى تشبه المصرية . واحيانا اطعمة العيد . مثل طعام (البازين) وهو عبارة عن دقيق مطبوخ حتي يصير مثل العجين ثم يعمل على هيئة مكوره ويوضع عليه السمن البلدى مع قليل من عسل النحل أوالسكر . ويوضع فى اناء واحد لتناول جماعات ومنه (الفتات) وهو عبارة عن دقيق معجون يعمل على هيئة مستديرة يطهى بحيث يصير ناضجا ويقطع قطعا صغيرة : كل قطعة أو قطعتان بملء الفم ، ويوضع فى اناء واحد ويطرح عليه الطبيخ واللحم . وتلك أجود أكلات العيد .

وفى الواقع ان الطعام والشراب يختلف فى غير العيد باختلاف المواقع وفصول السنة (بليبيا) ففى المناطق الساحلية يتكون الغذاء الأساسى خلال أشهر الصيف والشتاء من دقيق الشعير الذى يغلونه بالماء حتى يصير عجينا كثيفا ثم يضاف اليه المرق واللحم وبعض الخضروات ويسمونه (البازين) وفى اوائل الخريف يستعاض عن البازين الى حد ما بالتمر الطازج . وفى شهر فبراير ومارس يتكون الطعام الرئيسى من التمر المجفف واللبن المخيض وخبز الشعير أما فى المناطق الجبلية فيتكون الطعام الأساسى من خبز الشعير والتمر المجفف وبعض انواع الفاكهة كالتين ، والتين الشوكى (الهندى) وفى الأماكن الصحراوية يؤكل التمر المجفف علي مدار السنة وفى الصيف يضاف اليه خبز الشعير والحليب ولا يحتوى طعام السكان عادة فى الريف أو الجبل على خضروات طازجة ولكن بعضهم يستعمل القرع الأصفر والبطاطس والطماطم والبصل . وتضاف هذه الخضروات الى الكسكسى ، كما يستعمل مسحوق الفلفل الأسود بكثرة لاعطاء نكهة للطعام . اما فى المدن كطرابلس والبيضاء ودرنه والمرج وزليطن فان الأهالى يكثرون من تناول الكسكسى بالخضار والبيض واللحم والمكرونة والخبز المصنوع من دقيق مستورد ، والارز والسمك الطازج واللحوم كما أن اكثرهم يتناول « البازين » مرة فى الأسبوع علي الاقل على مدار السنة . - وتناول الخضروات المطبوخة أو الطازجة قليل بالنسبة للاقاليم العربية الأخرى كما أن طريقة الطهى تختلف اختلافا كبيرا عما هو مألوف فى الشرق . وقد لا توجد (حتى فى طرابلس المدينة) بعض الاصناف الغذائية المعروفة بكثرة فى مصر والبلاد السورية مثلا . كما أن بعض الأصناف الاخرى نادرة الوجود والاستعمال وينعدم السمك بتاتا فى المدن والجهات الداخلية مثل البيضاء والمرج و « ترهونه » و « غريان » و « الزاوية » . والواحات . ومن الأصناف النادرة الوجود او المفقودة ، الجبنة البيضاء (الدبل كريم) والطحينية والحلويات الشرقية (الكنافة والبقلاوة وغيرهما) .

ومن الناحية الاخرى تنتج هذه البلاد العزيزة ، اصنافا ممتازة من الفاكهة (كالعنب والتين والخوخ والرمان والبرتقال والدلاع « البطيخ » والموز الدرناوى) ويكثر الطرابلسيون من شرب الشاى وكانوا لا يستعملون الا الشاى الأخضر فلما انقطع ورود هذا النوع لجأوا الى أنواع الشاى الأخرى - وتختلف طريقة تحضيره عما هو معروف فى القاهرة المحروسة . اذا يغلونه بالماء حتى يسود لونه ويكثف . ثم يصبونه من وعاء الي آخر حتى يكون رغوة كالبيرة ويقدمونه فى كئوس صغيرة ، ولا يكون اتمام الاكرام للضيف الا بتقديم ثلاث كئوس من الشاى! اما القهوة ذات البن فاستعمالها نادر وشرب بعض الطرابلسيون شرابا يستخرج من جذوع النخل ويسمونه (اللاقبى) فاذا احتسى طازجا كان له قوام الحليب ولونه ، حلو الطعم ولا أثر له . أما اذا ترك بضع ساعات فانه يتخمر ويتحول الي شراب مسكر حامض المذاق . وتفرز النخلة الواحدة يوميا حوالى ثلاثين لترا أو أكثر

من (اللاقبى) الذى لا يستخرج الا بتصريح من الحكومة مع وضع علامة مميزة على النخلة ، ويشترط على المزارع ان يغرس نخلة اخرى عوضا عن النخلة المصرح بجذعها للاقبي .

٤) هذا ولشعراء ليبيا ذكريات فى الاعياد وتهانى يقدمونها لبعض ذوى الشأن او الاصدقاء : يجرون فى هذا على سنن الأقدمين الاسلاميين من امثال ابى تمام والبحترى والمتنبى وغيرهم . ونجد فى دواوين رفيق المهدوى واحمد الشارف وابراهيم الاسطى عمر من شعراء ليبيا المجيدين بعض هذه الذكريات او المدائح . وامامنا الآن قصيدة قالها الشاعر الاخير حين كان جنديا فى الجيش الليبى المرابط فى وادى النطرون فى منتصف الطريق الصحراوى الممتد ما بين القاهرة والاسكندرية فى ليلة القدر ويستقبل بها العيد .

ايه يابلبل ما هـذا الجمـود
ابن تغـريدك ما بين الشـجر
ابعث الالحـان فى هذا الوجـود
واملأ الدنيـا نشيدا او سـمر
لا تطق همـا لحرب او سـلام
واترك الدنيـا باهليها تمـوج
فى عـراك دائم او فى خصـام
تحت سطح البحـر او فوق المروج
سيمرون كمـا مر الكـرام
فى طريق ما لهـم منـه عروج
لهف نفسى هل ترى الخير يسـود
فيه عدل اللـه ما بين البشـر
او يسود الشر والدنيـا تعـود
لحيـاة ليس فيهـا مستقر
مرت الأيام فى طـول السنين
حافلات بالمآسى المؤلمـة
ذات صبح برح الوجـد المكين
فسرت فى الغـاب منى نغمـة
هى تسبيح وشـكوى وانين
وهى للقلب صـلاة قيمة
تبعث الايمـان فى القلب الشرود
وتعـد الروح للقلب الضجـر .

بقية « مالا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين »

وكان الامام مالك يقول : المراء فى العلم يذهب نور العلم من قلب الرجل .

والمنقول عن السلف كراهة الكلام فى المسائل التى لم تقع .

وقال بعضهم ان ذلك لغير العلماء المتفرغين للفقه ، كالأئمة الأربعة وأمثالهم ، فانهم تعرضوا لفروع وأعطوها أحكامها . فنفعت وقت ضعف العلماء وهجر العلم .

ولكن لا يصح ذلك الا بشروط ، منها أن لا يشغل ذلك العالم من أمثال الأئمة عما هو أهم منه ، وأعم ، ومنها أن يكون فيما يكثر وقوعه ، لا ما يندر .

ثم قال الحافظ : وفى الحديث اشارة الى طلب الاشتغال بالأهم المحتاج اليه عاجلا عما لا يحتاج اليه فى الحال .

فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : عليكم بفعل المأمور به ، واجتناب المنهى عنه ، فاجعلوا اشتغالكم بذلك عوضا عن الاشتغال بالسؤال عما لم يقع (١) .

فينبغى للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ، ثم يجتهد فى تفهم ذلك ، والوقوف على المراد به ، ثم يشغل نفسه بالعمل به .

فان وجد وقتا زائدا على ذلك ، فلا بأس بأن يصرفه فى الاشتغال بتعرف حكم ماسيقع على قصد العمل به لو وقع ، وكان فرض وقوعه قريبا .

ثم قال الحافظ : أما اذا كانت الهمة مصروفة الى فرض أمور قد تقع ، وقد لا تقع ، مع اهمال القيام بعمل ما أمر به ، أو البعد عما نهى عنه ، فان هذا مما حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فالتفقه فى الدين انما يمدح اذا كان للعمل لا للمراء والجدل .

(له بقية)

---

(١) وقد نقل عن الامام على رضى الله عنه : دع ما لم يكلفك الله علمه واشغل نفسك بما كلفك عمله .

خواطر مستشار

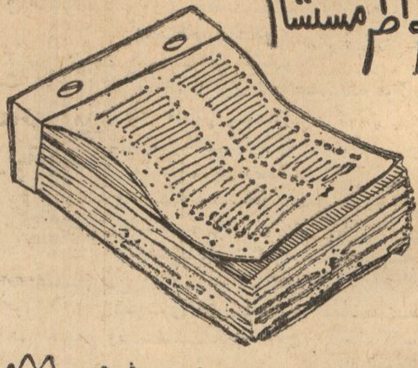

مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

حول السياسة الشرعية والقانون الدستورى والإدارى

المستشار على على منصور

نظم الحكم والادارة فى الاسلام

تمهيد

هذه سلسلة أخرى من المقارنات بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية. وكانت السلسلة السابقة عن الشريعة الاسلامية والقانون الدولى ، وانتظمت عدة حلقات من البحوث نشرت تباعا فى هذه المجلة وكانت نواة لكتاب أصدرته بعنوان « الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام » ونشرته دار القلم بالقاهرة وقلت فى مقدمته انه المحاولة الأولى فى هذا المضمار . وسلسلة المقارنات الجديدة هى المحاولة الثانية وستتضمن تحديد نظم الحكم والادارة فى القوانين الدستورية والادارية الوضعية الحديثة ، ثم تحديد نظم الحكم والادارة فى الشريعة الاسلامية ، وهى ما درج فقهاء الشريعة على تسميتها بالسياسة الشرعية . وهذه تسمية ابن تيمية وآخرين ، وسماها الماوردى الأحكام السلطانية وسماها غير هؤلاء السياسة الحكمية . وبعد ذلك تسهل المقارنة بين النظريات فى كل من الشريعة والقانون ، بل ويسهل على القارىء أن يدرك ما نمر عليه من غير مقارنة لظهوره ولأن الأشياء تتميز بأضدادها .

وتبادر فنقول ان القانون الادارى فى عرف فقهائه ، هو مجموعة القواعد والمبادىء المتعلقة بالادارة العامة فى الدولة من حيث تكوينهـا وتنظيمها وممارستها لنشاطها .

اما القانون الدستورى فهو مجموعة القواعد الأساسية التى تبين شكل الدولة ونوع الحكومة وكيفية تنظيم السلطات العامة . وهو يبين فوق ذلك الحقوق الأساسية للافراد والجماعات ويحدد وسائل ممارستهـا والمحافظة عليها . فالقانون الدستورى يعنى ببحث كيفية تشييد الأجهزة فى الدولة واما القانون الادارى فيعنى ببحث كيفية ادارة تلك الاجهزة وطريقة العمل بها . وكان فقهاء فرنسا يطلقون عليهما معا لفظ القانون العام وفى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى عمدوا الى التجزئة فأصبح للقانون الدستورى استاذ ذو كرسى وآخر للقانون الادارى .

ويقابلهما معا فى الشريعة الاسلامية السياسة الشرعية كما اسلفنا .

وفى ضوء هذا التمهيد الموجز نبدأ بالحديث عن نظم الحكم فى الاسلام :

الاسلام دين ودنيا . شريعة ذات دولة . ولقد اكتملت لهذه الدولة جميع المقومات من اركان ودستور ونظم وقوانين ولوائح وكانت كما كرمها به رب العزة خير امة اخرجت للناس . وما من شك بأن ما فى العالم اليوم من احاسن النظم الا قبضة من آثار تلك الدولة وخير ما نراه من طريق للتدليل على هـذا القول ان نسلك الطريقة المثلى وهى الرجوع الى تاريخ تلك الدعوة منذ عهد النبوة نستلهم كل حقيقة من واقعها من حيث الدعوة والجماعة والنظم . فالقواعد القانونية ان هى كما يسلم كبار فقهاء القانون الوضعى الا ترجمان لحاجة كل جماعة وما كانت عليه من نظم وافكار .

وسنقسم التاريخ الاسلامى فى هذا الصدد الى اقسام نتكلم فى كل فصل على قسم منها واولها عهد النبوة ثم عهد الخلفاء الراشدين ثم عهد بنى امية ثم عهد بنى العباس ولا بد أن نعرج ايضا على العهد الاندلسى ثم قد نشير الى ما يلفت النظر فى الولايات الاسلامية الأخرى التى انتشرت فى جميع انحـاء المعمورة .

وسنلتزم أيضا ما أشرنا اليه من قبل من حيث الاشارة الى أوجه التشابه او أوجه التناقض بين تلك النظم والمبادىء كمقارنة جزئية تعجيلا للفائدة .

ولا يفوتنا فى هذا التمهيد أن نشير الى أن من العلماء المعاصرين من يقول أن الاسلام دين فحسب ، حيث يذهب الاستاذ على عبدالرازق فى كتابه الاسلام وأصول الحكم الى أن الاسلام دعوة دينية فقط وأن الدين شىء والسياسة شىء آخر ، وكان بذلك يحارب فكرة الملك فؤاد فى اعادة الخلافة . فى حين أن كثيرا من المستشرقين يقرر أن الاسلام ليس دينا فحسب ولكنه نظام سياسى كامل فهو دين ودولة وان الرسول كان رجل دولة تكونت فى المدينـة (راجع فى ذلك فتزجرالد فى كتابه الشريعة الاسلامية الباب الأول وكذا الاستاذ نلليتو والسير توماس ارنولد فى كتابه الخلافة ص ١٩٨ وص ٣٠ والاستاذ ماكدونالد فى كتابه انتشار الاسلام طبعة نيويورك ١٩٠٣ ص ٧٦) .

عهد النبوة

تكون المجتمع الاسلامى من بدء نزول الوحى خلال ثلاثة عشر عاما قضاها الرسول فى مكة داعيا الى التوحيد والاخوة والمحبة وتذهب معظم الآراء الى أن هذه الجماعة الاسلامية طوال هذه المدة لم تكتمل لهـا مقومات الدولة . واذا كانت أركان الدولة هى الشعب والاقليم والسلطة الحاكمة فيمكن أن يقال بأن الدولة الاسلامية اكتملت لهـا هذه الأركان فى السنوات الأخيرة من العهد المكى . فالرسول منذ بدء الدعوة هو رأس الدولة والسلطة الحاكمة فى أمور الدين والدنيا، والشعب الاسلامى لهذه الدعوة تكون تباعا منذ ان بدأت الدعوة سرية وآمن بها الصفوة المختارة من عشيرته الأقربين ، وكانت لهذه الجماعة عدا الأحكام الدينية نظما لأمور الدنيا . ويمكن أن يقال ان الاقليم وجد لهذه الدولة بشكل ظاهر فى شعب بنى هاشم وفيه حاصرهم الكفار حصارا سياسيا واقتصاديا وحصارا فعليا حتى كان الواحد منهم لايستطيع

ان يخرج الى الخلاء لقضاء حاجته الا متخفيا بليل .

بيعتا العقبة : وسبق أن قلنا أن هاتين البيعتين كانتا مثلا حيا واقعيا للعقد الاجتماعى الذى افترضه جان جاك روسو . وتمشيا مع وجهة نظرنا يكون هذا العقد بين جماعتين جماعة المسلمين فى مكة وجماعة الأنصار فى المدينة .

العصر المدنى : ان اختلف أحد معنا فيما قلنا فلا خلاف بين الجميع من مسلمين واجانب ان المسلمين فى المدينة بعد الهجرة كانوا دولة مكتملة الاركان لهم رئيسهم ولهم شريعتهم ونظمهم ولهم اقليمهم المستقل ويقول الدكتور شاخت فى ذلك أن الاسلام أكثر من دين فهو نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة ويقول الاستاذ مكدونالد أن فى المدينة تكونت الدولة الاسلامية الأولى ويقول الاستاذ جيب الاسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وانما هدف الى اقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين فى الحكم وله قوانينه وانظمته الخاصة به .

وفى خلال السنوات العشر التى قضاها الاسلام بالمدينة كملت الشريعة من الناحيتين الدينية والدنيوية ، أما احكام الدين فكانت مفصلة محدودة فى الكتاب ، والسنة بالفعل او القول او التقرير ، لا سبيل فيها الى التغيير أو التبديل او الانشاء او ابتداع الاحكام ، أما امور الدنيا فجاءت الشريعة فيها بالقواعد الاصولية العامة لحكمة اقتضتها ارادة الله لما ثبت فى سابق علمه بأن مثل هذه الامور تتغير بتغير الزمان والمكان فترك التفاصيل للناس يجتهدون فيها بحسب حاجتهم وظروف بيئتهم كل ذلك رحمة منه بعباده واحتراما منه للهبة الكبرى التى من بها على الانسان وهى العقل وكل ذلك منوط بالمصلحة .

ولم يلحق الرسول بالرفيق الأعلى الا بعد ان اكتملت للمسلمين وللدولة الاسلامية جميع الشرائع والنظم من دينية ودنيوية ، والأخيرة كان يأمر الرسول فيها بأمر الله متى نزل بها الوحى والا فكان يجتهد برأيه ويطلب المشورة من اصحابه .

فكانت للدولة القواعد الدستورية الأساسية من رئاسة ومجلس للشورى وجماعة للقضاء والفتيا وآخرين لولاية الولايات البعيدة عن مقر العاصمة ومعلمين يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم وجيوش منظمة تغزو فى سبيل الله ، أما يتولى قيادتها الرسول كقائد أعلى ، أو يولى من يرى فيه الكفاية للغزوة أو السرية . ونظمت قواعد الحرب والسلم والمعاهدات ووضع أساس بيت المال « خزانة الدولة » كما وضع النظام الاقتصادى الاسلامى وعرفت وحددت ابواب الايراد والمصروفات للدولة ووضع نظام التضامن الاجتماعى بما لم تصل اليه أحدث النظريات العلمية العصرية بل انها جميعا جاءت عالة عليه فهو مصدرها ومغذيها وسنحدد للتدليل على ذلك فصلا خاصا من هذه البحوث .

ولقد تتبعنا حوادث هذه الحقبة فى كتابنا الشريعة الاسلامية والقانون الدولى العام واتينا تباعا على القواعد التى وضعت فى شأن الصلات الدولية لما يسمى اليوم بالقانون الدولى العام والقانون الدولى الخاص حيث فصلنا حقوق وواجبات المستأمنين والذميين « الأجانب فى لغة العصر الحالى » .

وقد يصعب بالنسبة لضيق الوقت أن نحاول تقسيم نظم الدولة الاسلامية حسب ما اصطلح عليه أخيرا من تقسيمها الى مبادىء وقواعد دستورية وأخرى ادارية وسنعمد الى استقراء الحوادث والواقعات بحسب تسلسلها التاريخى ونشير قبالة كل منها الى ما يماثلها من قاعدة دستورية أو ادارية ويحملنا على ذلك ايضا ان النظم الدستورية والادارية لم تفصل عن بعضها فى فرنسا الا أخيرا .

ونبادر فنقول ان الاسلام ينادى بوجوب قيام دولة لكل مجتمع وهذا ثابت فى عهد الرسول وثابت من بعده باجماع الأمة وقيل أن دفع اضرار الفوضى موجب لقيام الدولة وكذلك تنفيذ الواجبات الدينية وتحقيق العدل الكامل بين الناس .

« للكلام بقية »

عين جالوت

يوم من أيام الإسلام

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

يبتلى الله الامم مثل ما يبتلى الافراد ، وفى هذا الابتلاء نوع من الاختبار أو الامتحان الذى يكشف عن مدى صلابة عود الامة ويسبر غور ايمانها . ومنذ ظهور الاسلام واتساع الدولة العربية من المحيط الى الخليج ، والامة العربية الاسلامية تتعرض لبعض المحن ، فحينا تبتلى بفتنة داخلية وأحيانا تمتحن بخطر خارجي يدهمها ويهدد كيانها .. وهى فى جميع الحالات تخرج من الازمة أقوى عودا واشد تماسكا واكثر ايمانا بالله وبنفسها .

ومن الازمات العنيفة التى ابتليت بها الامة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى هجمات التتار أو المغول عليها . وهل هناك أزمة أشد وأقسى من هجوم آلاف مؤلفة من قوم وثنيين تجردوا من أبسط مبادىء الاخلاق والانسانية على شعوب مسالمة مؤمنة هذبت اخلاقها وطباعها أحكام الاسلام وتعاليمه ؟

حقيقة ان المسلمين فى العصور الوسطى تعرضوا لهجمات عدوانية خطيرة من جانب الصليبيين الغربيين، ولكن مهما يقال عن العدوان الصليبي وما أتاه الصليبيون الغربيون من أفعال منكرة لا تتفق ومبادىء المسيحية ، فاننا يجب أن نذكر أن الصليبيين عندما اعتدوا على الوطن الاسلامى فى العصور الوسطى انما كانوا ينتمون الى ديانة سماوية كريمة وأنهم اذا لم يتمسكوا حينا بمبادىء وتعاليم هذه الديانة ، فان منهم من استنكر أعمالهم وقبح أفعالهم . أما التتار ، فكان شعارهم العدوان ودينهم القتل والنهب وسفك دماء الابرياء ولم نسمع أن صوتا واحدا ارتفع بين صفوف التتار ابان حركتهم التوسعية ينادى بالرفق والرحمة .

والواقع أن قارة آسيا اشتهرت فى تاريخ العصور الوسطى بالذات بانها كانت المخزن البشرى الضخم الذى خرجت منه كثير من الغزوات والهجرات لتتجه شرقا الى أوربا أو فى الاتجاه الجنوبى الشرقى صوب الشرق الادنى .

وهناك شبه اجماع بين الباحثين على أن العامل الاقتصادى هو المحرك الاول لتلك الهجرات ، فتحت تاثير الجوع والخوف من شبح الموت ، خرجت الجموع الغفيرة من الشعوب الآسيوية مرة بعد أخرى ومعها مواشيها وخيولها تبحث عن وطن جديد تجد فيه من أسباب الحياة ما يكفل لها البقاء .

وكان ذلك فى النصف الاول من القرن الثالث عشر عندما سجل التاريخ هجرة ضخمة من الهجرات التى خرجت من جوف القارة الاسيوية وقد ارتبط اسم تلك الهجرة بالتتار أو المغول الذين نجح جنكيز خان فى توحيد قبائلهم بعد حروب استمرت ثلاثين عاما ، ومن ثم انطلقت تلك الطاقة البشرية الضخمة خارج حدود وطنها الاول تكتسح فى طريقها البلاد والعباد .

ولا يعنينا فى هذا المقال ما فعله التتار ببلدان شرق أوربا ووسطها ، وانما الذى يعنينا هو أن خاقان المغول ـ منكوخان ـ عهد الى أخيه هولاكو بفتح بلاد ايران والشام ومصر وبلاد الروم والأرمن ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيز خان وقوانينه « فى الكليات والجزئيات » كما اوصاه باحترام رأى زوجته دقوز خاتون ومشاورتها « فى جميع القضايا والشئون »

ويبدو أن وصول التتار الى أطراف العالم الاسلامى فى منطقة تركستان وما وراء النهر أثار موجة من الرعب

والذعر نظرا لما أتاه أولئك الغزاة من أعمال وحشية عنيفة تناقلها الناس .

وقد عبر المؤرخ ابن الاثير تعبيرا عميقا عن ذلك الشعور فيما ذكره فى حوادث سنة سبع عشرة وستمائة فى كتابه الكامل اذ قال تحت عنوان « ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام » ما نصه :

« لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فانا اقدم اليه رجلا وأؤخر أخرى . فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ؟! ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟! فياليت أمى لم تلدنى ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا .. وهؤلاء « التتر » لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والاطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنة ، فانا لله وانا اليه راجعون .. فان قوما ما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثم منها الى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره . ثم تعبر طائفة منهم الى خراسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهبا ، ثم يتجاوزونها الى الرى وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حدود العراق .. فملكوا أكثر المعمورة من الارض واحسنه وأكثره عمارة وأهلا وأعدل أهل الارض اخلاقا وسيرة فى نحو سنة ، ولم يبت أحد من البلاد التى يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم اليه . ثم انهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد ياتيهم ، فانهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدواب ياكلون لحومها لا غير .. لقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الامم » .

وربما كان من حسن حظ ابن الاثير أن العمر لم يمتد به ليرى ما فعله التتار بعد سنوات قليلة بالعراق والخلافة العباسية ببغداد .

ذلك أن هولاكو نجح فى اقامة دولة ثابتة الاركان للتتار فى فارس ، بعد أن أخضع الاتابكة والحكام المحليين من بقايا الدولة الخوارزمية ، فضلا عن طائفة الباطنية التى هدم حصونها وقلاعها .

وبعد ذلك جاء دور العراق والخلافة العباسية .

وقد بدأ هولاكو بان طلب من الخليفة العباسى الاعتراف بسيادة التتار ، ولكن الخليفة المستعصم بالله رفض ذلك الطلب بشدة ، وأرسل الى هولاكو يقول له انه امام المسلمين جميعا « وانه من الشرق الى الغرب ومن الملوك الى الشحاذين ومن الشيوخ الى الشباب – ممن يؤمنون بالله ويعملون بالدين – كلهم عبيد هذا البلاط وجنود لى ! »

وهكذا اجتاح التتار العراق ، فحلت الهزيمة بالجيوش العباسية شرقى بغداد ، واقتحم الغزاة مدينة بغداد ذاتها ليحدثوا بها مذبحة رهيبة قدر عدد ضحاياها بثمانمائة ألف من السكان . وبعد أن استمر القتل والنهب أربعين يوما ، اشعل التتار النار فى بغداد « فبراير ١٢٥٨ » فاحرقوا جامع الخليفة ومشهد موسى الجواد وقبور الخلفاء ، فى حين قتل الخليفة العباسى المستعصم بالله ولم يعثر لجثته على أثر .

ولم يكن منتظرا أن تتوقف موجة الغزو التترى عند ذلك الحد ، وانما صار المفروض أن يتطلع التتار بعد ذلك الى بلاد الشام ثم مصر . وكان الصليبيون ما زالوا قابعين عندئذ فى أجزاء عديدة من بلاد الشام ، فرأى بعض المتحمسين للفكرة الصليبية فى أولئك التتار قوة هائلة يحسن استغلالها فى ضرب العدو المشترك ممثلا فى الاسلام والمسلمين .

وهنا نشير الى ان العقيدة المسيحية كانت قد أخذت تتسرب الى التتار منذ وقت مبكر ، حتى أن دوقوز خاتون – زوجة هولاكو – وامه سيورقوقيتى ، كانتا مسيحيتين مخاصتين للمذهب النسطورى ، الامر الذى جعل هولاكو بالذات يعطف على المسيحيين فى البلاد التى فتحها ، بقدر ما اضطهد المسلمين .

ثم ان الكنيسة الغربية وجدت أيضا فى أولئك التتار مادة خام لانهم بحكم وثنيتهم يسهل تشكيلهم ، فحاولت البابوية ارسال عدة سفارات الى التتار لاقناعهم باعتناق المسيحية وعندئذ تصبح تلك القوة البشرية الضخمة خير اداة تستطيع البابوية استخدامها فى خنق الوطن الاسلامى فى الشرق الادنى .

ولا أدل على هذا الاتجاه من أن المسيحيين فى الشرق وجدوا فرصة طيبة فى غزوة هولاكو للعراق للتشفى من المسلمين ، فاشتركت نسبة كبيرة من النساطرة والارمن فى جيش هولاكو الزاحف على بغداد ، وهؤلاء كانوا لا يقلون عنفا عن التتار انفسهم فى تصرفاتهم تجاه أهل بغداد عند سقوطها فى أيديهم .

ولم يلبث أن اتصل هيثوم الاول ملك ارمينية الصغرى – وهى مملكة مسيحية صغيرة قامت فى عصر الحروب الصليبية فى الركن الجنوبى الشرقى من آسيا الصغرى – بهولاكو لمساعدته فى وضع الخطط الخاصة بغزو بلاد الشام .

وعندئذ طلب منه هولاكو أن يلتقى به على رأس جيش عند مدينة « الرها » حتى يذهب معه الى بيت المقدس ويخلص الاراضى المقدسة من قبضة المسلمين ويسلمها للمسيحيين » حسبما جاء فى الوثائق المعاصرة .

ولم يكن فى استطاعة ملوك بنى ايوب بالشام صد الزحف التترى ، بل ان أخبار ما فعله التتار ببغداد وأهلها كانت كفيلة بأن جعلت غالبية ملوك الايوبيين بالشام يفرون من وجه التتار مستسلمين لهم . واذا كانت بعض مدن الشام – مثل حلب – قد قاومت التتار فان مصيرها كان فيه عظة لغيرها ، اذ دخلها التتار فى يناير سنة ١٢٦٠ بعد حصار سبعة ايام وعندئذ «دام القتل من نهار الاحد الى نهار الجمعة » فى حين بلغ عدد الاسرى «زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان» على قول المقريزى .

وكان أن أسرعت دمشق وغيرها من مدن الشام الى الاستسلام لهولاكو وبذلك خضع الشام لسيطرة التتار « ولم يبق خارج عن حكمهم فى الجانب الشرقى الا الديار المصرية والحجاز واليمن » على قول المؤرخ أبى المحاسن » .

وبوصول التتار الى غزة جاء دور مصر ، فأرسل هولاكو أنذارا الى السلطان المظفر قطز سلطان المماليك فى مصر ، يطلب منه الاستسلام ويذكره بقوة التتار وبطشهم وبان بلدا أو حصنا لم يستعص عليهم فتحه . والمتامل فى كتب التتار ورسائلهم الى معاصريهم من الحكام والملوك يجدها تستهدف شن حرب أعصاب عنيفة بما تحويه من عبارات ومعان ضخمة تثير الرعب فى قلوب قارئيها .

وقد جاء فى هذا الخطاب الذى ارسله هولاكو الى قطز ما نصه « يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ . فنحن ما نرحم من بكى ولا نرق لمن شكى . وقد سمعتم اننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الارض من الفساد وقتلنا

معظم العباد ، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب . فأى أرض تؤويكم وأى طريق تنجيكم وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال . فالحصون لدينا لا تمنع والعساكر لقتالنا لا تنفع ودعاؤكم علينا لا يسمع .. فقد انصفناكم اذ راسلناكم ، وأيقظناكم اذ حذرناكم ، قطز يعد عدته لمنازلتهم .

ولكن قطز لم يهتز لحرب الاعصاب التى دأب التتار على شنها والافادة منها ، وكان ان جمع السلطان قطز الامراء واستشارهم فى الامر ، فقرروا المقاومة وعدم الاستسلام ، وعندئذ أمر قطز بتوسيط رسل التتار - وكانوا أربعة - فوسط أحدهم بسوق الخيل والثانى عند باب زويلة ، والثالث عند باب النصر والرابع بالريدانية ، ثم علقت رءوسهم جميعا على باب زويلة .

وشاءت الظروف أن تساعد المسلمين عندئذ فى التغلب على أفدح خطر واجهوه منذ قيام دولتهم ، فتوفى منكوخان - خاقان التتار فى قراقورم - فى أغسطس سنة ١٢٥٩، وأعقب ذلك نشوب المنازعات بين اخوته حول اقتسام امبراطورية التتار الواسعة .

وعندما سمع هولاكو بوفاة اخيه رأى أن يسرع الى قراقورم حاضرة التتار فى جوف آسيا ، فعاد اليها تاركا قيادة جيوشه بالشام لقائده كتبغا .

ولا شك فى أن عودة هولاكو الى قراقورم ومعه شطر كبير من جيشه ،أمر له اثره فى اضعاف قوة التتار بالشام فى الوقت الذى أخذ السلطان المظفر قطز يعد عدته لمنازلتهم .

وعندما اكتملت استعدادات السلطان المظفر قطز ، خرج على رأس جيوشه الى الشام لملاقاة التتار . وقرب الصالحية تردد بعض الامراء فى السير بعد ان تذكروا ما أحاط تحركات التتار من قصص مخيف جعل مقاومتهم تبدو ضربا من المستحيل فى نظر كثير من المعاصرين . ولكن المظفر قطز هب فى امرائه صائحا : « يا امراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون . أنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة المسلمين فى رقاب المتاخرين »

وبمثل هذا الروح واصل الجيش المماليكى زحفه فى اتجاه الشام فى يوليو سنة ١٢٦٠ . وكانت مقدمة جيش المماليك بقيادة الامير بيبرس البندقدارى الذى اتجه الى غزة ، فى الوقت الذى كان كتبغا قد أقام قوة من التتار عند غزة تحت قيادة بيدرا .

وقد أرسل بيدرا الى كتبغا - الذى كان عندئذ فى بعلبك - يعلمه بوصول مقدمة الجيش المماليكى ويطلب منه سرعة انجاده ، ولكن كتبغا رد عليه قائلا « قف مكانك وانتظر » !

وأمره بالاحتفاظ بغزة وعدم التخلى عنها لحين وصول الامدادات اليه . على أن المماليك فوتوا على التتار غرضهم ، فبادروهم بالهجوم ، وهزموا بيدرا واحتلوا غزة وطاردوا التتار حتى نهر العاصى .

وكان لوصول المماليك الى فسلطين واحتلالهم غزة رد فعل قوى عند المسلمين فى كافة مدن الشام ، اذ رأوا فى ذلك النصر بادرة أمل ، وتشجعوا على مقاومة التتار، وفى الوقت نفسه أظهر المماليك كياسة وبعد نظر ، فلم يحاولوا استثارة الصليبين وحرصوا على مسالمتهم حتى لا يحاربوا خصمين فى وقت واحد . وكان أن أرسل المماليك الى حكومة عكا الصليبية يستأذنونها فى السماح لجيوشها بعبور الاراضى الصليبية لمحاربة التتار ، فوافق الصليبيون على ذلك الطلب .

وهكذا سار قطز على رأس الجيش الاسلامى بحذاء الساحل ، ومر المماليك بسلام فى أرض الصليبيين بحذاء عكا ، بل ان الصليبيين فى عكا خرجوا الى السلطان قطز ومعهم التقادم والهدايا « وأرادوا أن يسيروا معه نجدة ، فشكرهم وأخلع عليهم واستحلفهم أن يكونوا له لا عليه » .

وبعد أن حصل المماليك على ما لزمهم من ميرة ومؤن ، اتجهوا شرقا عبر الجليل الى الاردن عن طريق الناصرة .

وقد لجأ قطز الى خدعة حربية ناجحة ، فاخفى معظم جيشه بين الاحراش والاشجار المحيطة بعين جالوت - بين بيسان ونابلس - وترك مقدمة الجيش بقيادة بيبرس تتابع سيرها تجاه التتار .

وفى تلك الاثناء كان كتبغا قد وصل « وكأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب » . وقد أظهر المسلمون شجاعة كبيرة فى عين جالوت ، حتى يقال أنه حدث عندما اضطربت صفوفهم أن ألقى السلطان قطز خوذته عن رأسه الى الارض وصرخ باعلى صوته «وا اسلاماه» ! وحمل بنفسه على العدو ، حتى دارت الدوائر على التتار « وولوا الادبار لا يلوون على شىء » . أما كتبغا قائد التتار فقد ظل يقاتل فى شجاعة وعناد حتى سقط قتيلا .

ولا شك فى ان يوم عين جالوت هو يوم خالد من أيام الاسلام ، فلو انتصر التتار فى ذلك اليوم لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق وأهله ، ولمرت بقية البلدان العربية فى الشرق الادنى بدور مظلم حالك طويل تحت حكم التتار ، مما كان يترك أثرا عميقا فى تاريخها .

ولكن انتصار المسلمين فى عين جالوت لم ينقذ مصر فحسب من همجية التتار ، بل انقذ الشام أيضا لان التتار غدوا ولا مقام لهم بالشام بعد تلك الضربة القاصمة التى نزلت بهم فى عين جالوت .

ثم ان انتصار المسلمين فى عين جالوت قضى على الخرافة القائلة بان التتار قوم لا يهزمون . ولم يكد ينتشر خبر انكسار التتار فى عين جالوت حتى تطلعت جميع الشعوب الخاضعة للتتار الى الخلاص من حكمهم. وكان أن حملت رأس كتبغا الى مصر حيث أقيمت الاحتفالات بالنصر ، فى حين فر نواب التتار من دمشق وأخلوا المدينة .

وعندما دخل قطز دمشق غداة يوم عين جالوت استقبل استقبالا حافلا « وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم ، فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على لاستيلائهم على معظم الاسلام ولانهم ما قصدوا اقليما الا فتحوه ولا عسكرا الا هزموه ! » وفق ما يذكر المؤرخ ابو الفدا .

وهكذا أخلى التتار دمشق وحلب وغيرهما من المدن والبلاد الشامية التى كانوا قد استولوا عليها . وعادت بعد يوم عين جالوت الوحدة بين مصر والشام أقوى ما تكون ، وهى الوحدة التى يرجع اليها الفضل فى القضاء على جميع المحاولات التى قام بها التتار بعد ذلك للعودة الى بلاد الشام ، فضلا عن القضاء على البقايا الصليبية الغربية التى كانت لا تزال باقية فى بلاد الشام ، وبذلك احتفظت مصر والشام بعروبتهما فى ظل وحدة طبيعية خالدة أثبت التاريخ أنها كانت دائما أبدا درعا حاميا للعرب والعروبة .

احتياجنا إلى... الوحدة

الدكتور سليمان الحكيم

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا »

صدق الله العظيم

خلق الله آدم ثم حواء وأسكنهما الأرض وجاءا بمشيئة الله بذرية انتشرت فى جهات متعددة من بقاع العالم على توالى السنين والأزمان وتكونت منهم القبائل المتعددة والعشائر المتباينة والشعوب المختلفة كلها تسعى وتعمل فى الأرض بمشيئة الله وقدرته ولم يترك الله سبحانه وتعالى بنى آدم يلعبون ويلهون ويعبثون ويفسدون فى الأرض بل أراد بهم الخير فأرسل اليهم الكتب السماوية والتعاليم الربانية على لسان رسل خلقهم جلت قدرته من بينهم واصطفاهم ليبلغوا رسالته ويؤدوا أمانته التى خصهم بها وشرفهم بحملها دون العالمين . فبلغ الرسل رسالتهم وأدوا أمانتهم فآمن بهم من آمن وكفر بهم من كفر فاما الذين آمنوا فقد نعموا بالحياة الدنيا والآخرة وأما الذين كفروا فشقوا فى الحياة الدنيا ومأواهم فى الآخرة جهنم وبئس المصير . وكان خاتم هؤلاء النبيين الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه صلوات الله فكان نبى الهدى ورسول السلام الى عباد الله أنزل عليه القرآن بتعاليم الله وكان نزول القرآن حدث التاريخ فكان فيه رحمة للناس أجمعين . لقد اتى كتاب الله الكريم بمجموعة من الدرر النفيسة من الآيات البينات والأحكام الصالحة لكل زمان ومكان أنزلت للناس هدى ورحمة على لسان سيد المرسلين وخاتم النبيين لينير للعالم أجمع سواء السبيل ويهدى الخلق الى الطريق المستقيم . لقد جاء القرآن الكريم بمجموعة من القوانين السماوية التى عجز الانسان فى جميع الأطوار أن يأتى بمثلها لتنظيم المجتمع والعمل على رفع شأن البشر ولتجعله

يسموا من الحياة البهيمية والوحشية الى الحياة الانسانية .

((يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)).

ومن تعاليم الله السامية وتوجيهاته الكريمة تلك التعاليم التى توصى بالاتحاد وترشد الى ما يعود على الفرد والجماعة والشعوب والأمم من نعمة الوحدة ومزاياها وفوائدها كما أنذرت بعواقب التفرقة ومايعود من نتائجها على البشرية من وهن وضعف وما تسببه من ويلات ومصائب .

((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)) .

لقد انزل الله هذه الآية الشريفة الفنية بمعانيها تدعو الى الوحدة لعظيم أهميتها والأثر الذى يعود على الانسان والمجتمع من القوة والعزة والمحبة وتنهى عن التفرقة لما يعود منها من أثر سيىء من ضعف ومذلة وكره .

يروى لنا التاريخ أن الاسلام انبثق من الجزيرة العربية وانتشر منها الى جميع أنحاء العالم انتشارا سريعا مذهلا وكان قويا بفضل تعاليم الدين والتمسك بما جاء به القرآن الكريم ولا ننسى ما كان لوحدة العرب التى أمر بها الدين وتجمع القبائل واتحادها من فضل فى جعلهم من أقوى الأمم فى عصر الاسلام وفى انتصاراتهم الباهرة التى أذهلت العالم أجمع . لقد كان لوحدة العرب واتحادهم ووقوفهم صفا واحدا وقلبا واحدا الفضل فى انتصارهم على أعدائهم الكفار من جميع الأنحاء كما أذهلت العالم فتوحاتهم وانتصاراتهم المتوالية لقد كان انتصار العرب بفضل وحدتهم انتصارا على المبادىء الهدامة والوثنية واستمر العرب على ذلك وقتا من الزمن كانوا فيه مثال العزة والكرامة وكانت لهم السيادة حتى اذا ما دبت التفرقة بين صفوفهم ضعفت قوتهم وشتت شملهم وخذلهم أعداؤهم الذين كانوا يتربصون بهم لينالوا منهم مأربهم فعملوا على استعبادهم واذلالهم لما كان لدولتهم ومبادئهم وقرآنهم من خطر على بلادهم وعلى مبادئهم الاستعمارية وتعاليمهم الوحشية . ولن ينسى العرب ما فعله الغرب ببلادهم بعد أن استعمروها من بث روح التفرقة بين قبائلهم وعشائرهم والعمل على اضعاف وحدتهم واتحادهم حتى لا تقوم لهم قائمة . ولن يصح أن ينسى العرب ما تركه الاستعمار لهم من رواسب من ضعف فى الخلق وضعف فى الايمان ومن فقر فى المال ومن جهل ومرض .

وكان نفس الحال لكثير من البلاد الآسيوية والأفريقية الفنية فى خيراتها فلم يتركها المستعمر تنعم بخيراتها فاستولى عليها وعمل على تفتيتها وبث روح التفرقة بين شعوبها لاضعافها حتى تظل دائما مربوطة فى ذيله مؤتمرة بأمره .

لنرجع الى تاريخ ليس ببعيد لاتزال صورته مطبوعة فى أذهاننا واضحة أمام أعيننا . لنرجع الى تاريخ ما بعد الحرب العالمية الأولى الذى يحكى لنا ما فعله المستعمر بالدولة العربية الكبرى انه يحكى لنا أن المستعمر بما اكتسبه من خبرة طويلة فى الاستعمار وأساليبه قسم البلاد العربية وفتتها ثم بث روح التفرقة بينها وزين لها كيانا زائفا حتى لا تجتمع كلمتهم ويلم شملهم لأنه يعلم علم اليقين أن فى وحدتهم وضم صفوفهم واتحادهم على كلمة سواء فيما بينهم تهديدا لحياتهم وتعمل على أن تزلزل كيانهم . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اختلس من أرض العرب مكانا تفتن فى اختيار موقعه لحاجة فى نفس يعقوب أمسكته حفنة من يهود العالم الذى قضى الله عليهم أن يشردوا فى أنحاء العالم من قديم الزمان لا وطن لهم ولا قومية لما اتصفوا به من خبث وجبلوا عليه من فساد . لم يفعل المستعمر ذلك اعتباطا أو مصادفة أو ليقيم العدالة فى الأرض . وانما أراد به مضايقة العرب وليكون عاملا من عوامل التهديد لهم ولقد صدق هذا الظن اذ لم يمض غير القليل من الوقت حتى استأسد اليهود وطردوا العرب أهل البلاد تحت ظروف لانجهلها جميعا وتحت حماية المستعمر الذى تبنى أمرهم . ولولا تفكك العرب وانفصام عروة وحدتهم ما بلغ منهم العدو بفيته وما نال منهم مراده.

ولقد كان لهذه الأحداث أثر كبير فى نفوس العرب جعلتهم يستيقظون من نومهم ويرجعون الى أوامر الله وتعاليمه ويعملون على جمع كلمتهم وضم صفوفهم وهبوا يناضلون فى سبيل الحصول على استقلالهم ورفع كابوس الذل والعبودية من فوق صدورهم واعادة عزتهم وكرامتهم واستمر النضال وكان سلاحهم الاتحاد وقوتهم الايمان بحقهم وبالله حتى نالوا حقوقهم وطردوا عدوهم من أرضهم . ولقد كانت ثورة ٢٣ يوليه وما حققته من مكاسب كثيرة بفضل اتحاد الشعب والتفافه بزعماء مخلصين لله وللوطن مؤمنين بحق بلادهم وبتعاليم دينهم مثلا أعلا يحتذى به شعوب كثيرة عربية وأعجمية أسيوية وأفريقية لاقت كثيرا من الذل والاستعباد وعانت كثيرا من الهوان والاستعمار وظلت ردحا طويلا من الزمن تئن من الأعداء الثلاث (الجهل والفقر والمرض) التى سببها لها الاستعمار وكانت سلاحه الحاد . بعد أن بث بذور التفرقة بين الشعوب والأفراد . فتحت هذه الشعوب المغلوب على أمرها عيونها وتفتحت آذانها على صرخة مدوية من الثورة المصرية ثورة ٢٣ يوليو وبما حققته للبلاد وعلى صوتها ينادى بالاتحاد والوحدة وجمع الكلمة لجميع العرب على السواء هذه الصرخة المدوية والمبادىء الانسانية التى نادت بها الثورة المصرية ثورة ٢٣ يوليو لاقت استجابة من شعوب كثيرة مغلوب على أمرها كانت عطشى للحرية تواقة للاستقلال فهب البعض منها بعد أن علم موضع الضعف من نفسه واتخذ من الثورة المصرية القدوة الحسنة يقتدى بها وحارب العدو حتى طرده من بلاده ونال حريته واستقلاله بفضل وحدته واتحاده . وان الشعوب الناشئة التى نالت استقلالها حديثا أسيوية كانت أو أفريقية لفى اشد الحاجة الى التكتل والوحدة حتى تستطيع أن تبنى كيانها وتسد حاجتها بمساعدة حلفائها وحتى لاتكون هدفا فى المستقبل لغاصب أو مستعمر .

واننا لا ننسى ما سببته الوحدة بين مصر وسوريا من رعب وفزع للدول المستعمرة والتى ظلت تعمل فى الخفاء لا تقام لها عين ولا يهدأ لها بال على نثر بذور التفرقة بين الشعبين والعمل على ترويج الأكاذيب والشائعات التى لم تجد أذنا ولا بالا الا من ضعاف النفوس والايمان وما دعاها الى ذلك الا ما لمسته من قوة الجمهورية العربية المتحدة بفضل وحدتها واتحادها وما خشيته من ازدياد قوتها وانتشار سلطانها من خطر على مستعمراتها بل خطر على كيانها ومستقبلها . ولنترك ما حدث بعد ذلك للاحداث والتاريخ. ولنعلم أن الدين يدعو الى الوحدة . وحدة الكلمة . وحدة الصف وحدة الفرض لما فى ذلك من خير والشيطان يدعو الى التفرقة وتفتيت الشمل لما فى ذلك من شر على المجتمع. يدعو الاسلام الى المحافظة على الأسرة بوحدتها وتماسكها ليتكون المجتمع المتين السليم لأن الأسرة نواة الأمة فان صلحت الأسرة وتماسكت صلحت الأمة وتقدمت واذا تفككت الأسرة ضعفت الأمة وتدهورت وان نظامنا الاشتراكى وليد ثورتنا والمنبعث من ظروفنا وتعاليم ديننا لمن افضل النظم التى تنادى بالوحدة وبناء الأسرة المتضامنة .

ان ثورتنا تدعو الى الوحدة لا لمنفعة تعود علينا ولا لمغنم نصبو اليه وانما لمنفعة الشعوب الناشئة نفسها لتستعيد مجدها بفضل اتحادها وحتى تكون سدا منيعا فى وجه الاستعمار .

ان ثورتنا ستظل داعية للوحدة لدرء خطر الصهيونية على البشرية والانسانية وللمحافظة على كيان الدول العربية . وعلى الدول العربية أمام هذا الخطب السافر أن تسعى جاهدة للعمل على وحدتها وضم صفوفها وجمع كلمتها لتكون قوة تعمل على القضاء على الصهيونية وتامين خطر الدول التى تعمل خلف ستارها .

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى
خطب ولا تتفرقوا آحادا

تابى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت افرادا

الأستاذ
علي
الجندي

عبادة الجن :

ذكر الكلبى فى كتابه « الاصنام » ان « بنى مليح » من خزاعة - وهم رهط طلحة الطلحات - كانوا يعبدون الجن • وفيهم نزل قوله تعالى - : « ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم » .

وفى سورة « الانعام » جاءت الآية الكريمة « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » .

والمراد بالجن فى الآية : اما الملائكة حيث عبدوهم ، وقالوا : انهم بنات الله ! وسموا جنا مجازا لاجتنانهم واستتارهم عن الخلق ، قال - تعالى - : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » أى الملائكة .

واما ان يكون المراد بالجن : مايقابل الانس ، وهم الشياطين ، لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله - تعالى - ! أو لانهم عبدوا الاوثان بتحريضهم وتسويلهم ، فكانهم عبدوهم .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - : ان الآية نزلت فى الزنادقة من « الثنوية » الذين يقولون : بالنور والظلمة ، وبأن الله خالق الخير وكل نافع ، وخالق الناس والدواب والانعام والحيوان • وان الشيطان خالق الشر وكل ضار ، وخالق السباع والحيات والعقارب والحشرات !

وهذا احسن ماقيل فى تفسير الآية وسبب نزولها ، كما يذهب اليه بعض العلماء .

والجن فى الآية منصوب على البدلية من شركاء • وقرىء بالجر على الاضافة للتبيين ، وقرىء بالرفع ، كأنه قيل : من الشركاء ؟ فقيل : الجن .

وخلقهم : فعل ماض بتقدير « قد » : اى وقد خلقهم وحده دون الجن .

وقرىء وخلقهم - بفتح الخاء وسكون اللام - اسم معطوف على الجن : اى خلقهم وما يخلقونه من الاصنام . و « خرقوا له » : أى افتروا وصنعوا الكذب .

وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير . وقرىء : و « حرفوا له » بالفاء - : اى زوروا .

ومما يتصل بذلك من مظاهر خوفهم الجن ، وتقربهم اليهم ، واستجارتهم بهم : انهم كانوا اذا خافوا على الرجل المجنون ، وتعرض الارواح الخبيثة له ، نجسوه بتعليق الاقذار عليه كخرقة الحيض ، وعظام الموتى .

قالوا : وانفع من ذلك ان تعلق عليه طامث « حائض » عظام موتى ، ثم لايراها فى يومه ذلك ، ومن الشواهد فى هذا ماانشدوه للممزق العبدى :

فلو ان عندى جارتين وراقيا
وعلق انجاسا على المعلق

ورأى رجل منهم جانا «حية» فى بئر لايستطيع الخروج منها ، فنزل فيها معرضا نفسه للخطر واخرجه منها ، ثم غمض عينيه لئلا يرى اين يدخل ، كأنه يريد بذلك التقرب من الجن !

وكانوا اذا قتلوا ثعبانا خافوا من الجن ان تاخذ بثاره ، فياخذون روثة ويفتونها على راسه ، ويقولون : روثة راث ثارك .

وراث : ابطأ وتاخر ، قال الشاعر :

طرحنا عليه الروث والزجر صادق
فراث علينا تارة والطوائل

الطوائل : العداوات والتراث ، جمع طائلة .

وقد يذرون على الحية القتيل يسير رماد ، ويقال لها : قتلتك العين ، فلا ثار لك !

ومن امثالهم لمن ذهب دمه هدرا : هو قتيل العين ، قال بعضهم :

ولا اكن كقتيل العين وسطكم
ولا ذبيحة تشريق وتنحار

التشريق : تقديد اللحم ، ومنه سميت أيام التشريق وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر لأن لحوم الاضاحى تشرق فيها : أى تشرر فى الشمس لتجف ، بأن توضع على خصفة كبلحة وهى الثوب الغليظ جدا ، أو الجلة كقلة تصنع من الخوص .

وقيل : سميت بذلك ، لأن الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس .

ومن مذاهبهم : ان الرجل منهم كان اذا ركب مفازة ، وخاف على نفسه طوارق الليل ، عمد الى وادى شجر فاناخ راحلته فى قراره وعقلها وخط عليها خطا ، ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادى ، وربما قال : بعظيم الوادى من السفهاء الذين فى طاعتك !

وفى ذلك قوله - تعالى - : « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » الرهق - كسبب - : العتو والتكبر ، او الاثم .

والمعنى : أن اعاذة هذا النفر من الانس بهذا النفر من الجن ، زادت فى طغيان الجن وجبروتهم وكبريائهم . لانهم توهموا بذلك انهم سادوا الجن والانس .

أو زادتهم اثما فوق اثمهم ، فامعنوا فى انتهاك حرمات الله ، واستحلال مانهوا عنه !

وتفسير الآية على هذا النسق منسوب لمجاهد والنخعى وعبيد بن عمير وجماعة .

وذهب قتادة وأبو العالية والربيع وابن زيد : على ان الضمير المرفوع فى « فزادوهم » للجن والمنصوب للانس على عكس ما تقدم ، فيكون المعنى : أن الجن هم الذين زادو الانس غيا وضلالا ، حتى استعاذوا بهم دون الله - تعالى - الذى هو مفزع الخائفين ، وموئل المكروبين ، وغياث الملهوفين !

ومن امثال استعاذتهم بالجن مارواه ابن ابى الحديد من اقوال بعضهم :

ويقول آخر :

اعوذ من شر البلاد البيد
بسيد معظم مجيد
اصبح ياوى بلوى زرود
ذى عزة وكاهل شديد
ياجن اجراع اللوى من عالج

ويقول آخر :

عاذ بكم سارى الظلام الدالج
لاترهقوه بغوى هائج

ويقول آخر :

قد بت ضيفا لعظيم الوادى
المانعى من سطوة الاعادى
هيا صاحب الشجراء هل انت مانعى
فانى ضيف نازل بفنائكا
وانك للجنان فى الارض سيد
ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا

ومما يذكر على سبيل الاعتبار : ان رجل منهم استعاذ بالجن كعادتهم - وكان معه ولد ، فاكل الاسد ولده ! فقال :

قد استعذنا بعظيم الوادى
من شر مافيه من الاعادى
فلم يجرنا من هزبر عادى

مواطن الجن :

للجن فى عقيدة العرب مواطن كثيرة :

منها : ابرق الحنان - كشداد .

ومنها : البقار - كشداد أيضا ، وهو واد ، وموضع « برمل عالج » كثير الجن .

وعالج - كصاحب : موضع به رمل .

وقد ذكر « البقار » فى شعر النابغة الذبيانى ، قال - يصف جندا مدججين بالسلاح وقد امتزج صدا الحديد بعرق أجسادهم ، فسطعت من ذلك رائحة خاصة :

سهكين من صدا الحديد كانهم
تحت السنور جنة « البقار »

ينعتهم بالخشونة والتقشف ، واطراح الترف والنعومة ، لجدهم فى القتال وتشميرهم فيه ، وهو مما تتمدح به العرب !

والسهك - كسبب - الريح الكريهة . والسنور - بفتح السين والنون ، وتشديد الواو المفتوحة - : جملة السلاح .

ومنها : العازف ، وهو موضع سمى بذلك ، لان الجن تعزف به كثيرا .

ومنها العزاف - بتشديد الزاى - وهورمل لبنى سعد أو جبل بالدهناء على اثنى عشر ميلا من المدينة المنورة ، سمى بذلك ، لانه كان يسمع به عزيف الجن .

واشهر هذه المواطن جميعا اثنان :

الاول : عبقر .

فى الصحاح : العبقر - بوزن العنبر - : موضع تزعم العرب انه ارض الجن ، ثم نسبوا اليه كل شىء تعجبوا من حذقه ، أوجودة صنعته ، فقالوا : عبقرى - للذكر - والانثى عبقرية .

وفى القاموس : عبقر : موضع كثير الجن ، وبلدة ثيابها فى غاية الحسن .

وفى اللسان : عبقر : موضع بالبادية كثير الجن .

ويقول ياقوت فى « معجم البلدان » عبقر : موضعان : احدهما باليمامة ، والآخر كان مسكن الجن .

وفى عبقر يقول ابن هانىء اشعر شعراء الدولة الفاطمية ، من قصيدة جليلة يمدح بها خليفة العصر « المعز لدين الله الفاطمى » ويصف الجيش المصرى المظفر :

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم
وخلوقهم علق النجيع الأحمر
لاياكل السرحان شلو طعينهم
مما عليه من القنا المتكسر
انسوا بهجران الانيس كانهم
فى عبقرى البيد جنة « عبقر »

ومنها قوله :

من منكم الملك المطـــاع كأنه
تحت الســوابغ تبع فى حمير

ويذكر المؤرخون : ان فرسان الجيش ترجلوا عنـد سماع هذا البيت ـ وكانوا الوفا مؤلفة ـ وبقى « المعز لدين الله » وحده منتصبا على صهوة جواده ، ليتبين انه « الملك المطاع » جوابا عن استفهام الشاعر العبقرى !

والخلوق كرسول ضرب من الطيب ، والعلق ـ كسبب الدم الغليظ ، أو الجامد ، أو الشديد الحمرة ، واحدته: علقة . والسرحان ـ بكسر السين ـ : الذئب والأسد .

والاصل فى العبقرى : الكامل من كل شىء والسيد الذى ليس فوقه شىء ، والشديد والجليل النفيس الفاخر من الرجال وغيرهم . والعبقرية : المراة التارة الجميلة

التارة : ـ بتشديد الراء ـ الممتلئة الجسـم ، المتروية العظام .

وتقول : عبقرى القوم : للرجل القوى .

ومنه الحديث الشريف الذى اورده البخارى ومسلم فى مناقب عمر ـ رضى الله عنه ـ « اريت فى المنام انى انزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له ! ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباء فلم أر عبقريا يفرى فرية حتى تروى الناس وضربوا بعطن » .

النزع : الاستقاء . والقليب : البئر غير المطـوية . والذنوب ـ كرسول ـ : الدلو المملوءة .

والغرب ـ كفجر ـ : الدلو العظيمـة . ويفرى الفرى كصبى : يأتى بالعجب فى عمـله . وضربوا بعطن ـ كسبب ـ : أرووا ابلهم الى عطنها ، وهو الموضع الذى تساق اليه بعد السقى لتستريح .

يشير الحديث الشريف الى بعثة الرسول ـ عليـه الصلاة والسلام ـ وما قام به من تبليغ الدعوة ، وتقرير قواعد الاسلام ، ودخول الناس فيه أفواجا ، واكمال الله للمسلمين دينهم فى مدة الرسالة الشريفة .

ثم خلفه « الصديق » رضى الله عنه ـ فجهد جهده فى مدة خلافته القصيرة ، حتى جدد للاسلام بهاءه ، وقضى على فتنة الردة ، وسير الجند القليلين بعددهم وعدتهم الكثيرين بايمانهم الى دولتى الاكاسرة والقياصرة اعظم دول العالم مدنية وقوة ونفوذا !

ثم جاء بعده « ابو حفص » فقضى على دولة الفرس قضاء مبرما ، ودق عنق بنى الاصفر « الروم » وسلبهم اجمل ولاياتهم واخصبها ، ونبه شأن العرب ، وامر امر الاسلام حتى خطب له فى مائة الف بلد !

ووصف الرسول لابى بكر بضعف الاستقاء ليس فيه غض منه ، وانما هو اخبار عن قصر مدته ، وما اتسعت له من أحداث .

كما أن الاستغفار له ، لا يتضمن نقصا منه ، ولا اشارة الى ذنب وقع ، وانما هى كلمة كانوا يدعمون بها كلامهم فكان من عادة المسلمين ان يقول بعضهم لبعض : افعل كذا والله يغفر لك !

وهذا الحديث من آيات النبوة واعلامها ، ومن معجزات خاتم الرسل والانبياء ، فهو اخبار بالغيب عن منام نبوى وقد جرى الامر على ما أخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ !

والعبقرى ايضا : البسط فيها الاصباغ والنقوش ، ولها أهداب دقيقة أو ثياب موشاة وكل ثوب موشى هو عند العرب عبقرى ، او العبقرى : غليظ الديباج .

وفى الآثار النبوية : انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يسجد على عبقرى .

وفى القرآن الكريم « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » .

وقرىء « على عباقرى حسان » وخطاه الجوهرى ، لان المنسوب لايجمع على نسبته .

وقد يقال : كيف خاطب الله ـ سبحانه ـ العرب بما لاحقيقة له ؟

والجواب انه خاطبهم بما تعارفوه ، وهو أسـلوب معروف وكثير فى القرآن الكريم ، وكذلك يقال فى وصف الحديث الشريف للخليفة عمر بن الخطـاب : بانه عبقرى .

والياء فى عبقرى كياء كرسى ، والمراد به الجنس ، أو هو اسم جمع ، أو جمع واحده عبقرية .

ويقول الجوهرى فى « صحاحه » هو للواحد والجمع ولهذا صح وصفه بالحسان وهو جمع .

وقد توسعوا فى استعمال العبقرى ، حتى قالوا : ظلم عبقرى ، ومن قول بعض الاعراب : ظلمنى والله ظلما عبقريا !

والموطن الآخر المشهور للجن : وبار .

وهو على وزن سحاب ممنوع من الصرف ، وقد يصرف « بنون » .

ووبار : ارض بين اليمن ورمال يبرين ، سـميت بوبار بن آدم ، لما أهلك الله عادا ، وورث محلهم فلا ينزلها احد من الناس .

وهى عندهم : الارض المذكورة فى قوله ـ جل ثناؤه ـ « أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون » ويبرين وابرين : رمل لاتدرك اطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة وقد يقال فى الرفع : يبرون .

ويقول الجاحظ فى وصف وبار : هى من اخصب بلاد الله ، واكثرها شجرا ، واطيبها ثمرا ، واكثرها حبـا وعنبا ، ونخلا وموزا ، فان دنا انسان من تلك البلاد متعمدا او غالطا ، حثوا فى وجهه التراب ، فان ابى الرجوع خبلوه ، وربما قتلوه !

ويقول المؤرخ « فيلب حتى » فى كتابه تاريخ العرب : واسكن البدو الصحراء باشياء حية لها طبيعة الوحوش ، تسمى الجن والشـياطين . والجن بطبيعة الحال هى تجسيمات البدوى لمعلوماته التصورية عن مفاوز الصحراء وحياة الوحوش الضارية فيها ، فالى الآلهة تنسب المناطق التى يكثر تردداه عليها ، أما الى الجن فتنسب الاجزاء المجهولة من البرية التى لم تطاها قدم وليس المجنون الا شخصا استولى عليه الجن .

ثم يقول ـ ولا نـدرى ماذا يعنى بالدقة ـ وبمجىء الاسلام زادعدد الجن ، اذ هبطت مكانة الآلهة الوثنية الى تلك المخلوقات .

-١-
الإسلام وحقوق الإنسان

الأستاذ إسماعيل كشميري

يحتفل العالم بأسره فى كل عام بيوم حقوق الانسان ، اليوم الذى أعلن فيه الميثاق الذى يحدد كيان الانسان كأنسان خلقه الله حرا والذى يقر بكل الحقوق والامتيازات التى يجب أن تتوفر للانسان ليكون بحق خليفة الله فى أرضه .

وميثاق حقوق الانسان يعد آخر ماوصلت اليه المدنية الحديثة من مبادىء لو اتبعت لكان الانسان جديرا بأن يكون انسانا . وهذا الميثاق أصدرته الأمم المتحدة بعد أن تكونت فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة . ولكن الاسلام أتى منذ قرون بعيدة ـ حين كان الانسان لا يزال يعيش فى الجاهلية ـ بالمبادىء الصحيحة التى تنطوى على هذه الحقوق التى يجب أن تتوافر للانسان وهذه المبادىء التى أتى بها العصر الحديث يتضمنها الدين الاسلامى الحنيف ويتضمنها القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم صلوات الله عليه . والكلام بأن الاسلام ينطوى على كل مافيه خير البشر ، وعلى المبادىء التى يصلح بها شأن الانسان فى دنياه وأخراه ليس كلاما يدعيه المتعصبون وهم بسبيل الاشادة بما ينطوى عليه دينهم ، بل هو كلام نزل به الكتاب الكريم حين كان الانسان لا يزال يعيش حياة البداءة وحياة الفطرة . وان كان العصر الحديث بما اشتمل عليه من أفكار وحياة جديدة وتعاريف ومخترعات ومصطلحات لم تكن معروفة من قبل ، لو أن هذا العصر قد أتى بهذا الميثاق الذى تفخر به المدنية الحديثة على أنه آخر ما وصل اليه الفكر الانسانى من تمجيد لحياة الانسان ، فان الاسلام ، والقرآن والسنة ، قد تضمنت هذه المعانى بنفسها وعينها .

ولسنا نحب ان نقول ان واضعى هذا الميثاق قد اقتبسوه من الاسلام ، ولكنا نقول ـ بحق وببرهان ساطع ـ ان كل هذه المبادىء تضمنها الاسلام وأقرها الدين الحنيف ولا يرضى بها بديلا للحفاظ على كيان الانسان كانسان .

وميثاق حقوق الانسان طويل متشعب . واذا كنا نعرض له الآن فانا نعرض لبعض مواده مع ذكر ما تضمنه الاسلام والقرآن من هذه المعانى السامية .

ولنعالج الآن مسألة حق تقرير المصير أولا:

تقول المادة ٢١ من اعلان حقوق الانسان الصادر فى عام ١٩٤٨ ما يلى :

١ ـ لكل انسان الحق فى أن يشترك فى حكومة بلاده أما مباشرة أو عن طريق الانتخاب الحر .

٢ ـ ان ارادة الشعب هى أساس السلطة التى تتمتع بها الحكومة . وهذه الارادة يعبر عنها فى فترات محدودة فى انتخابات صحيحة تجرى على أساس عام ويشترك فيها جميع البالغين ، ويجرى فيها الاقتراع بصورة سرية أو بأى صورة أخرى تحيطها السرية من جميع الوجوه .

واذا كان علينا أن نشرح هذه النقطة فان الواجب علينا أولا أن نشرح ما تعنيه كلمة « الحكومة » .

فى رأى الاسلام أن الأرض وما عليها ملك لله تعالى وليست وظيفة الانسان الا استعمال هذه الأشياء لما فيه منفعة المجموع . وعلى ذلك فان سلطة الانسان فى كل ما يعمل لبست الا من قبيل الوديعة .

يقول الله تعالى فى محكم تنزيله : « يا داود .. انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى »

ويقول أيضا : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون»

وكذلك يقول جل وعلا : « ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » فالله (كان عليا كبيرا) وهو (ربك الأعلى) و (لله جنود السموات والأرض) وهو (رب المشرقين ورب المغربين) و (رب المشرق والمغرب) (والله يحكم لا معقب لحكمه) وهو (والذى قدر فهدى) ثم ان الله (مالك الملك تؤت الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) و (لله ملك السماوات والارض) والله هو الذى يعطى السلطة للانسان : (ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش) . ومن هذا كله يتضح أن خلافة الانسان فى الارض ـ أى ممارسته لشئون الحكومة ـ ليست الا وديعة كبيرة وضعها الله فى يده . والسيادة سيادة الله ، والانسان يمارسها بالنيابة عنه سبحانه وتعالى . والحكومة ليست الا فئة من الامة ، وعلى هذا فهى تمثل الأمة ، وهى مسئولة أمامها . وهذا يعنى أن سيادة الله يمارسها الانسان . وكما يقول (الماوردى) فان الأمامة ـ وهى الرئاسة بالمعنى الحديث ـ هى الأساس الذى تقوم عليه القوانين واللوائح فى فى المجتمع . وبمعنى آخر يمكن أن يفسر ذلك بأن الهدف الذى يجب أن تسعى اليه الدولة انما هو اشاعة حكم العدل والانصاف والحق. يقول الماوردى فى (الاحكام السلطانية) ان الأمامة ـ وهى الرئاسة ـ لازمة بعد النبوة وذلك لامكان الاحتفاظ بالايمان والدين ولأمكان اقرار النظام فى العالم . وكما يعتقد الماوردى فان من أهم ما يجب تحقيقه اختيار امام باجماع المجوعة ، وهو ما نعبر عنه فى المصطلح الحديث باجراء الانتخاب ، وعلى كل الناس أن يضعوا أمورهم فى يد رئيس يستطيع أن يحكم بينهم بالعدل والقسطاس .

واشتراك الناس فى الحكومة يتمثل فى (البيعة) . ويشرح ابن هشام هذه البيعة فيما جرى عند بيعة العقبة ، ويقول انها تبدأ بوضع فئة من الناس أيديهم فى يد الخليفة وأخذ العهد باتباع أحكام الشريعة وبعبادة الله وحده لا شريك له وبأنهم يمتنعون عن السرقة وعن الزنا وعن وأد البنات . ثم يجىء بعدذلك تعهدهم بطاعة الخليفة والدفاع عنه كما يتعهد الخليفة بدوره بالذود عن صوالحهم وباعتبار هذه المصالح مصلحته الشخصية هو نفسه . وحين قدم المسلمون الى المدينة تآخى كل مهاجر من مكة مع واحد من الأنصار . وقد أعلن ميثاق المدينة الذى منحه الرسول الكريم لليهود فيها انهم يعدون مواطنين للدولة الجديدة شأنهم فى ذلك شأن المسلمين أنفسهم وكذلك فان النبى الكريم أعطى عهدا للمسيحيين بنجران أمنهم فيه على حياتهم وعلى ممتلكاتهم وسمح لهم بمزاولة طقوس دينهم مع الابقاء على كهنتهم وعلى صورهم وصلبانهم مع عدم فرض أى جزية عليهم وعدم مطالبتهم بان يشتركوا فى جيش الدولة .

وحين تأسست الدولة ـ أو الحكومة ـ بالمدينة وأصدرت هذا العهد ـ هو الدستور ـ أكد فيه وجوب أجراء المشاورة من جهة ، واشتراك الناس فى تعريف شئون الناس على جهة أخرى .

ويشيد القرآن الكريم بكل من يسأل المشورة فى وقت الحاجة بل ويزيد على ذلك بأن يطلب الى الرسول الكريم الذى يتلقى وحيه من الله القدير بأن ((وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله)) (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم).

ويقال ان الرسول الكريم صرح مرة لبعض جلسائه بأنهم يعرفون من شئون الدنيا أكثر مما يعرف هو نفسه . وهناك أحاديث نبوية كثيرة تمجد الاستشارة والبحث عن النصيحة و ((يد الله مع الجماعة)) . وفى احدى خطبه الجامعة أعلن الرسول الكريم للناس أنه بشر وطلب الى كل من له شكاة ضده أن يتقدم بها اليه ليأخذ منه حقه

وبعد أن توفى رسول الله كان على المسلمين ان يختاروا لهم رئيسا لدولتهم لأن الرسول الكريم لم يعين خلفا له كما أنه لم يضع أى قاعدة لاختيار هذا الخلف . وكان أن اجتمع الناس فى مكانهم المعتاد واختاروا أكثرهم تقوى وأكثرهم صلاحا للرئاسة . وحمل المجتمعون هذا القرار لبقية الشعب فاقروه وأقسموا يمين الطاعة للخليفة الجديد . ومن هنا أصبح الانتخاب قاعدة تولى الحكم لا بالنسبة للخلافة وحسب ، بل بالنسبة للملك أيضا .

والبيعة فى الاسلام ليست الا من قبيل التعاقد . وفى رأى الفقهاء أن الخلافة نفسها عقد من العقود طرفه الأول الشخص الذى يقبل تولى المنصب وطرفه الثانى المجتمع باسره . وهذا العقد يصبح سارى المفعول بعد أن تتم البيعة على وجهها الصحيح .

وأيام الخلفاء الراشدين كان الخليفة يستشير كبار صحابة النبى الكريم ، كما كان يطلب الى الناس أبداء رأيهم فى الشئون العامة ونقدها ان شاءوا . وكان الخليفة فى عاصمة الدولة وولاته فى مختلف الأقاليم التابعة لها يبلغون الناس بما يجرى فى البلاد ويشرحون لهم مختلف الاجراءات التى يتخذونها لتصريف احوال الرعية .

ولا نستطيع ان نقول ان حكم الخلفاء الراشدين الأربعة لم يكن حكما جمهوريا ، ذلك لأن هذا الحكم لم يتم الا عن طريق الانتخاب. أما بعد الخلفاء الراشدين فقد شاهد المجتمع الاسلامى عدة صور للحكم منها الحكم الاستبدادى وحكم الملكية الدستورية وحكم الملكية المطلق ثم الديمقراطية . ولكن الظاهرة الوحيدة التى تميزت بها هذه العهود ـ سواء كانت عهود الخلافة أو عهود الملكية ـ هى أن رئيس الدولة لم يكن مستبدا برايه ، فكان هناك تقسيم للسلطة من جانب ورقابة على هذه السلطة من جانب آخر ، وهذه الرقابة كان لها صورتان ، أولاهما مسئوليته أمام الله ، وثانيتهما قوة الرأى العام أو ((اجماع الأمة))

وهذه النظرية التى جاء بها الاسلام فى أول عهده هى النظرية التى تقوم عليها الدولة الصالحة والتى يسير عليها الحاكم الصالح . فالرئيس ينتخبه الشعب وهو يمارس سلطاته باسم الشعب . وهو مسئول عن رعيته أمام الله أولا ثم أمام الأمة ثانيا . ومن هنا يتضح أن الرئيس الصالح هو الرئيس الذى ينتخبه الشعب من بين أفراده وليس هو الشخص الذى يأتون به من بعيد ليتولى أمورهم . واجتماع الرئيس بمعاونيه والبحث معهم فى شئون الرعية والاستماع الى مختلف الآراء التى يجمعونها من اختلاطهم بالناس هى الديمقراطية الحقة وهى الأساس السليم لبناء الدولة .

واذا كان الناس يقولون ان الديمقراطية والانتخاب والبرلمانات هى من صنع العصور الحديثة فان مثل هذا الكلام ليس الا من قبيل الهراء والمغالطة . وها هو تاريخ الاسلام والأمة الاسلامية ذاخر بكل هذا . ولا نظن أن دولة ما من الدول الحديثة ستصل يوما الى درجة من الديمقراطية يقف فيها خليفتها كما وقف الخليفة المسلم يقول للناس : ((ان رأيتم فى أمرا عوجا فقوموه بالسيف)) فرد عليه أحد الأجلاف العرب قائلا : ((والله لو رأيت فيك اعوجاجا لقومته بسيفى هذا .))

ومن هنا نخلص الى الكلام عن حقوق الأمم الأخرى فنقول انه بعد أيام صدر الاسلام اتصل المسلمون بغيرهم من الأمم وكانت هذه الأمم اما ولايات صغيرة أو مدنا كبيرة . أما الدول التى تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم - وكان لها اتصال بالدولة الاسلامية فكانت ايران وبيزنطة والامبراطورية الرومانية الشرقية وكان هناك نزاع بين الدولة الاسلامية والدول الثلاث الأخرى أدى فى آخر الأمر الى أن أصبحت هذه الدول جزءا من الدولة الاسلامية الكبرى . أما الولايات الصغيرة فكان أهلها يتركون وشأنهم طالما أنهم يدفعون الخراج والجزية وكان القرآن الكريم صريحا فى أوامره .. ((لكم دينكم ولى دين)) ، ((لا اكراه فى الدين)) .

وبدأ الاسلام يطبق نظريته عن الدولة العالمية وعن المجتمع الدولى بكفالة الحقوق الانسانية الأساسية وتحقيق الاستقلال الذاتى وتوفير الديمقراطية الحقيقية . وقد كفل الاسلام فى بادىء الأمر أربعة حقوق رئيسية لجميع المواطنين هى حرية الضمير وحرية الحياة وحق التملك وحق العرض والشرف . وحين نص القرآن الكريم على أن ((لا اكراه فى الدين)) كان النبى يؤكد حق الناس فى الحياة وفى التملك بمقتضى القانون ويطالب بالحفاظ على الاعراض . وهذه القواعد النبيلة تظهر بوضوح فى المعاهدات التى عقدها الخلفاء الأربعة الأوائل وفى القرارات التى اتخذوها والعهود التى قطعوها . ومن قبيل ذلك أنه اذا قتل مسلم مواطنا غير مسلم فان القاتل يقتل . وكان عمر - الخليفة الثانى - يستشير أهل الأرض التى نغزوها من غير المسلمين فى شئونهم الادارية . وهنا تتضح معالم الاستقلال الذاتى واللامركزية ومعالم الديمقراطية الصحيحة حتى فى الأراضى التى لم يمض على انضمامها للدولة الاسلامية غير أمد قصير .

وهكذا كانت تسير الأمور فى الأراضى المغزية أو فى الدولة الاسلامية بعبارة أصح . أما فيما يختص بالأراضى أو الدول الخارجة عن نطاق الدولة الاسلامية فيمكن أن تقسم الى ست صور : (١) الأراضى الخاضعة لحكم الاسلام المباشر (٢) الدول المستقلة التى لا يحق للدولة الاسلامية أن تغزوها (٣) دول مستقلة اسميا وهى الدول الاسلامية المستقلة (٤) الدول الواقعة تحت الحماية (٥) دول واقعة تحت النفوذ (٦) أراضى لا صاحب لها .

وكانت الدول الواقعة تحت الحماية اما دولا تتمتع بقسط من السيادة أو دولا لا سيادة لها بالمرة بل كانت تخضع لأوامر الحاكم . ومع هذا فان هذه الدول الأخيرة لم تكن تحكم من الدولة الحامية مباشرة . وكانت رسائل النبى الكريم لبعض الحكام تتميز بصيغة واحدة ، ففى كل الرسائل التى بعث بها مثلا الى المنذر ابن سوى حاكم البحرين وحوذه بن على حاكم يمامه وجيفر وعبد حاكمى عمان ثم الى نجاشى الحبشة وهرقل وشوسر ، فى كل هذه الرسائل كان النبى يقول : « اذا خضعتم فانى ساترك لكم السلطة التى تزاولون . » وكان أن قبل حاكما البحرين وعمان طلب النبى وأرسل لهما من يحكم بين المسلمين من أهل بلديهما . والواقع أن كل من دخل مع الدولة الاسلامية فى عهد للسلام لم يجد حرجا ولا ضيقا فى أمر واحد من الأمور وكانت حرياته الأربع الرئيسية مكفولة تماما .

((للبحث تتمة))

الفكر العربي الاسلامي

قدم الى الفكر الانساني فلسفتي الاجتماع والاقتصاد

الأستاذ أنور الجندي

اعمال كبرى هامة سبق « الفكر العربى الاسلامى » الى ابداعها وحاول الغرب انكار هذا السبق والادعاء بانه هو الذى سبق اليها . غير أن الحقيقة لم تلبث ان ظهرت سافرة واضحة .

هذه الاعمال هى :

١ - تاثر دانتى فى قصته الكوميديا الالهية برسالة الغفران التى كتبها أبو العلاء المعرى .

٢ - تاثر آدم سميث فى رأيه عن قوانين الاجتماع بنظرية ابن خلدون فى مقدمته .

١ - المعرى سبق دانتى

اما « دانتى » فقد تاكد أنه تاثر بالثقافة الاسلامية عامة وأنه مدين فيما كتبه فى قصته « الكوميديا الالهية » بأثرين من آثار الفكر الاسلامى العربى وهما : رسالة الغفران وكتب محيى الدين العربى فى كتابه « الفتوحات المكية » . وأن سورة الاعراف فى القرآن قد امدته فى تفاصيلها بفكرة جهنم والمطهر والصراط والمحشر .

وكان الشاعر الفلورنسى « دانتى » الذى زار البابافى روما كسفير لبلدته فلورنسا تلميذا وصديقا للكاتب برينتو لاشين (Brunette Lattine) وكان هذا الاخير قد الف كتابا أعلن فيه أن تقسيم الفلسفة الاوربية منقول عن ابن سينا . وقد كان (برينتو) سفيرا عن فلورنسا عام ١٢٦٠ الى طليطلة حيث شهد هناك مدرسة الترجمة التى كانت تقوم بترجمة كتب العرب الى اللاتينية وكان كثير من نبلاء الطليان قد قصدوا الى أشبيليه فى هذه الفترة واحتلوا شارعا فيها .

وقد ثبت أن كتابا عربيا يدور حول فلسفة الحشر العربية الاسلامية ترجم الى اللاتينية والفرنسية . كان معروفا فى ايطاليا فى القرن الرابع عشر ثم وضع الكتاب فى بلاط الفونسو بمدينة أشبيلية ، ونقل الى اللغة القشتالية قبل عام ١٢٦٤ بزمن طويل ، ويؤكد المستشرق الايطالى فرانسيسكو غابريتى أن الكاتب الايطالى (بونا فنتيورا) قد اخذ نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة أحدهما لاتزال محفوظة فى اكسفورد ببريطانيا ويؤكد المستشرق الايطالى فى بحث له بتاكيد ارتباط دانتى بالفلسفة الاسلامية وأنه قرأ لابن عربى وابى العلاء وعنهما تاثر فى رسم صورة الحشر فجاءت مشابهة لفلسفة الحشر الاسلامية .

وقد أعلن (الاب سين بلاسيوس) أستاذ اللغة العربية فى جامعة مدريد عام ١٩٢٦ فى كتابه (الاسلام والرواية الالهية) ان دانتى الشاعر الفلورنسى قد حاكى التقاليد الاسلامية فى الكوميديا الالهية The Divine Comody وقال ان الشاعر مدين فى كثير مما كتبه الى الثقافة الاسلامية عامة والتقاليد الصوفية خاصة .

وأورد ما كتبه الاستاذ بلاشت (Blachet) فى مقاله « المصادر الشرقية للرواية الالهية » فى قوله « ان الاسلام كان من المؤثرات التى عملت على انتاج فكرة هذه الرواية .

وقال الاب أسين : انه تاكد من أثر قصتى المعراج والاسراء فى (الكوميديا الالهية) وأشار الى أن محيى الدين بن العربى تناول موضوع الاسراء والمعراج فى كتابه « الفتوحات المكية » قبل مولد دانتى بخمس وعشرين سنة .

وان ما جاء به دانتى مشابه الى درجة عظيمة لما سجله

ابن العربى فى كتابه الفتوحات وأن سورة الاعـــراف القرآنية فى تفاصيلها مهدت السبيل الى فكرة دانتى .

وكذب الاب أسين ما قيل من أن الكوميديا الالهيـــة منقولة من القصص النصرانية التى كانت شـــائعة فى القرون الوسطى وأثبت اتصالها بالاسلام . وقال اسين « ان الاقاصيص التى ذاعت فى ايطاليا والمانيا وفرنسا واسكندنافيا وايرلندا مثل رحلة القديس برلندان وأحلام القديس بويس والقـديس متريح مستقاة من التقاليد الاسلامية وأنها وصلت الى أوربا عن طـــريق الحجاج والتجار والمحاربين والمبشرين والرحالين وأسرى الحرب والعلماء والمدارس .

وقال ان التقاليد النصرانية التى عـدها بعضهم من أوليات (الكوميديا الالهية) لم تبرز الى الوجود الابعد انصرام القرن العاشر بينما الاحاديث والشروح قد وجدت قبل هذا التاريخ ، وقال : ان قصة المعراج وغيرها من التقاليد الاسلامية كانت شائعة فى الاندلس .

وأكد أسين انجذاب دانتى نحو الثقافة الاسلامية وقال انه عاش فى وسط اسلامى فى ثقافته وأنه وعى معارف عصره ولم تكن الا اسلامية وأشار الى أنه كان له المـام بالعربية أو العبرية .

واضاف راى الاستاذ نردى فى هذا المجال الذى اشار الى أن وصف دانتى للحياة الاخرى ، ان فى اتجاه أفكاره نحوا من الروح الاسلامية . وما كان له من علاقة بابن العربى يرجع الى أنه كان من اتباع المذهب الاشراقى الذى اوجده شيخ ابن العربى : الفيلسوف ابن ميسره القرطبى الاندلسى . وقال نردى : ان الله عند كل من ابن العربى ودانتى « نور » وكل منهما يستعمل لفظة : الانعـكاس والاشعاع والبروق النورانية ، « وتجلى » هذا النور .

وخلص نردى من ذلك الى أن دانتى نسج على منوال ابن العربى فى خواص الاحكام الموجودة فى (الفتوحات المكيه) وحكاه فى تفسير الأحلام تفسيرا صوفيا مما ذكره ابن العربى فى كتابه (ترجمان الاشواق) .

وقال ان هناك ثلاث عوامل تؤكد تأثر دانتى بالمعرى وابن العربى :

أولا ـ اسبقية الاداب الاســـلامية لغيرها فى أوربا وبالتالى لدانتى الى أن وجدت قبل أن توجد تلك التقاليد أو هذه الرواية .

ثانيا ـ « المشابهة » بين هـذه الآداب وما جاء به « دانتى » .

ثالثا ـ ثبوت انتقال هذه الافكار الى الغرب .

ثم قال : اذن فنظرية أصل الرواية الاســـلامية أمر لايمكن جحده .

(٢) ابن خلدون سبق كونت وسميث

سبق ابن خلدون فلاسفة الغرب فى وضع أسس علمى الاجتماع والاقتصاد السياسى . فلا شك مطلقا فى السبق التاريخى بين ابن خلدون ومن كتبوا من مفكرى أوربا عن الفلسفة التاريخية أو الاجتماعية أمثـال آدم سميث أو اوغست كنت وبين آدم سميث وابن خلدون أربعة قرون كاملة . فقد ظهر ابن خلدون بنظريته التى ضمنها كتابه « المقدمة » فى القرن الرابع عشر . بينما ظهر آدم سميث فى القرن الثامن عشر .

وقد درس ابن خلدون الظواهر الاجتماعية عـــلى أساس علمى وقرر : أن الظواهر العمرانية فى تزاحمها وتواليها تحكمها قوانين . وكانت وسيلته فى الدراسة : الاستقراء والقياس . وفى هذه المقدمة بدت بذور الفكر الاقتصادى مما عده الباحثون من بعد نقطة بدء للمدرسة العلمية فى الاقتصاد . وقد أكد المنصفون من الباحثين بأن آراءه لم تكن مجرد جمع لمعارف منوعة . ولـكنها جاءت كعمل منظم ومرتب ينطبق عليه لفظ العلم فى معناه الدقيق وقال شميدت : أنه يطلق عليه لفظ Wissenscheft وليس مجرد لفظ Wissen

وان البحوث الحديثة وان كانت تستند الى وسـائل بحث أنجح الا أنها فى شكلها وموضوعها مماثلة لبحوثه.

وقال الاستاذ فيليب : ان ما ألفه ابن خلدون عظيم الشان كبير القيمة بحيث سيحفظ اسمه فى سـجل الخالدين بين الاجيال المتعاقبة .

وقد شهد لابن خلدون عشرات من الاعلام فى مقدمتهم (ايف لاكوست) فى كتابه ابن خلدون واضع علم ومقرر استقلال .

فهو عند روبرت فلينت المؤرخ الانجليزى : واضـــع نظريات فى التاريخ يعد منقطـــع النظير فى كل زمان ومكان . وهو عند جوميللوفيتس فيلسوف الاجتمـاع الألمانى مفـكر عصرى بكل معنى الـكلمة درس الحـوادث الاجتماعية بعقل هادىء رزين وابدى آراء عميقة جدا ، ليس قبل « كونت » فحسب بل قبل « فيكو » ايضـا والحقيقة ان ما كتبه ابن خلدون هو ما نسميه اليـوم « علم الاجتماع » .

والمعروف ان فيكو الفيلسوف الايطالى كتب بحثـه « العلم الجديد » La science novyelle عام ١٧٢٥ م بينما كتب ابن خلدون مقدمته عام ١٣٧٧ م سابقا اياه بثلاثمائة وخمســـين عاما . أما بحث اوغوست كونت (السوسيولوجى) فقد كتبه خلال الربع الثـانى من القرن التاسع عشر أى بعده باربعة قرون ونصف .

ويرى « استفانو كولوزيو » الايطالى ان مبدأ « الحتمية الاجتماعية » مما يعود الفخر فى تقريره الى ابن خلدون قبل رجال الفلسفة الاثباتية وعلماء النفس بقرون عديدة وأن هذا المؤرخ العربى العظيم اكتشف مبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسى قبل كونسيد رانومارکس وباكونين بخمسة قرون . وأن ما يعزوه من شأن كبير الى دور العمل والاجرة والملكية يجعله اماما لاقتصاديى هذا العصر .

أما « فارد » عالم الاجتماع الامريكى فيســـجل لابن خلدون سبقه مونتسيكو وفيكو « كانوا يظنون أن أول من قال بمبدأ الحتمية فى الحياة الاجتماعية هو مونتسيكو او فيكو فى حين أن ابن خلدون قال بذلك ، واظهـر تبعية المجتمعات لقوانين ثابتة قبل هؤلاء فى القـرن الرابع عشر .

ويسـجل « أرنولد تويمبى » الفيلســوف المؤرخ البريطانى المعاصر « ان ابن خلدون فى المقدمة التى كتبها لتاريخه العام قد أدرك وأنشأ «فلسفة التـاريخ » وهى بلا شك أعظم عمل من نوعه ابدعه أى عقل بشرى فى أى زمان أو مكان .

ويرى سارتون فى كتابه مدخل لتاريخ العلم « انه لمن المدهش أن يكون ابن خلدون قد توصل فى تفكيره الى اصطناع ما يسمى اليوم بطريقة البحث التاريخى » .

٣ ـ الطرطوشى سبق ميكافيلى

كما تحقق أن أبا بكر محمد بن محمد الطرطوشى سبق (نيقولاى ميكافيلى) فى التاليف فى سياسة الملك واخلاق الامراء ، وأن كتاب الطرطوشى « سراج الملوك » سبق كتاب « الامير » باكثر من خمسة قرون .

وقد اكتشف الباحثون أن معظم مواد كتاب الطرطوشى قد نسقت فى كتاب الامير وأن أبوابها كاملة قد ترجمت ، ويقول محمد لطفى جمعة فى دراسة له عن الكتابين : انه يوجد على الاقل عشرة أبواب متفقة بالنص مع ما يماثلها من كتاب الطرطوشى ، وأن كتاب الطرطوشى بـ ٦٤ بابا فى مائتى صفحة من القطع الكبير فى حين أن كتاب ميكافيلى لايزيد عن ثلث الكتاب وفصوله ٢٦ فصلا

ومن المرجح أن يكون كتاب « سراج الملوك » قد ترجم الى اللغة اللاتينية حتى نقل اليها فى أوائل عهد « الرينسانس » والمعروف أن ميكافيلى كان يتقن اللغة اللاتينية وانه ترجم منها .

وقد أشار لطفى جمعة أنه قد جاءت على لسان الطرطوشى عبارات عربية التفكير والمبدأ هى نفسها التى صبغها الافرنج بصبغتهم .

ومن ذلك قوله « اعلم انك قد تخطىء فى العفو فى الف قضية خير من أن تخطىء فى العقوبة فى قضية واحدة » (الباب ٢٦ ص ٧٥) . وقد نقل هذه العبارة ميكافيلى على هذا النحو « ان حكما ببراءة عشرة مجرمين خير من أن نحكم بعقوبة برىء واحد » ويرى لطفى جمعة أن هذه العبارة كثر ترددها فى مؤلفات الغربيين وعدت من جوامع الكلم عند الافرنج حتى أن بعضهم حاول أن ينسبها الى مونتيسكو مؤلف روح الشرائع .

وقد سجل لطفى جمعة أن كتاب الطرطوشى فى أبواب ٦ ، ١٢ - ١٣ - ٢٣ - ٢٤ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - يتحد مع ما كتبه ميكافيلى .

ويصل من ذلك الى القول بانه لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل توارد الخواطر التى لايمكن ان تصل الى مثل هذه الدرجة . حتى ليظن أن الطريقة عند الاثنين واحدة

وقد سجل كثير من الباحثين الغربيين للطرطوشى أن عقله عقل تشريعى قضائى وهو فى نفس الوقت فيلسوف اديب وأن كتابه قد انطوى على مباحث طريقة لها مراجع فى الشرائع والآداب الانسانية .

٤ - كتابة المكفوفين

ويسجل التاريخ للفكر العربى الاسلامى أولوية فى مجال كتابة المكفوفين التى عرفت بالحروف البارزة وانهم سبقوا الغرب فى استعمالها . وقد عرف عدد من المخترعين لهذه الطريقة بين العرب نخص بالذكر منهم « على بن احمد بن يوسف بن الخضر » المشهود بزين الدين الآمدى .

فقد سجل صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى فى كتابه نكت الهميان فى نكت العميان والذى استطاع احمد زكى شيخ العروبة أن يحصل عليه مخطوطا فى احدى مكتبات أوربا فنقله بالفوتوغرافيا وطبعه عام ١٩١١ وقدمه لمؤتمر العميان الذى عقد بالقاهرة فبراير ١٩١١ .

يقول المؤلف ابن زين الدين الآمدى كان اذا طلب منه كتاب وكان يعلم انه عنده نهض الى خزانة كتبه واستخرجه من بينها كأنه قد وضعه لساعته . وان كان الكتاب عدة مجلدات وطلب منه الاول مثلا أو الثانى أو الثالث أو غير ذلك أخرجه بعينه أو أتى به . وكان يمس الكتاب أولا ثم يقول يشتمل هذا الكتاب على كذا وكذا كراسة فيكون الامر كما قال واذا أمر يده على الصفحة قال عدد أسطر هذه الصحيفة كذا وكذا سطرا . وفيها بالقلم الغليظ كذا وهذا الموضع كتب به فى الوجهة وفيها بالحمرة هذا وهذا الموضع كتبت فيها بالحمرة . من غير اخلال بشىء مما يمتحن به . ويعرف أثمان جميع كتبه التى اقتناها بالشراء وذلك انه كان اذا اشترى كتابا بشىء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة وصفها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأيد . فاذا شذ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما من كتبه مس الموضع الذى علمه فى ذلك الكتاب بيده فيعرف ثمنه من تثبيت العدد الملصق فيه .

وقد قرر المؤتمر أن زين الدين الآمدى هو أول مخترع للحروف البارزة .

ومن ثم ندرك أن الفكر العربى الاسلامى قد سبق الفكر الغربى فى أعمال عدة منها ما حدثناك عنه بايجازهنا

دراسات إسلامية

التوجيه الاجتماعي في الإسلام

دكتور محمد كمال شبانة

روى البخارى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« اياكم والظن فانه أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله اخوانا »

الشرح

قد روى البخارى هذا الحديث عن أبى هريرة من طريقين ، وروى عن أنس حديثا بهذا المعنى ولكن ينقص: « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » ، وزيادة : « ولا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاثة أيام » فى آخر الحديث مع اختلاف يسير فيما بقى ، ورواه مسلم كلفظ البخارى عن أبى هريرة أيضا .

الظن :

يطلق على اليقين أحيانا ، كما جاء في قوله تعالى : « وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ، وانهم اليه راجعون »

وقوله : « انى ظننت أنى ملاق حسابيه »

ويطلق احيانا على ما يقابل اليقين كقوله تعالى : « وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » .

وقوله : « ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين »

والظن الذى هو يقين لا يحدث الا عن أدلة وامارات اما غير اليقين فانه حديث للنفس ينبعث عن غير دليل ، وهذا النوع الثانى قد يكون ظن خير كأن تظن بانسان حبا للخير فتقصده ليعاون فى المساهمة على انشاء مؤسسة خيرية ، ومن ظن الخير ظنوا أن الحكم الشرعى فى حادثة معينة اذا استندت الى دليل ظنى ، وقد يكون ظن سوء كان تظن بفلان سوء السيرة او انه يدبر لك مكيدة ، أو أنه خائن لبلاده ، وليس عندك فى كل ذلك دليل او ما يصح أن يكون دليلا كشائعات كثيرا ما تكون مختلفة .

ونحن اذا نظرنا الى النهى عن الظن نجد أنه لا يمكن أن يتوجه الى الظن بمعنى اليقين .

اذ لا معنى للنهى عن اليقين مع ورود القرآن به فى مثل قوله « فتبينوا » كما أنه لا معنى للنهى عن العمل بما يقضى به اليقين ، وعلى ذلك اذا تيقنت أن فلانا حليف الشر وجب عليك أن تقاطعه وتهجره حتى يرعوى وكذلك لا يتوجه الى الظن الذى ليس بيقين اذا كان ظن خير ومنفعة .

فاذا ظننت فى نفسك القدرة على تقديم مصلحة لاخوانك او لامتك لا تكون مخاطبا فى هذا الحديث عن هذا الظن ، ولا الكف عن العمل بموجب هذا الظن ، أما ظن السوء فانه يكون منهيا عنه الا فيما يتعلق بمصلحة الظان نفسه كان يدعوه هذا الظن الى الاحتراس من خصمه والحذر من مكائده ، ولا يصح أن يتجاوز ذلك كان يعمل على الاضرار بمن ظن فيه السوء ، وهذا هو المنهى عنه فى الحديث وليس الفرض النهى عن نفس الظن لان الظن هواجس وأحاديث نفسية تهجم على الانسان ولا قبل له بدفعها بادىء ذى بدء ، ولا تكليف بما لا يطاق ، ولذا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« تجاوز الله للامة عما حدثت به نفسها »

وروى عنه : « ثلاث لا يسلم منها أحد : الطيرة والظن والحسد » قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ »

بل الغرض النهى عن الاسترسال فى الظنون الشريرة والنهى عن العمل بموجبها ، فان الاسترسال فيها قد يدفع الانسان بمن ظن به السوء مع انه قد يكون بريئا

ولذا امر الله باجتناب كثير من الظنون فقال :

« يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم »

وقال : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فقد علل الامر باجتناب الظن فى الآية الاولى بأن بعض الظن اثم ، فيخشى بأن يقع الانسان - اذا لم يتثبت - فى هذا الظن الآثم الذى قد ينجم عنه من الاضرار ما يزرع العداوة ويفرق الوحدة التى كثيرا ما حث الاسلام على التمسك بها ، وعلل أمره بالتبين فى الآية الثانية بخشية أن يصيب غير المتثبت قوما أبرياء بسبب جهله بالحقائق التى تخالف هذا الظن الكاذب نتيجة للسماع من هذا النمام الفاسق ، وحينئذ تبين لنا ان الظن المنهى عنه هو الظن الناشىء عن هوى وشهوة أو عن دسيسة دساس ، وأن النهى عنه يقصد به النهى عن الاسترسال فيه استرسالا يدفع بصاحبه الى ايذاء المظنون به فى نفسه أو رزقه أو عرضه ، وبالتالى يكون نهيا عن الاضرار بهذا الظنين أخذا بهذا الظن الذى لا دليل عليه ، وأما العمل بمثل هذا الظن فى خاصة نفس الظان كالاحتياط من الخصم والحذر منه فلا يراد النهى عنه ولذا قيل « احزم الحزم سوء الظن بالناس » وقيل « سوء الظن عصمة » .

كما انه لا يتجه النهى عن الظن الذى لا ضرر فيه لاحد كان تظن أن فلانا لم يسافر او انه فعل ما قد كلفته به أو أنه ليس يعرف ما تريد سؤاله عنه أو نحو ذلك ، وقد روى البخارى عن عائشة انها قالت : « قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما أظن أن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا » .

قال الليث - وهو من رواة الحديث - : كانا رجلين من المنافقين .

وبعد أن حذر الرسول فى حديثنا من الظن تحذيرا دل على النهى عنه بقوله : « اياكم والظن » قضى على ذلك ببيان العلة التى اقتضت هذا النهى فقال : « فان الظن أكذب الحديث » والكذب كما نعرف نقيض الصدق . فاذا كان الصدق مطابقة الخبر للواقع كان الكذب عدم مطابقته للواقع ، ومنه قولهم : « كذبتك عينك » أى أرتك ما لا حقيقة له .

والحديث ، حديثان : حديث اللسان وحديث الجنان ، والكذب فى الحديث يطلق فى الاصل على الكذب فى حديث اللسان ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم اطلقه على حديث الجنان أيضا على سبيل التجوز ، لان كلا من الحديثين لا يعتمد على شىء يصح الاعتماد عليه عند التحدث ، وهو الامر الواقع بالنسبة لحديث اللسان ، والدليل أو الأمارة الصادقة بالنسبة لحديث الجنان ، وانما كان حديث الجنان المنهى عنه وهو الظن السيىء بالناس أكذب الحديث لان الكذب اللسانى لا يجزم صاحبه بانه حقيقة فيجزم به ويبنى عليه تدبيراته الضارة بالمظنون به ، فضلا عن أن أثره أشد لخفائه عن الناس فلا يمكن الاتقاء منه .

أما الكذب فانه لابد أن يظهر فيتقى ، ولذلك كان اجدر بالذم والتنفير منه بوصفه بانه أشد الاحاديث كذبا .

وبعد أن نهى عن الظن السيىء والعمل بما يقتضيه من أضرار بالمظنون به وبين علة ذلك مع العلم بان الظن من غرائز النفوس البشرية ومشتهياتها فى كثير من الاحيان عطف عليه نظيره ما تصبو اليه بعض النفوس لانه من طبائعها الشريرة فنهى عنه كما نهى عن صاحبه فقال « ولا تحسسوا » وهذه الكلمة ترجع فى مادتها الى الحس . يقال : تحسس من كذا أى عالج علمه بحاسة من حواسك وتكلفه باستخدام هذه الحواس كالعين والاذن ، ثم توسع فى هذا التعبير فصار يطلق على العناية بالكشف عن الاشياء ، والمراد هنا ، انما هو النهى عن تتبع عورات الناس من أى طريق بغية أن ينشرها أو تكون لهم وسيلة الى التشهير بأصحابها متى شاءوا ، ومما يؤيد ذم هذا قوله تعالى : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا .. الآية » .

وبعد هذا عطف عليه النهى عن التجسس فقال :

« ولا تجسسوا » والتجسس ماخوذ من الجس باليد وهو اللمس بها لاختبار الشىء ، ثم استعمل فى التعرف على الشىء بالنظر الحاد . قالوا « جسه بعينه ، اذا حدد النظر اليه » ، ثم صار يستعمل فى العناية بتعرف أى شىء ، والذى يظهر أن المراد من التجسس هنا هو المراد من التحسس ، وهو تتبع عورات الناس ويكون التكرار للمبالغة فى الزجر ، وبعضهم جعل التحسس بالبحث عن هذه العورات لنفسه ، والتجسس للبحث عنها لغيره ، وهو متمش أيضا مع سياق الحديث فيكون النهى متوجها للبحث عن العورات لنفسه أو لغيره .

ولكن هذا لا يكون على اطلاقه بل يجوز التجسس والتحسس اذا تعين طريقا لمصلحة كاثبات دعوى أو تعرف مواطن الضعف من الاعداء فى الحروب ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعمل الجواسيس على أعدائه فى الحروب .

ثم نهى بعد ذلك عن خلة أخرى تعد من الطبائع البشرية وهى « الحسد » فقال : « ولا تحاسدوا » ، أى لا يحسد بعضكم بعضا فيتمنى زوال النعمة عن غيره ، لانه لم يرزق منها سواء كان ذلك مع تمنى ان تتحول اليه أم لا ، وهذا داء وبيل يغرس البغضاء ويذهب بالوحدة فى الجماعات ، وهو من الادواء التى لا يمكن دفعها الا بمجاهدة النفس وعدم الاستمرار فى خطورها ، فاذا لم يستطع كان عليه ألا يعمل مايؤدى الى زوال النعمة عن المحسود ، وهذا أقل ما يلزم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث لا يسلم منهن أحد .. » الحديث ، وروى عن البصرى انه قال : «ما من آدمى الا وفيه الحسد فمن لم يجاوز ذلك الى البغى والظلم لم يتبعه منه شىء . »

ولكن أقول فيه ايلام لنفسه وعدم رضاء بالمقدور ورفع لهمته الى تدبير المكروه للمحسود فقاوموه ما استطعتم .

ثم بعد ذلك نهى عن التدابر وهو التقاطع فقال : « ولا تدابروا » وهو ماخوذ من الدبر ، ودبر كل شىء مؤخره ، ومنه جئتك دبر الشهر أى آخره ، وتدبرت الامر اذا نظرت عواقبه ، والمراد هنا النهى عن التقاطع لان الرجل اذا قاطع صاحبه ولاه دبره وقفاه وأعرض عنه ، ثم نهى بعد ذلك عما يزيد الوحدة انفكاكا فقال « ولا تباغضوا » أى لا يبغض بعضكم بعضا ، ولما كان البغض من الامور النفسية التى ليس لانسان قدرة على دفعها ابتداء يكون النهى عن الاسباب المؤدية اليه فلا

يفعل الانسان شيئا يزرع البغض فى نفس أخيه ولايظن باخيه ما قد يؤدى الى بغضه هو لاخيه ، ولا يتبع الاهواء والنزوات الشيطانية التى تؤدى الى ضلاله فيزرع بذلك التباغض والعداء ، وأصل تباغضوا تباغضوا ، كما أن الاصل فى الافعال السابقة كلها « تتفاعلوا » ، وأصل المادة تدل على التعمل والتكلف والمعالجة أى لا تتكلفوا كل ذلك بعمل ما يكون سببا فى وجودها فابتعدوا عنه ، واذا لم تستطيعوا فلا تعملوا ما قد يترتب عليه من أضرار ، وليس كل البغض مذموما ، فان بغضك لصاحبك لحق الله وحق الناس مما يثاب عليه ، فقد كان الرسول لا يبغض الا لله ولا يحب الا لله ، كما ورد فى الآثار ..

وبعد ذلك قال : « وكونوا عباد الله اخوانا » أى كونوا كالاخوان فى النسب من حيث الشفقة والرحمة والمواساة وحسن المعاملة وكف الاذى وحب الخير ... وعلى الجملة كونوا متصفين بجميع ما يحقق الاخوة ويؤدى الى أن تكونوا كتلة واحدة مرهوبة الجانب فان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

ومما تقدم يتضح لنا أن الكلام جاء على التشبيه كما قيل « اخوان الوداد أقرب من اخوان الولادة » كان لنا أن نفهم أن الاسلام ورد مورد الحقيقة ، وعطف هذه الجملة على ما قبلها من عطف العام على الخاص ، فان الاخوة تتضمن الاتصاف بضد ما نهى عنه وبغيره من كل ما يحقق الاخوة ، ورأى ابن حجر : « أن هذه الجملة كالتعليل لما سبقها » ، ولكن العطف بالواو ووجود الامر « كونوا » يبعد ذلك ، وقد زاد مسلم فى رواية له لهذا الحديث قوله « كما أمركم الله » أى كونوا اخوانا كما أمركم الله ، وذلك لان أمر الرسول أمر من الله لقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أو الاشارة الى قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » وهذه الجملة وان كانت اخبارا عن الحالة التى شرعت للمؤمنين فهى بمعنى الامر ، أى فهى انشائية .

وبعد ذلك ، نذكر لك أن بعض العلماء زعم أن صدر هذا الحديث وهو قوله « واياكم والظن » ينهى عن العمل فى الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس الذى يسمونه بالرأى ، ولا أدرى كيف يتأتى هذا الفهم من الحديث ؟!

مع أن الاجتهاد والقياس فى الاحكام الشرعية انما يكون عن دليل ونص ورد فيه حكم المقيس عليه مع ان الظنون كما تقدم لا تعتمد على ادلة ولا أمارات ، بل كيف يتأتى هذا مع قوله بعد : « فان الظن أكذب الحديث » ؟!

فهل الاجتهاد عن دليل يقال فيه أكذب الحديث ؟ وعلى فرض صحة ذلك فكان الرسول يكون قد قال « واياكم وظن الاحكام الشرعية التى يكون لكم منها النفع فى دينكم ودنياكم ولا تحسسوا ولا تجسسوا .... الحديث » .

فأى ذوق عربى يجيز هذا القول ؟

بل أى فكر سليم يستبيح أن يجعل الرسول كالقائل لمثل هذا ؟

وأى رابطة بين النهى عن الاجتهاد والنهى عن التحسس .. الخ ؟!

اللهم الا الافكار التى اعماها التعصب ، ولا يصح ان يقال ، أن مرادهم الظن الذى لم يعتمد على دليل من كتاب أو سنة او اجماع ، لانا نقول ، ان الظن المنهى عنه هو الظن السىء أو الذى يؤدى الى ضرر بالفرد أو المجتمع والاجتهاد المظنون حتى ولو لم يعتمد على هذه الادلة انما يراد به النفع .

وخلاصة القول أن الحديث قد حوى من الاسس الاجتماعية ما يدعم بناء الامة ، ويجعلها مهيبة الجانب بين الامم ، ويتفق فى كل ما جاء به مع روح الاسلام ، فان الاسلام دعا الى كل الاخلاق التى تقوى الامة حتى تسير قدما فى نشر الدين ، ونهى عن كل خلق يؤدى الى الذلة والخنوع .

ولذا يقول الله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » فانظروا أين نحن من مصداق هذه الآية ، وكلما ابتعدنا عن تعاليم الاسلام ابتعدنا عن حقيقة الايمان ، فان الرسول الكريم يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه » ويقول : « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم .. الحديث » ويقول : « لا ايمان لمن لا أمانة له » . وعدد شعب الايمان فى أحاديث متعددة ، ولو نظرنا الى هذه الشعب لوجدنا أنفسنا قد خرجنا منها فهل يصح لنا أن نقول كيف لم يتحقق فينا وعد الله «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » ؟

حاشا أن يخلف الله وعده ، ولكننا الذين اخلفنا .

فما احرانا أن نكون على الجادة التى أمرنا الصادق المصدوق بها حيث يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، التقوى ههنا - وأشار الى صدره »

وحيث يقول « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه »

وحيث يقول : « المسلم من سلم المسلمون » الحديث

وحيث يقول : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شىء ان فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم »

وليس المراد هنا أن يقال السلام عليكم بل يراد نشر السلام والأمان بين المؤمنين حتى يثمر التحاب ، ولا تقولوا كما يقول المتأولون يكفى فى الايمان الذى يدخل الجنة مجرد الشهادتين .

أما الاوصاف التى ذكرت فى هذا الحديث وامثالها فانها خاصة بمن كمل ايمانهم ، فان ذلك يكاد لا يتفق مع قوله « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » ثم بين المراد من الايمان ، ولقد أحسن ابن سيرين لما قيل له : « أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة ؟ » حيث قال : « أرأيت لو جئت بمفتاح ليس له أسنان أكان يفتح لك ؟ وماذا تقولون فى رجل آمن بلسانه ثم اتخذ الاعداء لاذلال المسلمين نظير دراهم معدودة أو سلطان زائل ، فاذا امتصوا منه ما يبلغهم ما يريدون لفظوه لفظ القاذورات ، أتقولون ، انه ما دام قد قال لا اله الا الله محمد رسول الله مع أنه لم يعمل بموجبها يكون ممن يشمون نسيم الجنة ؟ » اللهم ان هذا طمع قد فاق طمع أشعب ، وباعثه أمران : عدم المبالاة بوعيد الله ، وسوء الذوق معه .

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم بالفقه فى الدين والوقوف على حدود اليقين .

الإسلام والتقاليد الإفريقية

- الإسلام والمهر -

الدكتور محمود سلام زناتي

للزواج لدى الشعوب الافريقية صور متعددة وأكثر هذه الصور شيوعا هو الزواج الذى يقترن بدفع قدر من الأموال من جانب الراغب فى الزواج الى أهل الزوجة . وهو ما يمكن أن نسميه زواج المهر .

وللمهر لدى هذه الشعوب قواعد تحكمه من نواحيه المختلفة ، فتحدد مقداره وكيفية دفعه وتبين المتحمل به وصاحب الحق فيه وتعين الحالات التى يجوز فيها استرداده . وتختلف هذه القواعد من بعض الوجوه عن القواعد التى تخضع لها المهر فى الاسلام .

وقد اعتنق الاسلام ، على مر العصور ، كثير من الشعوب والقبائل الافريقية . واعتناق أحد هذه الشعوب الاسلام يقتضيه الأخذ بقواعد المهر فى الاسلام والتخلى عن القواعد العرفية التى تتعارض معها . ولذلك يهمنا التعرف على مدى تقبل هذه الشعوب للمهر الاسلامى ومدى تطبيقها لقواعده . وسنحاول فيما يلى الوقوف على اثر اعتناق الاسلام بالنسبة لقاعدة من قواعد المهر يختلف بشأنها المهر العرفى عن المهر الاسلامى اختلافا بينا ونعنى بها القاعدة الخاصة بصاحب الحق فيه .

ففى التقاليد القبلية الافريقية يعتبر المهر حقا لأقارب الزوجة . فأقارب المرأة هم الذين يحصلون على الأموال التى تدفع بمناسبة زواجها .

ويحدد العرف لدى كل قبيلة الأقارب الذين يحق لهم الحصول على نصيب فى هذه الأموال كما يعين نصيب كل منهم . وتتسع دائرة هؤلاء الأقارب أو تضيق تبعا للقبائل . فمن القبائل ما يوسع أو يضيق فى دائرة هؤلاء الأقارب بحيث يدخل فيها أقرب أقارب المرأة من جهة الأب أو أقرب أقاربها من جهة الأم أو يضيق تبعا لمبدأ القرابة السائد فى القبيلة أبوية كانت أم أمية .

والقاعدة أن القريب الأقرب يحصل على نصيب اكبر مما يحصل عليه القريب الذى يليه فى درجة القرابة .

والأقارب الذين يقتسمون فيما بينهم المهر الذى يدفع من أجل امرأة هم عادة نفس الأقارب الذين يطلب اليهم المساهمة فى جمع المهر اللازم لزواج أحد الرجال .

اما المرأة نفسها فلا تقر لها التقاليد القبلية الافريقية بالحق فى الحصول على اى نصيب

فى الأموال التى تدفع بمناسبة زواجها . فهذه الأموال تعتبر حقا لأقاربها وتهدف ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، الى تمكين أحد رجال أسرتها أو قرابتها من توفير المهر اللازم لزواجه ومع ذلك فان تقاليد كثير من القبائل الافريقية تلقى على عاتق اهل الزوجة واجب تجهيزها . ويتمثل الجهاز عادة فى عدد من الثياب والأوانى والادوات المنزلية . بل قد تحصل المراة من اهلها على قليل من المال بمناسبة زواجها .

ومن الواضح ان القاعدة العرفية التى تقضى بحصول أقارب الزوجة على الاموال التى تدفع بمناسبة الزواج تتعارض مع القاعدة الاسلامية التى تجعل المهر حقا للمراة . واعتناق أحد الشعوب الافريقية الاسلام يقتضيه الأخذ بالقاعدة الاسلامية والتخلى عن القاعدة العرفية لكن حلول القاعدة الاسلامية محل القاعدة العرفية لا يتحقق فى الحال بل يتطلب وقتا غير قصير . فليس من اليسير على شعب من الشعوب أن يتخلى سريعا عن تقليد توارثه جيلا بعد جيل وارتبط بحياته الاجتماعية ارتباطا وثيقا .

ولذلك اذا طالعنا تقاليد عدد من الشعوب الافريقية التى اعتنقت الاسلام وجدنا ان حلول القاعدة الاسلامية محل القاعدة العرفية يمر بثلاثة مراحل : فى المرحلة الأولى تطبق القاعدة العرفية بمفردها وفى المرحلة الثانية تطبق القاعدتان جنبا الى جنب وفى المرحلة الثالثة تسود القاعدة الاسلامية .

وسنستعرض فيما يلى تقاليد عدد من القبائل والشعوب التى توضح مراحل التطور الذى أشرنا اليه .

فلدى بعض القبائل الافرنقية التى اعتنقت الاسلام ما زال ينظر الى الأموال التى تدفع بمناسبة زواج امراة باعتبارها حقا لقرابة المراة دون المراة نفسها . فلدى البامبارا « فى مالى » مثلا يجرى العرف بدفع المهر من الأموال المكونة للذمة المالية المشتركة لأسرة العريس وتنضاف الى الذمة المالية المشتركة لأسرة العروس . ولدى ولوف كايون « فى السنغال » يقضى العرف بدفع المهر الى الأب وبالزام الأب بتسليم مبلغه كاملا الى أم الفتاة أو اخوالها .

ولدى عدد غير قليل من القبائل والشعوب الافريقية التى اعتنقت الاسلام يجرى العرف بالزام الراغب فى الزواج بدفع قدر من الأموال الى قرابة المراة وقدر آخر الى المراة نفسها . ومن الواضح أن هذا الوضع يعكس فى مرحلة انتقالية ويفصح عن اتجاه نحو التوفيق بين ما يتطلبه العرف القديم وبين ما تقضى به تعاليم الدين الجديد . من هذه الشعوب الفور « فى السودان » . فقديما وصف ابن عمر التونسى ما تجرى به عادتهم فى الزواج بقوله « فمن اصطلاح الفور ان الشباب اناثا وذكرانا ينشئون جميعا . ففى صغرهم يرعون الأغنام ولا حجاب بينهم على الدوام . فربما اصطحب الشاب والصبية من ذلك الحين ، وانعقدت بينهما المودة التى لا تبلى على مر السنين . فمتى احبها واحبته ركن اليها وصار يغار عليها ولا يرضاها تحادث غيره ويرسل أباه او أمه أو أحد اقاربه فيخطبها . فاذا انعقد بينهما الكلام ونفذ على وفق المرام جمعت الناس للاملاك وحضر الشهود للملاك فيذكرون شروطا كثيرة ويطلبون أموالا غزيرة وكلها يأخذها الاب والام أو الخال أو العم ويعقدون لها على شىء قليل من ذلك المال الجزيل » . وحديثا وصف أحد الكتاب الغربيين المهر لدى الفور بقوله أن المهر المتوسط لديهم يتكون من بقرة تعطى للعروس واخرى لامها وثور أو حمار قيم لأبيها . كما تقدم هدايا نقدية الى أعضاء الأسرة الآخرين والى عمها . وفى زاريا « فى نيجيريا » يتطلب العرف المحلى سبع مدفوعات مختلفة بعضها للفتاة نفسها وبعضها لوليها وبعضها لتوزيعه بين أعضاء أسرتها . وفى يندى « فى غانا » يضيف المسلمون الى مدفوعات الزواج العرفية « التى تتمثل فى مبلغ من النقود وقدر من ثمار الكولا تعطى للاب وثياب تعطى للفتاة نفسها » صداقا من احد عشر شلنا يعطى للاب لحساب العروس » .

وفي ساحل العاج يقسم بعض المسلمين الاموال التى تدفع بمناسة الزواج الى قسمين أحدهما يبقى ملكا للمرأة والآخر يعطى الأحد اخوتها لتمكينه من الزواج . ويفرق مسلمو الفولا ((فى جواندو)) بين الصداق والتوشى. فالصداق يعطى لامكان انعقاد الزواج طبقا للشريعة الاسلامية وقبل قراءة الفاتحة يسال الفقيه ثلاثة شهود عما اذا كان الصداق قد دفع. فاذا لم يكن قد دفع لا يؤدى المراسيم. ويعطى الصداق للمرأة ويظل ملكا لها . أما التوشى فيدفع الى والدى العروس ويستخدم جزء كبير منه فى شراء ملابس جديدة لها وشراء الأدوات المنزلية وأوانى اللبن . واذا كان التوشى على جانب من الاهمية أعطى جزء منه الى أولئك الأقارب الذين كانوا يساهمون فى المهر لو كان الزواج متعلقا بابن لا بنت .

وأخيرا فان هناك شعوبا افريقية اعتنقت الاسلام وطبقت القاعدة الاسلامية فاعتبرت المهر حقا خالصا للمرأة. ففى نيجيريا الشمالية تجرى العادة بتسليم الاباء بناتهم المهور التى يقدمها الراغبون فى الزواج . ولدى الفولا والتوكولور ((فى غينيا)) يعد الأب لابنته بائنة عند الزواج . وتتكون هذه البائنة أولا من المهر ثم من عدد من الماشية والحلى والثياب المعطاة لها من أسرتها .. وتندمج الماشية فى قطيع الزوج ، لكن تظل للمراة الملكية التامة عليها .

يتضح من العرض السابق أن من الشعوب الافريقية التى اعتنقت الاسلام شعوبا ما زالت تطبق القاعدة العرفية التى تقضى بأن المهر حق لأقارب المراة دون المراة نفسها . وأن منها شعوبا لجأت الى حل وسط فأعطت المراة حقا فى جزء من الاموال التى تدفع بمناسبة الزواج تنفيذا لتعاليم الاسلام واحتفظت لاقاربها بالحق فى الجزء الآخر ابقاء منها على ما يقضى به العرف . وأن منها أخيرا ، شعوبا وصلت الى مرحلة التطبيق الكامل لحكم الاسلام القاضى بحق المراة فى مهرها .●

التسامح روح الاسلام

الأستاذ محمد عطية الابراشي

الاسلام يدعو الى التسامح :

ان الاسلام دين يدعو الى التسامح ، والعفو والصفح عند المقدرة . وان من يتسامح فى حقه ويعفو ويصفح عن المسىء اليه يكون نبيل الخلق ، عظيم النفس ، متساميا عن الدنايا . انظر الى قوله جل شانه :

« ادفع بالتى هى احسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون » .

وقوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . »

فالاسلام يقول : ان أساء اليك رجل فاعف عنه واصفح وقابل السيئة بالحسنة . وان ذمك أحد فامدحه ولا تذمه ، وبذلك يصير كانه صديق قريب اليك ، معتن بأمرك ، مهتم بشانك . ولا تتاح هذه الخلة الثمينة ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وقوة العزيمة ، وثبات القلب ، وكان له نصيب موفور من سعادة الحظ ، وكرم الخلق . فنحن مطالبون بأن نقابل الاساءة بالاحسان ، والذنب بالصفح والغفران ، والغضب بالحلم .

وقال تعالى : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . »

وقال : « واصبر وما صبرك الا بالله . »

فقال الرسول : « بل نصبر . »

وقال عز وجل : « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها . »

فالاسلام يجيز أن ترد السوء بالمثل ، فتعاقب المسىء بمثل ما أذاك به ، ولكن المثل الأسمى فى الاسلام ، أن تحسن الى ما أساء اليك ، وتضبط شعورك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتحيى من حياك بتحية أحسن منها أو مثلها .

قال جل شانه : « وجزاء سيئة سيئة مثلها . » ثم قال بعد ذلك :

« فمن عفا واصلح فاجره على الله . انه لا يحب الظالمين .... ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور . »

فالاسلام يجيز المعاملة بالمثل ، ولكنه يشجع العفو والمغفرة ، وضبط النفس عند المقدرة . وهذا هو النبل وكرم الخلق ، والعظمة الانسانية ، والتسامح فى المعاملة ، وليس فى ذلك شىء من الضعف مطلقا .

العفو والصفح عمن يتوب الى الله :

وقال عز وجل يحث على العفو عن المذنب ، والصفح عن التائب من الناس : ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى ، والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم .

فبين وجود صلة الرحم والأقرباء ، والمساكين المهاجرين مهما ارتكبوا من الذنب ونهى عن أن يحلف أولو الفضل أن يمنعوهم ما كانوا يحسنون به عليهم ، وأمرهم بالعفو عن المذنب ، والصفح عن التائب منهم ، فان ذلك سبب لعفو الله ومغفرته .

لين الجانب :

وقد امر الله نبيه بلين الجانب ، وحسن المعاملة ، والتواضع للمؤمنين لتقويم ما اعوج من أخلاقهم ، كما أمره بالتبرؤ من عملهم ان عصوه ، فيما أرشدهم اليه ، وما حثهم عليه . وهذا هو المراد من قوله تعالى :

« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون »

ولذا يجب أن نعامل الناس جميعا بالرفق واللين والتواضع ، سواء المطيع منهم والعاصى ، والمحسن منهم والمسىء .

نبل المصطفى صلى الله عليه وسلم فى تسامحه :

وحينما استشهد عم النبى وهو حمزة بن عبد المطلب فى غزوة احد مثل به المشركون ، وأراد المسلمون أن يمثلوا بمن قتل من المشركين ، فمنعهم الرسول النبيل العظيم من التمثيل بهم . ولما آمن قاتل حمزة وهو : وحشى الحبشى، عفا عنه النبى ، ولم ينتقم منه ، بل جعله من أصحابه . وقد مثلت هند بجسد عمه حمزة ، وأخرجت كبده ، ولشدة حقدها أرادت أن تأكلها ، ثم جاءت الى النبى متنكرة واعتنقت الاسلام ، ثم أظهرت وجهها ، فعرفها الرسول وصفح عنها ، ولم يعاتبها على ما حدث منها ، تسامحا ونبلا ، لأن التسامح صفة للمصطفى صلى الله عليه وسلم .

التسامح وحسن معاملة الأعداء فى الاسلام :

انظر الى خطبة رسول الله يوم ان فتحت مكة ، وهو واقف على باب الكعبة يخاطب أهل قريش : « يا معشر قريش ، ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب .» « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير . »

يا معشر قريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم :

قالوا : خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال . فانى أقول لكم كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين . »

ثم قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء . »

ومن هذه الخطبة ترى العدالة والمساواة والتسامح وحسن معاملة الأعداء فى الاسلام .

ثم انظر الى وصية أبى بكر — رضى الله عنه — لأسامة ابن زيد وجيشه حينما سيره الى أبنى — وهو موضع بمشارق الشام — حيث يقول : « يأيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تقطعوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولاتقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا الا للطعام . وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شىء ، فاذكروا اسم الله عليها » .

ومن هذه الوصية ترى كيف كان المسلمون يعاملون الأعداء ، وكيف كانوا يعاملون الصغار والشيوخ والنساء، ويتركون للرهبان والقسس الحرية فى التدين والعبادة . فروح الاسلام ، روح الانسانية والنبل ، والرأفة والرحمة، يتمثل فى معاملة المسلمين للاعداء فى أثناء الحرب .

وترى أن الصديق أبا بكر — رضى الله عنه — نهى عن الخيانة ، والحقد ، وفعل أى شىء يستوجب الاعتذار ، وعن تعذيب الاعداء والتمثيل بهم ، وعن قطع النخل وحرقه وقطع الأشجار المثمرة ، وعن ذبح الشاة والبقرة والبعير الا ما يحتاج اليه للطعام . وفى هذه الوصية تتمثل الناحية الانسانية فى معاملة الأعداء فى أثناء الحرب فى الاسلام .

فى هذه الوصية يبدو روح الاسلام ، وهو التسامح والنبل والعطف والشفقة .

وازن بين ما كان يفعله المسلمون مع الأعداء ، وما ارتكبه الفرنسيون فى القرن العشرين من تعذيب الجزائريين لا لذنب اقترفوه ، أو جرم ارتكبوه ، بل لأنهم طالبوا بالحرية والاستقلال ، وطرد المغتصبين لبلادهم ، المتمتعين بخيراتها ، وتحرير وطنهم من الفرنسيين والأجانب المعتدين على الأبرياء من عرب الجزائر ، المستغلين لها . لقد عذبوهم بكل ألوان التعذيب ، وقتلوهم من غير ذنب، وسجنوهم من غير جريمة ، ونفوهم من أرضهم ، ولم يفرقوا فى التعذيب والقتل والسجن بين كبير وصغير ، ورجل وامرأة ، وعذبوهم بطرق قاسية تدل على الاجرام والوحشية ، فى وقت يدعون فيه أنهم متمدنون ، وأنهم حماة الحرية ، والمدافعون عنها فى العالم الحر .

وازن بين ما كان يفعله المسلمون مع الأعداء ، وما كان يفعله الانجليز فى عهد الاحتلال البريطانى لمصر فى مذابح دنشواى ، وفى قتل المتظاهرين من المصريين الذين كانوا ينادون بحرية بلادهم واستقلالها ، وسجن الوطنيين ، وتعذيبهم ، وتشريدهم ، ونفيهم لا لسبب الا المناداة بتحرير وطنهم من المستعمرين المستغلين المستبدين ، المعتدين على الأبرياء .

ولا عجب ، فقد بنيت الدعوة الى الاسلام على الاقناع بالعقل والمنطق والبرهان ، والموعظة الحسنة . ولو كان هناك اكراه أو اجبار على التدين بالاسلام ما حرم قتل النساء والصبيان ، والقسس والرهبان ، والشيوخ والعميان ، والمبتلى والمرضى من الكفار .

قال تعالى : « وجادلهم بالتى هى أحسن »

وقال جل شأنه : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » أى اتضح الحق من الباطل .

وقال عز وجل : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين .»

فالله سبحانه وتعالى نفى الاكراه على الدين الاسلامى، وأنكر اكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين .

وان الأساس فى الدين الاسلامى الايمان بالقلب والعقيدة. وليس من الممكن تكوين هذا الأساس بالسيف والقهر والاكراه ، بل يكون بالحجة والتفكير المنطقى ، والاقناع العقلى . وكيف نكون الاعتقاد والايمان — وهما بالقلب — بالاكراه ؟ وكيف يصل السيف الى القلوب ؟ فالدعوة الى الاسلام ، وعبادة الله وحده ، طريقها الحجة والاقناع لا السيف والاكراه .

ولو امتنع الكفار عن اثارة الفتن ضد المسلمين ، وتركوهم أحرارا فى دعوتهم الى توحيد الله ما حارب المسلمون أحدا ، وما شهروا سيفا على أحد .

فالاسلام لم يقم بالسيف ، ولم يأمر بسفك الدماء ، أو الاعتداء على الضعفاء . وقد شهد علماء الافرنج بأن الأمة الاسلامية كانت أرحم الأمم بالعجزة والضعفاء ، وأن الاسلام رحمة عامة للعالمين .

ولا يستطيع منصف أن ينكر أن الاسلام دين التسامح والسلام ، دين الرحمة والعفو والعدالة ، لا دين القسوة والغدر ، والتعذيب والمثلة والاتلاف والظلم والاغتيال والتقتيل .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو انتقص أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة . »

المرأة وميادين العمل

الدكتورة طلعت الرفاعى

لم يكن عمل المرأة فى الماضى يثير انتباه المفكرين فى وضع نقاط الضوء الرئيسية التى تنير أمامها معالم السبيل فقد كان المنزل هو الميدان الوحيد الذى يجب أن تنصب فيه جميع جهود المرأة ومواهبها ..

ولقد كان الحاجز كثيفا والأسلاك شائكة، ازاء كل من يحاول الاقتراب من أسوار تلك المملكة وعرشها المصون .. ومرت السنين وكافحت المرأة وسجلت أروع الأمجاد فى ساحات التضحية والثبات من أجل تحقيق انسانيتها ورسالتها ، حتى نالت حقوقها الكاملةثمرة لذلك النضال الطويل ، وانبسطت أمامها جميع ميادين العلم والعمل فبادرت اليها بجد واخلاص دون أن تنسى وظيفتها الطبيعية فى لم شمل الأسرة واغداق ينبوع الحنان .. وكان التطور الذى غمر المجتمع فى سائر وجوهه فلم يعد عمل المنزل يتطلب من المرأة جميع ساعات نهارها مع تزايد الوسائل الحديثة التى تأخذ طريقها الى المنازل فى كل يوم ، ومع تقدم المرأة الفكرى الذى أصبح قادرا على اختصار الزمن فى كثير من امور الحياة التى كانت تتطلب منها جهودا أكبر ووقتا أمض واطول ..

وهكذا خرجت المرأة الى ميادين العمل المختلفة لتحقق هدفا أبعد وخيرا أعم لها ولأسرتها وللمجتمع عامة .

وأمام هذه التيارات الجديدة التى تجتاح مجتمعنا اليوم لابد لنا من التفكير فى أنسب ميادين العمل التى تتفق مع المرأة مما يهيىء لها فرصا مواتية تتلاءم مع استعدادها وتحقق انتاجا أصلح .

على أن أول ما يتبادر الى الذهن فى موضوع عمل المرأة استعدادها الطبيعى فى ضوء الدراسات العلمية التى أزالت الحجب عن حقيقة طاقاتها وامكانية الاستفادة من انتاجها فهناك بحوث كثيرة أثبتت قوة احتمال المرأة وبعد بصيرتها كما أن الطبيعة الانفعالية التى تنسب الى المرأة قد تكون من عوامل نجاحها فى العمل اذ كثيرا ما يكون الذكاء وليد الاحساس العميق بكنه الأمر والتفاعل بمضمونه عن طريق الشعور الذى يضىء له ساحة الانتشار من بعد بواسطة الادراك .

والتاريخ ملىء بأمثلة جلية لمن أحسوا بمشاكل أمتهم وحز ذلك فى نفوسهم فراحوا يعملون الفكر بوحى من هذا الاحساس واستطاعوا أن يصلوا الى أروع النتائج فى اصلاح مجتمعهم :

فحز فى قلبه الجرح العميق أسى
وراح يهتــز من أناتهــا ألمــا
حتى استفاق على صوت الحقيقة فى
جنبه يصرخ : «أقرأها .. لمن علما»

ثم اين المجـال فى حياتنـا الذى لا يكون للعاطفة البصيرة فيه دور بل اين الرجل الذى خلا من العاطفة فيما سجله لنـا من آثار . فالعاطفة الواعية التى تضافرت مع المنطق والوعى تعكس لنا اليوم اهم ما نراه فى هـذا الوجود من خير محقق لبنى الانسان .

من هنا يبين لنا مدى الاستفادة من شدة الطاقة العاطفية لدى المراة ، بعد صـقلها بالتربية والعلوم فى شتى المجالات المختلفـة كالميادين الفنية لجميع أنواعها المبـدعة .. والوظائف الانشائية كالطب والمحـاماة والتدريس والميادين الاجتماعية وما يتفـرع عنها من رعاية الأمومة والطفولة وغيرها من أفراد المجتمع .. على أنه من غير الانصاف أن يحال بين المراة وبين القطاعات التى تبدو بعيدة عن طبيعتها اذا تبين استعدادها للعمل فيها .

ولهذا نرى اليوم نساء يعملن فى مجـالات ارتياد الفضاء ومعامل الذرة والصـناعات الكهربائية المختلفة واللاسلكى ، كما اشتركت المرأة فى صفوف البوليس والجيش وأعمـال الهندسـة وصناعة السيارات والأسـلحة المتفجرة والمفرقعـات والزيوت وغيرهـا ومن الممكن للمراة أن تسجل نجـاحا كبيرا فى الميادين السياسية والدبلوماسية الدقيقـة والعـلاقات الدولية وأن تحقق الـكثير من اغراض السلام فى هذا العالم .. ولقد رأينا فى كثير من البلاد أن كبار رجال الدولة فى شتى المجالات يعلقون أهمية قصوى على دور المرأة فى تلك الميـادين بل لا يرتاحون فى السكرتارية لغير موظفات من النسـاء ..

أمام هذه الآفاق الرحيبة للمرأة فى عملها لابد اذا من اعدادها على أكمل وجه كيما تؤدى واجبها خير أداء ، ويكون هذا الاعداد منـذ الحداثة فيتلقى الجنسـان ، ذكورا واناثا ، علوما واحدة مع تبادل فى بعض المواد العلميـة التى تتعلق بطبيعة كل منهما شريطة الا يؤثر ذلك فى تمييز أحدهما عن الآخر فى الانتساب الى المعاهد العليا المختلفة فيما بعد .

أما بالنسبة للتعليم الحرفى ، فلا شك أن لطبيعة كل منهما الأثر الأكبر فى التوجيه الى الناحية التى تتناسب مع كل منهما فتذهب الفتاة مثلا الى مهنة الخياطة والتطريز ويذهب الفتى الى المهن التى تتطلب القوى العضـلية كالنجارة والحدادة ، على أنه لا قاعدة لذلك فقد يختار الفتى مهنـة الخياطة ، وتذهب الفتاة الى مصنع الكبريت ، والحديد ، ومن هنا كان من الصعب تخصص العمل لكل منهما ، ومهما يكن من أمر فلا بد من انارة الطريق أمام الفتيات بشتى الوسـائل ، فى مختلف المراحل ، كأن يكون هنـاك تلقين للطالبـات اللواتى فى السنوات الأخيرة من التخـرج ـ سـواء كان ذلك فى المدارس الحرفية أو المعاهد العلمية ، نبذة عن ميادين العمل المختلفة التى تتعلق بدراستهن فى كل من المجـالين حسب التخصص ثم تدريب الفتـاة على أمور المجال الذى تعمل فيـه وتزويدها بالارشادات الكافية ، حتى اذا ثبت استعدادها له وفق الهـدف المطلوب أمكن استمرارها فيه ، وكذلك حث الهيئاتالمهيمنة على ميادين العمل المختلفة باصدار بيانات عن النواحى المطلوبة ، فى مجالات العمـل لديهم لتضىء الطريق أمام من يرغب بالانتساب اليها وأن يكون هنالك بيانات دورية ، من الهيئات العليا فى الدولة ـ عن حاجات البـلاد وفق خطط التنمية ، المدروسة ، بالنسبة لسـائر ميادين العمل .

وبما أن الأسرة الواعية أقدر من غيرها على فهم طبيعة أبنائهـا واستعداداتهم الفطرية ، فانها تستطيع أن تلعب دورا هاما فى ارشاد الفتاة وتوجيهها بعـد أن تلم بجميع الأمور المتعلقة بميادين العمل .

واليوم بعد أن أصبح عمل المراة حقيقـة واقعة تشكل ثلث قوة العمل فى العالم لابد لنا من القيام بالتوعية اللازمة حول ميادين العمل ومستلزماتها وحول حاجات المجتمع فى تلك الميادين لتستطيع المراة أن تسير على هدى فيما تختار مما يتفق مع طبيعتها وامكانياتها فتحقق لها ولبلادها أوفر خير وسعادة .

مناقب السفراء في الإسلام

الأستاذ حسن فتح الباب

السفير فى اللغة هو الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء ، وقد جاء فى لسان العرب . « وقد سفر بينهم بسفر سفرا وسفارة بمعنى أصلح . وفى حديث الامام على رضى الله عنه أنه قال لعثمان بن عفان رضى الله عنه ان الناس قد استسفرونى بينك وبينهم أى جعلونى سفيرا وهو الرسول المصلح بين القوم . يقال سفرت بين الناس اذا سعيت بينهم فى الاصلاح » .

هذا معنى السفير فى اللغة ، أما معناه الآن فهو ممثل حكومته عند دولة أجنبية أو هو كل شخص مكلف بأداء رسالة ، وقد استقر الاصطلاح على أن السفير هو وكيل حكومته الممثل لها عند الدولة الأخرى فى جميع المفاوضات الهامة . فالسفير فى عرف عالم السياسة هو ذلك الشخص المرسل رسميا من دولة الى دولة أخرى ليكون نائبا للدولة التى أرسلته ووكيلا عنها .

ولقد كان هذا المعنى الحديث معروفا عند العرب فى الجاهلية . فكانت السفارة فى الجاهلية من المناصب التى كانت فى يد قريش وبطونها ، ومعنى السفارة عندهم هو أنهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم من القبائل حرب وأرادوا المخابرة بشأن الصلح بعثوا سفيرا ،وان استفزهم حى لمفاخرة جعلوا السفير مفاخرا ورضوا به . وكان آخر سفراء قريش فى الجاهلية عمر بن الخطاب قبل أن يسلم . فمعنى السفارة فى اللغة مأخوذ من نفس هذا المعنى الذى كان معروفا عند العرب فى الجاهلية .

أما معنى السفارة فى صدر الاسلام فلم يتغير عن معناها فى الجاهلية ، فكانوا يتبادلون السفراء للصلح والمخابرة كما سفر على ابن ابى طالب بين الناس وبين عثمان بن عفان فى الفتنة التي حدثت قبل مقتله .

واستمر الحال كذلك فى عهد بنى امية فكانوا فى حروبهم وفتوحهم اذا تداعوا الى الصلح مشت السفراء بينهم . الا أنهم لما تحضروا وأخذوا بأسباب المدنية بعد رسوخ قدمهم فى مملكتهم الواسعة الأطراف وكثرة علاقاتهم بالدول والممالك المعاصرة لهم ، تغير معنى السفارة عندهم قليلا . فكانوا يرسلون السفراء وخاصة فى عهد العباسيين الى الملوك والأمراء ليس فى أحوال الصلح فقط بل فى المخابرات والمفاوضات السياسية والودية وحوادث المصاهرة كسفارة ابن الجصاص سنة ٢٧٩ من مصر الى بغداد ، وكان خمارويه بن أحمد بن طولون قد أرسله سفيرا الى الخليفة المعتضد لمصاهرته فخلع عليه وعلى من معه .

ولم تقتصر السفارات على الخلفاء والأمراء المسلمين بعضهم وبعض من شملت علاقاتهم التجارية والسياسية مع رؤساء الدول الأجنبية، ولكن جرت السفارات الاسلامية بين العباسيين وملوك الشرق فى الهند والصين ، كما جرت بين ملوك أوروبا وملوك الاسلام فى الشرق والأندلس والتاريخ حافل بأخبار السفارات التى كانت لا تنقطع بين الخلفاء المسلمين فى الأندلس وبين ملوك الافرنج .

وكانت السفارات الاسلامية تستهدف تحقيق الأغراض الآتية :

١ – نشر الدعوة الاسلامية .

٢ – اعلان الحرب .

٣ – الفداء وتبادل الأسرى .

٤ – التحقيق كما هو الشأن فى دراسة أحوال الأسرى

٥ – اعمال الاستخبارات .
٦ – الاصلاح بين الممالك الاسلامية وبينها وبين الممالك الاجنبية .
٧ – تدعيم الروابط الثقافية .
٨ – المساعدة العسكرية .
٩ – الاعتراف الدولي .
١٠ – التهاني والعزاء وطلب المصاهرة .

ويتبين من استعراض هذه الاغراض مدى اهمية المهام التى كان يضطلع بها السفراء فى الدول الاسلامية بوصفهم جماعة من الممثلين الرسميين الدائميين أو المؤقتين الذين ياخذون على عاتقهم تنفيذ سياسة حكومتهم فى الخارج والذين يتخذون من هذا العمل وظيفة لهم تتسم بشرف أدائها ودقتها وخطورتها على المجتمع الانسانى باكمله . فهى من أعظم المهن التى يكرس الفرد النابه حياته لاتقانها والافادة من رسالتها فالفن الدبلوماسى – كما يطلق على هذه الوظيفة فى المصطلح الحديث – يمثل قوة الدولة فى صلاتها بالعالم الخارجى لانه يجمع بين جنباته العوامل المختلفة التى تمثل هذه القوة ، ويحاول رجاله استغلال هذه العوامل بمهارة فى دعم سلامة الدولة والمحافظة على كيانها ، وذلك بكسب الاصدقاء وشل ارادة الأعداء وتحطيمها . ويصل التوفيق بهؤلاء الرجال الى الذروة عندما ينجحون فى تحويل الأعداء الى أصدقاء أو على اقل تقدير الى محايدين .

لهذا ، فانه ينبغي ان تتوافر فى السفير المواهب والمؤهلات التى بدونها لن يستطيع الوفاء بالتزاماته الكبيرة . فهو يمثل مصالح بلاده ويعبر عن سياستها لدى الموفد اليهم . ومن ثم يجب أن يكون مثلا عاليا فى الخلق الممتاز لانه عنوان دولته والناطق بلسانها ، وهو كذلك يتتبع انباء البلاد المضيفة وينقلها اولا باول الي حكومته ، مع محاولة التنبؤ مقدما باى اتجاه جديد قد يظهر فيها ، ومن ثم يجب أن يتصف بالكياسة والذكاء والدهاء فى عمله . ولما كانت المهمة الأولى للسفير هى توثيق علاقات دولته مع الدول الأخرى حتى تطمئن على سلام يساعدها على السير مقدما فى جو من الاستقرار دون الزج بها فى حماة التهور السياسى وفقدانها مكانتها الدولية وانغماسها فى مغامرات قد تضيع عليها مصالحها الحيوية مما يضعف من شانها ويورط الشعب ويرهقه ويفقده قوى هامة مادية ومعنوية وقد يزج به فى حرب مدمرة تقضى على مستقبل الامة – ولما كان الامر كذلك فلا مناص من اختيار السفراء ممن يتصفون بالقدرة على المفاوضة لان تنظيم العلاقات الدولية انما يبدأ بالتفاوض فعقد الاجتماعات ، ثم ابرام الاتفاقات والمعاهدات . وقد يسير هذا العمل سيرا منتظما كمجرى النهر الضخم فى الوادى المنبسط السهل،وقد تعترضه العقبات والشلالات فيتعثر المسير . والسفير الكفء هو الذى يتلافى المنازعات ويحل المشكلات ويكسب المعركة بالاقناع والتاثير فى الطرف الاخر تاثيرا خفيا او ضمنيا دون أن يظهر لهفة وتهافتا على حل المشكلة .

ونظرا الى انه لم تكن ثمة دراسات تدريبية منظمة للسفراء فى العصور القديمة لتربية ملكاتهم وتوفير عدد كبير من المتخصصين فى الفن الدبلوماسى ، فقد كان اختيار السفراء يتم فى الدول الاسلامية على أساس المواهب والملكات الفطرية والتجارب فلا يختارون من طبقة ممتازة او غنية لانه لا طبقية فى الاسلام ، وانما يختار الرجل القدير الذى يجمع بين سعة الافق والاحاطة بظروف الدولة التي يمثلها والدولة التى يوفد اليها وبين اتساع الثقافة وسمو العقل والمنطق .

ولقد عبر معاوية بن أبي سفيان عن جوهر الصفات والمناقب التى يجب أن يتحلى بها السفير فى قولته المأثورة :

« لو ان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت لانهم اذا ارخوها شددتها واذا شدوها ارخيتها » .

وفى هذا التعبير المجازى عن تصريف الشئون العامة للدولة وسياسة الحكم ، فى اتصالاتها بالأفراد والقبائل والأنصار فى الداخل ، أو بتنفيذها فى علاقاتها الدولية فى الخارج . قدم لنا معاوية تعريفا لما اشتهر به من مرونة ومهارة دبلوماسية فى لقاء خصومه وكسب أعوانه أو تنفيذ سياسته فى الداخل أو الخارج . وينم هذا التعريف عن اصالة الفهم لما يجب أن يتصف به فن السفارة من خصائص ابرزها . الاتصال بالواقع ، وعدم الانعزال عن الناس ومعالجة الأمور باللين والحزم ، والأخذ والعطاء ، والصبر والذكاء والروية والاناة ، كما أن تشبيه العلاقات الدبلوماسية بالشعرة هو بلوغ الغاية فى دقة التصوير لما قد تكون عليه هذه العلاقات من دقة وحساسية تتطلب معالجتها مهارة خاصة ، هى ما نعرفه بالدبلوماسية .

ولقد كان العرب يختارون سفراءهم من بين الشخصيات البارزة فى الدولة ، ذات المنزلة والمشهورة بحصافة الرأى وبلاغة القول ورجاحة العقل وسرعة البديهة واحتيال الحيل وتقليب الأمور ، مما يجعلهم أهلا لما يعهد به الخلفاء والسلاطين اليهم من أمور السفارة ومفاوضة الملوك ووزرائهم – وقد حفلت المؤلفات العربية القديمة بالوصايا التى خلفها الحكماء والقادة والحكام فى شان السفارة وصفات السفير ووسائل اختباره واختياره ، وما يستحب فيه من طباع وأوصاف ليكون أهلا للرسالة ولتمثيل مرسله . فلم يكن يقع الاختيار الا على الاكفاء ، من ذلك أن الخلفاء المسلمين قد عهدوا بالسفارة الى القضاه والفقهاء كالشعبى رسول عبد الملك بن مروان الى الروم والمحدثين ، والعلماء كيحيى بن الربيع ، والسهروردى رسول الخليفة الناصر الى الملك العادل . كذلك كانوا يعهدون بالسفارة الي كبار موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء كعبيد الله بن نصر ، وكبار التجار كالسلامى رسول السلطان الناصر محمود لعقد الصلح مع ابى سعيد ملك المغول .

ولعل من أبلغ ما كتب فى صفات من يصلح للسفارة ما جاء فى رسل الملوك لابن الفراء على لسان أحد الحكماء :

« اختر لرسالتك فى هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك رجلا حصيفا ، حولا قلبا ، قليل الغفلة ، منتهز الفرصة ، ذا رأى جذل ، وقول فصل ، ولسان سليط ، وقلب حديد ، فطنا للطائف التدبير ، ومستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة واصابة الرأى ، ومتعقبا له بالحذر والتمييز ، ساميا الى من يستدعيه اليك ويستدفعه عنك .. حاضر الفصاحة مبتدر العبارة ظاهر الطلاقة ، وثابا على الحجج ، مبرما لما نقض خصمك

ناقضا لما ابرم ، يحيل الباطل فى شخص الحق ، والحق فى شخص الباطل .. جامعا مع هذا العلم بالفرائض والسنن والأحكام والسير .. عالما باحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال .. وليكن من اهل الشرف والبيوتات فانه لابد مقتف آثار أوليته ، محب لمناقبها مساو لاهله فيها .. »

والصفات التى تشترط فى السفير على نوعين : أولها خاص بالمظهر الخارجي والثاني خاص بالطباع والخصائص النفسية . ومن اخبار السفراء المسلمين الذين عرفوا بالوسامة وبهاء الطلعة فى المظهر والزى أن نصر بن الأزهر - وكان رسول المتوكل الى ميخائيل بن نيوفيل « امبراطود الروم سنة ٢٤٥ هـ - ٨٦٠ م وصل فى أبهى زينة متشحا بالملابس السوداء وهى الزى الرسمي للعباسيين ، وعلى رأسه قلنسوة متمنطقا سيفا وخنجرا ، فأبى القائم بامور الامبراطور ادخاله عليه بهذه الهيئة . ولكن السفير حرص على تقاليد دولته الدبلوماسية ، ودخل على الامبراطور ، وجلس فى مكان قرب سريره الكبير وهو بملابسه الكاملة .

ومن أشهر السفراء المسلمين فيما اتصفوا به من جمال المظهر سفير عبد الرحمن الثانى الخليفة الأندلسى الى ملك النورمان سنة ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م ، الملقب بالغزال نسبة الى جماله الظاهر ، وكان شاعر الخليفة اديبا مشهورا بين ادباء عصره . وقد أثبت لدى قيامه بمهمته من ضروب النشاط واجادة فنون الرياضة واللباقة وسعة العلم ما أثار اعجاب النورمان وملكهم وملكتهم « نود » التى أعجبت بدعاباته معها وتغزله فى شبابها وجمالها .

ونخلص من تحليل الصفات التى كانت تستحب فى السفير الموفد لأداء رسالة ان منها ما يتعلق بصحة الجسم وما يتعلق بالقيافة وحسن الهندام وما يتعلق بحسن النطق وسلامة الأداء . فيستحب فى الرسول « تمام القد وعبالة الجسم ، حتى لايكون قميئا ولا ضئيلا .. فاعين الملوك تسبق الى ذوى الرواء من الرسل .. يملأ العيون المتشوفة اليه فلا تقتحمه ، ويشرف على تلك الخلق المتصدية له فلا تستصغره » . « صحيح الفكرة والمزاج ذا بيان وعبارة ، بصيرا بمخارج الكلام ووجوهه صدوق اللهجة » .

ويستدل مما أولاه الخلفاء والحكام المسلمون من عناية بمظهر سفرائهم اذ كان الرواء شرطا عند اختيار السفير - علي سعة أفقهم وعمق نظرتهم وسلامة بصيرتهم ، وذلك أن الصفات العقلية والخلقية لا تكفى وحدها ولا تكفل فى ذاتها نجاح السفير فى مهمته مما يرجع الى طبيعة السفارة واغراضها بوصفها وظيفة رسمية تعنى بالشكليات المتعارف عليها والمراسيم النابعة من العرف والتقاليد السائدة . كذلك فان أهمية الشكل فى عالم الدبلوماسية ترجع الى ما له من تأثير فى الموضوع ، وفى النص السالف اشارة الى هذا المعنى « فاعين الملوك تسبق الى ذوى الرواء من الرسل » . ومن الثابت أن الشكل هو اطار الموضوع الذى يحدد أبعاده ، أو هو الوعاء الذى يحتوى المضمون ، ويصوغه فى قالب ويخلع عليه لونه وطابعه .

ومن الصفات التى اشترطها العرب فيمن يحمل الرسالة ويقوم بالسفارة الا يكون ميالا للنساء حتى لا يستخرجن أسراره ، أو ممن يحب شرب النبيذ . «فان كان شارب خمر فليتركه فى ذلك الوقت بالكلية ، فان الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما فى نفسه من الاسرار .. فقد كانت الحزقه من ملوك الفرس تحرم على الرسل شربها وتضرب عليه الأعناق عند المخالفة »

وثمة خلال ومناقب أخرى من مقومات شخصية السفير وهى أن يكون غزير العلم واسع الثقافة ، كان يكون جامعا للشريعة والسنن والاحكام والسير والتاريخ ، اديبا ، راوية للشعر وما يتبعه من جودة البيان وقوة اللسان ، وحكمة أمته وأمثالها ، عالما باحوال الخراج (الضرائب) والحسابات (المالية) ، وهى علوم من يصلح للسفارة من القضاة والفقهاء والعلماء .

ولم يشترط المسلمون المام السفير بلغة الملك المبعوث اليه ، لان العادة قد جرت على استخدام التراجمة فى هذا الشان ، وان كان المماليك قد بعثوا الى المغول برسل من جنسهم والعارفين بلغتهم . كذلك جرت العادة فى القرنين السابع والثامن للهجرة أن يقوم بالسفارة من تخصص فى الغرض منها كان يبعث أحد رجال الجيش بقصد المفاوضة فى عقد هدنة ، وأحد الفقهاء أو العلماء لتبادل المسائل العلمية او بحث الشئون الفقهية . على أنه يلزم أن يكونوا جميعا من المتادبين « بأدب الله تعالى فيماأدب به رسله الكرام حيث يقول . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »

وأخيرا كان يشترط فى السفير أن يكون شريف الأصل نبيل المحتد ، وذلك حتي يكسب سفارته المهابة والجلال لان الأصل العريق سبيل السلوك الحسن واقتفاء آثار الأجداد والاعتداد بتراثهم . وفى هذا أيضا يقول نظام الملك : « ان نبالة السفير تكون سببا فى علو قدره وما يلقاه من اكبار واجلال وترحيب » على أن هذا الشرط قد انعدم بانتقال السلطة الى غير العرب ، لا سيما فى عصر المماليك .

فاذا لم يجد الخلفاء والسلاطين فى رجل واحد من يصلح لمهام السفارة من حيث توافر الشروط والصفات اللازمة ، كونت السفارة من أكثر من شخص كان يكون « أحدهما صاحب سيف والآخر من أهل الشريعة ، وقد تعزز بثالث من الكتاب . فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ فيها ويدفع مالا يسوغ ، وصاحب السيف يرتب مالا مضرة فيه على الملك ولا جنده ، والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم المكاتبات وأدب المخاطبات » .

وقد يزيد عدد أعضاء البعثة تبعا لاهميتها وعلو قدر السفير رئيس البعثة ، ورئيس دولته . من ذلك أن سفارة قتيبة بن مسلم الى بلاط امبراطور الصين سنة ٩٦ هـ قد بلغت حوالى ١١ أو ١٣ شخصا . وازداد عدد أفراد هذه البعثات زيادة كبيرة فى عهد سلاطين المماليك حتي بلغت احدى سفاراتهم الى بغداد (سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م) ١٧٤ شخصا .

تلك هى خلاصة المناقب والسجايا التى كان يشترطها رؤساء الدولة الاسلامية فى مبعوثيهم لدى الدول الأخرى تقديرا لجلال المهام التى كانوا يوفدون من أجلها وأثرها البالغ فى سلامة الدولة الاسلامية واستقرار أحوالها الخارجية وانعكاس ذلك على شئونها الداخلية.

وفى مجال المقارنة بين سفراء العرب والمسلمين وبين سفراء أوروبا فى العصر الوسيط فيما كان يشترط فيهم

من صفات مميزة تتكافأ مع سمو رسالتهم نجد ان الأمر عند الغربيين لم يجر على النهج الذى ترسمه المسلمون .. فلم تجر العادة منذ البداية على اختيار ملوك أوربا وامرائها لسفرائهم من بين النبلاء او ابناء الأسر المعروفة بل كان منصب السفارة لا يلقى حفاوة أو ترحيبا من قبل ابناء هذه الطبقة ، لما كان يفرضه على من يتولاه من تكاليف مالية وشروط فى العمل ورقابة على تصرفاته فضلا عن ابتعاده عن مسقط راسه وحرمانه من المشاركة فى السياسة الداخلية لوطنه . ولهذا كانت السفارة تفرض على بعضهم فى البندقية ، وتوضع الغرامات المالية على من يرفض قبولها ، كما جاء بمرسوم سنة ١٢٧١ . واشارت الي ذلك تعليمات مماثلة صدرت عن حكومة فلورنس سنة ١٤٢١ بتوقيع العقوبات الجنائية واسقاط الحقوق المدنية عمن يرفض القيام بالسفارة . حتى اذا جاء القرن السادس عشر يشير جيسياردينى فى كتاباته الى تهرب نبلاء فلورنس من قبول مهمة السفارة ، ومن ثم اضطرت حكومة فلورنس ان تختار سفراءها من بين كتاب الدولة وموظفيها المدنيين

ويرجع السبب فى ذلك الى ان أوربا كانت تنظر الى السفراء بوصفهم رجالا محترفين يقومون بتمثيل بلاط بعد بلاط ويخدمون كل فترة من الزمان احد الملوك ، ولم يكن عنصر المواطنة أساسا فى اشتراط من يقوم بمهام السفارة . على ان هذه النظرة قد تغيرت فيما بعد حين تقدمت الدبلوماسية فى أوربا ونظمت اساليبها واستقرت تقاليدها .

أما السفارة عند العرب فلم تكن احترافا بقصد الحصول على مغانم ، بل كانت شرفا يتسابق اليه كبار الشخصيات ، ورسالة يتنافسون فى ادائها ، مهما كلفهم الأمر من تضحيات ، اذ كانت تقترن فى نفوسهم برفعة الدولة الاسلامية ونشر العقيدة الدينية . ولم تكن قاصرة على طبقة دون أخرى لانه لا طبقية فى الاسلام ، وانما هى حق وواجب فى الوقت ذاته لمن تتوافر فيهم الصفات التى تؤهلهم لهذه الرسالة ايا كانت فئتهم .

فلا غرو ان يحرز السفراء المسلمون نجاحا فى مهامهم وان يسهموا فى توطيد دعائم الدولة الاسلامية واتساع ارجائها وتحقيق اهدافها السياسة والعقائدية .

أوهام الصهيونية

والإصرار على القضاء على عدوانها

الدكتور محمد وصفي

جاء فى الميثاق : **أن اصرار شعبنا على تصفية العدوان الاسرائيلى على جزء من الوطن الفلسطينى هو تصميم على تصفية جيب من أخطر جيوب المقاومة الاستعمارية ضد نضال الشعوب ، وليس تعقب سياستنا للتسلل الاسرائيلى فى افريقيا غيرمحاولة لحصرانتشار سرطان استعمارى مدمر .**

وهكذا نظر الميثاق الى العدوان الاسرائيلى نظرة عميقة ، وعلم أن المطامع الصهيونية لا تنصب على فلسطين وحدها بصفتها (أرض الميعاد التى جاء ذكرها فى (العهد القديم) ، بل ان هذه المطامع تمتد الى أبعد من ذلك ، اذ أن اليهود يسمون أنفسهم (شعب الله المختار) الذى من حقه السيطرة على خيرات العالم كله ، ولا ينظرون الى فلسطين الا كمركز للتوسع الصهيونى . ولهذا ما أتاحت لهم المبادىء الاستعمارية السيطرة على جزء من الوطن الفلسطينى حتى بدأوا بمحاولة تنفيذ سياستهم فى قارة أفريقيا ، مستعملين فى ذلك أحط الأساليب وأوضعها ، مستعينين بارشاء الانتهازيين من أصحاب النفوذ فى كل دولة ، وتسخير النساء والأموال .

وقد وضحت بعض المطامع الصهيونية من الرسالة التى ناشد فيها أحد الفرنسيين اليهود أبناء دينه عام ١٧٩٨م أن يطالبوا الحكومة الفرنسية بارجاع اليهود الى (وطنهم) الذى زعموا أنه يشمل مصر السفلى (الوجه البحرى) ويمتد شرقا الى الجهات المتاخمة ، وينتهى بخط يمتد من (عكا) الى (البحر الميت) ، والذى وصفوه بأنه انسب المواقع للسيطرة على ملاحة البحر الأحمر وتجارة الهند وبلادالعرب وافريقياالشرقية والجنوبية ، وبأن يسهل كذلك تجارة ايران وآسيا ، كما يسهل الاتصال بواسطة البحرالمتوسط بالبلاد والممالك الأوربية .

واختار الصهيونيون هذا العام بالذات ، لأنه العام الذى بدأت فيه فرنسا حملتها على الشرق الأوسط ، وغزا فيه نابليون بونابرت الدلتا ، ودعا فيه يهود أفريقيا وآسيا الى موافاة جيشه بمصر ليدخلوا معه الى (أورشليم) ، معلنا ذلك فى الصحيفة الرسمية .

وما فشلت هذه المساومة بفشل حملة نابليون ، وتعارض الاستعمار الفرنسى مع الاستعمار الصهيونى ، حتى جدت حركة صهيونية أخرى فى أواخر القرن التاسع عشر تزعمها تيودور هرتزل
الذى الف فى عام ١٨٩٦م كتابا عن (الدولة الصهيونية) وهو الاسم السياسىلأرض الميعاد ، وفى العام التالى (١٨٩٧) عقد لأول مرة مؤتمر صهيونى فى (بال) بسويسرا ، سمى بالمؤتمر الصهيونى ، رؤى فيه أن خير الوسائل لتحقيق وجود وطن قومى لليهود هو : (١) ترقية اليهود المقيمين بفلسطين فى أعمالهم الزراعية والصناعية والتجارية ، و (٢) تأليف اليهود فى

جميع البلاد جماعات محلية أو جماعات عامة على حسب القوانين المرعية فى تلك البلاد و (٣) تقوية الوعى اليهودى حيث كان و (٤) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على السند الضرورى من الحكومات .

وتقدم بعض سراة اليهود الى السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩) يلتمسون منه أن يأذن لهم بانشاء (جمهورية يهودية) فى فلسطين ، وعرضوا عليه فى مقابل ذلك عروضا مالية ضخمة مغرية ، ولكنه رفض ذلك رفضا باتا ، وبعد الالحاح الشديد أمر أن يسمح لجماعات صغيرة من اليهود اذا شاءت أن تنزل فى أية بقعة من الدولة العثمانية ما عدا فلسطين .

ولم تظفر الصهيونية بشىء يستحق الذكر حتى قامت الحرب العالمية الأولى ، فرأت الصهيونية أن تستغل هذه الحرب لتحقيق نواياها الخبيثة ، فاتبعت الحياد الرسمى ، وأخذت فى الخفاء تساوم ألمانيا من جهة ، وبريطانيا وأمريكا من جهة أخرى ، بوساطة فروعها فى تلك الدول ، لتحصل على تأييدها ضد الدول العربية ، ووجدت فى بريطانيا بغيتها واستطاعت أن تظفر بوعد وزير خارجيتها بلفور ، الذى صدر فى أكتوبر عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ونص هذا الوعد أن بريطانيا « تنظر بعين » الرضا الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين على أن لا يكون فى هذا ما يمس حقوق اليهود فى سائر الأقطار ، أو حقوق الجماعات غير اليهودية التى تعيش فى الأراضى المقدسة » .

ولم يذع هذا الوعد الا بعد الحرب فى عام ١٩١٩ ، اذ أن الاستعمار البريطانى لم ير فى مصلحته كشف قناع الغدر والنفاق عن وجهه فى زمن الحرب ، اذ أنه كان يعلن حينذاك ومن وقت الى آخر تأكيداته لضمان تحرير الشعوب العربية ، ليضمن وقوفها فى صفه أيام محنته ، والانتقاض على تركيا .

وكانت بريطانيا تجد فى وعد بلفور وسيلة تضمن بها دعاية الصهيونية لها فى أمريكا ، لتحصل منها على المساعدات التى كانت فى أمس الحاجة اليها وقتئذ ، وتضمن بها كذلك تأييد اليهود فى أرجاء العالم لقضية الحلفاء ، وتكفل عون رجالهم ذوى النفوذ الكبير فى دوائر المال والصحافة بلندن ونيويورك ، ورأته كذلك وسيلة لتثبيت قدمها فى أرض تزيد فى مقدرتها على الدفاع عن مواصلاتها الامبراطورية عامة ، وعن قناة السويس خاصة ، ولنيل شرف الهيمنة على الأراضى المقدسة التى عجزت الحروب الصليبية عن انتزاعها من أهلها .

واستطاع الصهيونيون فى ظل الانتداب البريطانى أن يقووا أنفسهم اقتصاديا وعسكريا ، واستولوا على أراض واسعة خصبة مثل برج بنى عامر وغيرها ، وأخرجوا منها المزارعين والفلاحين العرب ، ويسرت لهم الهجرة ، ومكن المهاجرون من شراء الأرض واستثمارها ، ومكنت الهيئات الصهيونية من انشاء وكالة يهودية تتعاون مع حكومة فلسطين ، وقوى نفوذ هذه الوكالة حتى أصبحت حكومة داخل الحكومة ، وعينت حكومة الانتداب يهوديا صهيونيا هو السير هربرت صموئيل لكى يكون الحاكم الأول على فلسطين ، ولينفذ لليهود جميع رغباتهم .

وطبعى أن العرب لم تعترف بهذا الوضع ، ولم تعترف بوعد بلفور ، لأنه وعد من لا يملك بتمليك من لا حق له فى الملكية ، وظل الصراع بين العرب وبين الصهيونيين وأنصارهم من الاستعماريين ، وأعلن مؤتمر (نابلس) ١٩٣١ استنكاره تسليح اليهود برضى الانجليز ، كما أعلن المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى (القدس) فى نفس العام ، اجماع العرب والمسلمين على تأييد عروبة فلسطين واستنكار السياسة الانجليزية الصهيونية ، وكان من أهم الثورات ضد هذا الاستعمار السافر ثورة عام ١٩٣٦ التى صمد فيها العرب ضد القوات البريطانية التى وصل عددها الى ثمانين ألف جندى .

وما نشبت الحرب العالمية الثانية حتى عمل الصهيونيون لاستغلال ظروفها لتحقيق مطامعهم ، وما وضعت الحرب أوزارها ، حتى استطاعوا بنفوذهم الاقتصادى والسياسى وسيطرتهم على شركات الاذاعة والصحافة أن يضمنوا تأييد رجال الدولة فى أمريكا ، وأن يجعلوا الرئيس ترومان الذى لعبت الصهيونية

دورا كبيرا فى انتخابه لرئاسة الجمهورية الأمريكية ، أداة طيعة فى أيديهم ، وكان من أكبر أخطاء الأمم المتحدة تاثرها بالدعاية الصهيونية ، وموافقتها فى نوفمبر عام ١٩٤٧ على تقسيم فلسطين الى دولتين عربيةويهودية وعينت لجنة لتخطيط الحدود بين الدولتين .

وكانت بريطانيا بعد الحرب فى أزمة مالية خطيرة ، وطلبت من أمريكا قرضا يقرب من أربعة مليارات من الدولارات ، فكان من شروط اجابة هذا الطلب أن تكون سياسة بريطانيا متجهة الى تحقيق رغبات الصهيونيين ، فاضطرت الحكومة البريطانية أن تعلن فى أول عام ١٩٤٧ عزمها على الجلاء عن فلسطين فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، وفى اليوم التالى لانسحاب القوات البريطانية أعلن المجلس الوطنى اليهودى فى تل أبيب اعلان قيام (دولة اسرائيل) ، وشنت بعض الفرق اليهودية غارة غادرة على القرى العربية وقتلت سكانها الأبرياء ، وخاصة فى قرية دير ياسين ويافاوعكا والناصرة فترك نحو مليون عربى أوطانهم مشردين .

واستنجد الفلسطينيون بالحكومات العربية، فهبت لنجدتهم مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق ، وعبرت قواتهم الحدود ، وأوشكت أن تقضى على القوات اليهودية لولا ضغط الحكومتين البريطانية والأمريكية وتدخل الأمم المتحدة وألاعيب الاستعمار ونفوذه على بعض هذه الدول ، وانتهى الأمر بتوقيع هدنة فى ٢٤ فبراير عام ١٩٤٩ ، وبمقتضاها أعطيت المملكة الأردنية القطاع الشرقى من فلسطين ، ويدخل فيه مدينة القدس ، وخصت مصر بقطاع غزة، أما اسرائيل فقد ظفرت بجميع الأراضى الخصبة فى فلسطين والقدس الجديد ، وبقى أكثر من سبعمائة ألف عربى لاجىء يعيش عيشة أشد ما تكون تعاسة وشقاء وقدسلبتهم اليهود أموالهم وجردوهم من أملاكهم وحرموهم من بلادهم وأوطانهم .

ان الصهيونيين السفاحين الغادرين الجبناء لا يستطيعون أن يصمدوا بضع ساعات أمام أى غزو عربى ، ويجب أن يعلموا حق العلم أنهم مجرد ستار تقف وراءه مطامع دولة استعمارية أخرى (هى أمريكا وبريطانيا وغيرهما) ، وأن البقعة التى يحتلونها من أرض فلسطين لا تنظر اليها تلك الدول الا كمجرد قاعدة عسكرية لهم (أى لهذه الدول) ، يستعملونها عند الحاجة ضد الدول العربية والوحدة العربية ، غير معتمدين على الصهيونيين الواهمين ، الذى بلغ من وهمهم أن صوروا خريطة مملكتهم الكبرى التى يحلمون بها ، منقوشة على باب برلمانهم ، وجدران مؤسساتهم ، وتشمل فلسطين والأردن وسوريا ومصر والعراق ولبنان وتمتد الى الحجاز ...

وحق للأوهام الصهيونية أن تتبدد بعد ما أسفر عن انعقاد مؤتمر القمة العربى الثانى فى القاهرة ، فى هذا العام ، من تقرير التضامن لتحرير الوطن العربى من الاستعمار والصهيونية المتحالفين ضد وحدة الأمة العربية وتقدمها .

وحق لخيالات الصهيونية ومطامعها أن تتلاشى بعد انعقاد مؤتمر عدم الانحياز فى أكتوبر فى هذا العام ، وهو المؤتمر الذى تجمعت فيه شعوب ٥٧ دولة من أربع قارات فى العالم ، هى آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية ، وادانته للسياسة الامبريالية المتبعة فى الشرق الأوسط وفقا لميثاق الأمم المتحدة، وتقريره تأييد الشعب العربى الفلسطينى فى استعادة جميع الحقوق التى له فى وطنه وفى استعادة حقه الذى لا يتجزأ فى تقرير مصيره بنفسه ، والتأييد الكامل للشعب العربى الفلسطينى فى نضاله الذى يشنه من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية .

مع الأحداث

مسئولية المنبر ... عن التنظيم السياسى للفلاحين

الأستاذ عبد العليم المهدى

اننى أومن بالرأى القائل : « ان كل حركة عظيمة فى تاريخ الأمم والشعوب ، تحتاج الى حشد من الخطباء والكتاب » ..

ونحن الان فى الجمهورية العربية المتحدة ، نعيش هذه الحركة العظيمة التى عبر عنها زعيمنا الملهم جمال عبد الناصر بقوله : « اننا نصنع تاريخا ونبنى مستقبلا »

ولا أريد أن أتناول اليوم مسئولية الاقلام عن هذه الحركة ، فان ذلك يحتاج الى عملية تصفية بين الكتاب قبل أن نسألهم عما صنعوا ويصنعون ، من أجل مستقبلنا الذى نبنيه ، وتاريخنا الذى نصنعه ..ولست على استعداد لحسابهم اليوم عن توجيهات الزعيم لكبارهم ، فربما يعجزون عن الجواب ! ..

أما الذى يعنينى هنا فى « منبر الاسلام » ، فهو الاتجاه الى دعاة الاسلام ، وأعنى بهم الوعاظ وخطباء المنابر ، فاننى على يقين من كفاءتهم وقدرتهم واستعدادهم للعمل الابجابى فى بناء تنظيمنا السياسى على قواعد من الدين ، وفى بلادنا وفى شعبنا منه رصيد ضخم ، وخاصة بين الفلاحين .

وحين اتناول مسئولية المنبر عن التنظيم السياسى للفلاحين ، فاننى أذكر على الفور موقف السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى بين جمهور كبير من الدعاة فى قاعة الامام محمد عبده بالجامع الأزهر منذ عامين وهو يقول لهم :

اننى أهيب بكم أن تحملوا مسئولية الدعوة الاشتراكية ، ولا أطالبكم بان تنافقوا الأحداث ، بل أطلب اليكم أن تدفعوا الاحداث .. واسترسل القائد الثائر الذى أطلق دعوة الثورة من فوق المنابر فى توضيح مهمة الدعوة الاسلامية فى التطبيق الاشتراكي قائلا : ان هذه الثورة ليست من أجل الأغنياء .. ليست من أجل الاقطاعيين .. ليست من أجل فئة قليلة .. انما هى ثورة الشعب كله ، من أجل الشعب كله ، من أجل الغالبية الممثلة فى الفلاحين والعمال .. اننا مع هؤلاء نعمل ، ومن أجل هؤلاء نكافح ، حتى يشمل عدل الله كل مواطن وحتي يأخذ كل صاحب حق حقه .

وقبل ذلك بسبع سنوات ، أذكر موقفا آخر للمهندس أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء وامين الفلاحين بالاتحاد الاشتراكى العربى .. كنت معه فى زيارته الأولى للواحات الداخلة فى عام ١٩٥٥ ، حين قام فى ميدان الجمهورية يخطب على ضوء المشاعل قائلا :

أبشروا يارعاة الابل فقد قامت لكم دولة .. هذه صيحة أبى بكر الصديق التى كان يبدأ بها حديثه الى جماهير العرب فى الجاهلية كلما وقف يدعو قومه الى الاسلام .. دين الحرية .. دين الحق .. دين العدل .. دين المساواة . ولا يعرف طعم الحرية سوى العبيد .. والحق لا يعرف معناه سوى صاحبه .. والعدل لا يشتهيه سوى المظلوم . .والمساواة لا يتمناها سوى الشعب الذى طالما أحس بطائفة قليلة تتميز على الشعب كله .

أبشروا يا رعاة الابل فقد قامت لكم دولة .. لن تكونوا بعد اليوم عبيدا لغير الله .. لن يظلمكم أحد لان الله نصركم .. لن يستعلي عليكم أحد ، فان شريعة دولتكم هى أن « أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وليس أغناكم ، وليس أكثركم جاها أو اعز نفرا .

اذكر هذا الآن ، وأذكر معه كيف قامت فى القرون الوسطى أول دولة اشتراكية من رعاة الابل .. قامت فى المدينة أول حكومة عرفها التاريخ بانها لا تقيس الناس بصورهم .. ولكن بقلوبهم .. بأعمالهم .. وليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعية سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى .

وفتحت دولة رعاة الابل بالحق والعدل اقطار الأرض .. وكانت ثورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أكبر ثورة تحريرية فى تاريخ البشرية .. وسوف تظل الى آخر الدنيا هى المنار ، وهى الطريق الى أكرم حياة .. لكل فرد .. لكل مجتمع .. لكل مصر .. لكل عصر .

أستعيد هذه الذكريات أمام السادة أصحاب الفضيلة خطباء المساجد والدعاة فيها .. انهم مسئولون مسئولية ضمير وذمة وأمانة عن توعية جماهير الفلاحين بالتنظيم السياسى ، حتى يعرف الفلاحون انه قد قامت لهم دولة .. دولة جعلت اساس الحكم فيها قائما على قاعدته العريضة فى الريف المؤمن الطيب المجاهد الصبور

وكما قامت دولة رعاة الابل حصيلة لأعظم ثورة تحريرية فى العصور الوسطى ، فحطمت الأصنام من الناس والحجارة .. كذلك قامت ثورة عبد الناصر لتقيم دولة الشعب العامل على أنقاض الاقطاع الذى استرق الفلاح ، والاستغلال الذى استعبد العامل ، والاحتلال والحكم الأجنبي الذى داس على تاريخنا مستهزئا ، فانشقت الأرض من تحته ، حين محت ثورة عبد الناصر ذلك كله ، وفرضت بالحق سيادة الانسان ، وساوت بين قوى الشعب العاملة .. من يبطىء به عمله لا يسرع به نسبه .. والحرية والديمقراطية للشعب ، ولا حرية ولا ديمقراطية لأعداء الشعب ..

فقد زال عهد الاقطاع .. وأشرق عهد الفلاح .. فهل يعرف الفلاح هذا ؟

هذا السؤال أهمس به فى ضمائر خطباء المساجد الذين يلتقون بالفلاحين كل يوم .. ولا اطلب منهم الجواب .. ولكنى ادعوهم الى واجبهم فى الميدان ..

انهم أصحاب الكلمة المسموعة فى مجتمعنا ، وغالبية مجتمعنا تقطن الريف ، وتحتفظ فى أعماقها بجوهر الدين ومن هنا كان تقدير الفلاحين لرجال الدين .

قولوا للفلاحين ياخطباء المساجد ان على رأس بلدهم اليوم ابن فلاح من بنى مر ! .

قولوا لهم ان عهد الشكوى والمذلة قد انتهى .. وان عصر كتابة الطلبات والمظالم و « العرضحالات » قد ذهب ولن يعود .. ان ليالى الجلد بالسياط قد انقضت الى غير رجعة .. ان عهود شراء وبيع الأرض بمن فيها وما عليها قد غربت شمسها الى الأبد .. ان تحكم العمد والمشايخ والأعيان وأصحاب « الأطيان » قد أصبح فى خبر كان ! ..

قولوا للفلاحين ان السيادة اليوم للشعب ، وان الوطن اليوم للشعب ، وان الخير كل الخير للشعب ، وان الشعب هو صاحب الكلمة العليا فى تقرير مصيره

لا خوف من سياط حاكم أو اقطاعى أو مستغل ..

لا شكوى ولا ذل من أجل أبسط حقوق الحياة .. لقمة العيش !

قولوا للفلاحين ان انضمامهم للاتحاد الاشتراكى العربى هو الطريق الى كل حق وكل خير وكل كفاية .

اطلبوا من الفلاحين أن يقولوا كل شىء فى لجان الاتحاد الاشتراكى العربى بلا تردد ولا خوف ..

فالديمقراطية تعني حرية الشعب فى أن يقول كلمة الحق ، وأن يحقق بيده لنفسه كل خير ، وأن يجهر برأيه فى كل انحراف يراه أو يسمع به من حوله .

لقد تحطم الاقطاع ، وتحددت الملكية ، وعادت الارض الى الفلاح ، وأصبح الايجار بسبعة أمثال الضريبة ، والتعاون سبيل الفلاح الى خدمة الأرض ، وتأمين المحصول والماشية ، وصوت الفلاح اليوم يجب ان ينطلق عاليا حتى لا تبقى مشاكل القرى ضائعة فى ضجيج المدينة .

ان المدينة الآن مسئولة عن الاخذ بيد القرية حتى ترتقى الحياة فيها الى مستوى الحياة فى المدينة .. فاذا لم تقم المدينة بهذا الواجب تطبيقا للميثاق ، فان على الفلاحين ان يتقدموا بحياتهم على هدى وبصيرة من دينهم الذى يعلمهم ان أكرم الناس عند الله التقى ، وليس الغنى ، وليس العمدة أو الحاكم كائنا من كان ما لم يحكم بالعدل .

ان الديمقراطية هى أولى مشاكلنا فى هذه المرحلة من تاريخنا .. هكذا علمنا زعيمنا .. واذا استطاع خطباء المساجد أن يعلموا الفلاحين معنى الديمقراطية ، وانها حرية القول ، وحرية العمل ، وحرية الحياة .. فانهم بذلك يخدمون وطنهم أجل خدمة .. ويزيدون على ذلك تقربهم الى الله الذى قضى بتحرير الانسان بمجرد شهادته بان لا اله الا الله .

قولوا لأهلنا فى الريف ياخطباء المساجد ان عبد الناصر قد تسلم شعلة الثورة من ثورة سيدنا محمد بن عبد الله .. هذه الثورة التى آمن بها رعاة الابل .. فاستطاع أعرابى أن يواجه بالسيف عمر بن الخطاب حين قال :

« ان رايتمونى على حق فاعينونى ، وان رايتمونى على باطل فقومونى » .

فصاح الأعرابي قائلا : بحد السيف نقومك يا ابن الخطاب .

هذه الديمقراطية الحقة تتجلى ايضا فى موقف آخر لابن الخطاب حين وقف يدعو الى عدم المغالاة فى المهور ، فوقفت اعرابية تقول له : وأين تذهب يا عمر من قول الله تعالى « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » .

كلكم يا خطباء المساجد تعرفون ماذا كان جواب عمر على الأعرابى والأعرابية .. قال مجيبا الأعرابى الذى شهر السيف فى وجهه : « الحمد لله الذى جعل فى امة محمد من يقوم ابن الخطاب بحد السيف اذا كان على باطل »

وقال للاعرابية : « نعم أصابت امرأة واخطأ عمر ! »

يا خطباء المساجد .. ليس غيركم من يدعو الفلاحين الى ممارسة حقوقهم السياسة .. فى المجلس الشعبى .. فى لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى .. فى اللجنة النقابية لعمال الزراعة .. فى الجمعية التعاونية .. ان هذه المنظمات جميعها مدارس تفتحها الثورة للديمقراطية

وليست كلمة الديمقراطية لغزا ، فان جلوس الناس سواسية فى المسجد ، وقيامهم صفوفا مستقيمة ، كلهم مهما تفاوتت مكانتهم يقفون كتفا الى كتف ، لا فرق بين الحاكم والمحكوم ، أو بين ضارب الفأس وصاحب الأرض ، أو بين العمدة والخفير ، أو بين عالم وجاهل .. كلهم سواء بين يدى الله ، ويجب ان يكونوا سواء فى كل شأن من شئون الحياة .. وهذه هى الديمقراطية بمعناها المنزل من السماء .. وما أحوجنا اليها اليوم ، لنتعلم من صلاتنا أننا ندعو الله موقنين بالاستجابة ، وكذلك ينبغى أن تكون دعوتنا الى حياتنا مستجابة ... عندما تضاء العقول بالوعى .. وعندما تتفتح القلوب لخطباء المساجد ! ..

تأملات في التعريف العقلي الجديد بالإسلام

الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

زوال الحدود المصطنعة بين الإيمان عن طريق المادة والإيمان عن طريق الروح

في هذا العصر ، عصر سلطان العلم وظهور اسرار الكون المادى للعقل الانسانى ووضوح رؤية معالمه وبناء كثير من المذاهب والمبادىء والآراء على الأسس العلمية ٠٠ ينبغى للدعوة الاسلامية الجديدة أن تلتزم خط التعـريف بنفسها عن طريق العقل والعلم لأنه هو نفسه طريق القرآن ٠

وقد وضح واستعلن استعـلان النهار ان القرآن اعظم سفر دينى أقام دعوته على العقل والعلم وجعل الدين علما والعلم دينا ٠٠فكانت اولى آياته نزولا صادعة آمرة بالدين ومعـرفة الله الخالق عن طريق التأمل فى أسرار علمه التى اودعها فى خلق الكون والانسان وعن طريق التنويه والتوجيه الى القلم : صانع ارصـاد العلوم وخزائنها ، ومفتاح كنوزها وطلاسمها (اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم٠ علم الانسان مالم يعلم)

وبذلك جعل القرآن العلم طريق معرفةالله وجلاله والتعبد له بتتبع صنع يده القـادرة وحكمته الباهرة ورحمته الغامرة ٠

ومن الكثرة الهائلة فى أيات القرآن الكريم التى توجه الانظار والأفكار دائما الى بدائـع صنع الله فى التركيب المادى للكون ، نعـرف مقدار اعتزاز الله واحتفاله بما صنع فى ذلـك العالم ومقدار عنايته ببناء العقيدة الدينيـة على أساس العلم بذلك الصنع البديع ٠

وقد بنى الله الخالق تكريمه للانسان وأمره الملائكة بالسجود له على اختصاصه بعلم الأسماء كلها مما فى غيب السموات والأرض ، وهى تلك الأسماء التى وضعها الانسان لآيات الله وكلماته الصامتة فى الكون وترجمها الى عالم التعبير والبيان (خلق الانسان علمه البيان) (وعلم آدم الاسماء كلها)

وحينما يرتد الانسان عن نهج هذا العلم المادى الموصول بالله يسقط عنه تاج الكرامة والقدرة وتأكله الطريق وتضيعه الجهالات والتهويمات والشطحات والخرافات ، ويفسر الحياة والكون تفسيرا غير علمى ولا قرآنى ، ويروح يبحث عن عوالم أخرى وراء الكون المادى ، يلتمس منها الايمان ، كأن مافى السموات والأرض والنفس من آيات بينات لاتكفى فى التعريف بالله والايمان به وبالمصير اليه !

وفى رأيى أن من أعظم أسباب تعويق العقول العلمية المادية المعاصرة وتعطيلها عن أخذ الوجهة الصادقة فى العقيدة الدينية ،هو هذا التفريق الذى يقدمه الدينيون المتأخرون بين ظواهر الحياة الانسانية والكونية مادة وروحا ، فيهدرون قيم مادة الاجسام أو يحتقرونها أو يمرون بها مرورا عابرا معرضا لايرى ما تضمه من عجائب وأسرار ويتطلعون الى ماوراءها من آيات الروح وعجائبها ، ثم يذهبون فى عالم التخيل السابح الحالم المنطلق وراء بدوات الأوهام وشطحات الذهول ، تاركين عالم الصحو والواقع والادراك القائم على حقائق التكوين المادى للكون والنفس والحياة تلك الحقائق التى هى طريق العلم واليقين وطريق القرآن فى استدلاله على الله الخالق وما عنده فى الملأ الأعلى .

وانى أتساءل : هل اذا رجعنا كل خصائص وجود الكون والانسان ـ ماعدا وحى الله برسالاته والقاء أوامر التكوين اليهما ـ ظواهر وقوانين مادية لاصلة لها بغير المادة ، أكان ذلك يغض من قيمة الكون والانسان وبعبارة أخرى « هل لو جعلنا الانسان بظاهره المادى وباطنه الخفى المعنوى نتيجة لالتقاء مجموعة عناصر من المادة وقوانينها وتركيبها وتقيدها ، وعرفنا ان حياته واهتزازه وتفتحه ونموه وادراكه ، ما هى الا نتيجة لاجتماع القوانين والعوامل المادية التى وجدت والتقت بامر الخالق وتدبيره وترتيبه ! كان ذلك ينقص من قيمة العجب الذى يقف به العقل مبهورا امام ذلك ؟

وهل ليس هناك ما يفسر له هذه العجائب والأسرار ويذهب عنه الدهش الا ان يرى هذا كله هابطا من عالم آخر ؟

ان الذى يثير اللوم والاعتراض على هذا الطراز من التفكير هو هذا التنقيص من قيم الظواهر والقوانين المادية وعدم الاقتناع بهاعند الاستدلال على الله وهو هذا التطلع الشره الى كل ماهو غائب عن تلك العقول وراء التركيب المادى للكون قبل الفراغ من ادراكه هو واستيعابه ، وهو هذا الازدراء والتقليل من شأن هذه الظواهر المادية التى لاتعد ولاتحصى، والتى هى أعلام دائمة منصوبة لكلمات الله ، ومحاريب قائمة لاقامة صلوات الفكر واثارة اشواق النفس له سبحانه ؟ لأنها معجزات دائمة تدرك بالحس والبداهة ، وهو أيضا ذلك الالحاح فى مطالب طفولية وعدم الاكتفاء فى الحياة بآيات كثيرات واضحات لا لبس فيها وانتظار عجائب من ورائها تتنزل من الملأ الأعلى أو حتى تنبثق من الأرض ، كما يقول يحكى القرآن (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الى قوله (أو تأتى بالله والملائكة قبيلا) وكما يقول (وقال الذين لايعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية ،كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الأيات لقوم يوقنون ؟ ويقول « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) ويقول (وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)

وهكذا تمضى طفولية بعض العقول وتعنتها ووقاحتها وشرهها ومللها الى استعراض سخيف لمطالب وظواهر ترى ملايين مثلها تملأ الحياة ولكنها لا تقتنع بها .

ان التركيب المادى للكون ماهو الا معرض دائم للآيات والبدائع ذات الدلالات الواضحة للعقول غير المؤوفة بآفات العمى والاعراض والعجلة والملل والسأم والتعنت .. وصدق القرآن (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

ومن أشد الوقاحات وقلة الذوق أن يدخل داخل الى رحاب معرض أو متحف حافل بالعجائب والبدائع الرائعة ، وقد دعاه اليه صاحبه وصانع روائعه ، فاذا به يسرع العبور بمعروضاته واجتياز ردهاته ، ولا يرى فيه شيئا يعجبه ويقنعه ، بل يبدو عليه الملل والسأم وعدم ارلاتياح لما فيه ، ويسرع الى الخروج منه ، وبروح يلتمس اسبابا أخرى لتقدير صاحب المتحف أو المعرض خارج حدودهما !! ذلك شأن من يسرع فى اجتياز عالم الخلق ولا يرى فيه مقنعا ويبحث عما وراءه فى عالم ((الأمر)) والسر .

وفى ظنى أن ذلك أعظم مكايد ما يسميه الدين بالشيطان عدو الحياة والانسان ، الذى يعلم ان عرش الانسان الحقيقى الذى أجلسه عليه الخالق غداة يوم النشأة عندماعلمه اسماء ذلك العرش واسراره وكلماته ، وأمر الملائكة بالسجود له من أجل ذلك العلم ، هو عالم الخلق .. عالم التركيب والتشكيل المادى للكون واسراره وقوانين التكوين والتخريب فيه مما جعله جديرا حقا بخلافة الله الخالق فيه .

اننا اذا وصلنا فى تنشئة العقول وتربيتها الى أن نجعلها تدرك بتعمق وتذوق قيم الظواهر والقوانين والأسرار المادية فى الطبيعة والانسان خاصة ، وربطنا بين رؤية ذلك ورؤية يد الخالق وراءها دائما ، نكون قد هيأنا للعقل العلمى المادى وسائله الفعالة الحاضرة التى لاتحتاج فى حمله على الايمان الكامل المستنير الى غيبيات ومعجزات وكرامات ونكون بذلك قد جعلنا سبيل الدين والعلم واحدة كما جعلها القرآن وطمأنا العقول العلمية على التزامنا للمنهج العلمى وتقديره ، لأنه هو المنهج القرآنى ذاته .

وصفوة القول فى هذا الباب ان يكون تفكيرنا وايماننا مبنيين على هذه الحقيقة الثابتة التى تمحو من أذهاننا صورة الحدود المصطنعة بين الايمان عن طريق المادة والايمان عن طريق الروح وان نستحضر دائما أن مصدر كل شىء هو أمر الله اليه أن يكون ، سواء أكان ماديا أم غير مادى .

وصفوة الصفوة من هذا القول : ان المادة لا تقل اثارة للعجب عن الروح ، وان آفة بعض العقول انها لاتلتمس الايمان الا عن طريق خوارق العادات ، ولا تلتمسه مما التمسه منه القرآن ، وهو تلك الكثره الهائلة التى لا تحصى من عجائب الكون المادى الدائمة .. حتى اذا رأت معجزة خارقة لنبى أو كرامة لولى .. استيقظ ما فيها من الادراك والشعور ورأت أن هذا الخارق غير المألوف هو العجيب الوحيد الذى يحملها على الايمان والتسليم .. مع ان هذا العجيب الخارق للعادة ، فى رأى القرآن وفى رأى العقل البصير لايقيم الحجة دائما مثلما تقيمها العجائب المستمرة الدائمة فى الكون المادى الكبير .

الذكر والأنثى

الدكتور عبد الحليم كامل

« لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » .

لقد خلق الله الذكر والانثى وخلق نظاما جميلا للخلقة والتكاثر ، ولكن الانسان تاخذه الدهشة ويستولى عليه العجب اذا نظر الى ماحوله : تلك عائلة قد توفر لها العيش الرغد والمال الوفير ولكنها لا تنام الليل حزينة لان الأم عقيم لا تلد . وتلك عائلة أخرى وهبها الله البنين وهى تتمنى أن يكون بين بنيها بنات . وتلك عائلة اخرى وهبها الله البنات فهى دائمة الشكوى كثيرة الدعاء طالبة من الله أن يهبها البنين كما وهبها البنات . ولكن تلك قدرته وهذه ارادته فسبحانه وتعالى القائل « لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير » .

والمعروف ان هناك شرطين اساسيين ليتم الحمل ويتكون الجنين أولاهما نطفة من الذكر قوية تحتوى على حيوانات منوية نشطة وبيضة صحيحة ناضجة يفرزها مبيض الأنثى . حتى اذا حصل اللقاء واتحد الحيوان المنوى بالبويضة ابتدا تكوين مخلوق جديد .

أما اذا تعذر اللقاء لسبب من الاسباب كأن يكون مبيض الانثى ضعيفا لا ينتج ، أو أن تكون قناتا فالوب مسدودتين وهما قناتان تصلان مابين المبيض والرحم . او أن تتجمع حول عنق الرحم افرازات حمضية تكون سببا فى الفتك بالحيوانات المنوية .

هذا او غير ذلك من العيوب عند المرأة ، أو ان تكون حيوانات الرجل المنوية ضعيفة أو ميتة او قليلة العدد اذ يبلغ عددها فى الدفعة الواحدة للرجل العادى ٦٠٠٠٠ تقريبا . ويقطع الحيوان المنوى فى سيره ملليمترا واحدا فى كل دقيقة لذلك يلزم له من اثنى عشر الى أربع عشرة ساعة حتى يصل الى البيضة . وليس هذا العدد الضخم كله لازما ، ولكن حيوانا واحدا هو الذى يلقح البيضة . وما ذلك العدد الا لتكون هناك فرصة أكثر للقاء . فاذا قل العدد كانت الفرصة أضعف واللقاء اصعب .

وسواء اكان العقم من الانثى ام من الذكر أو من كليهما معا فان التلقيح لا يتم ومن ثم لا يتكون كائن حى جديد .

ولا يقف الامر عند هذا الحد بل من الرجال من اكتمل بنيانه وصح جسمه ، وزوجته هى الاخرى سليمة قوية .. فلا الزوج عقيم فى نفسه ولا المراة عقيمة فى نفسها ، يجمع بينهما حب جميل ووفاء نادر . ولكن الحمل لا يتم ، فيحتار العلم والعلماء فيقولون ان هناك عدم تآلف بين حيوانات الرجل المنوية وبين بويضات الانثى ويقف عدم التآلف هذا كعقبة كؤود فى سبيل اللقاء، ومن ثم فى سبيل الحمل وتكوين الجنين .

والغريب فى ذلك انه اذا تبرم الرجل بزوجته وتزوج باخرى . وتزوجت هى الاخرى غيره أنجب وانجبت وتمتع كل منهما بلذة الخلفة ونعمة الولد . ولعل هذا دليل على انه لا عيب فيها ولا عيب فيه ولكنها ارادة الله فوق كل ارادة وقدرته فوق كل قدرة .

واذا كان قد تعذر الحمل والولادة بين زوجين يتمتعان بقوة الشباب وصحة الجسم ونعمة من العيش فان الله جلت قدرته قادر على ان يهب الخلفة لمن وهن عظمه واشتعل راسه شيبا وكانت امراته عاقرا .

واذا كان عدم الحمل فى الحالة الاولى بمعجز فان امكانه فى الحالة الثانية أكثر اعجازا وأظهر لقدرة الله عز وجل وعظمته ويحدثنا القرآن الكريم عن زكريا عليه السلام فيقول جلت قدرته :

« ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » .

حتى اذا استجاب الله من زكريا دعاءه وبشره بغلام اسمه يحيى استغرب الشيخ الامر وهالته البشرى وادهشته المفاجاة ويقول القرآن الكريم :

« قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » .

وهكذا تم المعجزة ويولد يحيى عليه السلام مصدقا

بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين •

ولا تقف قدرة الله عند هذا الحد بل معاذ الله ان يكون لقدرته حد كيف لا وهو القائل للشيء كن فيكون وان لنا في ولادة عيسى عليه السلام معجزة وأي معجزة ويحدثنا القرآن الكريم عن ذلك في سورة مريم فيقول جلت قدرته :

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا » •

حتى اذا تمت ارادة الله وحصل الحمل وولد عيسى عليه السلام استعظم الناس الامر ولم تصدقه اعينهم ولم تعيه افئدتهم ويقول علام الغيوب :

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون • ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » •

ويقول القرآن الكريم في سورة اخرى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » •

هذه ارادته وتلك قدرته يخلق ما يشاء ويجعل من يشاء عقيما لا راد لارادته ولا مانع يقف أمام رغبته •

أما تلك التى تلد ذكورا وتلك التى تلد اناثا وتلك التى تلد الذكور والاناث فقد أعطى العلم والعلماء لهذا الامر مايستحق من عناية واهتمام فعكفوا بالدرس على الحيوانات المنوية فدرسوا خواصها وتركيبها دراسة وافية شاملة فقالوا انها تتأثر بالبرودة فتفقد قوة الحركة • وتنشط بالدفء فتعود الى الحركة مرة أخرى • ووجدوا ان الاحماض تقتلها • والقلويات الخفيفة تنعشها • حتى اذا أتوا على تركيبها وجدوا فيها عددا من الصبغيات محدودا فالحيوانات المنوية في الانسان عدد الصبغيات « الكروموزومات » فيها اربع وعشرون لا تزيد عن ذلك ولا تقل وهكذا يتغير ذلك العدد تبعا لتغير نوع الحيوان •

وقد وجدوا ان الحيوانات المنوية تختلف فيما بينها فى اشكالها واحجامها فمنها الكبير الحجم شديد الحيوية ينتج عند اتحاده بالبويضات اناثا ونوع آخر اصغر حجما واقل نشاطا اذا اتحد مع البويضات اعطى ذكورا •

ومن قائل آخر أن هذه الحيوانات المنوية اذا عرضت للتيار الكهربائى ذهب نوع منها الى احد القطبين وذهب النوع الآخر الى القطب الثانى • اما احدهما اذا اتحد مع البويضة يعطى ذكورا وأما الآخر فيعطى اناثا •

ولقد ذهبوا الى ماهو أكثر من ذلك فقالوا ان احد مبيضى الانثى يفرز بويضات اذا لقحت أعطت ذكورا • اما بويضات المبيض الآخر فتعطى اناثا•

وهكذا يقولون ويقول جلت قدرته : « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا » •

اما النظرية الحديثة وهى نظرية الصبغيات فمن المعلوم أن كلا من الحيوان المنوى والبويضة يحتوى على عدد ثابت من الصبغيات وتحمل هذه الصبغيات كل الصفات الوراثية •

وهذه الصبغيات وان كان عددها أربعا وعشرين الا أن منها ثلاثا وعشرين وقد تشابهت أشكالها وواحدا آخر قد اختلف في شكله وحجمه ولذلك فمن الممكن ان نقول ان هناك نوعين من الحيوانات المنوية يحتوى احدهما على (٢٣ + س) من الصبغيات ويحتوى الآخر على (٢٣ + ى) اما البويضات فمنها نوع واحد وتحتوى كل منها على (٢٣ + س) من الصبغيات •

فاذا اتحد النوع الاول من الحيوانات المنوية بالبويضة أنتج جنينا انثيا يحتوى على (٤٦ + ٢ س) من الصبغيات • اما اذا كان نتيجة لاتحاد النوع الثانى من الحيوانات المنوية كان الجنين ذكرا يحتوى على (٤٦ + س + ى) وليس هذا هو كل ما يحدث فالمسألة معقدة والدقائق مختلفة وما يقال عن هذا الحيوان لا يقال عن ذاك •

ثم يقول اناس آخرون ان الجنين فى أطواره الاولى لا يمكن تمييز الذكر فيه عن الانثى ولكن تبعا لنظرية الصبغيات يتعين نوع الجنين وجنسه منذ اللحظة الاولى التى تم فيها التلقيح ولذلك فهم يقسمون النمو الجنسى الى قسمين الاول هو نمو أعضاء التناسل الداخلية ثم يتبعه القسم الثانى وهو نمو الصفات الخارجية كنمو اللحية والشارب وغيرها وهذه الصفات هى التى تتحكم فيها هرمونات الاعضاء التناسلية ويمكن أن نرى تأثيرها بوضوح اذا استأصلنا المبيض والخصيتين فى حيوانات التربية أو الطيور •

ولقد اشتغل « ليلى » Lily عام ١٩١٧ واثبت ان الهرمونات لها تأثير كبير حتى قبل الولادة ولا يقتصر تأثيرها على الصفات الخارجية فقط بل حتى على الاعضاء التناسلية نفسها • فمثلا من المعروف ان البقرة التى تحمل توأمين احدهما ذكر والآخر انثى فاذا تمت الولادة كانت الانثى عقيمة وكان الذكر عاديا تام النمو • ثم وجد « ليلى » أنه فى الاطوار الاولى للنمو تنحرف الاجهزة التناسلية فى الانثى انحرافا كبيرا عن الأنوثة وتنتج جنينا أعضاؤه الخارجية أنثية واعضاؤه الداخلية ذكرية • ولعل هذا تأثير هرمونات افرزتها خصية الذكر ••

ورب سائل يسأل لماذا تتأثر الانثى وحدها ؟•• والاجابة على ذلك انه فى حالة البقر كما هو الحال فى الانسان فان تشكل الخصية يبدأ مبكرا عن المبيض وعلى هذا فهو اسبق فى افراز الهرمونات • وقد وجد ايضا أنه عندما يكون هناك توأمان فى كوريون واحد تكون هناك اتصالات دموية بينهما تسهل انتقال الهرمون من واحد الى آخر ولعل هذا يثبت ان الهرمون ليس هو كل شىء بل هو جزء من كل وهو وسيلة لتتمة التكوين بعد تعيين الجنس منذ البداءة •

ومادمنا قد ذكرنا التوائم فلنذكر هنا كيف تتكون فى رحم الام فهناك احتمالان لذلك التكوين وهو اما من بيضة واحدة تلقح ثم تنقسم ويعطى كل قسم منها جنينا مستقلا بذاته وهذان الجنينان اما ان يكونا ذكران أو أنثيان ، تبعا لنظرية الصبغيات . أما اذا كان التوأمان نتيجة لتلقيح بيضتين مختلفتين فانهما قد يختلفان فى الجنس فيكون أحدهما ذكرا ويكون الآخر أنثى •

وقد تنقسم البيضة الملقحة الى اكثر من قسمين او قد يتم التلقيح لأكثر من بيضتين وهكذا يزيد عدد التوائم عن اثنين •

وسبحانه وتعالى القائل : « الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى » •

صدق الله العظيم ••

يحق أن يكون للصائمين عيد

فضيلة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني

من سنن الاسلام أن المسلمين فى كل قطر من أقطار العالم يتخذون أول شوال عيدا (يسمونه عيد الفطر) فيخرجون فوجا فوجا الى خارج المدينة (حيث الأرض الواسعة) أو يتجمعون فى جوامع متعددة ، وانما ذلك لاقامة ركعتى صلاة العيد خلف عالم من علماء الدين يؤمهم فى تلك الصلاة ، والاستماع الى خطبة العيد حيث يبلغهم ما فيه أحكام دينهم ولا سيما ما يتعلق بصيامهم وقيامهم ، وما يرتبط بعيدهم هذا .

نعم .. ان المسلمين فى يومهم وفى عيدهم هذا ، يصلون ركعتى العيد ويحمدون ربهم ويكبرون ويهللون ، وانما ذلك شكرا لله سبحانه على ما هداهم ووفقهم بصيام رمضان وقيامه ، فاستحقوا به ما وعدهم الله — بفضله وكرمه — من الأجر والثواب والمغفرة والرحمة .

فقد قال الله تعالى فى أواخر آيات الصيام: **« ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »** .

كما انهم يتبادلون بينهم التهانى ، فيهنىء بعضهم بعضا فى هذا اليوم وما بعده من يومين بناء على ما سبق ذكره من التوفيق والاستحقاق، مع ماكسبوه بصيامهم وقيامهم من الفوائد الروحية والخلقية والصحية .

واذا نظرنا الى الأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما جاء منها فى فضل صيام رمضان وقيامه (ولا سيما ليلة القدر) وما روى منها فى فضل الصائم ومقامه عند الله عز وجل وأجره وثوابه الموعود .

أريد أن أقول : اذا نظرنا الى ذلك — ولو بالاجمال — فاننا نقول بكل عقيدة : « يحق أن يكون للصائمين عيد فمن تلك الأحاديث الصحيحة :

١ — ما رواه الامام البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« اذا دخل رمضان ، فتحت أبواب السماء »**

وفى رواية أخرى : **« فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »**

شرح بعض ما فى هذا الحديث :

وفتح أبواب السماء كناية عن تواتر نزول الرحمة مع توالى طلوع الطاعة (ويؤيده رواية : فتحت أبواب الرحمة) . كما أن فتح أبواب الجنة كناية عن فعل ما يؤدى الى دخولها من الصيام والقيام والعطف على الفقراء والمساكين وغيره من الأعمال الصالحة التى تتوفر فى هذا الشهر المبارك .

وان غلق أبواب جهنم كناية عن امتناع ما يؤدى الى دخولها . فان الصائم يتنزه عن ارتكاب الكبائر ويغفر الله له الصغائر ببركة الصيام والقيام .

وقد ورد فى الحديث « الصيام جنة » أى وقاية من المعصية .

كما أن قيد الشياطين بالسلاسل كناية عن امتناع تسويل نفوس الصائمين واستعصائها عن قبول وساوس الشياطين ، اذ بالصوم تنكسر القوة الحيوانية التى هى منشأ الغضب والشهوات ، الداعيين الى أنواع السيئات ، كما تنبعث به القوة العقلية التى تقود صاحبها نحو الطاعات والأعمال الصالحة . وقد ثبت مما نشاهده بين المسلمين أن شهر رمضان أقل الشهور معصية ، وأكثرها عبادة والحمد لله على ذلك .

ومما يذكر هنا أن سياق الحديث انما هو المن على الصائمين واتمام النعمة عليهم (من فضل الله الكريم) فيما أمروا به وندبوا اليه فى هذا الشهر المبارك . والله هو الموفق.

٢ — ومنها ما رواه الامام البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« من صام رمضان ايمانا وحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »** .

شرح بعض ما فى هذا الحديث ، قوله عليه الصلاة والسلام « ايمانا » أى تصديقا بفرضية الصيام فى هذا الشهر .

وقوله « واحتسابا أى طلبا للثواب على صيامه من الله سبحانه .

وقوله « غفر له ما تقدم من ذنبه » من الصغائر كما يرجى له عفو الكبائر بدليل قوله تعالى : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »** .

وكذلك القول فى الفقرتين الأخيرتين من الحديث .

والمراد من قيام رمضان ما يقوم به الصائم فى ليالى رمضان كلها أو معظمها .

أو بعض كل ليلة ، من صلاة التراويح ، وغيرها من تلاوة القرآن وختمه ، والذكر والتسابيح ، وفى افراد ليلة القدر بذكرها . اهتمام بشأنها لعظمة ثوابها عند الله تعالى فقد جاء فيما رواه الامام أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **« أتاكم رمضان شهر مبارك (الى أن قال) وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم »**

وجاء فيما رواه الامام البيهقى **« وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير كله ، ولا يحرم خيرها الا كل محروم »**

ومما يجب التنبيه عليه — أن سياق الحديث فى جملة «ايمانا واحتسابا» يتضمن التهديد بالحرمان عن الغفران الموعود على من يصوم ويقوم للرياء والسمعة ، أو اتباعا للتقاليد ، فقد روى الدارمى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« كم من صائم ليس له من صيامه الا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر »** .

فعلى الصائم القائم أن يكون صيامه وقيامه عن ايمان واحتساب وعن حسن النية ، فانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى . وهو نص الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — ومنها ما رواه الامام البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى (**الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى**) للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم

الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، والصيام جنة .

شرح بعض ما فى هذا الحديث :

قوله عليه الصلاة والسلام : **« كل عمل ابن آدم .. الخ »**

المراد به العمل الصالح بدليل قوله تعالى : **« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون »** .

كما أن المراد من ابن آدم انما هو المؤمن بالله ورسوله .

وقوله **« قال الله الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى »** حديث قدسى الهامى رواه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه كجملة استثنائية بين جمل حديثه النبوى ، ومعنى قوله سبحانه « فانه لى » أن الصوم عبادة خالصة لى . وذلك لوجهين :

الأول : ان الصوم سر بين الصائم وبين ربه عز وجل ولا صورة له فى الوجود فلا يطلع عليه الناس ، بخلاف سائر العبادات . اذ كثيرا ما يوجد الامساك المجرد عن الصوم فلا مقوم له الا النية ، التى لا يطلع عليها الا الله علام الغيوب ، المطلع على ما فى الضمائر والقلوب ، حتى ولو أظهر بقوله أنا صائم ، فانه لا يدل على حقيقته وتصحيح نيته .

والوجه الثانى : أن الصوم كسر شهوة النفس وتعريض الجسم للنقصان مع ما فيه من الصبر على الجوع والعطش ، وأما سائر العبادات فانها راجعة الى انفاق المال لأمر الله واشتغال الجسم بما فيه رضاه ، فالفرق بين الصوم وسائر العبادات واضح كل الوضوح ، واليه يشير قوله تعالى « يدع شهوته وطعامه من أجلى » وقوله سبحانه « وأنا أجزى به أى وأنا العالم بأمره والى جزاؤه وأجره .

وهذا يدل على عظمة أجر الصائم عند الله تعالى ، والحمد لله على ذلك .

وقوله عليه الصلاة والسلام « فرحة عند فطره » أى عند افطاره بالخروج من عهدة الفرضية ، وبالأكل والشرب بعد الجوع والعطش ، وبالشعور للتوفيق لاتمام هذه العبادة ، وبما يرجوه من حصول الثواب والأجر عند الله عز وجل .

ثم قوله « وفرحة عند لقاء ربه » أى بنيل الجزاء وحصول الثناء والفوز بالمراد عند رب العباد عز وجل .

وقوله : **« ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »** أى ريح فمه المتغير .

وقوله **« والصيام جنة »** بضم الجيم أى وقاية ، بمعنى أن الصيام حجاب وحصن للصائم من المعاصى فى الدنيا ، ومن نار جهنم فى الآخرة ، وقد فصلنا المعنى فى السطور السابقة .

٤ – ومنها ما رواه الامام البيهقى فى شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : أى ربى، انى منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان » أى فتقبل شفاعتهما عند الله تعالى فى حق الصائم وقارىء القرآن فى صلاة التراويح والتهجد . قال الطيبى « القرآن هنا عبارة عن التهجد والقيام بالليل ، كما عبر به عن الصلاة فى قوله تعالى « وقرآن الفجر » واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « ويقول القرآن منعته النوم بالليل » انتهى .

٥ – ومنها ما رواه الامام البيهقى عن سلمان الفارسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته المباركة فى آخر شعبان وقد جاء فيها : « **يأيها الناس قد أظلكم شهر** عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا (الى أن قال) وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن (ثم قال) وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النيران » .

وفى هذا الحديث ما يدل على عظمة شأن رمضان وصيامه كما لا يخفى وفى قوله عليه الصلاة والسلام « وشهر المواساة » ندب الى الجود والاحسان على جميع الناس ولاسيما على الفقراء والمساكين . كما أن فى الحديث

ما يبشر الصائمين (ولا سيما المتوفين من المؤمنين) فى هذا الشهر بالرحمة والمغفرة والعتق من نيران جهنم . اللهم وفقنا آمين.

٦ - ومنها ما رواه الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يغفر لأمتى فى آخر ليلة فى رمضان ، قيل يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال لا ، ولكن العامل انما يوفى أجره اذا قضى عمله » .

قوله عليه الصلاة والسلام « يغفر لامتى .. الخ » يفيد أن المغفرة الكاملة الشاملة على كل الصائمين من أمته ، انما تحصل فى آخر ليلة من ليالى رمضان ، اللهم لا تحرمنا من مغفرتك .

٧ - ومنها ما رواه الامام البيهقى عن أنس رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« اذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون على كل قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل ، فاذا كان يوم عيدهم (يعنى يوم فطرهم) باهى بهم ملائكته فقال : يا ملائكتى ما جزاء أجير وفى عمله ؟ قالوا ربنا جزاؤه أن يوفى أجره، قال: ملائكتى ، عبيدى وامائى قضوا فريضتى عليهم ثم خرجوا يعجون الى الدعاء ، وعزتى وجلالى وكرمى وعلوى وارتفاع مكانى لأجيبنهم .. فيقول : ارجعوا قد غفرت لكم وبدلت سيئاتكم حسنات . قال : فيرجعون مغفورا لهم » .**

شرح بعض ما فى هذا الحديث :

قوله عليه الصلاة والسلام « فى كبكبة » بضم الكافين ، أى فى جماعة متضامة ، وفى قوله « من الملائكة » اشارة الى قوله تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها » كما ان لفظ (جبريل) ايماء الى تفسير الروح بجبريل ، مما لا يترك مجالا لتفسير آخر ، وقوله « يصلون » أى يسترحمون الله ويدعون .

وقوله « على كل قائم أو قاعد » تمثيل يعم حالات العبد ما دام فى ذكر الله عز وجل .

ثم قوله « باهى بهم ملائكته » اى تفاخر بهم ملائكته بسبب اختصاص الانسان بهذه العبادات وهى الصوم وقيام الليل واحياؤه بذكر الله عز وجل وغيره من التسبيح والتحميد والتكبير .

قال على القارى فى شرح الحديث « ثم الأظهر أن هذه المباهاة مع الملائكة الذين طعنوا فى بنى آدم ، فيكون بيانا لاظهار قدرته واحاطة علمه سبحانه » انتهى .

واقول : يشير على القارى الى قوله تعالى: « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفته ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » الى آخر الآية .

وقوله سبحانه « فريضتى عليهم » وهى صوم رمضان .

وقوله سبحانه « ثم خرجوا يعجون الى الدعاء » اى خرجوا من منازلهم ومساكنهم الى مصلى صلاة العيد فى خارج المدينة أو داخلها يعجون اى يرفعون أصواتهم بالذكر والثناء منتهين الى الدعاء بالمغفرة لذنوبهم ، وقوله سبحانه : وعزتى الخ .. أى عزتى ذاته وكرمى فعلا ، وعلوى فى الجميع ، وارتفاع مكانى اى مكانتى « لأجيبنهم » أى لأتقبلن دعوتهم .

ومما يجب التنبيه والشكر عليه هنا - أن بدء هذه الجملة بواو القسم مع كثرة المقسم به ، وختامها بلام التأكيد ونون التأكيد مما يبشر الصائمين بالفوز والنجاح ، والقبول والفلاح ، وقد صرح به سبحانه فى خاتمة قوله القدسى وهو يخاطب الصائمين ويقول « ارجعوا اى من مصلاكم الى مساكنكم « فقد غفرت لكم » التقصيرات « وبدلت سيئاتكم حسنات » .

هذه هى أحاديث صحيحة اكتفينا بروايتها فى هذا المقام، وقد أثبتنا (ومن الله التوفيق) أنه يحق أن يكون للصائمين عيد ، مع الاشارة الى سبب مشروعية هذا العيد وفلسفته ، والحمد لله على ذلك .

وانى أهنىء اخوتى المسلمين بمناسبة هذا العيد السعيد ، سائلا الله عز وجل أن يعيده عليهم وعلينا جميعا كل عام فى أحسن حال وأهدأ بال ، انه قريب مجيب .

هكذا... جُمع القرآن الكريم

الأستاذ محمد محمد الشرقاوي

« والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على .. مما أمرت به من جمع القرآن »

« زيد بن ثابت »

دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى رأسه فكرة تساوره، وفى صدره رغبة جياشة .. لتحول عظيم .. فى أمر جد خطير .

وعمر اذا استبدت به فكرة ، أو ألح عليه خاطر .. يتعلق بحاضر الشريعـة أو مستقبلها .. لم يستطع له كتمانا ، ولا عنـه انصرافا .. وقد وافق الوحى عمر فى مسائل عدة .. وكان له فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مواقف غيرت مجرى الدعوة ، وكشفت عن عمق نظرته ، وثاقب فكرته .. وتبلور الحقيقة فى أعماقه .. حتى قال فيه الرسول : « ان كان فى الأمة محدثون .. فعمر منهم » وحتى قال عبدالله بن مسعود : « لو سلك الناس واديا وسلك عمر واديا لسلكت وادى عمر وشعبه »

قال عمر لأبى بكر فى جد وصرامة : ان القتل قد استحر بقراء القرآن ، وانى أخشى أن يستحر القتل بالقـراء فى المواطن .. فيذهب كثير من القرآن ، وانى أرى أن تامر بجمع القرآن » .

لو أن الامور حينئذ .. أخذت أواخرها بالقياس الى اوائلها .. لما كان هناك مجال لمساءلة عمـر فى رأيه ، أو او مناقشته فى عرضه .. فقد كان له من مواضيه سابقات تفسح الطريق لكل رأى يرتئيه .. أو تخطيط يشير به ولكن أبا بكر رأى فى جسامة الرأى العمـرى ، وجراءة الفكرة الطارئة ما يستوجب المناقشة ، ويستدعى المساءلة .. فقال له : « كيف تفعل شيئا .. لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم » فرد عمر قائلا : « هذا والله خير » وتتابع الرد والأخذ بين الصاحبين ، وطال بينهما المـد والجذر بعض الوقت .. حتى شرح الله صـدر أبى بكر لما شرح له صدر عمر من قبـل .. فلان عصى الفكرة ، واسلس قياد الرأى ..

واستدعى أبو بكر زيد بن ثابت بحضور عمر ، وكاشفه بالرأى الجميع .. والفكرة المدروسة وقال له : « انك شاب عاقل .. لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم .. فتتبع القرآن .. واجمعه .. » ولكن الروح الذى تلجلج أول مرة .. حين فوجىء بهـذا الرأى .. والذى جعل أبا بكر يؤثر الريث والأناة ..حتى يقتنع .. أو يمتنع .. هو نفس الروح الذى تردد فى جنبات زيد بن ثابت .. حين ألقى اليه أبو بكر بالأمر الجديد .. حتى انه اعترض بنفس الاعتراض الذى أدلى به الخليفة الأول .. فى مقام المـداولة وقال للرجلين : « كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليـه وسلم » وقال له أبو بكر : « هذا والله خير » .. ودارت قداح الرأى بين الحضور .. حتى شرح الله صدر زيد لما انشرح له صدر صاحبيه .. ولم يبق الا أن توضـع الفكرة موضع التنفيذ .. وانصرف زيد من مجلسـه وهو يردد : « والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرت به من جمع القرآن »

كان ذلك فى أوائل السنة الثانية عشرة للهجرة .. بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيـق الأعلى بسنة .. وبعض سنة .. وقد خلف الرسول بعد وفاته فراغا هائلا .. كان لابد من ملئه بقرآن مكتوب .. حيث لا يغنى عن ذلك قرآن محفوظ .

وكان تتابع الحوادث والأحداث .. قد بدأ يملى على المسلمين أوضاعا جديدة لم يكن لهم بها من قبل عهد .. وكان المسلمون يتهيبون كل جديد فى مطلع هذا التطور الوليد .. خوفا على معالم الشريعة المحددة .. واشـفاقا على اطارها البكر .. أن تتجنى عليه روح التطور .. فى زحفها الثورى المفاجىء ..

.. وتفرغ زيد لمهمته الخطيرة ، بعد أن أحس بثقل المسئولية وجسامة التكليف .. وراح يتتبع القرآن الكريم حيثما هداه اليه بحثه ، وواتته طاقته .. تتبعه فيما تفرق من العسب « وهو جريد النخل » ، وما تناثر من اللخاف (الحجارة الرقيقة) ، وما تبعثر من الاكتاف (عظام البعير العريضة) وفتش عنه بين السعف والأضلاع ، وقطع الأديم والرقاع ، وأفواه الرجال .. وكان لزيد بن ثابت وهو يجمع القرآن الكريم – مبدأ لم يحد عنه قيد أنملة : وهو انه لايقبل قرآنا من احد كائنا من كان .. الا اذا شهد به شاهدان .

ومن هنا ندرك : لماذا لم يقبل زيد من عمر آية الرجم وهي : « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » .. السبب فى تمنع زيد ازاء رغبة عمر : هو أن عمر لم يكن معه شاهد بما يقول .. وكان الشخص الوحيد .. الذى استثناه زيد من هذا المبدأ العام .. هو خزيمة بن ثابت الانصارى ، فقد وجد عنده الآية الكريمة : « من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

فقد كتبها عنه زيد من دون شاهد معه .. لان الرسول صلى الله عليه وسلم .. قد أجاز شهادته بشهادة رجلين، ولذا كان خزيمة هذا .. يدعى : ذا الشهادتين – كما جاء فى كتاب المصاحف –

وفى طبقات ابن سعد : « أن الكتابة فى هذا الوقت لم تكن تتعدى الجلود وجريد النخل ، ولم يثبت من كل وجه أن الورق وغيره كان مستعملا فى الكتابة »

وجمع زيد ما جمع فى صحف لم تأخذ اسم المصحف.. لانها لم تستوعب كل القرآن .. وان استوعبت كل مابذله زيد من جهد

وبقيت هذه الصحف محفوظة عند أبى بكر طيلة خلافته ، فلما مات حفظها عمر مدة ولايتـه ، فلما قضى حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر فى بيتها ..

الى جانب هذا المجهود الضخم الذى باشره زيد بن ثابت فى جمع القرآن بأمر من أبى بكر واقتراح من عمر.. كان هناك نشاط مماثل .. على الصعيد الخاص بين كبار الصحابة .. الذين آنسوا من أنفسهم قدرة ، واستفاضت عزائمهم بالرغبة .. فظهر فى أفق الجمع القرآنى مصاحف مكتوبة بلغات مختلفة ، ومعان متفقة ، وتنسيق متنوع.. ومن أشهر هذه المصاحف مصحف أبى بن كعب وقد التف حوله أهل سورية ، ومصحف عبد الله بن مسعود ، وقد اعتمده أهل الكوفة ، ومصحف أبى موسى الأشعرى وقد استمسك به أهل البصرة ، ومصحف المقداد بن الأسود وقد اعتصم به أهل حمص .. كما كان هناك مصحف نسب الى الامام على كرم الله وجهه ، ومصاحف أخرى لم تبلغ ما بلغته سابقتها من شهرة

.. وقد كان هذا النشاط المبكر فى حياة المسلمين العلمية يبشر بخير ، لولا ما ظهر فى حروب أرمينية وأذربيجان التى خاضها المسلمون .. فقد تسامع الصحابة انباء ملأت صدورهم قلقا ، ونفوسهم توجسا.. اذ تعصب كل اقليم للغة التى كتب بها مصحفه ورآها خيرا من لغات الآخرين ، ورأى أهل الحصافة والنهى ان وراء هذا القطر فيئا منهمرا ، وأن معظم النار من مستصغر الشرر .. وكان اول من تنبه لهذا الخطر الداهم القائد حذيفة بن اليمان فقد قدر بفطنته أن هذا الظاهرة تطوى فى ثناياها فتنة لا تلبث أن تظل بشبحها الرهيب فى محيط الأمة فسارع الى الكوفة وأفضى بمخاوفه الى أميرها سعيد بن العاص ، ثم ارتحل الى المدينة وقرع ناقوس الخطر محذرا ومنذرا قائلا للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، كما جاء فى البخارى : « أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى » .

وصادفت هذه الدعوة مكانها اللائق بها فى وعى الخليفة الثالث ، وجمع من فوره أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعرض على بساط البحث فكرة « المصحف الموحد » أو « وحدة المصحف » التى تعنى فى المقام الأول اعدام كل المصاحف الأخرى حرقا .. بعد أن يتم توحيد المصحف فى لغة واحدة يكتب بها ، ويجمع الناس عليها.. ولما وجدت الفكرة قبولا من الحضور..وضعها فى الحال فى حيز التنفيذ ، ودعا زيد بن ثابت ليقوم بمهمة النسخ التى كان له بها سابق عهد أيام الخليفة الأول أبى بكر ، وشكلت جماعة تشبه الى حد كبير ما يسمى فى عرفنا باللجنة .. من زيد بن ثابت رئيسا وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام – أعضاء وكلهم من القرشيين ، ووضع لهم عثمان مبدأ يحتكمون اليه اذا اختلفوا ، فقال لهم : « اذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلغة قريش فانه انما نزل بلسانهم »

وبدأ زيد مهمته الجديدة .. من حيث انتهت مهمته القديمة وأخذ ينسخ مصحف عثمان الامام من صحف حفصة التى جمعهـا من قبـل .. وأضاف اليها ما صح ثبوته مما لم ينسخ ولو لم يرد بتلك الصحف – كما حققه العلامة ابن الجزرى فى كتاب النشر فى القراءات العشر .

وهكذا تم على يدى زيد عملان مجيدان فى سجل الخلود كاناولايزالان نقطة تحول هامةفى حياة الاسلام والمسلمين وهما جمع القرآن بأمر أبى بكر ، ونسخه بأمر عثمان .. قال الليث بن سعد : « ان زيد بن ثابت شـهـد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم التى تمت بين الرسول وبين جبريل عليهما السلام وبين فيها ما نسخ وما لم ينسـخ ، واستكتبه الرسول اياها ، وقرأها عليه ، وكان يقرىء الناس بها حتى مات ، ولذا اعتمد أبو بكر وعمر جمعه للقرآن ، وولاه عثمان كتب المصاحف »

وهكذا توحدت المصاحف كلها فى مصحف عثمان الامام واختفى من أفق الحياة الاسلامية قرن الفتنة الذى ذر بين المسلمين حينا من الدهر ، ونسخ منه عدة مصاحف ، وأرسل الى كل من الأمصار مصحف ، وجمع ما عدا ذلك من مصاحف وأحرق ، واقتصر على اللفظ المأذون فى كتابته فى مصحف عثمان ، وترك الباقى ، وصار هذا الاقتصار على لفظ مصحف عثمان .. كالاقتصار على عمل واحد من أعمال الواجب المخير .. اذ أن الأمر الصادر من الشرع بقراءة القرآن بالأحرف السبعة لم يأخذ صفة الايجاب بل كان متسما بطابع اليسر والتوسعة على الناس بدليل الحديث الذى ذكرت فيه الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن وقول الرسول صلى الله عليـه وسلم فيه : « فاقرأوا ما تيسر منه »

قال البغوى : « المصحف الذى استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر عثمان بنسخه فى المصاحف وجمع الناس عليه وأحرق ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف فصار ما يخالف رسم المصحف الامام .. فى حكم المنسوخ كسائر ما نسخ .. فليس لأحد أن يعدو اللفظ الى ما هو خارج عن الرسم »

ومن أمثلة ما خالف الرسم العثمانى وترك : « اذا جاء فتح الله والنصر » « أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » .

وقد اشتمل مصحف عثمان من الأحرف السبعة على ما يتفق مع رسم هذا الخط الذى كتب به المصحف الامام وما تحتمله صورته .

وهكذا توحد المصحف ، وقضى على جرثومة الخلاف فى مهدها وتحقق وعد الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

الدعوة والدعاة

الأستاذ جاد المولى سليمان

الدعوة فى لغة العرب نداء المطلوب لأمر مرغوب وفى لغة الشرائع السماوية الهداية الى الصراط المستقيم ، وهى مهمة الأنبياء والمرسلين وخلفائهم من الهداة المرشدين ٠

ومهمة الأنبياء والمرسلين مهمة اصطفاء واجتباء أصفاهم الله بها ، وأضفى عليهم من الصفات ما سلحهم به لينهضوا بواجباتهم نحو تبليغ رسالات ربهم « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس »

والمصطفون من الملائكة ليسوا رسلا لعامة البشر وان كان منهم جبريل رسول الوحى الى الانبياء والمرسلين ٠

ولقد تمنى المشركون فى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يكون الرسول ملكا فقال القرآن الكريم حكاية عنهم وردا عليهم « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون » وقال « وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ، قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » ٠

ولم يحفظ التاريخ ان الله أرسل قبل آدم للخليفة رسولا ، فآدم هو الانسان الأول وهو الرسول الأول ٠ وكانت رسالته عليه السلام محصورة فى زوجه وبنيه ، وكل ما فى الوجود يومئذ من البشر كانوا من بنيه وذراريه ٠ ونستطيع أن نتعرف على دعوة آدم عليه السلام من خلال ما قص علينا القرآن الكريم من انبائه ونبأ بنيه ٠

يقول الله تعالى فى سورة البقرة « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون ٠ وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال الم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه

انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار وهم فيها خالدون »

ونقف هنا عند قوله تعالى « وعلم آدم **الأسماء كلها » وقوله عز وجل « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » وقوله سبحانه « قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .**

فالنص الأول صريح فى أن الله علم آدم جميع الأسماء ، وما من شك فى أن من بين الأسماء الهدى والضلال والحلال والحرام ، والنعيم والعذاب وما يدخل فى الدائرة المرنة لهذه الألفاظ ، وليس أبلغ فى الدلالة على صحة ما ذهبنا اليه من قوله عز وجل فى نهاية هذه القصة « قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

فهذا القول الكريم فيه اغراء حثيث بالهدى حيث وعد المهتدين بأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون . وفيه تحذير عميق للكافرين المكذبين من العذاب الأليم . وهو أول لون من ألوان الدعوة البدائية وأقدم أسلوب من أساليبها الأخاذة الجذابة .

وغير خاف أن الدعوة تطورت أساليبها بتقدم البشرية لتفى باحتياجاتها فكانت العبادات المتعددة وأساليب الحث عليها ، والمعاملات المتنوعة وأساليب تنظيمها حتى اكتملت بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولأنها الشريعة الخاتمة كانت أساليب الدعوة اليها صالحة لكل زمان ومكان وكل طائفة وقبيل .

فآدم عليه السلام هو أول داع الى الله تعالى وجاء ذكر اصطفائه فى سورة آل عمران قال تعالى « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » . وينعكس نور من ضياء دعوته على ما دار بين ابنيه من حوار قصه علينا القرآن الكريم فى سورة المائدة قال تعالى « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين ، انى أريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .

فمن الذى علم ابن آدم الصالح الحقائق الآتية :

(أولا) ـ ان الله لا يتقبل الا من المتقين (ثانيا) انه لا يعمد الى قتله اذا عمد أخوه الآخر الى قتله لأنه يخاف الله رب العالمين والمنفى فى قوله « ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك » هو بسطها بنية القتل لا بنية الدفاع (ثالثا) انه يريد أن يبوء العاصى باثم عصيانه واثم عدوانه (رابعا) المعتدى سيكون من أصحاب النار بسبب ظلمه . فهذه الحقائق لا تعرفها البشرية البدائية الا عن طريق وحى منزل الى داع من الدعاة الهداة ، ولسنا فى حاجة الى الجدل فى تفريط المقتول بحق الدفاع عن النفس وهو واجب فى جميع الشرائع بل هو واجب فطرى يوحى به حب البقاء وقد أسلفنا القول فى هذا الموضوع ، وقول الله تعالى « فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله » يفيد أن القتل كان غدرا وخيانة ويذكر القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام فى سورة الأعراف على صورة فيها من التفصيلات ما لم يذكره فى سورة البقرة فيقول « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين . قال

اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين . ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنةوناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين . قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون »

وفى هذه الآيات الكريمة من التفصيل والايضاح ما ليس فى سورة البقرة . وفى قوله عز وجل « ألم أنهكما عن تلك الشجرة » بيان للحظر المنصوص عليه فى سورة البقرة « ولا تقربا هذه الشجرة » والنهى عبارة من مصطلحات الدعوة والدعاة . وهنا يبرز سؤال كثر الجدل حول جوابه ، وهو هل النهى للتحريم أو للكراهة أو ترك خلاف الأولى ؟ بالأول والثانى قال جماعة ممن يرون أن عصمة الأنبياء انما تكون بعد النبوة . وقالوا ان آدم اكل من الشجرة قبل النبوة . ولا تطمئن قلوبنا للسير مع قافلة هؤلاء لأن الداعى الى الله كلما أبعد عن المخالفات كانت دعوته أقرب الى القبول حتى قبل أن يتصدى للدعوة فكيف بالأنبياء . وعندى أن القائلين بأن النهى عن الأكل من الشجرة كان لترك خلاف الأولى أجدر بالتأييد لأن قولهم يتسق مع عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها .

ونحب أن نبين أن الله لا يحرم علينا ولا يكره لنا من الأعمال الا ما انطوى على مفسدة سواء اظهر لنا اثرها أم خفى علينا ؟ أما النهى عن خلاف الأولى فالحكمة فيه اختبار العزيمة امام مغريات المخالفة ــ وقد اختبر الله آدم بالنهى عن الأكل من الشجرة فلم يجد له عزما كما قال القرآن الكريم فى سورة طه . وليس فى اقتراف خلاف الأولى مفسدة ، ويتضح ذلك من مخالفة آدم عليه السلام فأكله من الشجرة لم تترتب عليه مفسدة تلحق الناهى أو المنهى عنه أو المنهى أو المجتمع ، اللهم ما كان من هبوط آدم عليه السلام ومعه زوجه الى الأرض وتناسلهما وعمارة الكون واختبار القوى البشرية واصطراعها لينال الانسان سعادة الدارين بجدارة أو شقاءهما باستحقاق ، فلا يكون النعيم منحة بدون عمل ، ولا العذاب نقمة بدون سبب « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة »

وجاء ذكر آدم عليه السلام فى سورة الحجر قال تعالى « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم . واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين . قال يا ابليس ما لك ألا تكون مع الساجدين . قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين . قال هذا صراط على مستقيم . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »

والمتأمل بعمق فى هذه القصة يجد سمعه ونظره وفكره مشدودة الى ما تضمنته من معلومات جديدة لم تتضمنها قصتا سورتى البقرة والأعراف ففيها (أولا) ان الانسان خلق من صلصال من حما مسنون . والصلصال الطين الذى يصنع منه الأطفال اللعب ويصنع منه الكبار قلال الشرب ونحوها والحمأ المسنون الطين الأسود المتغير الرائحة (ثانيا) ان الله سوى الصلصال ونفخ فيه من روحه فصار انسانا سويا . وهذان أمران يمكن ان يتسلح بهما الداعى لاقامة البرهان على قدرة

الله الباهرة (ثالثا) ان الجان خلق قبل الانسان. وهو أمر لم نستفده مما سبق .

وفى سورة الاسراء يقول الله عن آدم عليه السلام « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا . قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الاقليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .

وفى سورة الكهف يقول الله تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا »

والنص فى سورة الكهف يتضمن توجيها لمن يؤمن بوجود الله أن يحذر وساوس الشيطان فكيف يتخذ المؤمن من عدوه وليا من دون الله وفى هذا اثارة ضد الشيطان ليس بعدها اثارة

وفى سورة طه يقول الله عز وجل فى قصة آدم عليه السلام « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى ، فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه ففوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى »

وفى هذه القصة أمور على جانب كبير من الأهمية فى باب الدعوة وهى (أولا) ان الله عهد الى آدم الا يأكل من الشجرة المعهودة فنسى . وهذا كلام صريح فى أن المخالفة كانت نتيجة النسيان ولم تكن عمدا (ثانيا) ان آدم لم يكن له عزم على مواجهة اغراء الشيطان حين وسوس اليه أن يأكل من الشجرة المنهى عنها فزين له أمرين هما غاية ما يرغب فيه الانسان من الناحيتين الروحية والنفسية . الخلد فى الجنة وهى رغبة روحية . والملك الذى لا يبلى وهو رغبة نفسية ، واذا أضيف الى هذا الاغراء الحار أن الشيطان أقسم لهما أنه لهما من الناصحين كما فى سورة الاعراف كان من الطبيعى أن يكون لذلك فاعلية فى النفس البشرية ان تصدق فتنطوى ، أو تضعف فتنسى . أمام هذه المؤثرات الخارجية والداخلية النفسية . وفى الحديث أن آدم عليه السلام لم يدر بخلده - حين أقسم له الشيطان - أن أحدا يحلف بالله كذبا (ثالثا) ذكرت القصة أن آدم عصى ربه ففوى ثم اجتباه فتاب عليه وهدى . وعندى ان العصيان هنا معناه المخالفة . وفى لسان العرب أن العصيان مخالفة الأمر أو النهى عن عمد أو نسيان . وفى لسان الشرائع هو المخالفة عن عمد . وانما اخترنا للعصيان معناه اللغوى لتتسق الآيات حتى تلتقى آية « فنسى ولم نجد له عزما » بآية « وعصى آدم ربه ففوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (رابعا) وجه الله الى آدم من العظات ما يرغب فى الطاعة ويرهب من المخالفة . ذلك قوله تعالى « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »

وتحكى سورة (ص) قصة آدم عليه السلام فتقول «واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين. قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين . قال

انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين . قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم . قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين . قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين)) .

وفى هذه الآيات تلوح للمتامل مقارنة بين قول الله تعالى (الا ابليس استكبر وكان من الكافرين) وبين قوله تعالى (أستكبرت أم كنت من العالين) . وجواب ابليس يفيد أنه جمع بين الاستكبار والاستعلاء لأن الاستكبار أساسه الاستعلاء . فالثانى أو نفس والأول مظهره الخارجى وقد عرف الحديث الصحيح الكبر بانه بطر الحق وغمط الناس . وبطر الحق رفض الخضوع له ، وغمط الناس انتقاصهم لأنه يرى فى نفسه علوا وارتفاعا عن مستواهم . وابليس خالف الحق ورفض السجود لآدم لأنه يرى نفسه خيرا منه . وهنا يبرز سؤال وهو كيف كان ابليس مكبره من الكافرين ؟ والجواب ان كبره تضمن تكذيبا لله فى خبره وعصيانه له فى أمره ، ولبعض ضعاف العقول هواجس نفسية عن ضعف قدرة الانسان فى مستوى مسئولياته أمام وسوسة الشيطان الذى توعد ذرية آدم بالاغواء ووعيد الله له ولمن تبعه منهم بالعذاب الأليم . ويستطيع الداعى الى الله تعالى أن يطرد هذه الهواجس من نفوس الناس بأن الله جلت حكمته لم يترك الانسان فى الميدان وحده أمام وسوسة الناس فقد سلحه بالعقل وهدى الرسل والكتب السماوية وأصدقاء الخير والله كفيل بنصره اذا هو استعمل هذه الأسلحة فى محاربة الشيطان . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ماذا تعرف عن
شعب ماليزيا المسلم

الأستاذ مختار بن حاج أحمد

نبذة عن تاريخ ماليزيا :

لا شك أن القراء من مختلف الفئات قد سمعوا عن اسم ماليزيا يتردد عبر الأثير مرات كثيرة أو قرأوا عنها في الصحف والمجلات ..

ومع ذلك أحب أن أعطى نبذة وجيزة عن هذا البلد الاسلامى الكبير ..

تقع ماليزيا فى منطقة جنوب شرقى آسيا يحدها شمالا مملكة سيام (تايلاند) وبحر الصين الجنوبى وجمهورية الفلبين وجنوبا جمهورية اندونيسيا وشرقا بحر الصين وغربا جزيرة سومطرة الاندونيسية . وتقع ما بين خطى ٥° و ٧° من خطوط العرض وتمتد مابين خطى ١٠٠° و٥ر١١٩° من خطوط الطول فى المنطقة الاستوائية الحارة .

وتتكون ماليزيا من أربع عشرة ولاية ، تسعة منها عبارة عن سلطنات فى شبه جزيرة الملايو ومحافظتى ملاكا وفينانج فى نفس شبه الجزيرة ثم جزيرة سنغافورة ومحافظتى سراواك وصباح فى شمال جزيرة بورينو .

وقد أعلن استقلال ماليزيا فى ١٦ سبتمبر ١٩٦٣ وذلك بعد اجراء استفتاء شعبى شهد على صحته مندوبو الأمم المتحدة وتلا نتيجته المستر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة نفسها .

نشأت فكرة ماليزيا أول ما نشأت عندما شرح السيد تنكو (الأمير) عبد الرحمن فترا الحاج رئيس وزراء ماليزيا الآن فكرة ماليزيا فى مأدبة غذاء أقيمت تكريما له فى نادى المراسلين الأجانب فى أوائل عام ١٩٦١ بمدينة سنغافورة . وتلقفت الدوائر الشعبية هذه الفكرة باهتمام بالغ واتسع هذا الاهتمام بها بين زعماء المناطق التى تكونت منها ماليزيا الآن . وقد قتلت هذه الفكرة بحثا وتمحيصا فى المجالس الشعبية المحلية والمجالس التشريعية والصحف والمجلات والاذاعات والنوادى الثقافية والاجتماعات الرسمية وغير الرسمية .. الى أن شهدت الأمم المتحدة بواسطة سكرتيرها المستر يوثانت الذى قال فى تصريحه عن فكرة ماليزيا وانشائها : « ... وقد اقتنعت بأن غالبية شعوب صباح (بورنيو الشمالية) وسراواك قد بحثت أمر مستقبلها بعناية واهتمام جديين ، كما بحثت الآثار التى ستترتب على اشتراكها فى اتحاد ماليزيا . وانى أعتقد أن غالبية الشعبين قد انتهت الى أنها تريد أن تضع نهاية لاحتلال بلادها وأن تحقق استقلالها بالاشتراك القائم على الاختيار الحر مع الشعوب الأخرى فى المنطقة تلك الشعوب التى تحس أنها تربطها بها روابط اللغة والدين والثقافة والتقاليد والمصالح الاقتصادية والمثل العليا والأهداف » ..

هكذا اذن شهدت الأمم المتحدة وسكرتيرها المستر يوثانت على صحة قيام ماليزيا فكرة وانشاء وتنفيذا واقتنع بأن الروابط التى

جمعت بين مختلف شعوب ولايات ماليزيا أقوى من الاحتلال الأجنبى كما اقتنع أيضا بأن تلك الشعوب أرادت وضع نهاية للاحتلال الأجنبى حينما قبلت فكرة ماليزيا ونفذتها فعلا وحقيقة واتضح للعالم أجمع أن ماليزيا ما انشئت الا لوضع نهاية للاستعمار الأجنبى ورفع قيوده عن شعب ماليزيا المسلم باقتناع الأمم المتحدة وسكرتيرها وشهادتهما .

شعب ماليزيا المسلم :

يتكون شعب ماليزيا من عناصر كثيرة اهمها العنصر الملايو الذين هم السكان الأصليون لشبه جزيرة الملايو وسنغافورة ومناطق شمال بورينو . ثم العنصر الصينى وهم جماعة المهاجرين الصينيين الذين استوطنوا مناطق ولايات ماليزيا عشرات السنين واكتسبوا الحقوق السياسية فيها .. والعنصر الهندى الباكستانى السيلانى وهم جماعة المهاجرين الذين نزحوا الى مناطق ماليزيا من الهند والباكستان وسيلان . وعنصر دايك ودوسون وموروت وهم السكان الأصليون لولايتى سراداك وصباح – وقد جمعت بين هذه العناصر المختلفة وحدة اللغة والثقافة والدين والمصالح الاقتصادية والمثل العليا وأهداف الحياة المشتركة عشرات السنين والتى أدت اخيرا الى بلورة فكرة ماليزيا والعمل على تحقيقها .

والمسلمون هم غالبية سكان شبه جزيرة الملايو كما توجد نسبة لا بأس بها منهم فى سنغافورة وسراواك وصباح – على ان الدستور الماليزى قد نص على ان الاسلام هو الدين الرسمى لماليزيا مع عدم مساس وكفالة حقوق غير المسلمين من السكان وحريتهم فى العبادة والتدين . وتجرى التقاليد طبقا للتعليم الاسلامى ان تقام الصلاة سواء فى الجماعة أو غيرها طبقا للقواعد الدينية . والتعليم الدينى الاسلامى قد أصبح جزءا من المقرر للمدارس لكل التلاميذ المسلمين فى المدارس الحكومية منذ اعلان استقلال ماليزيا وقبلها اتحاد الملايو .. وتوجد هناك عدة مدارس دينية أهلية فى مختلف ولايات ماليزيا وهذه المدارس والمعاهد تتلقى معونات مالية من الحكومة المركزية او المحلية – وأكبر معهد دينى جامعى يوجد فى مديرية « كلانج » فى ولاية سلانجور وقد انشىء هذا المعهد الدينى قبل اعلان استقلال اتحاد الملايو سابقا على نفقة الأهالى المسلمين وتبرعاتهم وبعد الاستقلال إنفقت الحكومة عليه وعنيت بتطويره الى ان يصبح أحد أقسام الدراسة الاسلامية بجامعة الملايو بكوالالمفور – وقد أخرج هذا المعهد مدرسين للدين الاسلامى وموظفين رسميين لاعداد الطلبة للدراسات الاسلامية العالية فى القاهرة وغيرها . وقد تفضلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتزويد هذا المعهد الدينى بعدد من المحاضرين الاكفاء والذين ساعدوا على التغلب على مشكلة المدرسين والعثور عليهم وتعمل الحكومة المركزية والمحلية معا على نشر التعاليم الدينية والثقافة الاسلامية وتنفق مبالغ كبيرة معونة للمدارس الدينية وانشاء المساجد والجوامع الجديدة وصيانة المساجد الموجودة حاليا . وتنتهز الحكومة كل مناسبة دينية حيث تساعد ماليا واقتصاديا على اقامة المهرجانات والمسابقات بين المسلمين لتلاوة القرآن الكريم والاحتفال بليالى رمضان الى آخره

روابط وصلات شعب ماليزيا بالعرب :

لاشك ان هناك روابط وصلات قوية جمعت بين شعب ماليزيا والشعب العربى منذ القدم خاصة فى الجمهورية العربية المتحدة – وهناك مايقرب من ٣٠٠ طالب وطالبة من مختلف ولايات ماليزيا يدرسون الآن فى الأزهر الشريف وفى جامعات الجمورية العربية المتحدة حيث يتمتع عدد كبير منهم بمنح دراسية كريمة قدمتها حكومة القاهرة والأزهر الشريف وبعضهم يتمتع بمنح دراسية من حكومة ماليزيا المركزية والمحلية أيضا . وقد فتحت مصر أبوابها لأبناء ماليزيا منذ عشرات السنين حيث تخرج عدد كبير من الطلاب الماليزين الذين هم الآن قادة وطنيين فى الادارة والدين فى ماليزيا ومنهم من وصلوا الى منصب كبير وزراء الولاية وعميد المعاهد الدينية والقضاة والموظفين والوعاظ . ولايزال هناك عدد كبير من ابناء ماليزيا يدرسون

الآن فى الأزهر الشريف وجامعات الجمهورية العربيـة المتحـدة ، وكذلك فى المملـكة العربيـة السعودية وفى الجمهورية العراقية والمملكة الليبيـة ايضـا . والى جانب الروابط الثقافية والعلمية توجد أيضا روابط تجاريه مابين الدول العربية وما ليزيا حيث تتاجر المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة والكويت والبحرين والعراق مع ماليزيا وتتعامل معها تجاريا فى مختلف السلع والبضائع بين تصدير واستيراد ـ كما يسافر عدد لايقل عن ستة آلاف حاج الى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج كل عام ويزور بعضهم بعد الحج مدينة القدس ودمشق وبيروت والقاهرة ـ وقد انشأت الحكومة المركزية صندوق توفير للحج تسهيلا للمسلمين فى ماليزيا الذين يريدون أداء فريضة الحج وتعمل على اقراضهم مايكفى لذلك والملاحظ ان كبار رجال الحكومة ورجـال السياسة من المسلمين فى ماليزيا يتمسكون بأداء فريضة الحج واقامة شعائر الدين الاسلامى حيث أدى فريضة الحج كل الوزراء المسلمين فى الحكومة المركزية تقريبا الأمر الذى ساعد الى حد كبير على اقامة روابط الثقافة الاسلامية وتبـادل الآراء بين زعماء ماليزيا المسلمين وزعماء الشعب العربى بصفة عامة فى أمور المسلمين واعلاء كلمة الله ورفع شأن الاسلام والدعوة اليـه داخل البلاد وخارجها .

وتعمل حكومة ماليزيا المركزية جنبـا الى جنب مع حكومة القاهرة وغيرها من الحكومات العربية على مساعدة المسلمين فى مختلف بقاع العالم ـ وتستقبل ماليزيا عددا لا بأس به كل سنة من الطلبة من بلاد غير اسلامية كاليابان وكوريا والفلبين وتفتح أبـواب جامعاتهـا العصرية ومعاهدها الدينيـة حيث تغـدق الحكومة على هؤلاء الطلبة منحا مالية كريمة أثناء دراستهم بجامعات ماليزيا ومعاهدهـا الدينية كما تخصص الحكومة مبالغ كبـيرة لبناء المساجد فى الخارج فى مانيلا عاصمة الفليبين مثلا ومبالغ أخرى لصيانة جامعى لندن وواشنطن ومركزى الثقافة الاسلامية فيهما .

ولاحياء ليالى رمضان المبارك تعمل الحكومة المركزية كل جهدها فى اقامة مسابقة بين المقرئين والمقرئات ايضا لتلاوة القرآن الكريم واجادته فى مدينة كوالالمفور عاصمة ماليزيا يشترك فيهـا مقرئون من بلاد آسيوية مثـل تايلاند والهند وافغانستان وبورما وباكستان وبـلاد افريقية مثل تانزانيا (تنجانيقـا وزنجبـار) والصومال وغيرها .. يتنافسون فيها للحصول على الكأس الذى يهديه جلالة ملك ماليزيا يانج دى فرتوان أجونج ـ سيدفترا جمال الليل ـ وقد دأبت حكومة الجمهورية العربية المتحدة خلال ثلاث سنوات ماضيه على ارسـال بعض المشايخ لتلاوة القرآن الكريم والاشتراك فى التحكيم فى هذه المسابقة ـ وقد سافر الى ماليزيا أخيرا كـل من الشيـخ طه الفشنى والشيخ محمد لطفى عامر لاحياء ليالى رمضان فى ماليـزيا ولحضور المسـابقة كحكم بين المتسابقين من مقرئى قارتى آسيا وأفريقيا .

ونشكر وزارة الاوقاف العربية على مابذلت وتبذل من الجهود فى سبيل اعلاء شأن الدين الاسلامى فى مختلف بقاع العالم الاسلامى

خاتمة :

لاتزال هناك مجالات كبيرة للتعاون الثقافى والعلمى بين شعب ماليزيا والشعب العربى فى مختلف اقطاره ويرجى ان تبذل جهود أكبر فى سبيل توثيق عرى الصداقة بين هذه الشعوب المسلمة اعلاء لـكلمة الله ورفعا لشأن دينه والمؤمنين به .

والجهود تبذل لتحقيق ذلك الهدف الكبير والله ولى التوفيق .

مواقيت الصلاة

الأيام	شوال	فبراير	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
	١٣٨٤	١٩٦٥	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س
الأربعاء	١	٣	١٦	٥	٤٣	٦	٩	١٢	١٣	٣	٣٥	٥	٥٤	٦
الخميس	٢	٤	١٥		٤٣		٩		١٣	٣	٣٥		٥٤	
الجمعة	٣	٥	١٥		٤٣		٩		١٣	٣	٣٥		٥٤	
السبت	٤	٦	١٤		٤٣		٩		١٤		٣٦		٥٥	
الأحد	٥	٧	١٣		٤٢		٩		١٤		٣٧		٥٦	
الاثنين	٦	٨	١٣		٤١		٩		١٥		٣٨		٥٧	
الثلاثاء	٧	٩	١٢		٤٠		٩		١٦		٣٩		٥٨	
الأربعاء	٨	١٠	١٢		٣٩		٩		١٧		٣٩		٥٨	
الخميس	٩	١١	١٢		٣٨		٩		١٧		٤٠		٥٩	
الجمعة	١٠	١٢	١١		٣٨		٩		١٨		٤١		٠٠	٧
السبت	١١	١٣	١٠		٣٧		٩		١٨		٤٢		٠١	
الأحد	١٢	١٤	١٠		٣٦		٩		١٩		٤٣		٠٢	
الإثنين	١٣	١٥	٠٨		٣٥		٩		٢٠		٤٣		٠٢	
الثلاثاء	١٤	١٦	٠٧		٣٤		٩		٢٠		٤٤		٠٣	
الأربعاء	١٥	١٧	٠٦		٣٣		٩		٢٠		٤٥		٠٣	
الخميس	١٦	١٨	٠٥		٣٢		٩		٢١		٤٦		٠٤	
الجمعة	١٧	١٩	٠٥		٣١		٩		٢١		٤٦		٠٤	
السبت	١٨	٢٠	٠٤		٣٠		٩		٢١		٤٧		٠٥	
الأحد	١٩	٢١	٠٣		٢٩		٩		٢٢		٤٨		٠٦	
الإثنين	٢٠	٢٢	٠٢		٢٨		٩		٢٢		٤٩		٠٧	
الثلاثاء	٢١	٢٣	٠١		٢٧		٨		٢٣		٤٩		٠٧	
الأربعاء	٢٢	٢٤	٠٠		٢٦	٥	٨		٢٣		٥٠		٠٨	
الخميس	٢٣	٢٥	٥٩	٤	٢٥		٨		٢٤		٥١		٠٩	
الجمعة	٢٤	٢٦	٥٧		٢٣		٨		٢٥		٥٢		١٠	
السبت	٢٥	٢٧	٥٦		٢٢		٨		٢٥		٥٣		١١	
الأحد	٢٦	٢٨	٥٥		٢١		٧		٢٥		٥٤		١١	
الإثنين	٢٧	مارس ١	٥٥		٢١		٧		٢٥		٥٤		١١	
الثلاثاء	٢٨	٢	٥٤		٢٠		٧		٢٦		٥٥		١٢	
الأربعاء	٢٩	٣	٥٣		١٩		٧		٢٦		٥٥		١٢	

كشف علمي جديد حول الأديب

ابن المقفع

الدكتور جمال الدين الرمادي

يعتبر ابن المقفع من ائمة الادباء والمفكرين الذين عاشوا فى القرن الثانى الهجرى ، وعاصر العصر الاموى والعصر العباسى ، وقد دامت المرحلة الاموية نحوا من خمس وعشرين سنة قضاها فى التحصيل والتأمل والمراقبة كما استمرت المرحلة العباسية نحوا من عشر سنوات وكانت هى مرحلة الانتاج الفكرى ٠

وقد عرف بابن المقفع لان يد ابيه قد تقفعت اى تقبضت ، ومن ثم جاء لقبه ، وقد قام ابن المقفع بتأليف وترجمة عدة كتب مشهورة باللغة العربية ، منها كتاب رسالة الصحابة ، وتدور حول الجند والقضاء والخراج بنوع خاص ، وبسط فيها ابن المقفع آراء قيمة فى القضاء، ويبدو فى هذه الرسالة متشعب الآراء ، متعدد الافكار ، يعالج الامور بما اتصف به من حكمة ودراية وخبرة وروية دون تلكؤ او احجام ٠

ومنها كتاب الادب الكبير ويضم حكما كثيرة مستمدة من كثير من المصادر الفارسية واليونانية والاسلامية وغير ذلك ٠

ودرس ابن المقفع فى هذا الكتاب كذلك علاقة الافراد بعضهم ببعض وضرورة الصراحة وعدم انتحال آراء الغير وتجنب الهزل والسخرية ، ومعاملة الاعداء بالعدل والاصدقاء بالرضى وحق الاختيار ٠

ومنها كتاب الادب الصغير وهو عبارة عن جمل موجزة اشبه بالامثال ، وهى خطرات دونها ابن المقفع بعد خبرة طويلة بأمور الحياة ، وتفهم للحقائق الخفية من الدنيا ، ورغم ما نجد فى هذا الكتاب من منهج مرتجل واضطراب وعدم نظام ، فالكتاب رغم هذا كله يضم حكما غالية فى عبارة رشيقة رقيقة واسلوب رشيد سديد ٠

ومنها كتاب كليلة ودمنة وهو كتاب ابن المقفع المشهور الذى ترجمه عن الفارسية عن أصل هندى وتجرى فيه الحكم والمواعظ على السنة الحيوان والطير ٠ وقد اضفى عليه ابن المقفع ما اتسم به أسلوبه ، من فنية واضحة تجلت فى اختيار الالفاظ وانتقاء العبارات ٠

وكل هذه الكتب التى الفها ابن المقفع وترجمها مالوفة ومعروفة معرفة يقينية لدى الباحثين والمؤلفين ٠

ولكن احد الكتاب المحدثين خرج علينا بفتح علمى جديد لم يسبق اليه وهو ان ابن المقفع الف كتابا طريفا بعنوان « الادب الوجيز للولد الصغير » وهو مجموعة من النصائح والحكم التى يتزود بها الفتى لتكون دستورا له فى حياته يعصمه من الزلل ويحميه من الخطل ويصرفه عن سفاسف الامور ٠

هذا الاديب هو الاستاذ محمد غفرانى الاديب الايرانى ومدرس اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ٠

« ورسالة الادب الوجيز للولد الصغير » كما حددها الأديب محمد غفرانى رسالة نفيسة ممتعة كانت مجهولة من بين تراث ابن المقفع الذى بقى لنا بأسلوبه العربى الرصين ، وشاءت الصدفة أن يفقد الأصل العربى لهذه الرسالة ولم يبق منه الا ترجمة فارسية قام بها أحد أعلام الاسلام وهو الفيلسوف الايرانى نصر الدين الطوسى

وقد قام الاستاذ غفرانى بترجمة الرسالة مع المحافظة على الاصل الفارسى بقدر الامكان والابقاء على الالفاظ العربية المستعملة فى النص الفارسى ، وذلك للاقتراب بالترجمة العربية من صورتها الاصلية الاولى .

ومن أجل ذلك استعان الأستاذ غفرانى بالكتب الأدبية الاخرى المعروفة لابن المقفع وتضم هذه الرسالة اشتاتا متنوعة من الادب الرفيع والنصح الغالى كقول ابن المقفع

« اى بنى ، ان اول شىء من آدابى وقبول قولى ، وحفظ وصيتى ، ينبغى ان يكون لك فى اكتسابه وادخاره عناية بغير ريبة ، ورغبة صادقة ، وتبليغ غاية الوسع والمقدرة فى تتبعه وطلبه ، وهو ان تجتهد فى أمر الله تعالى ، وترى لزوم مراقبة جانب الحق وايثارة ، وترجيح رضائه على كل شىء كما قيل : ليكن الله اول كل شىء وآخره ، وباطن كل شىء وظاهره .

ومن اطرف الحكم التى ذكرها ابن المقفع عن الصبر الذى حض عليه سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فقال تعالى جل ثناؤه « فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » كما قال فى سورة الشورى « ولمن صبر وغفر . ان ذلك لمن عزم الامور » وقال « الا الذين صبروا وعملوا الصالحات »

وقال « اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا » وقال « وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا » ، فقال ابن المقفع فى الادب الوجيز للولد الصغير :

« اى بنى ، لا تغتم لكل بلية وكل رزية تصيبك هى الدنيا الفانية ، واعلم بان كل ما فى يدك عارية ، والعارية مستردة ، وان الله تعالى قد يسترد منك هبة يكون قد اعطاكها ليجرب بذلك صبرك ، والله عز وجل يضع عملك فى ذلك المكروه على محك الامتحان والاعتبار ، فاعتصم بالصبر والثبات وتشبث باذيال التجلد والاحتمال ، ولاتحد عن منهج الشكر القويم ، والطريق المستقيم الى طريق الكفران واذكر قوله تعالى « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب »

وعاقبة الصبر الجميل جميلة
وافضل اخلاق الرجال التجمل

كما نصح ابن المقفع بالصمت عملا بالنصيحة المعروفة « السكوت من ذهب » وحذر من الهذر فى القول والهراء فى الحديث فقال :

« اى بنى تعود على الصمت واحذر من اللغو ، ولا تشرع فى الكلام بغير فهم ، فان عدم الكلام خير من الثرثرة فى امر يتم بدونها ، ولا يكون لك فى ذلك مصلحة ، وتيقن ان قلة الكلام والصمت اليق بحالك - وموجب لمزيد كمالك ، ووقعك عند اترابك واكفائك ، وافيد لبقاء دينك ونقاء عرضك وفي المثل : السعى خير لك من الهذر فى غير ما يغنيك .

والغريب ان ابن المقفع فى كتاب الادب الوجيز للولد الصغير ، يحرص على ان يلقن الناشئة آداب المائدة وتقاليد الطعام مما يطلق عليه اليوم فى العصر الحديث « اتيكيت المائدة » فهو يقول :

اى بنى اذا حضرت مائدة فلا تلق بنظرك على الموضع الذى يأتون منه بالطعام ، ولا تلتفت الى تلك الناحية وامسك بنيان التماسك فى ذلك المقام ، وتمالك نفسك ، ولا تكن اول من يمد يده الى الطعام والخوان ، فيحكم كل الناس بشره نفسك ، وغاية حرصك ، وتعرف وتوصف بصورة الشهوة فاجتنب فى مثل هذه المواطن والمواضع امثال تلك العادات والوصمات التى ذكرتها واعتصم بالصبر والتثبت ، فان كل من لا يقنع بالقليل لا ينتفع بالكثير .

وينصح ابن المقفع بالتواضع والتحلى بمكارم الاخلاق فيقول « اى بنى اذا كان لك فضل منزلة وعلو درجة ، فلا تتكبر بهما على الناس ، ولا تتطاول فتصير حقيرا ، ولا قدر لك فى أعينهم وتصبح مستحقا للملامة ، ومستوجبا المذمة ، ويكون مثلك كمثل من يغرى الناس به . ويعينهم على نشر معايبه .

وينصح ابن المقفع بالتزام ثلاث عادات فى معاشرة الخلق :

١ - صداقة الخيار والعلماء وموافقتهم

٢ - الوقار والاصطبار على افعال الاشباه والاكفاء واقوالهم .

٣ - تجنب مجالسة الاشرار والسفهاء ومخالطتهم لتزدان وتتحلى بصداقة العلماء والاتفاق معهم وحينما تعاشر الاتراب والاكفاء بالمصابرة وتسلك معهم طريق التحمل والتفضل يميلون اليك ، ولا ينفرون منك ويحبب لك الاخوان والاعوان .

هذا قليل من كثير مما تضمنته رسالة « الادب الوجيز للولد الصغير » فى النص الذى نشره لاول مرة فى العالم العربى الاديب الايرانى محمد غفرانى ، وقد نقله الى العربية فى اسلوب عذب رصين وعبارة منتقاة ، حتى لسنا بين السطور أسلوب ابن المقفع فى تخير لفظه واصابة معناه ، وجودة مطالعه ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه ، وتشبه اعجازه بهواديه ، وموافقة مآخره لمباديه ، ولعل ذلك يرجع الى عكوف الاديب على ادب ابن المقفع وكتبه فترة طويلة من الزمن .

وقد كنا نتمنى ان نعثر على اصل هذه الرسالة باللغة العربية ، كما عثرنا على بقية مؤلفات ومترجمات ابن المقفع غير أن الاديب الايرانى يرد على هذا التساؤل قائلا : لقد قمت بالبحث عن النص العربى لهذه الرسالة فى دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية وغيرهما من المكتبات العربية والاجنبية ولكن سعيى باء بالفشل اذ لم أعثر على أثر لهذا النص المفقود » .

وغنى عن البيان ان العثور على النص العربى لهذه الرسالة كما دونها ابن المقفع نصر علمى مافى هذا شك وقد حاول الاستاذ غفرانى جهد طاقته ان يعثر عليه فى النطاق المحلى بيد أن هذا لا يكفى اذ لابد من البحث عن اصول هذا المخطوط فى جميع المكتبات العربية فى العالم العربى .

ففى بغداد مجموعة كبيرة من المخطوطات لم تصور بعد وكذلك توجد فى تونس والدار البيضاء ، ودمشق وحلب وغيرهما مجموعات اخرى بل توجد فى لندن وبرلين وفيينا وروما مكتبة الكونجروس مجموعات اخرى .

ولابد من البحث والتنقيب حتى يستكمل العلم صورته المتكاملة ، ويبدو فى اطاره السليم وابعاده الشاملة .

الإسلام بين العقل والنقل

الأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعـروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ان قوام هذا الدين ـ دين الاسلام والتوحيد وهو الحق الصراح الخالص من شوب الانحراف فى المعتقد والعمل ، هو الملة المثلى التى تامر بالقسط والتوسط فى أعمال الدنيا والآخرة معا .

وهو دين قواعده الأولى واصله الأصيل ، ومحوره الذى يدور حوله هو كتاب الله القرآن ، ثم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية ، والعملية ، ومن آى الكتاب العزيز قول الله عز وجل مخاطبا تلك الأمة الاسلامية ، التى ذكر أنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف من الفضائل والمكارم ، وتنهى عن المنكر بأنواعه لأنها تؤمن بالله الذى لا اله غيره ولا معبود سواه . ثم خاطبها بقـوله سبحانه وتعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

أطيعوا الله فى أوامره ، وأطيعوا الرسول فى سـنته المفسرة لكتاب الله والموضحة لأحكامه . ثم أطيعوا أولى الأمر بعد ذلك وهم أهل العلم من الصحابة والتابعين ، الذين اجتهدوا فى توضيح دين الله ابتغاء وجهه .

وبعبارة أخرى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، أطيعوا الله فيما جاء من كتابه الذى أوحى به الى رسوله صلى الله عليه وسلم وأطيعوا الرسول فى سـنته القولية والعملية، وهى تارة تكون مفسرة للقرآن أو مفصلة فيه أو مخصصة لاجماله ، وأولى الأمر منكم أى أولى العلم العاملين بالكتاب والسنة من جماعة المسلمين .

وعلى هذا وذاك تكون أصول هذا الدين : الكتاب ، ثم السنة ، ثم الاجماع . والاجماع ما أجمع عليه أولئـك العلماء منَ الصحابة والتابعين وهو طريق من طرق الأحكام الشرعية ، وان كان يجىء بعد الكتاب والسنة وذلك ماكان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونزل القرآن مخاطبا سائر أهل العالم ، وان كان قد أنزله الله فى العرب وبلغة العرب ، مخاطبا للعقل العـام باعتباره الكائن الذى يفقه عن الله ما يريد اقراره بالوحى من عقائد وأحكام ، ثم عبادات ومعاملات .

وقدمنا أن للعقل بالنسبة للوحى حدودا لا يعدوها ، لانه كائن مخلوق كباقى مخلوقات الله وان كان أعـلاها وأنضجها فى ما عدا ما يختص بالالهام والوحى فان ذلك موطنه ايمان القلب بالغيب « الذين يؤمنون بالغيب » ثم استعمال العقل فى الفقه عن الله ، وذلك هو القـاعدة الاسلامية العامة .

وكان العرب الذين أنزل فيهم وبلغتهم القرآن الكريم قبل الاسلام أمة جاهلية أمية لا يقرأون ولا يكتبون اذا استثنينا أفرادا يعدون على الأصـابع وكانوا متنقلين يتلمسون مساقط الغيث ومنابت الكلأ ويرعون ماشيتهم ويغير بعضهم على بعض وتقوم بينهم الحرب لأسـباب واهية وكانوا يعتمدون على أنفسهم فى حراسة منـازلهم ويتفاخرون باحسابهم وانسابهم ، يجلون الشـجعان ويمتدحون بسير الأبطال من قبائلهم ، ويهتدون بمواقـع النجوم فى ترحالهم ويتعرفون مهاب الرياح ، حتى يضربوا فى البادية خيامهم .

نشأ العرب فى تلك الجزيرة الجرداء الواسعة الأرجاء وشغلوا بتحصيل مطالب الحياة والمنافسة فى سـبيل الرزق . فلم يتسع وقتهم لدراسة علم ولا لاقامة دعـائم حضارة أو تشييد الابنية العظيمة ، على أنهم كانوامتنافرين متدابرين مختلفين فى شتى العقائد وضروب العبادات مابين وثنيين وصابئة ، وقليل من اليهود والمسيحيين . ولم ينبغوا فى شىء سوى الخطابة وقرض الشـعر ، وكانت الخطابة وسيلتهم الوحيدة فى اقامة الحجة على الخصوم واستنهاض الهمم واثارة النفوس لحماية الأعراض والذود عن الحياض .

أما الشعر فقد كان سجل أيامهم وسلاحهم الذى لايقل فى تفاخرهم وقد بلغ من عنايتهم به ان كانت لهم مواسم وأسواق يجتمعون فيها ليحتكم شعراء القبائل الى رجال من ذوى الفضل والمكانة فيهم .

جاء الاسلام والعرب على ما وصفنا فألف بين قلوبهم، وجمع كلمتهم ، ودعاهم الى توحيد الله لا اله غيره ولا رب سواه ، وحثهم على النظر والتفكر فى خلق السـموات والأرض . وترك التقليد للاباء والأجداد تقليدا أعمى دون فكر أو نظر .

فاستجابوا لكتاب الله الذى أنزل على رسـوله محمد صلى الله عليه وسلم واعتنقوا الاسلام طائعين وارتضوه دينا لهم ، فهذب الاسلام نفوسهم وصحح عقائدهم واتسعت مداركهم حتى قويت شوكتهم وانتشر ذكرهم فمنوا بالفتح ونشر الدين وقامت لهم دولة اسلامية عظيمـة السلطان

واسعة الرقعة فسارت جيوشهم شرقا وغربا وكتب لهم النصر فى كل مكان فامتد ملكهم من المحيط الأطلسى الى حدود آسيا القاصية .

وهكذا استقر لهم الملك ودونت الدواوين ومصرت الأمصار ، ثم توجهوا الى مدارسة القرآن وتفهم آياته واستنباط الأحكام من أصوله . وكذلك قواعد اللغة العربية . ولما كان القرآن فضلا عن الآيات البينات يحوى بعض الآيات المتشابهات اختلفوا بعض الاختلاف فى تفسير ما تشابه منه ، فمنهم من أخذ بظاهر التنزيل ومنهم من أجاز التاويل ، وكانت لهم بجانب ذلك بحوث دينية أخرى مستطرفة تناولت خلق القرآن أو قدمه ، وحرية الارادة والاختيار والجبر ، وهكذا .. على أن شيئا من ذلك لم يدون أول الأمر بطريقة علمية .

ولما قامت الدولة العباسية وعظمت الحضارة الاسلامية. واشتد اختلاط العرب بالأعاجم جد المفكرون منهم فى دراسة الثقافة الفارسية والاغريقية وعنوا بنقل ذلك الى لغتهم العربية ، فترجموا كتب أفلاطون وأرسطو وأقليدس وجالينوس وسواهم . ثم تناولوها بالشرح والتفسير والاختصار وكان مما شجع هذه الحركة اجمالا اشتغال خلفاء بنى العباس بالعلم وتقريبهم للعلماء واستخدموا فى ذلك قوما من السريان والعبرانيين والفرس والهنود وغيرهم .

وكان المشتغلون بالفلسفة فى أول الأمر من رجال الدين، ادعوا أنهم أرادوا التوفيق بين عقائدهم والمعقولات الفلسفية التى أدخلها غيرهم فى أديانهم ولكنهم اختلفوا فيما بينهم وتفرقوا فى دينهم شيعا . فكان منهم الشيعة والخوارج والمعتزلة وغير ذلك كالاسماعيلية الشيعية التى لعبت دورا عظيما فى التاريخ الاسلامى بحركاتها الهدامة لأصول المعتقد وغيرها من الفرق المعروفة فى تاريخ الحياة الفكرية الاسلامية .

وكان من جراء هذا الاختلاف أن خاف جمهرة المسلمين على دينهم وقد ظهر بين المشتغلين بتلك الأفكار الغريبة عن الاسلام من اتصفوا بالالحاد والكفر، ومما زاد الطين بلة أن قوما من المستهترين حشروا أنفسهم فى عداد الفلاسفة والمتكلمين واتخذوا من حرية الفكر ذريعة لكثير من المنكرات التى ارتكبوها ، فأساءوا الى الدين والى الفلسفة فى وقت واحد .

وكان طبيعيا ازاء ذلك أن تقوم حركة فكرية مناقضة يراد منها الدفاع عن الدين ودحض اراء المتطرفين والغلاة الذين استظلوا بظل العقل وادعاء المعقولات ليبرروا هذا التطرف والانحراف .

وكان من الضرورى أن يدرس القائمون بتلك الحركة أصول المنطق ونظريات الفلسفة وعلوم الكلام حتى يقرعوا الحجة بحجة مثلها والدليل بدليل من نوعه ومن أشهر هؤلاء حجة الاسلام الامام الغزالى وابن تيمية والأشعرى وغيرهم .

وكان التنافس شديدا بين خلفاء بغدادوخلفاء الأندلس، فانتقلت علوم العقل وعلوم النقل الى بلاد المغرب على أيدى العلماء الذين كانوا يرحلون الى بلاد المشرق فى طلب العلم كأبى الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرمانى القرطبى وقد عاد الى بلاده ومعه نسخة من « رسائل اخوان الصفا » وهى مجموعة شيعية باطنية خلط فيها الايمان بالكفر والزندقة بالفلسفة .

وبما أن جماعة اخوان الصفا كانت تستظل بظل الفلسفة لتنشر أغراضها الشيعية الباطنية ، درس بعض الأندلسيين الفلسفة ونبغ منهم فيها عدد عظيم من بينهم ابو محمد على بن حزم الأندلسى . وله كتاب الفصل بين أهل الملل والاهواء والنحل ، وكتاب مراتب العلوم وغير ذلك ، وايضا ابن باجه السرقسطى المعروف بابن الصائغ وابن الطفيل صاحب رسالة حى ابن يقظان المشهورة ونبغ أيضا ابو الوليد بن رشد الفقيهوالفيلسوف الأندلسى وكان صديقا وتلميذا لابن الطفيل .

هذا ومعلوم أن أساس كل دين عقيدته وما فيه من أصول وأحكام والاسلام قد جاء بعقيدته وأصوله وأحكامه معارضا لعبادة الاوثان والأصنام ومصححا للانحرافات وأساطير أهل الأديان السابقة عليه، تلك الأساطير والرموز التى أضافها كهنة الديانات قبله ، وكان من واجب العلماء المسلمين ، أن يبينوا للناس الأصول التى قام الاسلام عليها وأوجه الدعوة التى حمل الاسلام رايتها حتى نجد أن الكتاب والسنة مليئين بالآيات والأحاديث الدالة على وجود الله وعظمته وتفرده وتوحده بالخلق والابداع . وضع أولئك العلماء علم الأصول .

والقرآن يغدق على البارى عز وجل صفات كثيرة يتصل بعضها بذاته ويحدد البعض الآخر علاقته بمخلوقاته ، ويصفه بانه الحى القيوم السميع البصير المنزه عن الشبيه والنظير . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يفارق الأرض ويذهب الى الرفيق الأعلى قد بين سائر شئون الدنيا والآخرة من عقائد وعبادات ومعاملات .

ثم لم يكد يمضى على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة حتى انقسم المسلمون الى طوائف باعدت السياسة بينها ــ وفرقت أهواء الدساسين من اليهود والفرس وغيرهم من المنافقين كلمتها ، فرأينا الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة والاشاعرة وغير ذلك .

وتلك المذاهب كلها كانت وليدة للخلاف الذى شجر بين على كرم الله وجهه ومعاوية وكل هذه الفرق وان كانت أصلا سياسية فى نشأتها ، غير أنها لم تلبث أن تعرضت للمسائل الدينية ولعل أول ما أثير فى ذلك ، البحث فى مسالة التفريق بين المؤمن والكافر والطائع والعاصى والعلاقة بين الايمان والعمل وقد لبس المتمسلمون من اليهود والفرس وغيرهم لباس الاسلام تظاهرا ثم تشيع بعضهم كيدا للاسلام لعلى وأهل بيته وهم براء من ذلك حيث أنهم من أهل الكتاب والسنة العاملين بهما . فكفرت طائفة قتلة عثمان وكفرت أخرى الخوارج على الامام على ، وقالت أخرى بايمانهم ، ورات ثالثة التوقف عن الحكم عليهم بحجة أنهم قد يكونون متأولين ، والمتأول مجتهد ان اخطأ فأمره موكول الى ربه وكان كل ذلك دون شك نتيجة مؤثرات خارجية غريبة عن الاسلام ، كالنزاع القديم الخاص بالجبر والاختيار والخير والشر الذى عرفه اليهود والنصارى والفرس قبل أن يعرفه المسلمون وقدنجم عن ذلك قيام طائفتين متميزتين فى محيط الاسلامية احداهما طائفة الجبرية والاخرى طائفة القدرية ، وقد نجم عن هاتين الطائفتين أول ما نجم قوم مهدوا للاعتزال وكانوا مقدمة للمعتزلة كما أن الشيعة الذين تشيعوا لعلى كرد فعل لخروج الخوارج ، كانوا مقدمة للطائفة الاسماعيلية التى بنيت على الختل والخداع والاغتيال .

وكذلك لك أن تقول ان النزاع بين الشيعة والخوارج من جهة وبين على ومعاوية من جهة أخرى ، وبحث الخوارج والشيعة فى أصول الايمان والكفر ، وحدود الطاعة والمعصية .

كان ذلك كله هو البذرة الخفية لنشوء تلك الفرق من خوارج وشيعة ومعتزلة تلك الفرق التى تربوا على السبعين فرقة والتى نجم أكثرها عن الشيعة كالاسماعيلية والقرامطة والباطنية ثم الدروز كفروع للاسماعيلية التى نراها فى عصرنا منقسمة بين بهائية وقديانية ، حتى جعلت فلول الاسماعيلية لنفسها دينا خاصا على أنقاض الشيع الباطنية سموه الدين البهائى واعتبروه دينا برأسه وليس فرعا من فروع التشيع الاسماعيلى .

عبد الناصر صانع السلام

مؤتمر القمة العربي الأول

١٣ يناير ١٩٦٤ - ١٧ يناير ١٩٦٤

الأستاذ كامل عبد المجيد

« ان اسرائيل تمثل خطرا حقيقيا للتوسع والتهديد الاستعمارى والمطامع الصهيونية التى تهدف الى تحويل المناطق الواقعة بين النيل والفرات الى أرض يهودية »

(من حديث الرئيس عبد الناصر مع المستر كرانجيا صاحب مجلة بليتز الهندية فى ١٠-٣-١٩٥٧)

لقد كانت وحدة الهدف التى وضعها رسول السلام فى مخططه للحفاظ على وحدة الصف العربى هى الدافع الجذرى الأول وراء دعوته

للملوك والرؤساء العرب للاجتماع فى القاهرة لمواجهة التهديدات الصهيونية للكيان العربى عامة والكيان الفلسطينى على وجه الخصوص .

ففى مساء ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٣ ، وفى غمرة احتفالنا بالذكرى السابعة لعيد النصر بمدينة بورسعيد ، مدينة البطولة والفداء ، ألقى الرئيس جمال عبد الناصر ، بقنبلته التاريخية ضمن خطابه الذى ألقاه فى ذلك اليوم الخالد ، وذلك بدعوته رؤساء وملوك الدول العربية جميعا للالتقاء فى القاهرة فى رحاب العربية جميعا للالتقاء فى القاهرة فى موضوع محاولات اسرائيل تحويل مياه نهر الأردن ، خاصة بعد أن لم تسفر اجتماعات رؤساء أركان حرب الدول العربية فى أوائل نفس الشهر من نفس السنة - لبحث نفس الموضوع - عن قرارات حاسمة يمكن أن توضع موضع التنفيذ العملى لدرء هذا الخطر الصهيونى ، وكذلك الاجتماعات المماثلة التى تمت على نفس المستوى عام ١٩٦١

وبهذه الدعوة وبهذا النداء وجه الرئيس عبد الناصر لطمة أخرى - مفاجئة - للاستعمار وللصهيونية ومؤازريها ، مرتفعا بندائه الحار ودعوته الخالصة فوق الجراح والخلافات التى كانت قائمة بين بعض الدول العربية والبعض الآخر ، وكذلك اختلافات وجهات النظر بين الجمهورية العربية المتحدة نفسها، وبين بعض الدول العربية ، ضاربا بذلك المثل الأعلى نحو التضامن والتآزر للوقوف صفا واحدا فى وجه الاستعمار ومحاولاته المستمرة للافادة من اختلاف وجهات النظر بين الدول العربية ، والدس بينها ليخلو له الجو ينفث سمومه ويفترس ضحاياه الواحدة تلو الاخرى ليفرض سلطانه على الوطن العربى .

وكذلك كانت دعوة الرئيس جمال عبد الناصر الملوك والرؤساء العرب للالتقاء - بالنسبة للجامعة العربية - بمثابة تحقيق امل طالما راود أعضاءها ومطلب كانت ترنو اليه الجامعة منذ نشأتها - يدعم وجودها ويثبت فعاليتها - وهو اجتماع الملوك والرؤساء العرب دفعة واحدة وفى وقت واحد وفى مكان واحد هو حرم الجامعة العربية وكان هذا الاجتماع فعلا هو اللقاء التاريخى الأول للرؤساء والملوك العرب منذ انشاء الجامعة العربية . وبذلك كان هذا اللقاء تحقيقا لما جاء فى الميثاق من أن « وحدة الهدف حقيقة قائمة عند القواعد الشعبية فى الأمة العربية كلها » .

وبرغم أن هذا اللقاء التاريخى كان أساسه هو تحقيق المحافظة - بكل الوسائل - على المياه التى تنتفع بها الأراضى العربية فى حوض نهر الاردن ووضع الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على المصلحة العربية ، فان انعقاد هذا المؤتمر كان بمثابة بداية الطريق نحو التفاهم والالتقاء الجماعى بين أمانى الأمة العربية وتناسى الخلافات فى سبيل تحقيق المصلحة العربية العامة . وبانعقاد هذا المؤتمر أيضا بدأ التاريخ العربى صفحة جديدة من التعاون والتآخى وانقشاع غيوم الخلافات عن جو العلاقات العربية معليا بذلك شأن الجامعة العربية الى أسمى الآفاق ، مثبتا وجودها ومبرزا لكيانها الفعلى الذى تستطيع بمقتضى وجوده أن تدخل دورا جديدا من حياتها يمتلىء بالأمل والعمل الجاد نحو تحقيق رسالتها وما وضع فيها من آمال .

بل ان صدى انعقاد المؤتمر والدعوة له - فى البلاد العربية جميعا وبلا استثناء - وما لقيه من الترحيب والتفاؤل أثبت لجميع المراقبين السياسيين فى جميع دول العالم أن وحدة العرب والتقاءهم أمر طبيعى لا غرابة فيه ، بل وشىء تأخر حدوثه بفعل الاستعمار الذى كان دائما يحول - بشتى الوسائل - دون هذا الالتقاء وهذا التجمع .

وأثبت ذلك أيضا ما أحدثه هذا المؤتمر من صدى فى جميع دول العالم الخارجى .. شرقه وغربه على حد سواء .. اذ كان لانعقاده وقع كبير فى جميع الدوائر السياسية العالمية ، حتى أن راديو باريس قال عنه ما معناه « ان العالم العربى قد قبل التحدى»

وبالنسبة لاسرائيل ، فقد أصابهـــا - وأصاب قادتها - ذعر وخيبة أمل مفاجئين، اذ كان معناه بالنسبة لها القضاء على آخر الآمال الاسرائيلية فى الاستفادة من الخلافات بين الدول العربية - والتى انتهت بانعقاد هذا المؤتمر - حتى أن رئيس وزرائهـا ليفى أشكول طلب عقد اجتماع عاجـل مع الرئيس الأمريكى جونسون لبحث خطر ما يصدر عن هذا المؤتمر من قرارات وتوصيات .

ولكى نعرف الأثر الفعلى لانعقاد هذا المؤتمر التاريخى الأول فى تاريخ الأمة العربية لا بد لنا أن نستعرض قراراته التى أثبتت أن **الوطن العربى والأمة العربية كل لا يتجزأ ،** ووحدة لايمكن تمزيقها أو المساس بهـا فى أى ظرف من الظـروف .. وبأى حال من الأحوال .

فبعد أن بحث المؤتمر تهديدات اسرائيل بعدوانها الخطير على المياه العربيـة بتحويل مجرى نهر الاردن لتحقيق مطامعها الصهيونية التوسعية ، وقياما بواجب الدفاع المشروع ، اتخذ المؤتمر القرارات العلمية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيونى سواء فى الميدان الدفاعى أو الميدان الفنى أو ميدان تنظيـم الشعب الفلسطينى وتمكينه من القيـام بدوره فى تحرير وطنه وتقرير مصيره .

وكذلك رأى المؤتمر عقد مزيد من هـذه الاجتماعات على أعلى المستويات حفاظا على المصلحة العربية العليا ، وقرر المؤتمر أن يجتمع الملوك والرؤساء العرب مرة فى السنة على الأقل على أن يكون الاجتماع التـالى فى أغسطس سنة ١٩٦٤ بمدينـة الاسكندرية

وأهـاب المؤتمر بالدول الأفريقيـة **والاسيوية التى آمنت بمبادىء باندونـج** وارتبطت بميثاق أديس أبابا أن تقدم صادق التأييد والعون للعرب فى نضالهم العـادل وأكد المجتمعون أنهم - فى موقفهم الدفاعى العادل - سينظمون علاقاتهـم السياسية والاقتصادية بالدول على أساس مواقفهـا من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية فى العالم العربى .

كما طالبوا جميع الدول الحرة المؤمنـة بالسـلام القائم على العـدل أن تؤيدهم ، وتساندهم فى موقفهم العادل من قضيـة فلسطين وفى منعهم لاسرائيـل من سرقة مياههم .

وكذلك أعلن المؤتمر أن اجتماعات الملوك والرؤساء العرب قد أسفرت عن انهاء جميع الخلافات وتصفية الجو العربى من جميـع الشوائب وايقاف جميع حملات أجهزة الاعلام، وتوثيق العلاقات بين الدول العربية الشقيقة ضمانا للتعاون البناء الجماعى ، ودراء للمطامع التوسعية العدوانية التى تتهدد العرب جميعا على السواء .

وأكد المؤتمر عدالة الكفاح العربى ووجوب تأييده - ضد الاستعمار - فى الجنـوب اليمنى المحتل وعمان ، وبعدالة الكفاح الوطنى فى أنجولا وجنوب أفريقيـا وكل مكان فى العالم لأن قضايا الحرية والعـدل وحـدة لا تتجزأ .

وكذلك أكد المؤتمر ايمانه بحل المشكلات الدولية بالوسائل السلمية طبقا لميثاق الأمم المتحدة وايمانه بمبدأ المعايشة السلمية بين الدول وسياسة عدم الانحياز كخطوة مخلصة نحو تحقيق السلام العالمى .

ولايمان المؤتمر بأن السلام العـالمى أمل يجب تحقيقه بكافة الوسائل السلمية ، فانه يرحب باتفاقية موسكو للخطر الجزئى للتجارب النووية ومبادرته للتوقيع عليها وتأييدهـا كخطوة فعالة نحو نزع السلاح نزعا شاملا لضمان الحفاظ على السلام الدولى .

وايضا رحب الملوك والرؤساء العـرب بميثاق الوحدة الافريقية كأمل جديد للسلام والحرية والمساواة فى أفريقيا وفى العالم .

وبذلك كان هذا المؤتمر معبرا عن ارادة صادقة اجماعية لملوك ورؤساء الدول العربية وتعبيرا عن رغبـة صادقة لتوفيـر الخير والسعادة للامة العربية جمعاء ، وخطوة ايجابية نحو بداية عهد جديد من الحب والقـوة والعزة والكرامة لأمة العرب فى جميع أرجاء الوطن العربى الكبير .

الاسلام

والاشتراكية العلمية

الدكتور محمود دياب

قرات فى احدى الصحف عن الاسلام والاشتراكية العلمية وساضرب صفحا عن الاستعداء المتعمد ضد من يكتب عن الاسلام والاشتراكية ولكنى ساتكلم عن النقط الاتية التى اثارها الكاتب .

١ ـ هذا الدين (يقصد الدين الاسلامى) لا يمكن ان يتعارض أو يتنافى مع الاشتراكية العلمية بل لايمكن ان يتحقق الا فى ظل اشتراكية علمية .

٢ ـ قال ان كارل مارس هو أول من ابتدع اصطلاح الاشتراكية العلمية ولكنه لم يقصد الالحاد أو الاشتراكية القائمة على اعدام الدين ثم قال ان الماركسية تنكر الدين وتنفيه بلا شك وقال .. والفلسفة الماركسية تؤمن أن المادة هى اصل كل الاشياء وأنها تسبق الفكر بل ان الفكر والروح هو تطور المادة الى أعلى درجات التطور .

وقال ان الماركسية لهذا لا تنادى باضطهاد الدين أو القضاء عليه ولكنها تقول بسحب الارض من تحتـه بالقضاء على الأسس المادية والمعنوية لوجوده .

وقال انه لا زال التراث الاسلامى مرفوع الراس ولا يمكن لأحد ان يخفضه فى جمهوريات آسيا الوسطى .

الرد

١ ـ كيف يمكن لهذا الكاتب ان يقول ان الديـن الاسلامى لا يتحقق الا فى ظل اشتراكية علمية والاسلام قائم منذ ١٣٨٤ هـ قائم منذ بعث الله محمدا عليه السلام بدين الهدى .

ولقد انتشر كحقيقة واقعة فى جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك بقوة العقيدة والايمان .

والاسلام لا يعرف شيئا أو شعارا اعظم من الحق وان الحقيقة ضالة المؤمن والشريعة الاسلامية قائمة على العقل والعلم ولا يمكن ان يوجد خلاف بينهما والاسلام منهج للحياة يشمل جميع مرافقها ويقـوم على القرآن والحديث والسنة والقياس والاجماع والاجتهاد وتوقف الاجتهاد معناه الجمود والموت وحين وقف الاجتهاد فى حياة المسلمين هرعت الحضارة الغربية لتملأ فراغه .

٢ ـ يقول الكاتب ان الماركسية لا تنادى باضطهاد الدين ولكنها تسحب الأرض من تحته بالقضاء علـى الأسس المادية والمعنوية لوجوده أى سخرية بالعقـول اكثر من هذا نقول لشخص فى مركب لا اغرقك ولـكنى سأسحب المركب وأتركك فى البحر حتى تغرق .

من قال ان الماركسية لا تضطهد الاديان ومن قـال ان الماركسية التى تقول ان الدين أفيون الشـعوب لا تضطهد الأديان جميعا ومن قال ان الماركسية التى لاتؤمن بالروح ولا تؤمن الا بالمادة لا تضطهد الأديان . الماركسية تؤمن بأن المـادة هى أصل كل الاشياء وأنهـا تسبق الفكر بل ان الفكر والروح هو تطور المادة الى أعـلى درجات التطور .

لقد قال أوبارين العالم الشيوعى فى المؤتمر الدولى لعلوم البحار فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٩ (ان جميع المحاولات التى اجريت لتوليد الحياة من المواد غير العضوية سواء تحت ظروف طبيعية أو فى المعمل قد باءت بالفشل) .

أسمعت ! ! أكبر عالم شيوعى فى عالم الخلية حاول ان يوجد الحياة فى الخلية يعترف بان جميع محاولاته قد باءت بالفشل لأن الروح من أمر ربى (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

ولو حاولت أن ابين لك ما فى القرآن من اعجاز علمى لأخذت صفحات وصفحات .

أسمعت اننا لا نسمع الصم الدعاء .

وسأعطيك حديثا واحدا عن النبى عليه السلام لنرى ما فيه من اعجاز علمى .

(اذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها) .

سبق هذا الحديث ما جاء فى أحدث كتب علم الاجنة (كتاب ليسلى أرى صفحة ١٦٠) من أنه ثبت قبل الاثنين وأربعين الاولى . لا يمكن تميز معالم الجنين . وجاء بالتحديد بأنه فى الأسبوع السادس تكون معالم الجنين قد تكونت وظهرت فى شكل انسان وهذا هو المقصود بتصوير النطفة على شكل انسان .

وأنه فى الاسبوع السادس يكون السمع والبصر والعظام واللحم قد تكونت جميعها .

أرأيت اعجازا أكثر من ذلك .

أما القول بأن الماركسية لاتحارب الدين فانى سأنقل برنامج الهجوم الواسع على الدين الذى جرى به العمل تحت شعار الثورة الثقافية .

١ – العمل على تصفية بقايا الايمان الدينى لدى اعضاء الحزب .

٢ – ايجاد حلقات مناوئة للدين فى جميع منظمات الحزب وخاصة فى رئاسات المناطق والعمل على جذب الفلاحين اليها .

٣ – اعادة تنظيم وتقوية جمعية الملحدين وزيادة عددها الى عشرة آلاف .

٤ – انه من الواجب على جميع اعضاء الحزب العمل على محاربة الدين .

٥ – استعمال النوادى والمكتبات وغرف المطالعة المتجولة فى اعمال مكافحة الدين .

٦ – ايجاد مدارس تعطى مناهج الحادية فقط .

٧ – العمل على المزيد من التعليم الالحادى فى المدارس .. الخ

ومحاربة الدين على اشدها ولا يسمح باقامة الشعائر الدينية الا فى المساجد الذى يزعن ائمتها للسلطات المحلية والسلطات المركزية .

وتحدث طبيب باكستانى سنة ١٩٥٢ عن عمليات قمع الدين الاسلامى من بين شعوب الكرخ والقريز وقال .

انه شاهد بينهم النزعات الأخيرة للاسلام المعذب أما فى أزبكستان فلا يجرؤ النشء الحديث على اظهار اسلامه أما اضطهاد الدين الاسلامى فى آسيا الوسطى فحدث عنه ولا حرج .

ان الدين الاسلامى قوى ومتين ولقد اضمحلت قوة المسلمين فى العصور الاخيرة ولكنها ابتدأت تعود وتشتد ان شاء الله . وتعود للسلمين مكانتهم الاولى من السيطرة على العالم .

آن لعصر المادة والمذاهب الاقتصادية المتطرفة من رأسمالية الى الشيوعية أن تذهب وآن للاسلام فى مبادئه السمحة القائمة على التعاون وعلى الود والاخاء أن تعود الى أوجها فتهدى البشرية الى اقوم سبيل .

وآن للمجتهدين من المسلمين أن يعطوا أحسن الامثلة وأحسن المبادىء لجميع علماء العالم فى مختلف تخصصاتهم .

وسأنقل جزءا من حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى الهيرمرجن برج الالمانى عندما سأله ما هى منابع الاشتراكية العربية ؟

(عندما نقول اشتراكية عربية فاننا نعنى التطبيق أو بمعنى آخر فاننا نبنى اشتراكيتنا على اساس علمى وواقعى وليس على مجرد شكل نظرى وهناك بعض خلافات بالطبع بين تطبيقنا للاشتراكية وبين تطبيقات أخرى فنحن نؤمن بالله ونتمسك بعقيدتنا الدينية ولا نؤمن بسيطرة طبقة على طبقة) .

نحن فى مصر مهما الحد الملحدون نتمسك بالدين القويم وعلى هديه نسير والله المعين .

عداوة مخلصة

الأستاذ أحمد محمد بريرى

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه
ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها
وقلقل يبغى العز كل مقلقل

ابلغ فلان نفسه عذرها : — تعبيرعربىمأثور ، يجرى مجرى المثل ، يعنى به ان الرجل مات فى سبيل الهدف الذى من اجله قام مجاهدا .

فليس ثم عذر آخر يمكن أن يقدمه ، بيد أنه اذا فعل ، فقد قام استشهاده مقام الانتصار ، فمبلغ نفسى عذرها مثل ينجح على حد تعبير عروة بن الورد لكان القتيل مجاهدا قد انجح وحقق النصر فهو والمنتصر سيان وليس من شك أن ابن اخطب هذا عدوا لله ، قد اخلص عداواته هذه وصدقها ، فهو فى صدق واخلاص وهمة وحزم لا يرد ، وعزم لا يفتر ، قد قلب الأرض أو قلقلها ما شاء الشيطان أن يقلقلها كى يستأصل الاسلام والمسلمين ، وأنه ما لام نفسه قط فى عداء محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله خذله ، ومن يخذل الله فلا بد مخذول . فتلك عبارته حين قدم ليقتل : جىء به مجموعة يداه الى عنقه ، فقال ، حين رأى الرسول عليه الصلاة والسلام : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل .. انه لا بأس بأمر الله .. كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل .

كان قد ارتحل الى مكة ، وجمع قريشا وأحابيشها ، وزعم للمشركين أن دينهم خير من دين محمد ، ثم عاهدهم على نصب الحرب للاسلام والمسلمين ، وأنهم لابد قاضون على تلك الدعوة الجديدة ، ويترك قريشا الى غطفان وأفنانها ويعاهدها العهد نفسه ، وكذلك تحزبت الاحزاب واجتمعت كلمتها .. وتواعدت على ان تلتقى هناك حول يثرب ، لتجتث الدعوةوالداعين اليها.

« اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » لقد كان محمد يمنيا ملك كسرى وملك قيصر وها نحن أولاء لا يستطيع أحدنا أن يذهب آمنا الى الغائط . على أن المؤمنين لم يفقدوا ثقتهم بالله حين رأوا الاحزاب بل قالوا : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهملم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . وكذلك هزم الله الأحزاب بمعجزة لا شك فيها فلم يكن عسيرا على الحلفاء أن يجتازوا الخندق الى المدينة ، بل ان منهم من اجتازوه بالفعل : عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن أبى جهل والخيل والفرسان الذين كانوا معهما .

فلو جرت الامور كما تقضى طبائع الاشياء اذن لما لوا على المدينة ميلة واحدة ، وما كان ذلك بالأمر العجيب ، ولكن الله غالب على أمره فاقد زلزل بقلوب الاحزاب فانشمرت عائدة الى بلادها . وبقيت يهود وحدها لا قريش ولا غطفان .

والحق أن بنى قريظة كانوا قد رغبوا فى البقاء على عهدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن حيى ابن أخطب النضرى أغراهم ، وحماهم على الخيانة

حملا .. ذهب الى كعب بن أسد كبير قريظة ، فأغلق دونه باب حصنه قائلا : ـ ويحك يا أخطب انك لمشئوم ، وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض عهده ، ولا والله ما رأيت منه الا وفاء وصدقا ولـكنه يلح ويلحف : ويحك افتح الباب أكلمك .. لقد جئتك بعز الدهر : قريش وغطفان .. انا لمستأصلوا محمدا وجماعته ولك على عهد الله اذا أرتحل عنا أولئك الحلفاء فانى داخل معك حصنك ومقاسمك مصيرك ان خيرا فخيرا وان شرا فشر . ويجيب كعـب : والله ما جئتنى الا بذل الدهر وسحاب هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيـه شيء .. دعنى وما أنا فيه ولكن ابن أخطب ما يزال يداهنه ويصانعه ، أو على حد تعبير القدماء : مايزال يفتله فى الذروة والغارب حتى حبب اليه الخيـانة فنقضت قريظة العهد .

ويأبى الله الا أن يستاصل بنى قريظة ومعها حييى ابن أخطب الذى بقى مع كعب فى الحصن وفاء بما كان وعد . ذلك أنه سبحانه وتعالى يأمر رسوله بعـد انسحاب الاحزاب أن يغزو بنى قريظـة فيبيتها محاصرا ويستمر الحصار خمسة وعشرين يوما أو أكثر وتطمع الأوس فى انقاذ بنى قريظة فهم حلفاؤها منذ الجاهلية وقد أنقذت الخزرج حلفاءها من بنى قينقاع ، وبذلك جلا بنو النضير ، ويطلب بنو قريظة أن يبعث اليهم بأبى لبابة من الأوس ، ويستجيب الرسول الى رغبتهم تلك ، وحين يرونه يجهش له النساء والصبيان ويرق هو رضى الله عنه لهم . أتنزل على حكم الرسول يا أبا لبابة .. ويأبى أبو لبابة الا أن يصدق اليهود فيشير الى رقبته بالذبح معلما اياهم أن ذلك مصيرهم .. ثم لا يلبث أن يتبين انه خان الله والرسول والمؤمنين فيربط نفسه بسارية فى المسجد فلا يفك حتى يتوب الله عليه . فأما بنو قريظة فلا يجدون بدا من أن يرضوا بحكم سعـد ابن معاذ فقد حكم فيهم . وهل كان سـعد الا رئيس الأوس حلفاء قريظة وال الرجاء فيه اذن لـكبير ويلتف به أهله راغبين اليه فى أن يحسن الى مواليه ومواليهم كما أحسنت الخزرج الى مواليها اليهود من ذى قبل .

كان سعد أقرب الى الموت منه الى الحياة جراء سهم أصابه أيام الخندق . وقد سأل الله أن يهب له الحياة أن كانت قريش ستحارب المسلمين . أما اذا كان الله قد وضع الحرب مع قريش فانه يؤثر أن يموت شهيـدا بعد أن يشفى صدره من بنى قريظة فهو نقيض قومه ، مشحون كراهة وأبغاضا ومقتا لأولئك اليهود ، فهو يعلم وأن نفسه لتشع وروحه تشرق بنور الله أنهـم ما بقى منهم رجل فهو حجر عثرة فى سبيل الدعوة الاسلامية .

لم يكن عجيبا اذن أن يكون جوابه حين سـئل الاحسان الى اليهود : لقد أنى لسعد الا تأخذه فى الله لومة لائم ويفهم . الاوس مدلول كلمتـه فتحزن وتنعى حلفاءها قبل أن يصدر سعد حكمه .. جيء به رضى الله عنه عند الرسول وكان صلى الله عليه وسـلم قد قال للاوس اذ الحفوا فى طلب العفو عن بنى قريظـة أفلم يعف من قبل كما أسلفنا عن حلفاء الخـزرج بنى عمهم من الأنصار وان المعاملة بالمثل تقضى أن يصفح كذلك عن حلفائهم فيقول عليه الصلاة والسلام : ـ ألا ترضـون أن يكون الحكم فيهم الى سيدكم سعد بن معاذ .. بلى يا رسول الله ، ولكن سعدا خيب الآمال التى كـانت معقودة عليه . فهو بعد أن يستوثق من أن حكمه سيكون مرضيا من لدن الرسول ومن لدن أصحـابه جميعا مهاجرين وانصارا يعلن حكمه رهيبا حاسما حـازما : «تقتل الرجال وتغنم الأموال وتسبى النساء والذرارى»

ويعقب رسول الله عليه صلوات الله : فلقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ـ سبع سماوات ـ ثم يذهب الى سوق المدينة ويأمر أن تحفر القبـور التى ستوارى جثث ستمائة أو سبعمائة أو ثمانى مائة والمبالغ فى الرواية يقول تسعمائة رجل هم رجال قريظة على أن « لامانس » وأضرابه من المستشرقين عسى أن يحدثوك عن نحو ألف وزيادة وانها فيما يرون لاحدى كبـائر التاريخ .. لقد كان من الواجب على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين أن يبقوا على اليهود ولا بأس عليهم ولا حرج أن يستاصلوا الاسلام فتلك غاية القصد وبلوغ المرام عند هؤلاء السادة الاعلام .. ومهما يكن الأمر فلا بدع أن تكون تلك نظرة المستشرقين ومن حـذا حذوهم من المستغربين ولـكن العجيب حقـا هو تلك العاطفة الرقيقة التى نزعت بالانتصار الى قريظة .. فأما مشركو العرب فلقد تبارى شعراؤهم وكبراؤهم فى رثـاء بنى « الكاهن » وأخوة هارون والرثاء لهم .. الاما أشبه الليلة بالبارحة فلن يعوزك الآن أن تجد عربا ومسلمين تنزع بهم عواطفهم الى اسرائيل .

انك اذا نظرت فى التاريخ العربى وكتب السيرة رأيت كيف أحسن الرسول والمسلمون فى تنفيذ العقوبة فـلا تشفى ولا مثلات ، بل هو الوقار والرحمة فاقد استدعى المحكوم عليهم ارسالا ارسالا أو طائفة وراء طائفة ، فلا يرى اللاحق ماذا فعل بالسابق ..

ولقد سأل بعضهم كبيرهم : كعب بن أسد اذ يرون ذويهم يذهبون فئة بعد فئة ترى ماذا يفعل بهم ؟..

فيجيب : والله انكم لا تعقلـون أبدا .. ألا تـرون الداعى لا ينزع والذاهب لا يرجع .. انه القتـل يا هؤلاء . انك اذا سمعت ما يروى عن كعب بن أسـد هذا راعك منه أريحية وشجاعة عجيبة أمرها عنـد أولئك الذين لا يقاتلون الا من وراء جدر ، ويبلغ الجبن بهم أنهم يحسبون كل صيحة عليهم ..

لقد كان ذوو كعب بن أسد مجاورين فى العرب وأكاد أسفه سفاه جرير حين يقول للفرزدق فى بعض ما كان بينهما :

كان الحطيئة جار أمك مرة

والله يعلم سر ذاك الجار

يقول كعب لقومه اذ شدد عليهم الحصار : أيامعشر يهود ، لقد نزل بكم من البلاء ما ترون ، وانى عارض عليكم ثلاثا خذوا أيها شئتم ..

قالوا : ماذا ؟

قال : نتابع محمدا فهو والله الرسول الذى تعرفون وليس بكاذب وكذلك تأمنون على أنفسكم وأموالـكم ونسائكم وأولادكم .. قالوا : كلا والله لا نترك حـكم التوراة ولا نستبدل به غيره أبد الدهر .

قال : اذا أبيتم هذه فهلموا نقتل نساءنا وأطفالنا ونخرج الى المسلمين رجالا مصلتين سيوفنا فان هلكنـا لم نترك وراءنا ثقلا نخاف عليه وان انتصرنا فلعمرى لنجدن النساء والاطفال .

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين نساءنا وأبناءنا فمـا خير العيش بعدهم .

قال : اليكم اذن الخطة الثالثة والاخيرة انها ليلة السبت التى لا نعمل شيئا فيها وعسى أن يغفل عنا المسلمون فهم يعلمون اننا ـ مسبتين ـ لا نقارف

عملا ، فنحن مبيتوهم وعسى أن نبغتهم فلا نبقى احدا منهم .

قالوا : اتريدنا على أن نرتكب ذلك الاثم الكبير فتقاتل ونقتل ليلة السبت انك لتعام ان من فعلوا هذه الفعلة قبلنا مسخوا قردة وخنازير .

قال : ثكلتكم أمهاتكم لا والله ما بات منكم رجل منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازما .

أفلا تراه دوما أقرب الى العرب والعربية منه الى اليهود واليهودية ؟

ورجل اخر من بنى قريظة كان له موقف عز أن تجد له ضريبا ، انه الزبير بن باطا ..

كان من شانه انه فى الجاهلية من على رجل من الانصار هو ثابت بن قيس رضى الله عنه ، فلما كان يوم قريظة رآه ثابت بين الاسرى فقال له : هل تعرفنى ؟

قال : وهل يجهل مثلى مثلك .

قال : فان لك على يدا وددت لو جازيتك بها .

قال : ان الكريم يجزى الكريم .

فذهب ثابت الى الرسول وقص عليه قصته معه فقال هو لك .

ويرجع الى صاحبه بالبشرى فيقول هذا : شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فماذا يصنع بالحياة ؟

فيهب له الرسول أهله وولده فيقول : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم ...

فيعطى له ماله ويظن ثابت أن الرجل قد رضى كل الرضا وسر كل السرور ولكنه يسأل :

- يا ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى : كعب بن أسد - يعنى رئيسهم آنف الذكر ..

قال : قتل .

قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن اخطب

قال : قتل .

قال : فما فعل مقدمتنا اذا شددنا ، وحاميتنا اذا فررنا : عزال بن سموءل ؟

قال : قتل .

قال : فما فعل المجلسان - يعنى جماعة منهم كانوا كذلك يسمون - .

قال : ذهبوا فقتلوا .

قال : فانى أسألك يا ثابت بحق نعمتى عليك الا قتلتنى فالحقتنى بهم ، فوالله ما فى الحياة بعدهم خير ولا أطيق العيش بعد الاحبة فتلة ولو ناضح .

ويسدى اليه ثابت تلك النعمة فيضرب عنقه ويقول سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع مقالته :

- سيلقى أحبته والله فى نار جهنم خالدين فيها مخلدين .

يلاحظ أن ابن باطا هذا فى حديثه عن ابن اخطب سماه سيد الحاضر والبادى : يعنى سيد الناس جميعا المقيم منهم فى الحضر والمقيم فى البادية سواء . واذا كان الاسلام قد طوى صحف يهود المدينة « النضير » وقينقاع وقريظة فلم يصلنا من خبرهم ومشروعاتهم واما لهم فى الجزيرة الا القليل فنحن مستطيعون على كل حال أن ندرك من بعض ما بقى انهم كانوا ذوى آمال عريضة فلما أتت موجة الياس على تلك الآمال ، رأى أمثال ابن باطا انه لا خير فى الحياة بعد .

لقد كان التطور الطبيعى فى البلاد العربية - لولا الاسلام - ماضيا الى حيث يصبح بنو الكاهن أو اخوة هارون على حد تعبير عباس بن مرداس السلمى سادة وملوكا ، ويصبح العرب لهم رعية وتبعا .

لقد جاشت تلك الخواطر بنفسى بعد أن قرأت كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » للقائد العربى الابى عبد الاله التل .

ان اليهودية أو الصهيونية وخططها فى أوربا وامريكا بل فى اسيا وافريقيا ، واللاساميين وما ترمى اليه والتلمود وتوجيهاته الخسيسة الغادرة والتوراة وتعليقات الربانيين والاحبار عليها وتحريف الكلم عن مواضعه الذى حدثنا عنه القرآن الكريم ، وأثبته « رينان » وأضرابه ممن كتبوا فى القرن التاسع عشر عن المسيحية وأصولها ، وأصل بنى اسرائيل وتاريخهم القديم ..

كل أولئك وغيره تستطيع أن تقرأ عنه ما شئت فالمراجع موفورة على كل مستوى ، اذا كنت تعرف احدى اللغات الغربية الكبريات ، ولكن مراجعك العربية فى هذا الصدد قليل ما هى ، عسير أن تحصل عليها .. ولست أرتاب فى أن كتاب « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » اضافة ذات بال الى المكتبة العربية فى هذا الباب .

حياة المقر الشهابى "ابن فضل الله العمرى" "٩"

مؤلف أكبر موسوعة عربية إسلامية فى الجغرافيا والتاريخ والأدب

الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى

تتمة الوصف الرائع الشافى ، والبيان التاريخى الوافى عن « مسجد الصخرة المشرفة » و « المسجد الأقصى » .

وصف « المسجد الأقصى » ومزارته الى سنة ٧٤٣ هـ . قال المقر الشهابى بن فضل الله العمرى :

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة « المسجد الأقصى » ، وما اشتمل عليه من المزارات ، على ما استقر عليه بناؤه الى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

تأليف خاص فى الحرم المقدسى :

وقد ألف فى ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تأليفا صغيرا سماه : « سلسلة المسجد فى صفة الصخرة والمسجد » نقلت منه ما يليق بهذا الموضع ، معتمدا فى ذلك على ماحرره بالذراع .

الصخرة الشريفة :

ونبتدىء بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها فنقول :

البناء المثمن المحيط بها وطاقاته وشبابيكه :

أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول ، فارتفاعه ثمانية عشر ذراعا ، يعلو ذلك كرسى القبة ، وارتفاعه عشرة أذرع وربع . ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلثا ذراع . فى دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة بظاهرها شبابيك .

وصف فنى للبناء على الطراز العربى :

وهى مثمنة الأركان . كل تثمينة تسعة وعشرون ذراعا وثلثا ذراع . والبناء من ظاهره مكسو منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر . ومن أعلاه سبعة أذرع الى الميازيب بالفص المذهب المشجر المختلف .

وتحتوى كل تثمينة على سبع طاقات : اثنتان فى الطرفين مسدودتان ، والخمسة مركب عليها الزجاج ، ومن ظاهرها الشبابيك الحديد . ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع ، مكسو بالفص بالصفة المذكورة ، مشخص فى كل تثمينة منه ثلاثة عشر محرابا . ولها أبواب أربعة : فالقبلى ارتفاعه ستة أذرع وربع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمن . وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر ، طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف ، وعرضه أربعة . سقفه بسط مدهون . والوسط أمام الباب قنطرة بالفص المذهب ، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام : منها غرابى اثنان فى طرفيه ، وخضر مرسينى تلوهما أربعة و «شحم ولحم » اثنان ، بين الأعمدة الغرابى والخضر هناب رخام منقوش الظاهر سعته ذراع وثلث . تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب .

ويعلق على الباب المذكور مصراعان من الابواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش . وعلى يمنة الداخل ويسرته درابزين خشب ارتفاع ثلثى ذراع ، فى رؤوس التثمينة الأولة خاصة . ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل الى وجه الأعمدة الآتى ذكرها ثمانية أذرع وثلثا ذراع ، بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان ، ارتفاعه خمسة عشر ذراعا ، محمول على حائط الصخرة . والاعمدة والحائط من باطن التثمينة ، ملبس جميعه بالرخام بغير فص (بانبذاريه) رخام منقوشة تقدير ذراع مذهبة .

كل تثمينة من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع . دور كل سارية أحد عشر ذراعا وثلثا ذراع . وطولها ثمانية أذرع وثلثا ذراع . وجهها الذى يلى الصخرة بقرنتين . ومع السارية عمودان : أحدهما « شحم ولحم » والآخر أخضر مرسينى . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره

ذراعان وثلثا ذراع . وارتفاعه خارجا عن القواعد ستة ونصف يعلوها « بسائل » ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه . يعلو « البسائل » قناطر بالفص المذهب البديع .

بهذه التثمينة الاولى : ثمانية سوار وستة عشر عمودا : منها أبيض وأزرق عشرة . وأخضر مرسيني ثلاثة ، و « شحم ولحم » ثلاثة .

وتقيس من واجهة قواعد هذه العمد عشرة أذرع لتثمينه ثانية عليها سقف « مقالى » مذهب ، ارتفاعه ارتفاع السقف الاول . و « مقاليه » مركبة بغير تسمير لأجل كنس السقف .

وصف السقف :

والسقف الذى يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن . وبآخر هذه التثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سوار مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى . بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام « الشحم واللحم » والأخضر المرسيني . يعلو ذلك قناطر من الوجهين :

فص مذهب ، والباطن رخام أبيض وأسود . جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عمودا : منهـــا أخضر مرسيني سبعة ، و « شحم ولحم » خمسة .

قال : ولقد قست عمودا منها « شحما ولحمـــا » فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفا ، وارتفاعه خارجا عن القواعد سبعة أذرع وثلثى ذراع .

ارتفاعات القبة :

وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها الى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعا ، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع ، ومن ظاهر القبة الخشب الى القبة الثانية المكســـوة بالرصاص ذراع ونصف .

قال : ولقد قست الــدور الحامل للقبة بالأعمدة والسوارى فكان مائة وثلاثة أذرع .

صفة الشباك وأبوابه :

وصفة الشباك الحــديد الذى بين هذه العمد والسوارى ، له أربعة أربعة أبواب : الشمالى منهـــا مغلق ، والثلاثة مفتوحة . فأما القبلى فيصعد اليه بدرجتين . ومن حد عتبته من داخل الى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع . وحجر الصخرة من هــــذه الجهة ملبس بالرخام الملون ارتفاع ذراعين . ويحيط بحجر الصخرة من تتمة أقطاره درابزين من الخشب المنقوش ، دوره أربعة وسبعون ذراعا .

أثر قدم النبى صلى الله عليه وسلم فيما يقال :

وبآخر هذه الصخرة المرخمة من غرب الى جهـــة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار . قيل : انه أثر قدم النبى (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج .

درقة حمزة مرآة من السبعة معادن :

وقبالة القدم المشار اليه مرآة من السبعة معادن ، يسمونها : « درقة حمزة » محمولة على ثلاثة أعمـــدة لطاف : منهن اثنان « روحان فى جسد » .

وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلثا ذراع ، تعلوه شرفة خشب مدهونة . وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد .

المحراب والمغارة :

والمحراب الذى يصلى به امام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل الدرابزين الخشب المقدم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة الصخرة الشريفة ، معقود قنطرة بالرخام الغريب ، على عمودين « شمعية » ينزل الى باطنها بأربع عشرة درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع ، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال .

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

باطن المغارة :

وبباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار كل محراب على عمودى رخام لطاف .

مقام الخضر :

وأمام المحراب الأيمن صفة تسمى : « مقـــام الخضر » . طولها من الشرق للغرب ، ذراع وثلثا ذراع ، ومن القبلة للشمال ذراعان وربع . بواجهها عمـــود رخام قائم للسقف ، وعمود راقد مرد لها .

مقام الخليل :

وبالركن الشمالى من المغارة صفة نقر فى الصخرة يسمونها : « مقام الخليل » . عمقها من القبلة للشمـــال ذراع ونصف ، ومن الشرق للغرب ذراع وربع .

الباب الشرقى للصخرة :

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة ، فهما بابان : احدهما داخل الآخر . جعل الباب الخارج وقاية للداخل من الأمطار والثلوج . ملبس بالرخام . رحاب ما بيـن البابين عرض أربعة أذرع ، وطول خرجته اثنـــا عشر ذراعا ونصف .

على يمنة الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف . وعلى يسرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسيني وزرق .

وعقد ما بين البابين بالفص المذهب . ومن عتبـــة الباب الثانى منهما الى العمد سبعة أذرع وثلثان ، وهو الحامل للسقف البسط .

ومن واجهة العمد للشباك الحديد أحد عشر ذراعا . ومن باطن الشباك الحديد الى الدرابزين الخشـــب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حد هـــذا الباب الشرقى ، على يسرة الداخل منه طالبا للقبلة على مسافة تسعة أذرع : عمـــودان مرسيني أخضر بأعلاهما دقيسي مذهب يطلع من باطنه الى ظهر سـقف الصخرة والقبة .

الباب الشمالى المسمى : « باب الجنة » :

واما الباب الشمالى ويسمى : « باب الجنـــة » فله خرجة كالتى فى الباب الشرقى وصفتها وحليتها .

وفيما بين العمودين اللذين أمام الباب ـ داخل درابزين خشب مذهب به محراب لطيف ـ اشارة علـى الرخامة السوداء التى يصلى الناس عندها . وفقدت هذه الرخامة من مدة زمانية ، وعمل مكانها رخـــامة خضراء . والناس يصلون عندها ويدعون .

الباب الغربى :

وأما الباب الغربى فله خرجة كالبابين : الشـرقى والشمالى .

وسعة ما بين تثامين الصخرة فانه ســتة أذرع وثلثا ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والبناء المثمن المحيط بها .

وأما الصحن المحيط بها ومساحته ووصفه فـالى المقال التالى ـ ان شاء الله تعالى .

« للترجمة بقية »

من أمجاد الإسلام

الأستاذ عبد العال السيد شعيب

ان من اعظم مآثر الاسلام انه دين العزة والكرامة ، يربى أبناءه على البطولات والامجاد ، ويغرس فى قلوبهم روح الجد والعزم الصادق ، ليعيشوا اعزة بين الامم ، سادة فى دنيا الناس ، على هذه التعاليم الخالدة التى جاء بها ذلك الدين الحنيف . تربى جيل من البشر ، كانوا رهبان الليل وفرسان النهار ، حملوا على اكتافهم لواء الدعوة الى الله . وجاهدوا فى الله حق جهاده ، حتى شرق الاسلام وغرب ودخل الناس فيه افواجا ، وتحقق لهم وعد الله تبارك وتعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا » وكم فى تاريخ المسلمين من صور مشرقة لهذه الامجاد .

١ - ارجع الى أيام بدر الكبرى حينما استشار الرسول اصحابه فى لقاء المشركين فتكلم ابوبكر وعمر فاحسنا .

وقال له المقداد بن عمرو : امض يارسول الله لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له الرسول خيرا ، ثم قال : اشيروا على ايها الناس وانما كان يريد الانصار - لان العدد فيهم ولم تكن بيعتهم الا على انهم يمنعونه مادام فى ديارهم فكان يتخوف انهم لا يرون نصرته الا على من دهمه فى المدينة من عدوه ، وليس عليهم أن يسير بهم الى عدو خارج ديارهم ، فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : اجل ، فقال له سعد : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما اردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وماتخلف منا رجل واحد وماتكره أن تلقى بنا العدو غدا ، انا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركةالله ، فسر عليه الصلاة والسلام بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وابشروا ، فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين .

وقد اظهر المسلمون فى هذه المعركة بطولات رائعة ، حتى انتصروا وكان عددهم ٣١٤ رجلا ليس معهم سوى ثلاثة افراس وسبعين بعيرا يتعقبونها . انتصروا على قريش وكانت بين التسعمائة والالف . وعندهم من العدة ماليس مع المسلمين . وهؤلاء عرب وأولئك عرب ، وعنصرهم واحد ، الا ان المسلمين كانوا يحاربون بدافع العقيدة والثواب الجزيل عند الله ، وكانت قريش تحارب من اجل الدنيا ومتاعها . وقتل من

المشركين نحو السبعين واسر مثلهم ، وقد قيل فى هذه الغزوة كثير من الشعر ، قاله شعراء المدينة وشعراء مكة ، ومن ارق ماقيل منه ماقالته قتيلة بنت الحارث اخت النضر بن الحارث :

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وانت موفق
ابلغ بهـا ميتا بان تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها واخرى تخفق
هل يسمعنى النضر ان ناديته
ام كيف يسمع ميت لا ينطق ؟
امحمد ولدتك خير نجيبة
فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق ؟
او كنت قابل فدية فيلنفقن
باعز ما يغلو به ماينفق
فالنضر اقرب من اسرت قرابة
واحقهم - ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى ابيه تنوشه
لله ارحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق

٢ - ويمضى تاريخ الاسلام يسطر بمداد من الفخر اروع صفحات البطولة ، حتى تعرض للجماعة الاسلامية فتنة كادت تحدث صدعا فى البنيان القوى . هذه الفتنة هى فتنة الردة فى اول عهد ابى بكر الصديق بالخلافة ، فقد ظن بعض العرب ان المسلمين ضعفوا بعد محمد عليه الصلاة والسلام فشرعوا يشقون عصا الطاعة ، ويتمردون فى مظاهر شتى ، فمنهم من منع الزكاة ، ومنهم من راح يشايع مسيلمة الكذاب فى ادعاء النبوة ، ثم تتابع الخارجون واندلعت السنة الشر فرأى ابوبكر ان الامر جد وماهو بالهزل ، وان وفاءه بعقيدته يستنهضه لدفع هذه الفتنة التى اطلت براسها ، واطفاء هذه النار التى ظهر اوارها ، فجمع الصحابة واستشارهم فى ان يوجه الجيوش لاخماد تلك الفتنة ، ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : كيف تقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه واسلم « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابهم على الله . فقال ابوبكر : يا عمر اجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، وقد قال : « الا بحقها »

قال عمر رضى الله عنه : « فوالله ماهو الا ان شرح الله صدر ابى بكر للقتال فعرفت انه الحق . وبهذه البطولة اندحر الباطل وأطفئت الفتنة ، وانتصرت كلمة الحق ، وعلت راية الاسلام ، وكانت درسا ادب كل من تسول له نفسه بالخروج على الجماعة او شق عصا الطاعة ، وبقيت الجماعة الاسلامية قوة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

٣ - وامامك ايها القارىء الكريم صورة من البطولة بلغت من الاشراق أعلاها « تلك صورة البطل المسلم ابى عبيدة بن الجراح ، ذلك البطل الذى وازن بين عقيدته وابيه وللابوة عاطفة فى قلوب الابناء ، الا انه يختار العقيدة ، ويقاتل اباه حتى يقتله ، وحينما قتله فانما قتل الشرك فى شخصه ، وقد انتزع وشيجة القرابة ابقاء على وشيجة القربة للدين وللعقيدة .. ويسجل الكتاب المحفوظ هذه العظمة المؤمنة فقال : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه » .

لقد انطلق ابو عبيدة سهما من سهام الاسلام ، وسيفا من سيوفه المسلولة يدوخ الجيوش ، ويحاصر المدن ، ويلقى الرعب فى قلوب الروم ففتح دمشق والاردن وحمص وبعلبك ، ثم صار الى حماه ، والى حلب ، ثم سار الى انطاكية ، ثم جعلت جيوشه تضرب الشمال والشرق حتى امتلات هذه البقعة بنور الاسلام ، وكان يسير وسط جيشه واعظا منذرا مرشدا ينتزع الغرور من صدور الجند ، ويذكرهم بماهو خير وابقى . ويقول للجنود : ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه ، الا رب مكرم لنفسه وهو لها عدو مهين ، ادرءوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات . هذه التعاليم جعلت جنده تتمتع بروح معنوية عالية ، وان تنظف سلوكها حتى تدخل المعركة وهى نقية القلب طاهرة الضمير ، فيبارك الله كفاحها ويمدها بروح من عنده ، وهذا درس رائع للامة الاسلامية كلها ، لكى يتخلق الجند بهذه الاخلاق الرفيعة ، وان يجمعوا بين قوة الجسد ووفرة السلاح قوة الروح ومتانة الخلق ، حتى يسير النصر فى ركابهم . وتتحقق لهم امجادهم . ويؤيدهم الله بروح من عنده . ويكون معهم اينما كانوا ، فمن كان مع الله كان الله معه ، ومن كان معه الله فهو القوى الغالب ، وفى الحديث القدسى : « انا مع عبدى ماذكرنى وتحركت شفتاه بى » .

٤ - واستمع ايها القارىء الكريم الى عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وانه كان سفيرا لجيوش المسلمين عند المقوقس حاكم مصر ، وعبادة قد اوتى بسطة فى الجسم ولكنه كان حالك السواد ، وكان جلال الاسلام قد خلع عليه رهبة وهيبة ، فكان الناظر اليه يرتعد من صورته ، وكذلك وجل المقوقس يوم شاهده ماثلا امامه فقال : نحوا عنى هذا الاسود ، وقدموا غيره ، فقال رفاقه المسلمون : انه افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا ، واكرمنا موضعا وسابقة وعقلا ورأيا . فقال له المقوقس : تقدم وكلمنى برفق ، فقال عبادة وهو يجادل المقوقس فى عاصمة امارته ووسط دياره ومنعته ، وبين قواده وجنده ، لقد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من أصحاب الف رجل كلهم مثل واشد سوادا منى وافظع منظرا ، ولو رايتهم لكنت اهيب لهم منى ، وانا قد وليت وادبر شبابى ، وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى ، لو استقبلونى جميعا وكذلك اصحابى . ذلك بان رغبتنا وهمتنا الجهاد فى سبيل الله وابتغاء رضوانه ، وليس غزونا اعداءنا لرغبة فى الدنيا ولا لحاجة الى الاستزادة منها ، ولكن الله عز وجل قد احل لنا ذلك ، وان كان لاحدنا قناطير الذهب انفقناها فى طاعة الله .

فلما سمع المقوقس ذلك قال لمن حوله : هل سمعتم مثل هذا الكلام قط ؟ لقد هبت منظره ، وان قوله لاهيب عندى من منظره ، ماأحسب الا انهم سيملكون الارض كلها .

ثم اقبل على عبادة فقال : أيهـا الرجل الصالح : قد سمعت مقالتك ، وماذكرت عنك وعن اصحابك ولعمرى مابلغتم مابغلتـم الا بما ذكرت ، وماظهرتم على من ظهرتم الا لحبهم الـدنيا ورغبتهم فيها ، واني أخشى عليـكم ، من توجه لقتالكم من جمع الروم ، فهـم لا يحصون عدا ، وهم معروفون بالنجدة والشدة ، وانا لنعلم انكم لن تقـووا عليهم ولن تطيـقوهم لضعفكم وقلتكم ، ونحن نطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل دينارين ولخليفتكم الف دينـار ، فتقبضوها قبل ان يغشاكم مالا قوة لكم به ..

فقال عبادة : وهو يستوحى عقيدته وايمانه : ياهذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك ، اما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم واننا لا نقوى عليهم فلعمرى ماهـذا الذى تخوفنا به ، ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ، ان كان ماقلتم حقا ، فذلك والله ارغب مايكون فى قتالهم ، واشد لحرصنا عليهم ، لان ذلك اعذر لنا عند الله اذا قدمنـا عليه ، فان قتلنا عن آخرنا كان امكن لنا من جناته ورضوانه ، ومامن شىء اقر لاعيننا ولا احب الينا من ذلك ، وانا معكم حينئذ على احدى الحسنيين : اما ظفرنا بكم فعظمت لنا غنيمة الدنيا ، واما ظفرتم بنا ، فعظمت لنـا غنيمة الآخرة ، وانها لأحب الخصلتين لنـا بعد الاجتهاد منا ، ان الله عز وجل قال لنا فى كتابه :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

وما منا رجل الا وهـو يدعو ربه صباحا ومساء : ان يرزقه الشهادة والا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لأحد مناهم فيما خلفه ، وقد استودع كل منا ربه ، اهلهوولده ، وانما همنا ماامامنا..واماقلتك انا فى ضيق وشدة من معاشنا فنحن فى اوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن فيه فلا تطمع نفسك فى الباطل .

هذه نماذج لبطولات صنعها الاسلام ، ورباها محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرجت للدنيا بقيم ومفاهيم هزت عروشا وزلـزلت قصـورا ومكنت للمبـادىء السامية أن تعلو وتـسـود .. والمسلمون فى كل زمان فى اشـد الحـاجة لان يستوحوا هـذه القيم وان يسـتلهموا هـذه المفاهيم ، ويطبقـوها فى هذه القيم وان يستلهموا هذه المفاهيم ، ويطبعوها فى واقع حياتهم ، فاعداؤهم يكيـدون لهم ويتربصون بهم الدوائر ، ويعملون على ان يطفئوا هذا النور الذى يهدى الناس الى الحق والى طريق مستقيم .. وواجب على المسلمين ان يقتدوا بأسـلافهم وان يوقنوا بان الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، وانهم اذا قاتلوا فهـم يقاتلون فى سبيله ، اما الاعداء فوليهـم الشيطان « الذين آمنوا يقـاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلـوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » ..

ولقد كتب الله تعالى العزة لنفسه ولرسوله للمؤمنين « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » فهل لابناء هذا الدين ان يحافظوا على عزتهم وأن يحرصوا على الحياة الكريمة حتى ينتصروا على الاعداء ؟ « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الـذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور »

كتاب الشهر

الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين

تأليف: كامل السوافيري

عرض ونقد
طاهر الطناحي

بين يدى الآن كتاب نفيس صدر منذ قليل بعنوان: « الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين » . وهو كتاب يغرى بالقراءة والدرس . وقد حفل بفصول شائقة من الشعر والنثر ، والتاريخ والبحث والنظرات الثاقبة ، واللمحات الواكبة ، والوطنية العربية الاصيلة والعواطف القومية الثائرة ، التى حفزتها الى الظهور هذه المحنة الكبرى ، والمأساة العربية العظمى التى المت بالفردوس العربى الثانى « فلسطين » بعد الفردوس الاندلسى الاول ، الذى فقدته العروبة منذ قرون . وكان للشعر العربى موقفه التاريخى البارز فى مأساته ،وكان لشعراء ذلك العصر صرختهم الداوية ، وأشعارهم المدوية وعواطفهم الباكية . ونذكر منهم « ابا البقاء صالح بن شريف الرندى » الذى نظم قصيدته المشهورة التى مطلعها :

لكل شىء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

ثم يقول فيها محزونا باكيا :

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الاهل هيمان
على ديار من الاسلام خالية
قد اقفرت ، ولها بالكفر عمدان

كذلك أقفرت فلسطين ، كما أقفرت الاندلس ، او كادت ، الا بقية باقية تتعلق بها الآمال كأساس تعود عليه ، كما عادت بعد انتصار العرب فى الحروب الصليبية .

فقد ضاع فى تلك الحروب الكثير من بلادها ، حتى « بيت المقدس » ثم استردها العرب . وكان لابطالها ، وشعرائها رسالتهم الوطنية الجليلة فى الدفاع عن بلادهم وحفز قومهم الى هزيمة المعتدين ، واجلائهم عن وطنهم العربى .

فهذا أسامة بن منقذ الشاعر الفارس الاديب يدافع بسيفه وقلمه عن فلسطين ويقود الحملات الحربية ضد الصليبيين ، ويحارب الى جانب صلاح الدين الايوبى ، حتى استرد الجيش العربى « بيت المقدس » وسائر ما اغتصبه الصليبيون .

وهذا أبو اسحاق الغزى يحفز قومه الى المحافظة على عروبتهم ووطنهم فيقول :

ليس التغرب أن نشكو نوى سفر
وانما ذاك فقد الجنس فى الوطن

ثم يقول ، وقد كان شاعرا فلسطينيا عربيا فحلا فى القرن الخامس الهجرى . وكأنما هو يعيش بيننا الآن ، ويشهد احداث فلسطين ، ويناشد العرب قائلا :

يارجال العصر ليس المجد ما
يرث الانسان من عم وخال
انما المجد ثناء يقتنى
من شبا السيف وشيب متوال

هكذا كانت غاية أبطال العربية فى فلسطين

وهكذا كانت أهداف شعراء العرب فى نجدة فلسطين وكذلك كانوا منذ قديم الزمان . وقد تعاون مع ابناء فلسطين سائر أبناء العروبة فى كل قطر عربى ،

واقبل شعراء العربية من كل حدب يناصرون فلسطين ويدافعون عن وطن الحرم المقدس الثانى ، لا فرق بين مسلم ومسيحى .

فلا عجب أن نرى شعراء العصر الحديث ، يسرعون للدفاع ، ويهرعون للنجدة ، ويتسابقون للتعاون ، وان نرى الأديب الفاضل الأستاذ كامل السوافيرى ، فيخصص بحثا جليلا فى كتاب قيم عن هذا الوطن المقدس . وعن مأساته الكبرى وموقف الشعر العربى الحديث منها منذ وعد بلفور الى العهد الاخير . وقد قدم هذا الكتاب بمقدمة ضافية ، جاء فيها :

« لهذا البحث قصة بدات فى خريف سنة ١٩٤٨ . وهى السنة التى حملت أيامها لفلسطين وللامة العربية أسوأ ما تحمل الايام من محن ونكبات . اذ وقعت فيها كارثة العرب القومية الكبرى . ونعنى بها كارثة فلسطين التى انتهت باقتطاع قطر عزيز من جسم العروبة ، وفصله عن الامة العربية ، وقيام دولة غريبة فيه بعد تشريد أهله واجلائهم عن ربوعه .!

ولقد كانت الكارثة صدمة عنيفة للعرب افاقوا على هولها ، ورجعوا الى انفسهم يتساءلون فى مرارة كيف حدثت ؟ وكيف انتهت الى هذه النهاية المفجعة ، واتجه الكتاب والمفكرون فى الوطن العربى الى تحليل أسباب الكارثة وتعليل نتائجها ، واستلهام العظات والعبر من أحداثها وتوضيح المعالم المؤدية للحلول بتغيير الاوضاع القائمة فى الدول العربية ، واتباع سياسة جديدة فى الثقافة والاجتماع والشئون العسكرية والاقتصادية، وصدرت طائفة من الكتب » .

وقد عدد بعض هذه الكتب التى صدرت فى معنى النكبة ، وعبرتها وأثرها . ثم تحدث عما أحدثته الكارثة من انقلابات فى النظم السياسية للدول العربية ، ومما وقع من ثورة على الحكام والقادة والملوك الذين أداروا دفة السياسة أثناء حرب فلسطين . ثم ما أحدثته من انقلاب فى التفكير شمل مختلف النواحى ، فتغيرت نظرتنا نحن العرب للحياة بعد أن استيقظت مشاعرنا على واقعنا المؤلم .

وقد خلقت الكارثة أيضا أدبا جديدا أطلقنا عليه أدب النكبة والمأساة وقد تمثل فى هذا الادب كل فنون الادب العربى من الاقصوصة الى القصة الى المسرحية النثرية الى المقالة الى الخطبة ، ومن المقطوعة الشعرية الى القصيدة الى الملحمة الى المسرحية الشعرية .

وقد كتب طائفة من أدباء العربية عن أثر تلك المأساة فى الادب العربى ، ولم يقصر الشعراء والكتاب فى الانتاج الرائع من وحى المأساة منذ وعد بلفور الى أن انتهت الى هذه النهاية المشئومة .

وكان على مؤلف هذا الكتاب الأستاذ السوافيرى أن يجمع ويدرس كل ما ظهر من شعر عربى حديث فى اقطار العروبة كلها فى هذه الحقبة الطويلة ، من الزمان على الرغم مما يحتاج اليه هذا البحث من جهد شديد

وقد دفعه الى اختيار موضوع الكتاب - كما قال - كثير من الاسباب :

منها أنه من أبناء المأساة ، اكتوى بها ، وتلظى بنارها وقد اغتصبت العصابات الصهيونية بلدته « السوافير » التى ينسب اليها ، وتشرد منها أهله واخوته وأبناء عمومته وعشيرته ، وهاموا على وجوههم فى الارض !

ومنها . أن النكبة أيقظت العرب ، وكشفت لهم عن جوانب الضعف ومهدت للثورات السياسية التى حدثت فى العالم العربى .

ومنها : ان الشعر الذى استوحى فلسطين قبل النكبة وبعدها شعر وطنى قومى ، تلتمع فى ثناياه البطولات ، وتتالق التضحيات ، وتشرق الامجاد العربية والاسلامية الخالدة .

ومنها : أن هذا الشعر لايهم عرب فلسطين وحدهم ، بل يهم الناطقين بالضاد وفى الوطن العربى ، وملايين المسلمين فى الكرة الارضية .

ومنها : ان فى عرضه لنصوص هذا الشعر ودراسته لها وفاء منه لفلسطين واداء لحق من حقوق الامة العربية .

ولا ريب أن هذا البحث الذى عرضه الاستاذ السوافيرى جديد لم يسبقه اليه باحث ، ولم يعالجه أحد من دارسى الشعر العربى الحديث وقد استطاع أن يحصل على نصوصه من عدة مصادر فى الاقطار العربية بعضها من دواوين ومجلات ظهرت فى عدة سنين ، وبعضها من الاندية والمجمعات الثقافية فى العالم العربى ، وبعضها مما طبعه الشعراء ، أو مما أرسلوه اليه من مخطوطات شعرية لم يسبق نشرها فى صحيفة أو كتاب .

ولما كانت هذه النصوص طويلة ، وكثيرة ، فقد اختار منها ما يراه مناسبا لدراسته الشعرية فى هذا الكتاب . وقد قال فى ذلك :

« ودراستى للمادة الشعرية ، وذوقى الادبى الخاص هما اللذان أوحيا الى تخير النصوص التى عرضتها ، على اعتبار أنها أقوى القصائد وأجودها ، وأصدقها تعبيرا عن عواطف الشعراء واحساسهم بالمحنة . وطالما أمضيت الساعات وانا أوازن بين طائفة من القصائد تناولت حادثا سياسيا بذاته أو جانبا من جوانب المحنة لاختيار أجودها . وكنت أقف هذا الموقف نفسه من الشاعر الواحد لاختيار أجود ما قال .

فالشعر الذى تخيرته هو أقوى شعر فى نظرى بالنسبة لما أطلعت عليه . والنصوص التى عرضتها هى أجود ما قرأت . وقد تختلف آراء النقاد وأذواقهم مع رأيى وذوقى ، وقد تبتعد أحكامى عن الصواب قليلا أو كثيرا، ولكن عذرى الذى يشفع لى هو أننى كنت صادقا مع نفسى ، ومنصفا من وجهة نظرى .. »

ولسنا نطعن فى ذوق الأستاذ المؤلف ، ولا فى دراسته لما اختار فى هذا الكتاب من أشعار لطائفة من شعراء العربية المعروفين ، فانه متخرج فى دار العلوم،ومدرس للغة العربية والادب العربى ، قد تمرس بقراءة الشعر ودراسته فى جميع عصوره منذ عصر الجاهلية الى العصر الحديث . وله بحوث فى الشعر العربى والنثر الفنى ألقاها فى رابطة الادب الحديث بالقاهرة وغيرها من نوادى الادب ، وجمعيات البحث الادبى .

ولكننا كنا نود أن يستثنى فى اختيار ما اختار وفى ترك ما ترك ما أرسله اليه كبار الشعراء الاحياء أنفسهم باختيارهم ، فان اختيار الشاعر الكبير لشعره أدل على صدق احساسه ، وأصح فى الحكم على جودته !

ولقد انتقد بعض أدباء العربية ومؤرخو الادب كلا من « أبى تمام » فى « ديوان الحماسة » و « محمود سامى البارودى » فى «مختارات البارودى» . فان لكل منهما ذوقا خاصا ، وطابعا خاصا واحساسا بالاحداث والاشياء يختلف عن غيره من الشعراء . وقد اخضع كل منهما احساس بعض الشعراء وعواطفهم وخيالهم الى ميولهما وعواطفهما وذوقهما الخاص ، حتى اننا لنجد فى « ديوان الحماسة » و « مختارات البارودى »تعديلا فى بعض الابيات أجراه كل من ابى تمام ، والبارودى غير منسوب الى القائل الاصلى . وقد قصدا بذلك تقوية هذه الابيات وتوفير الجودة لهما بتبديل كلمة باخرى او حرف بحرف ، أو حذف بيت باكمله .

وهذا التعديل من الناحية الادبية الصرفة يرضى فن البلاغة والفصاحة ، لانه يقدم مادة من الادب الجيد ، والشعر الجزل البليغ ، ولكنه لا يرضى تاريخ الأدب الذى يحرص فيه المؤرخون على تقديم الصورة كاملة للشاعر الكبير والكاتب البليغ بما فيها من جيد وضعيف !

على أن من الانصاف أن نقول أن الاستاذ السوافيرى كان عليه أن يختار من الصورة الجيد والاجود ، لان مادة البحث والدراسة الاساسية فى الرسالة هى « الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين » لاتراث هؤلاء الشعراء الذين ساهموا فى هذه المأساة كله ، ولاتاريخ هؤلاء الشعراء ، وما نظموا من جيد وأجود وضعيف .

فقد تناول فيما تناوله منزلة الشعر العربى الحديث فى محنة فلسطين قبل المأساة ودرسه دراسة نقد فى الموضوعات والافكار ، والعواطف والاساليب ، كما درسه دراسة مقارنة بين الاقطار العربية ، وكيف صور الشعر محنة فلسطين وكيف عبر عنها ، وكيف كان تأثير المحنة فى الشعر ، وكذلك درس هذه الدراسة فى الشعر العربى أثناء المأساة وبعد المأساة . فقد قسم المؤلف كتابه الى قسمين كل قسم منهما يشتمل على بابين وعدة فصول ، تملأ بين دفتيه ستمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير .

وقد قدم الكتاب بتمهيد واف عن تاريخ فلسطين قبل المحنة منذ التاريخ القديم الى « فلسطين فى ظل الدولة العثمانية » وأوضح حياتها السياسية ، وحياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى ذلك العهد ، ثم فلسطين فى موكب الادب العربى ، ثم صلة اليهود المزعومة بفلسطين .

وانتقل من هذا التمهيد المفيد الى القسم الاول الذى يشتمل على محنة فلسطين من نوفمبر سنة ١٩١٧ الى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م فتحدث عن الصهيونية العالمية والحرب العالمية الاولى ، والثورة العربية وتصريح بلفور وتقسيم الشام . وهو يقصد باسم الشام ما كان معروفا عند العرب منذ القدم بالبلاد الشامية ، وهى سورية ، وفلسطين ، والاردن ولبنان فكلها تعرف باسم « الشام »

وقد تناول بعد ذلك فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى ، وما عانته فى حياتها السياسية والوطنية ، فى ذلك الحين ، وكيف شجعت بريطانيا هجرة اليهود وسلب املاك العرب ، وأراضيهم وبيعها لليهود ، وكيف اضطهدت بريطانيا العرب فى شتى مرافق الدولة ، وحرمتهم من الوظائف الرئيسية فى بلادهم . وكيف ضغطت على العرب ، وحاربت الحكم الذاتى ، وكيف قيدت الحياة الفكرية والادبية ، وحددت المدارس ومعاهد التربية والتعليم .

ولم يقف العرب من هذا الانتداب الاستعمارى ، وهذا الاضطهاد لابناء فلسطين موقف الضعف والخور ، بل قاموا يذودون عن قومهم ووطنهم وبدأ كفاح فلسطين القومى الذى أخذ قبل حرب سنة ١٩٤٨ م أدوارا خمسة هى :

١ ـ من سنة ١٩١٧ م ـ الى سنة ١٩٣١ م
٢ ـ من سنة ١٩٣٢ م الى سنة ١٩٣٧ م
٣ ـ من سنة ١٩٣٧ م ـ الى سنة ١٩٣٩ م
٤ ـ من سنة ١٩٣٩ م ـ الى سنة ١٩٤٥ م
٥ ـ من سنة ١٩٤٥ م ـ الى سنة ١٩٤٧ م

وقد حدث أثناء هذه السنوات صدام سنة ١٩٢١ ـ وحادث البراق ـ والمؤتمر الاسلامى وثورة فلسطين الكبرى سنة ١٩٣٦ ، والثورة على التقسيم والعدول عنه . وجهاد فلسطين وحدها أولا ، والدول العربية تساعدها ، ثم دور المرأة الفلسطينية فى الكفاح وفلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية موقف اليهود ، وموقف بريطانيا ، وموقف العرب ومولد الجامعة العربية وفلسطين بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد فصل المؤلف هذا الكفاح تفصيلا واضحا ، وشرح هذه الاحداث شرحا وافيا ، كما مر بكل من هذه الادوار التاريخية ، فبحثها وأوضح كل ما فيها من جهاد وطنى وجهود سياسية ، وكفاح قومى . وعزز ذلك كله بالوثائق والنصوص الرسمية .

وقد استوعب هذا الجانب التاريخى ثلث الكتاب . وانتقل الى موقف الشعر العربى الحديث من المأساة فى كل دور من أدوار هذا الكفاح الثائر فقسم ما اختاره من الشعر فى هذه الادوار حسب الموضوعات والاحداث وقدم بطبيعة الحال شعر أبناء فلسطين . وهو شعر حماسى . وصف بعضه الفنائى . وشعر كفاح الاستعمار ، ومن ذلك ماقاله الشاعر المرحوم ابراهيم طوقان يخاطب الانجليز من قصيدة عنوانها : « أيها الاقوياء » من « ديوان ابراهيم طوقان » :

قد شهدنا لعهدكم بالعدالة
وختمنا لجندكم بالبسالة
وعرفنا بكم صديقا وفيا
كيف ننسى انتدابه واحتلاله
وخجلنا من لطفكم يوم قلتم
« وعد بلفور » نافذ لا محالة
ولئن ساء حالنا ، فكفانا
أنكم عندنا بأحسن حاله
غير أن الطريق طالت علينا
وعليكم فمالنا والاطالة
اجلاء عن البلاد تريدو
ن ، فنجلو ، أم محقنا والازالة ؟

وقد اتبع المؤلف شعر أبناء فلسطين فى هذا الدور بشعر أبناء الاقطار الاسلامية الاخرى ففى مصر روى للمرحوم الشاعر أحمد محرم والشاعر على الجندى ، والشاعر على الجارم والشاعر محمد مصطفى الماحى ، والاستاذ محمود حسن اسماعيل ، والمرحوم على محمود طه ، ومحمد رجب البيومى ، ومحمد عبد الغنى حسن والسيدة جليلة رضا ، وغيرهم ومن ذلك هذه الابيات من قصيدة « فلسطين الصابرة » للشاعر محمد عبد الغنى حسن :

يافلسطين كل صعب يهون
والليالى لهن فينا شئون
ثورة دمدمت وطال عليها
أمد الدهر ، فهى فينا شجون
لان قلب الزمان منها ، ولكن
عزم أبطالكم بها لايلين
عرب فى الحفاظ والصبر أنتم
فأرونا كيف الحفاظ يكون

وفى سورية هب كبار شعرائها يدافعون عن حرية فلسطين ضد وعد بلفور ، وفى مقدمتهم خير الدين الزركلى وعادل الغضبان وزكى المحاسنى ، وعبد الوهاب أدهم ، وبدوى الجبل ، وعمر أبو ريشة ، وأمجد الطرابلسى وعمر يحيى وغيرهم . ومما قاله خير الدين الزركلى :

فيم الونى وديار الشام تقتسم
أين العهود التى لم ترع والحرم ؟
هل صح ما قيل من عهد ومن عدة
وقد رأيت حقوق العرب تهتضم

ثم يقول :

وعود « ويلسون » لم أضللت من فئة
لانت أشام ماسيست به الامم
خدعتنا ، فانخدعنا فاستخف بنا
شمس عن الحق فى آذانهم صمم

وفى لبنان نظم كثير من شعرائها فى هذه المأساة مثل الشاعرمحمد على الحومانى ، ووديع البستانى ، والاخطل الصغير بشارة الخورى ، وشبلى الملاط ، وامين ناصر الدين ، والشيخ فؤاد الخطيب .

وفى العراق روى المؤلف المعروف الرصافى ، وصالح الجعفرى ، وعبد المنعم القرطوسى ومحمود الحبوبى .

وفى اميركا روى المؤلف للشاعر القروى رشيد سليم الخورى ، وايليا أبى ماضى ، وجورج صيدح . ولم يكتف بما سجله ورواه من الشعر الغنائى ، والشعر الحماسى، بل تناول عدة موضوعات أخرى من أهمها الشعر المسرحى والشعر القصصى . وقد مثلت بعض المسرحيات الشعرية التى نظمها الشعراء العرب فى هذه المأساة .

وقد كان المؤلف يختم كل فصل من الفصول التى يسجل فيها النصوص الشعرية ببحث فى أثر الشعر فى كفاح عرب فلسطين ، وبدراسة نقدية لموضوعاته وأساليبه ، وما حواه من صور وأفكار وعواطف . ومما قاله فى أثر محنة فلسطين فى الشعر الحديث :

« كانت محنة فلسطين مصدر وحى ، وجد فيها الشعر مجالا رحبا ، فاستوحى كل مظهر من مظاهرها ، ولم تكن مصدر وحى للشعراء من أبناء فلسطين وحدهم بل للشعر العربى الحديث بعامة ، ولشعراء أبناء الاقطار العربية الذين وجدوا فيها المعين الذى لاينضب

ولقد استلهم الشعر العربى الموضوعات الجديدة مثل : وعد بلفور ، ولانتهم بالمبالغة اذا زعمنا أن جميع الشعراء فى الاقطار العربية أعلنوا سخطهم عليه وعلى مبرمه ، وعلى الدوله التى ينتمى اليها ، وما يقال عن وعد بلفور ، يقال عن هجرة اليهود الى فلسطين ، واستيلائهم على أرض العرب ، وعيثهم بالفساد فى البلاد ولم يحظ جانب من جوانب المحنة من الشعر بما حظى جهاد عرب فلسطين وثباتهم فى المعركة أمام الغزو الاستعمارى الصهيونى ، وما كتبوه بدمائهم فى سجل الكفاح .. »

ولست أستطيع أن أتحدث عن كل ما جاء فى هذا الكتاب من معلومات تاريخية ودراسات أدبية ، تضم عشرات الصفحات . وحسبى أن أقول أن المؤلف قد بذل فيه مجهودا جليلا يستحق التقدير . وقد جمع فيه من أبيات الشعر وقصائده لطائفة من شعراء الاقطار العربية ما يكاد يملا عدة دواوين ، فليس من السهل أن تجمع ، وتنقد أشعارا لمختلف شعراء العربية من الصحف الدورية ، والمخطوطات الشعرية ، والمراجع العامة والمصادر التاريخية والدواوين الشعرية لخمسة وستين شاعرا فى الاقطار العربية كلها من المحيط الى الخليج ، ومن أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ومنذ سنة ١٩١٧ م الى سنة ١٩٤٧ م ، ومن هذه السنة الى سنة ١٩٦٢ م .

ليس من السهل ولا من اليسير هذا المجهود ، فاذا أضفنا الى هذه النصوص والمراجع انها كانت المعالم التى اعتمد عليها فى بحوثه ودراساته وآرائه فى الشعر الحديث لهذه المأساة ، استطعنا أن نحكم على قيمة هذا الكتاب الذى أضاف الى التاليف الادبى ثروة جديدة .

هذا الى تلك الدراسة المقارنة بين أشعار الاقطار العربية فى تأثر كل منها بالمأساة حسب احساس أهله وحسب احداثه السياسية وأطواره الوطنية ، وقد قسم هذا التأثر الى درجات . وقال فى ذلك عن « مصر » :

« اختلف موقف الشعر فى مصر بعد المأساة عن موقفه قبلها ، فاحست مصر بعنف الكارثة احساسا قويا عصف بالنظم ، وأطاح بالعروش والتيجان ، وقضى على الفساد واصلح الاوضاع . وقد قررنا من قبل أن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م كانت وليدة مأساة فلسطين ، وان الذين قاموا بها قد التقوا فى ميادين القتال فىفلسطين وخاضوا أعنف المعارك ، وأشدها ضد القوات اليهودية فى معركة النقب .. ولقد تدفق علينا الشعر بعد المأساة من جميع شعراء مصر على اختلاف مذاهبهم . »

ونحن نوافق المؤلف على أن شعراء مصر ، قد تأثروا بالمأساة تأثرا عظيما ، استطاع به أن يجمع فى كتابه كثيرا من القصائد لاحد عشر شاعرا مصريا ، غير الملحمة الطويلة التى نظمها الشاعر محمود محمد صادق

ولكننا نختلف معه فى قوله أن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م كانت وليدة مأساة فلسطين . فان هذه الثورة ترجع بجذورها الى أواخر عهد المماليك ، ثم ظهرت فى صورتها الشعبية الاولى فى عهد الثورة الفرنسية ، ثم تحرر زعامتها فى عهد محمد على الكبير بقيادة عمر مكرم ، ثم كانت سنة ١٨٨٢ م ، فظهرت فى صورة شعبية عسكرية تعاون فيها الشعب مع زعمائه ومع الجيش ضد حاكم البلاد المستبد ، وضد الاستعمار وعلى الرغم من اخفاقها فى ذلك الحين ، فقد تحركت جذوتها ، فى حركة مصطفى كامل ، واتقدت بعد الحرب العالمية الاولى فترة من الزمان ، تقلبت فيها بين القوة والضعف وأخمدتها المنازعات الحزبية ، والاطماع الشخصية ، ثم كانت على أكملها وأقواها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م فحملت لواء العزة والكرامة ، وصدعت بالصيحة الكبرى للحرية والاستقلال للوطن العربى .

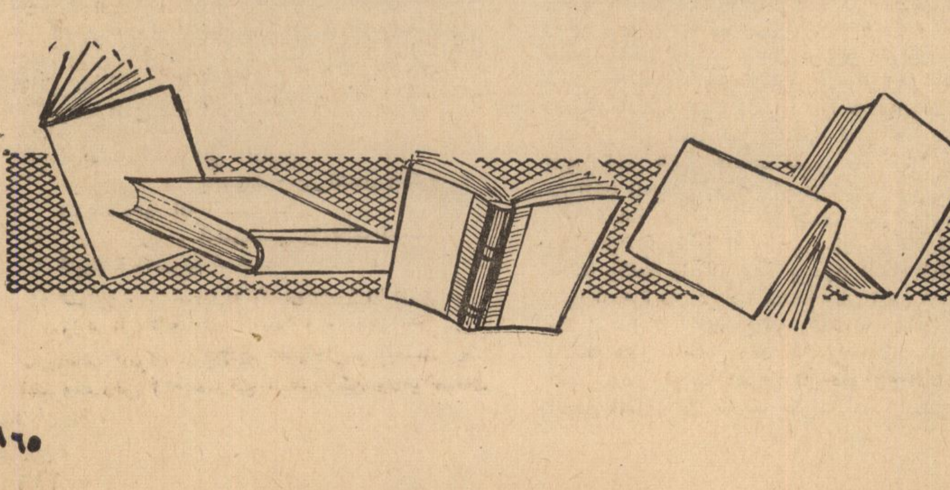

عبد الله بن عامر

الأستاذ محمد سيد جاد الحق

هو ابن عامر بن كريز بن ربيعه من السادات الأكابر والأعيان الأماثل مجمع الفضائل وجامع المكارم كريم الكف حميد الأخلاق حسن الملتقى ظاهر البشر له همة عالية ونفس شريفة تقدم فى كثير من المعارف وبرع وسما قدره وارتفع مفخرة بلده وسواه روض علم وأدب تكلف به النفوس وتهواه طاب ذكره وعم احسانه وبره وعظم بالصدقات التى بذلها عند وفاته أجره سخى كريم حليم ميمون النقيبة كثير المناقب شجاع وصول لرحمه فيه رفق بالرعية .

نسبه وأصله : أبوه عامر بن كريز وجدته البيضاء بنت عبد المطلب فهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من دوحة باسقة الفروع طيبة المجتنى وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة معتمرا عمرة القضاء حمل اليه ابن عامر وهو صغير فقال النبى هذا يشبهنا فحنكه فتثائب فتفل فى فمه فابتلع ريق النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى انى لأرجو أن يكون متقياوتوفى النبى ولابن عامر ثلاثة عشرة سنة وكان لا يعالج أرضا الا ظهر له الماء ببركة دعوة رسول الله .

وكأنه الذى عناه القائل بقوله :

بعثت لتتلو على العالمين
بجودك وحى الندى والكرم
وتدعوهم أمة أمة
لينتهبوا مالك المقتسم
فلبوك لا العرب استعصبت
عليك ولا خالفتك العجم
راوك الى المجد تدعو العباد
فالقوا جميعا اليك السلم

ولد رضى الله عنه فى البلد الأمين ومات بعرفات ودفن بها .

أعماله : حج حجة الاسلام وافتتح عامة خراسان وفارس وكرمان وبجستان وكابل واتخذ النباج وهو مكان على طريق البصرة غرس به نخلا وانبط عيونا تعرف بعيون ابن عامر بينها وبين النباج ليلة على طريق المدينة واتخذ بقرب قباء قصرا وجعل فيه عبيدا يعملون فماتوا فتركه واتخذ بعرفات حياضا ونخلا واحتفر بالبصرة نهرين أحدهما فى الشرق والاخر الذى يعرف بأم عبد الله وأم عبد الله أمه واسمها دجاجة بنت أسماء بنت الصلت السلمى وحوض أم عبد الله بالبصرة منسوب اليها وماتت بالبصرة وحفر عبد الله بن عامر نهر الأيلة وكان يقول لو تركت لخرجت المرأة على دابتها ترد كل يوم على ماء وسوق حتى توافى مكة وأسلم أبوه يوم الفتح وبقى الى خلافة عثمان وقدم على ابنه عبد اللهالبصرة وهو واليها لعثمان بن عفان .

توليته بلاد فارس : ولاه عثمان بن عفان بلاد فارس بعد عثمان بن أبى العاص فأحرم من نيسابور بعمرة وحجة شكرا لله تعالى على ما فتح عليه وقدم على عثمان بالمدينة فقال له عثمان صل قرابتك وقومك ففرق فى قريش والانصار شيئا عظيما من الاموال وهو الذى اتخذ السوق بالبصرة حيث اشترى دارا فهدمها وجعلها سوقا وهو أول من لبس الخز بالبصرة لبس جبة دكناء فقال الناس لبس الأمير جلددب فلبس جبة حمراء وهو أول من اتخذ الحياض بعرفة وأجرى اليها العين .

شهادة على له : لما قتل عثمان حمل ابن عامر ما فى بيت مال البصرة من الأموال ثم سار الى مكة فوافى بها عائشة وطلحة والزبير وهم يريدون الشام فقال الابل ائتوا البصرة فان لى بها صنائع وهى أرض الأموال فيها عدد الرجال فلما كان من أمر وقعة الجمل ما كان لحق بالشام فنزل بدمشق وقد قتل ولده عبد الرحمن يوم الجمل وقال أبو بكر الهزلى قال على كرم الله وجهه يوم الجمل أتدرون من حاربت حاربت أمجد الناس وأنجد

الناس يعنى عبد الله بن عامر واشجع الناس يعـنـى الزبير وادهى الناس يعنى طلحة .

ابن عامر على المنبر : قال الأصـمعى ارتج عليه يوم اضحى بالبصرة فمكث ساعة ثم قال والله لا أجمع عليكم عيا ولؤما من أخذ شاة من السوق فثمنهاعلى وعن يزيد بن كسيب قال كنت مع أبى بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال انظروا الىأميركم يلبس ثياب الفساق فقال أبو بكر اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله .

عزل أبى موسى الأشعرى : وفى سنة تسع وعشرين عزل عثمان أبا موسى الاشعرى عن البصرة وعثمـان بن أبى العاص عن فارس وجمع ذلك كله لعبد الله بن عامر وقال أبو اليقظان قدم ابن عامر البصرة واليا عليها وهو ابن خمس وعشرين سنة ولم يزل واليا لعثمان علىالبصرة الى أن قتل عثمان وكان أحد الأجواد وفى ابن عامر يقول زياد الأعجم .

اخ لك لا تراه الدهر الا
على العـلات بساما جوادا
اخ لك ما مـودته بمزق
اذا ما عاد فقر أخيه عـادا
سـألناه الجزيل فمـا تلكا
وأعطى فوق منيتنـا وزادا
واحسن ثم أحسن ثم عـدنا
فأحسـن ثم عدت له فعـادا
مرارا مارجعت اليـه الا
تبسم ضاحكا وثنى الوسـادا

ولى البصرة لعثمان ثم وفد على معاوية فزوجه بابنته هند وداره بدمشق بالحديرة وهى دار ابن الحرستانى

واستعمل عتمان على البصرة ابن عامر وعزل أبا موسى الأشعرى فقال أبو موسى قد أتاكم فتى من قريش كـريم الأمهات والعمات والخالات يقوم بالمال فيكم هكذا وهكذا وفى زمن ولايته قتـل كسرى ملك العجم فأحرم من نيسابور شكرا لله تعالى .

ابن عامر يوجه الـكتب للملوك : وجه ابن عامر كتابا الى عظيم هراه وبوشنج وبادغيس وفيه يقـول هذا ما أمر به عبد الله بن عامر عظيم هراة وبوشـنج وبادغيس أمره بتقوى الله ومناصحة المسلمين واصلاح ما تحت يديه من الأرض وصالحه عن هراه سهلها وجبلها على الارضين عدلا بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له

عل ىالأرضين عدلا بينهم فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمة وكتب ربيع بن نهشل وختم ابن عامر وحين وجه ابن عامر الأحنف بن قيس الى الموضع الذى يقال لـه قصر الاحنف وهو حصـن من مرو الروذ فحضر أهله فصالحوه على ثلاثمائة ألف فقال الاحنف أصالحكم على أن يدخل رجل منا القصر فيؤذن فيه ويقيم فيكم حتى انصرف فرضوا .

وفاته وعقبه : مات ابن عامر وخلف ذكرا حسنا وعقبا كثيرا وكانت وفاته سنة ٥٩ من الهجرة قبل وفاة معاوية بسنة وأوصى الى عبد الله بن الزبير وحضره ابن عمر عند وفاته فأثنى عليه بما اتخذ من الحياض بعرفات وبآثاره فى الأرض فنظر اليهم فقال ابن عمر اذا طابت المكسبة زكت النفقة وسترد فتعلم .

وفى عرفات فى ذلك السـهل المنبسط خط قبر ابن عامر فضمه جدث ضيق وكيف وسع ينابيع علمه بعدما ضاقت الدنيا عن فضله .

أضواء على التاريخ الإسلامى

أول بقعة أشرقت بنور الإسلام فى الهند

للأستاذ محيى الدين الألوائى

تدل الوثائق التاريخية على أن صوت الاسلام وصل سواحل الهند الغربية الواقعة على شاطىء بحر العرب عقب انبثاق فجره فى جزيرة العرب ، وأن أول بقعة اشرقت بنوره فى القارة الهندية هى منطقة « مليبار » (كيرالا) فى جنوب الهند ، وكانت مناطق « كيرالا » أول موطن للمهاجرين العرب الذين كانوا يفدون الى الهند للتجارة منذ عصور بالغة فى القدم ، وكانوا ينقلون محصولاتها الى جزيرة العرب والشام ومصر حيث يشترى منهم تجار الغرب فيصدرونها الى بلادهم ، وهكذا أصبح العرب الوسطاء بين الهند وبين الروم واليونان فى ميدان العلاقات التجارية ، وبعد أن لاقت الدعوة الاسلامية نجاحا وانتشارا فى جزيرة العرب منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، اعتنقت قبائل العرب الدين الاسلامى خلال الأعوام التالية ، ودخل سكان اليمن وحضرموت وغيرهما من مناطق الخليج العربى فى دين الله أفواجا . وكانوا جميعا من التجار الذين لهم علاقات تجارية وثيقة مع « مليبار » و « سيلان » و « جاوا » و « الصين » وغيرها من البلدان النائية ، ودخل الاسلام فى تلك البقعة بأيدى الدعاة المسلمين العرب الذين كانوا يبشرون بالدين الجديد فى كل بلد نزلوا فيه حتى صارت « مليبار » مقر الدعوة الاسلامية الاولى فى الهند ، وساهمت مساهمة فعالة فى تكوين كيان الثقافة الاسلامية العامة ، وأصبحت مركزا للدراسات العربية والاسلامية فى شبه القارة ، قبل الفتوحات الاسلامية التى قام بها الاباطرة والملوك فى أرجائها وتأسيس دولتهم فيها ، فهذه البقعة جديرة بالدراسات المستفيضة فى التاريخ الاسلامى بوجه عام ، وفى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند بوجه خاص وباعتبار كونها أول بقعة وصل اليها صوت الاسلام بل باعتبار كونها المركز الأول للثقافة العربية فى القارة الهندية ، وما زالت حتى الآن مظهرا حيا للتراث الاسلامى .

أ ـ مليبار قبل الاسلام

تقع « مليبار » على ساحل بحر العرب فى غرب جنوب الهند ، وكانت لها علاقات تجارية وثقافية مع البلاد النائية قبل أن يفد اليها اليهود والصوماليون والعرب . ويقول بعض المؤرخين : « ان الكلدانيين حاولوا توثيق الروابط التجارية مع « مليبار » قبل ألفى عام للميلاد . وتوجد وثائق تاريخية تدل على وصول تجار الروم اليها قبل القرن الرابع للميلاد . وكانت تحكم جنوب الهند فى ذلك الوقت ثلاث حكومات معروفة ، باثينا ، وجولا ، وجيرا .

والكتب القديمة فى «التاملية» و « الدراودية » اللغتين السائدتين فى جنوب الهند فى ذلك العصر تلقى ضوءا على تلك الحكومات وسياستها وتقاليدها وطقوسها ،واليونانيون والروم الذين امتلكوا زمام التجارة العالمية فى ذلك الوقت كانوا يستوردون البضائع التجارية من « مليبار » ويتبادلون السلع معها .

وتوجد اشارات وتلميحات عن مليبار وعن علاقاتها بالخارج ، وثقافاتها الخاصة فى الملاحم الهندية الكبيرة ، والاساطير القديمة ، مثل مهابهارت ، وراماياتام ، وأيوبورانم ، وبهاكوتم وغيرها . ولكن المؤرخين المحققين لم يعتمدوا على هذه الاساطير والملاحم الهندية ، كما اعتمدوا على المستندات الخارجية فى كتابة تاريخ «مليبار» وعلاقاتها الخارجية .

فلما أغار الجنود الجالون على الروم فى عام ٣٩٠ قبل الميلاد ، استولوا على أشياء ثمينة ، وبضائع قيمة ، ومن ضمنها الفلفل ، وكان يعتبر الفلفل والحديد من أهم البضائع المستوردة عند الروم .

ونجحت تجارتهم نجاحا باهرا بفضل التبادل التجارى مع البلاد الشرقية ، وبدءوا التجارة البحرية منذ الفومائة عام قبل الميلاد ، ولم يتسرب اليأس الى أذهانهم بسبب العوائق والعقبات التى اعترضتهم فى ارسال سفنهم التجارية الى البلادالنائية ، مثل الهند والصين ، وغيرهما. وتقدموا فى هذا الميدان بأمل وتفاؤل بالفين فى المستقبل.

وفى عهد استيلاء الملك « أغسطين » على مصر وقع البحر الأحمر تحت امرة البحرية الرومية . فبدأت هذه البحرية ترسل قواتها الاستطلاعية الى شتى بقاع العالم، وفى أيام كلاديوس ، أو « قلاديوس » وصلت جماعة من بحارة الروم الى سواحل مليبار قادمين توا من موانىء البحر الأحمر ، فاكتشفوا لأول مرة انه من الممكن الوصول الى سواحل جنوب الهند بدون المرور بسواحل جزيرة العرب ، وتبعه قدوم الروم ، والمصريين الى سواحل مليبار جماعات وفرادى ، وكان يستغرق السفر من مليبارشهرين وعشرة أيام كاملة .

وهكذا علموا التغييرات الجوية ، والتقلبات الموسمية جيدا ، فتيسرت لهم السبل للوصول الى هذه البقعة الفنية المليئة بانواع من المحصولات النادرة والمعادن الثمينة ـ وساعدت رحلات تجار الروم المتواصلة الى مليبار على توطد علاقاتها مع الخارج بسرعة فائقة .

وبنى الروم سفينة كبيرة للتجارة مع بلاد مليبار ، وسموها باسم « هيبالوموسرى » تخليدا لذكرى بطل القوات البحرية الرومية « هيباليوس » وهو الذى اكتشف لأول مرة الأجواء الموسمية فى هذه الخطوط وعلمها لهم . وبنى معبد كبير فى عاصمة مليبار تذكارا للفاتح العظيم « يسر أغسطين » . ويعرف للروم فى الآداب التاملية باسم « فونر » فلما تجددت الانقلابات واشتدت الاضطرابات فى الروم اضمحلت التجارة التى كانوا يقومون بها مع مليبار. وارتفعت أسهم التجار الأجانب الآخرين فى مراكز التجارة بسواحلها . وكان الروم هم الذين يتولون زمام التجارة بمليبار الى عام ٢٣٠ للميلاد . ومع سقوط مدينة الاسكندرية انهارت زعامتهم فى التجارة العالمية .

ومما هو جدير بالذكر أن الروم كانوا همزة الوصل بين مليبار وبين العالم الخارجى فى بادىء الأمر . وكان للفلفل الأسود أثر فعال فى جذب التجار الأجانب الى جنوب الهند .

ويحدثنا التاريخ أن معارك دامية وقعت فى لجج بحر العرب بين القوات المختلفة فى سبيلهذه الفلافل العزيزة. وسقطت فيها مئات الابطال متحاربين للذتها ، بل وكان السبب الخفى وراء هذه الحروب التى نشبت فى الروم هو فلفل مليبار ، وحب السيطرة علىأسواقه ، واستطاعت هذه الحبة الصغيرة أن تجذب اليها أنظار العالم كله فى

امام الهند مولانا أبو المكارم آزاد ينحدر من أصل عربى

ابان العصور الاولى للميلاد . وكانت حبة الفلفل تعتبر شيئا عزيزا غاليا فى عهود الامبراطور هرقل والملوك البطالسة فى الروم . وكان يستعمل بكثرة ملحوظة فى الأفراح والأعياد. وكانوا يحتفظونه فى المطابخ والمستشفيات والمصحات . ويعين فى القصور الملكية حارس خاص لمخزن الفلافل بالنظر الى ندرتها واهميتها فى الأغراض العلاجية .

وجاء ذكر الفلفل فى كتب بقراط ، وفى رسائل الطب « تعليش » . وكان يقدم هدية للفاتحين فى عهد قدماء الرومان . وله مكانة خاصة فى كل المعاهدات والأحلاف التى كانت تعقد فى تلك العهود . ولهذا كله غلا سعره ، وعلا قدره ! وقيل ان الملك « جوغارت » قد أعطى كمية من الفلفل بمبلغ مائة ألف دينار الى قائد القوات الرومية على سبيل الرشوة فى حرب وقعت بين « جوغارت » وبين امبراطور الروم . وهذه الواقعة كانت فى عام ١١٨ قبل الميلاد .

وكان العلامة المشهور « بلينى » يستهزأ طمع الروم وجشعهم فى شان الفلفل ، فى مقالاته التاريخية ، ويقول : « ان الفلفل لا يحمل أية مزية حيث تجعله معدودا من الحبوب الغذائية ، ولا يحتوى على اية خصوصية تجعله من المحصولات الرئيسية ولكن له حراقة تساعد على فتح شهية الاكل الكاذبة . وعلى كل أصبح الرومان الآن مستميتين فى طعم الفلفل وحراقته ، ويضحون بكل رخيص وغال فى سبيل الحصول عليه بقدر المستطاع .

وأبدى كثير من المؤرخين الكبار دهشتهم البالغة عن تنافس الممالك العظمى وتقاتلها فى سبيل السيطرة على

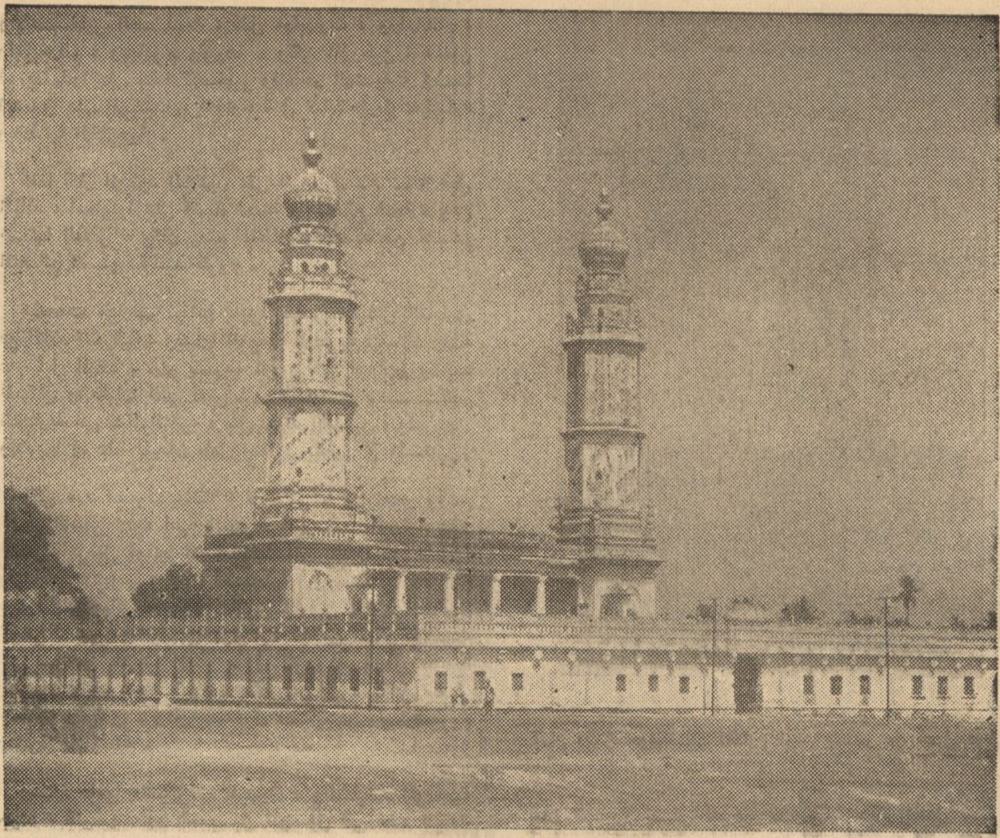

المسجد الجامع الضخم الذي بناه السلطان المسلم « تيبو » في جنوب الهند ـ الموطن الاول للمهاجرين العرب في شواطئ الهند الغربية

أسواق الفلفل ومراكزه . وحازت مليبار كل شهرة وتقدير فى آفاق الدنيا بفضل فلفلها وحديدها وتوابلها العديدة . وفى الوقت نفسه كان توطد الروابط التجارية مع بلاد الصين وغيرها من الجزر الشرقية .

واما مليبار فكانت تعرف باسماء عديدة قبل أن تشتهر بهذا الاسم بفضل مؤرخى العرب . وكان « بليني » من أشهر المؤرخين الروم الذين كتبوا عن مليبار وعاداتها وطبائعها الجغرافية ومراكزها التجارية والزراعية بفحص دقيق وبحث عميق . ويليه المؤرخ المعروف « دولامى » . وجاء ذكر مدينة مسريس « كدنغلور » عاصمة مليبار التجارية والسياسية فى ذاك الوقت باكثر من عشرة أسماء مختلفة أو متقاربة . وفى الأساطير التاملية أسماء منسوبة الى الأجانب الذين كان لهم ارتباط ما بتلك المدن أو القرى . وصرح بليني بنفسه بأن مدينة «مسريس» كانت محط أنظار تجار الرومان .

وكذلك ذكر فى التواريخ القديمة بلد باسم « آفر » ومعناه البلد الذى يستخرج منه الذهب . ولم يبت المؤرخون الجدد فى موقع ذلك البلد القديم . ولكن قيل ان الذهب كان يستخرج من بلدة تلنبور وما حواليها . ويدل على هذا التكهن ترابها الممزوج بمواد الذهب . وكذلك كانت تصدر من غابات تلنبور أخشاب من اشجار الساج المشهورة الى الخارج . ولا تزال مركزا رئيسيا لتجارة الخشب فى ربوع جنوب الهند ، ولعل مدينة « بيبور » التى تقع على مقربة من تلنبور هى المراد « بآفر » التى أتى ذكرها فى كتب التاريخ القديمة . ثم تغيرت وتقلبت حسب تطورات الزمن حتى أصبحت الآن « بيبور » وكانت تعرف « بنتلايتى » باسم هنترنى . وكتب المؤرخ « دولامى » عن المراكز الصغيرة المجاورة لمدينة كدنغلور عاصمة « جيرمان برمال » مثل كروزا ، وكوريارا ، وغيرهما . ولا نستطيع أن نحدد مواقع هذه المدن تحديدا قاطعا فى الوقت الحاضر ، اللهم الا التكهن بدلالات الحروف ومداولات الوقائع الى حد ما ، والسبيل الوحيد لحل هذه المشكلة العويصة هو الوقوف على جغرافية البلاد وحالتها اللغوية فى تلك العصور .

وقد ارتبط تاريخ « مليبار » ارتباطا وثيقا بثلاثة زعماء من رجال الدين يمثلون الأديان الثلاثة السماوية الشهود وهم :

١ ـ جوزيف ربان الزعيم اليهودى .

٢ ـ القديس توماس المبشر المسيحى المعروف .

٣ ـ مالك بن دينار الداعى الاسلامى الكبير .

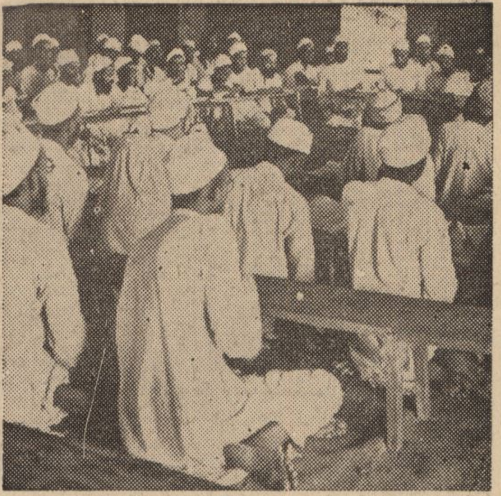

حلقة دراسية فى الدراسة بالازهر القديم « مدرسة دار العلوم بالهند »

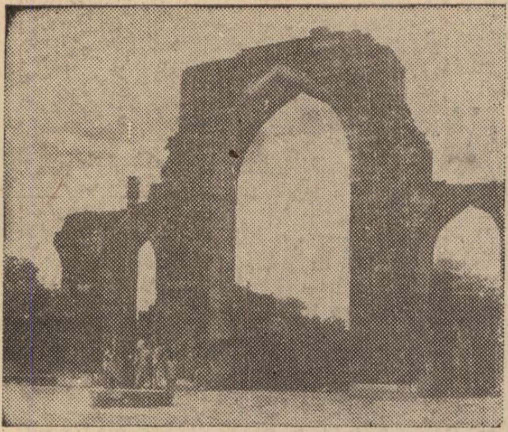

المعالم الاثرية لمدرسة « قوة الاسلام » بدلهى وهى أول مدرسة عربية أنشئت فى العهود الأولى لحكم المسلمين فى الهند

واصبح هؤلاء الزعماء الكبار جزءا متمما لتاريخ كيرالا. فحينما نعبر بكلمة « كيرالا » فتشمل على منطقة «مليبار» وامارتى « ترافنكور » و « كوشين » . وأما وصول هؤلاء الزعماء الدينيين الى مليبار فاحدث تغييرا شاملا فى عاداتها وتقاليدها وطقوسها ومراسمها المتبعة من عهود بالغة فى القدم . واستطاع هؤلاء المبشرون ومن تبعهم ما لم يستطع اليه التجار والسياح الأجانب فى تلك البقعة من تأثير وتغيير فى شتى مرافق الحياة . أما مليبار فوسعت صدرها لكل ما يرد اليها من ثقافات عديدة وعادات غريبة عنها ، وافسحت رحبها للوافدين اليها من كل فج عميق ، بصرف النظر عن الاختلافات الدينية واللغوية واللونية والجنسية . فوجدت تلك الثقافات أرضا خصبة فى ربوعها لتنمو وترعرع . وتفتحت زهورها وأثمرت ثمارها اليانعة حتى أصبحت الآن مستقرة جذورها ومتشعبة فروعها .

ومن هنا أصبحت « مليبار » مظهرا عاما لاديان مختلفة، ومركزا هاما لثقافات متعددة ، ومنظرا رائعا لعادات وطقوس شتى . يقول بعض المؤرخين : ان اليهود بدأوا يهاجرون الى سواحل مليبار ، فى عهد سليمان عليه السلام ، بعد انهيار مدينة يورشليم . وأول بقعة وصل اليها اليهود فى ربوع مليبار هى مدينة كدنغلور عاصمة مملكة « جيرمان برمال »

ويوافق جمهور المؤرخين على أن المسيحية قد تطرقت الى سواحل جنوب الهند سيما بلاد « كيرالا » (ترافنكور، كوشين ، ومنطقة مليبار) فى القرن الأول للميلاد . والذى حمل مشعل الدعوة المسيحية الى مليبار لأول مرة هو القديس توماس . وكان من حوارى السيد المسيح الاثنى عشر . وكان يعرف أيضا باسم « توماس سليحا » .

وصل القديس الى أراضى مليبار فى عام ٥٢ بعد الميلاد ، فواصل تبشيره للدين المسيحى فى طول البلاد وعرضها ، واول مدينة حل بها توماس هى مدينة « كدنغلور » عاصمة جيرمان برمال . واصبح محل تكريم وتقدير من جانب الملك . واعتنقت عدة قبائل الدين المسيحى . ثم بنى توماس كنائس وصوامع فى مختلف الأنحاء فى جنوب مليبار مثل كدنغلور ، وكولم ، وباليوز وبرور ، وپلى برم ، وكوتمنغلم ، وناراكل ، وغيرها من المدن التى لا تزال مكتظة بالطائفة المسيحية .

وكان القديس توماس قد فوض ادارة شئون هذه الكنائس الى كل قبيلة مستقلة ، وبعد أن فرغ من التبشير فى « كيرالا » توجه القديس الى بلاد تامل فى مقاطعة مدراس بجنوب الهند .

وقيل انه أغتيل بأيدى أعدائه فى بلدة « ميلابور » وتوجد فيها مقبرة عظيمة اختلف المواطنون المحليون فى أمرها جماعة تقول انها مقبرة القديس توماس المبشر المسيحى المشهور ، بينما تدعى طائفة أخرى بأنها مقبرة لداعية اسلامى معروف باسم « تمام » وكلا الفريقين ، المسلمين والمسيحيين ، يحترم ويزور هذه المقبرة بدون تفريق ولا تمييز الى وقتنا هذا .

ومع وصول القديس توماس الى مليبار توثقت الصلات بينها وبين الروم أكثر مما كانت ، فى شتى المرافق . وقيل ان ملك جزيرة « وليار بانم » ، زار السيد المسيح عليه السلام فى أيام حياته .

وكل من انتشار الدعوة المسيحية والاتصال بالروم منذ القدم ساعد مليبار على التعارف بتعاليم مختلفة ، والوقوف على ثقافات عديدة ، والاطلاع على شتى العلوم والفنون . وتأثرت الحياة القومية والعادات الوطنية بكثير من تلك الثقافات الوافدة اليها من بلاد نائية بحكم الصلات الموطدة فيما بينها على مر الدهور .

« يتبع »

حول تعديل قوانين

الأحوال الشخصية

ـ تعدد الزوجات ـ

الدكتور محمود حلمي

ثار نقاش بعض المفكرين والكتاب حول الاحكام الجديدة في مشروع قانون الاحوال الشخصية ، واثيرت المناقشات حول مايحويه مشروع القانون المنتظر من احكام او مايجب ان يحويه . واسندت بعض التصريحات الى بعض اعضاء اللجنة المختصة بالتعديل .

ولا شك ان الكلام حول القانون المنتظر سابق لاوانه ما دامت اللجنة لم تنته بعد صياغة المشروع ، وسيعرض مشروعها بعد اقراره على المختصين ثم على مجلس الامة لمناقشته والتصويت عليه .

على ان الكتابة فى الموضوع من غير المختصين او من المتطرفين تؤدى فى كثير من الاحيان الى بلبلة الأفكار ، وتؤدى الى ان يقتنع بعض الناس ـ من غير تعمق فى التفكير ـ ببعض المبادىء التى تتعارض مع ماتهدف اليه احكام الشريعة الاسلامية من استقرار فى حياة الاسرة .

والحق ان العمل باحكام الشريعة الاسلامية يؤدى الى احسن ماتؤدى اليه الاحكام من عدالة واستقرار ، غير ان هذه الاحكام بدورها تقبل التطور والتعديل بتغير الزمان ، فى حدود كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن واجب اللجان المختصة ان تضع من الاحكام مايتمشى مع هذا التطور .

ونحن لانخشى ان يتاثر اعضاء اللجنة بما يكتبه بعض الكتاب وما يذيعونه من افكار ـ فهذه اللجنة تضم من العلماء والمفكرين مايستبعد معه التاثر بالافكار المتطرفة ولكنا نخشى ان يتاثر الراى العام بهذه الافكار فيقابلون مشروع اللجنة بغير ترحيب ، كما نخشى أن يتاثر اعضاء مجلس الامة بهذه الافكار فيطالبون بتعديل المشروع المقدم من اللجنة على ضوئها .

ولهذا كان من واجبنا ان ننير الطريق وان نوضح للراى العام مايترتب عليه الاخذ ببعض الافكار المتطرفة من نتائج اجتماعية ضارة ، وسأتناول فى هذا المقال موضوعا أثير بشانه بعض النقاش هو « تقييد حق الرجل فى تعدد الزوجات ، او تحريمه » .

فيقترح البعض تقييد حق الرجل فى التزوج باكثر من واحدة ـ ويذهب البعض الآخر الى اكثر من هذا التقييد فيطلبون تحريم التعدد بصفة مطلقة .

ويبدو أن هؤلاء وهؤلاء قد تاثروا بالدعايات الكاذبة المغرضة التى يطلقها بعض اعداء الدين من ان اباحة تعدد الزوجات فى الاسلام من مظاهر تاخر المجتمع الاسلامى ، او انهم تاثروا ببعض الافكار التى تذيعها بعض السيدات اللائى يهدفن الى الظهور واجتذاب الانظار ، او بعض المنافقين الذين يتحببون ويتقربون اليهن .

اما عن تحريم التعدد بصفة مطلقة فامر يتنافى مع احكام الشريعة الاسلامية الغراء وما جاء فى كتاب الله الحكيم من آيات بينات .

يقول تعالى فى سورة النساء « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » .

ومع وضوح معنى هذه الآية فان البعض من غير المتخصصين فى تفسير القرآن أو فى الشريعة الاسلامية يتصدون للتفسير ، ويقولون ان الله سبحانه وتعالى قيد حق الرجل فى الزواج باكثر من واحدة بأن يقيم العدل بين زوجاته ، فان خاف الا يعدل فلا يتزوج الا واحدة ـ وهذا قول صحيح . ولكنهم يضيفون انه عز وجل قال فى آية أخرى من سورة النساء « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا

كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان إلله كان غفورا رحيما » .

ومعنى هذا فى رأى هؤلاء - وهم من غير المختصين كما ذكرت - انه سبحانه وتعالى قد اشترط لاباحة التعدد العدل بين الزوجات ، ثم قال تعالى ان هذا العدل متعذر ومستحيل ، ولا يعنى هذا فى رايهم الا أنه سبحانه وتعالى قد حرم التعدد .

ولسنا هنا فى مجال تفسير هذه الآيات ، ولسنا من المتخصصين فى هذا الامر . ولكن يكفى ان نوضح الامر باختصار ، فنذكر ان جمهور الفقهاء على اتفاق أن العدل المطلوب فى الآية الأولى هو العدل فى الأمور الخاصة بالمأكل والمشرب والمسكن والملبس والوقت الذى يقضيه الرجل مع كل زوجة من زوجاته الى غير ذلك من الامور التى يستطيع الرجل بحسب طبيعته الانسانية ان يعدل فيها بين زوجاته - اما ماوراء ذلك من الامور النفسية والعاطفية ومبلغ حبه لكل واحدة من زوجاته وميله اليها فمن المتعذر على الرجل ان يعدل فيها . وليس عليه جناح فى ذلك . يؤيد هذا التفسير ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الشأن أنه قال : « اللهم هذا قسمى فيما املك ، فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك » ويعنى بما يملكه الله ولا يملكه العبد الميل القلبى والحب النفسى وما يترتب على الميل والحب فى مسائل العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة .

ولم ياخذ واحد من الفقهاء الذين يعتد برايهم منذ صدر الاسلام أن مقارنة الآيتين المذكورتين فى سورة النساء ينتهى الى تحريم تعدد الزوجات . بل ان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أقر كثيرا من الصحابة على زواجهم باكثر من واحدة ، وطلب الى من يجمع منهم بين اكثر من اربع زوجات أن يختار منهن اربع . وماكان لغير المختصين بعد ذلك أن يتصدوا لتفسير آيات القرآن الكريم بغير علم .

ولكن هل تعتبر اباحة التعدد من مظاهر تاخر المجتمع - كما يقول أعداء الاسلام ؟ ان استقراء احوال المجتمعات القديمة يبين ان نظام تعدد الزوجات لم يبد فى صورة واضحة الا فى الشعوب المتقدمة فى الحضارة ، وهو قليل الانتشار او منعدمفى الشعوب البدائية المتاخرة .. فقد لوحظ ان نظام الزوجة الواحدة كان النظام السائد فى أكثر الشعوب تاخرا وبدائية ، وهى الشعوب التى تعيش على الصيد أو على جمع الثمار التى تجود بها الطبيعة عفوا ، وفى الشعوب التى لم تتزحزح تزحزحا كبيرا عن بداءتها ، وهى الشعوبالحديثة العهد بالزراعة على حين أن نظام تعدد الزوجات لم يبد فى صورة واضحة الا فى الشعوب التى قطعت مرحلة كبيرة فى الحضارة ، وهى الشعوب التى تجاوزت مرحلة الصيد البدائى الى مرحلة استئناس الانعام ورعيها واستغلالها ، والشعوب التى تجاوزت مرحلة جمع الثمار والزراعة البدائية الى مرحلة الزراعة المتقنة (١) .

والواقع ان المسيحية نفسها لاتحرم تعدد الزوجات ، ولم يرد فى الانجيل نص صريح يدل على هذا التحريم ، وكل ماهنالك ان المسيحية قد انتشرت فى بادىء الامر بين شعوب تحرم تعدد الزوجات ، وقد سار اهلها بعد اعتناقهم المسيحية على ماوجدوا عليه آباءهم من قبل . يدل على ذلك أن بعض الملوك المسيحيين قد جمعوا بين أكثر من زوجة واحدة ، كما يستفاد من بعض القوانين القديمة أن تعدد الزوجات كان مباحا حتى بالنسبة للقساوسة .

وعلى كل حال فلا يهمنا فى بناء مجتمعنا مايقوله أعداؤنا ، وانما نحدد اوضاعنا ونضع احكام شرائعنا طبقا لما تمليه علينا ظروفنا الاجتماعية وما تقره شريعتنا وتقاليدنا .

على أن الاسلام حين اباح التعدد قيده بقيد خاص هو ضرورة العدل بين الزوجات فى المسائل التى يمكن فيها العدل والمساواة ، وقيده قيدا عاما هو عدم الضرر ، اذ لاضرر ولا ضرار .

ولهذا يستند بعض المفكرين فى دعوتهم الى تحريم التعدد الى هذين المبداين ، ويطالبون بالتحريم طالما يؤدى التعدد الى الضرر بالفرد والمجتمع .

فبالنسبة للفرد ، فقد اشترط الاسلام لاباحة تعدد الزوجات العدل بينهن . واستقراء الحوادث يدل على ان الغالبية العظمى من الرجال المتزوجين باكثر من واحدة لايعدلون بينهن العدل المطلوب . ولا يمكن أن يترك النساء المتزوجات من هؤلاء الرجال ضحية ضعف ايمانهم او عدم العمل باحكام الشريعة الاسلامية الغراء أو عدم الالمام بها .

ومن الناحية العامة فقد ادت اباحة تعدد الزوجات فى كثير من الحالات ، وعلى الاخص بين العمال الجهلة الضعيفى الايمان الناقصى المعرفة والوعى - ادت الى تشرد الاولاد والى قيام العداوة والبغضاء بين افراد الاسرة الواحدة .

ونحن اذ نعترف بهذه المسائل لانوافق هؤلاء المفكرين على ماينادون به من ضرورة تحريم تعدد الزوجات بصفة مطلقة . لان هذا التحريم يسبب اضرارا جسيمة - اضرارا خاصة بالاسرة واضرارا خاصة بالمجتمع .

فقد يطرأ على الزوجة مايجعلها غير صالحة لاداء واجباتها الزوجية ، كان تكون عقيما او مريضة مرضا لايحتمل شفاؤه القريب او قد تكون عاجزة عن اداء واجباتها كزوجة وام لعتة او جنون الى غير ذلك . ولا يلام الزوج حينئذ اذا رغب فى الزواج من اخرى . وتقضى العدالة والرحمة والتكافل بين الاسرة الاسلامية أن يحتفظ الزوج بزوجته الاولى مع زوجته الجديدة .

بل ان الزوج قد يقع فى حب سيدة اخرى غير زوجته ويكون عليه أن يختار بين امور ثلاثة - اما أن يتخذ هذه السيدة خليلة أو عشيقة ، واما ان يطلق زوجته الاولى من غير ذنب جنته ويتزوج من حبيبته ، واما ان يتزوج من هذه ويجمع بينها وبين زوجته الاولى ويعدل بينهما ، وهذا هو أهون الاضرار واخفها .

وهكذا يكون فى تحريم التعدد اضرار بالاسرة ودعوة الى تفككها .

اما الاضرار العامة التى تترتب على تحريم تعدد الزوجات ، فابرز اسبابها زيادة عدد النساء عن الرجال فى جميع المجتمعات .

فقد دلت الاحصائيات الخاصة بوفيات الاطفال فى جميع الشعوب أن عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية الطفولة الاولى من الذكور يقل عن عدد من يبقى على قيد الحياة الى نهاية هذه المرحلة من الاناث . كذلك الشان فى المراحل التالية للطفولة فالذكور أكثر تعرضا للوفاة من الاناث واقصر منهن اعمارا . وذلك ناشىء عن قيام الرجال باكبرنصيب فى شئونالحروبوالكفاح وكسبالعيش فهم لذلك أكثر تعرضا للمهالك والأخطار من النساء (٢)

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى - مشكلة المجتمع المصرى والعالم العربى ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ .

يضاف الى ذلك أن ليس كل رجل قادرا على الزواج بينما النساء - عدا القليل منهن - صالحات لذلك . فالرجل لايكون قادرا على الزواج الا اذا توافرت فيه شروط كثيرة من النواحى الجسمية والصحية والاجتماعية . ومن اهم هذه الشروط ان يكون قادرا على نفقات المعيشة لزوجة واسرة ، ولايتحقق ذلك فى كثير من الاحيان الا فى سن متأخرة . اما الفتاة فتصلح للزواج - وكثيرا مايتم - فى سن مبكرة . ويترتب على ذلك أن يكون الصالحون للزواج من الذكور أقل من الصالحات من النساء .

فاذا اختص كل رجل بزوجة كان عدد الفتيات الراغبات فى الزواج بغير ازواج كبيرا - مما قد يؤدى الى اختلال التوازن واضطراب الحياة الاجتماعية ، بل قد تؤدى الى تردى الفتيات فى الرذيلة وانتشار الفسق والفجور .

وهذا هو ماحدث فى كثير من الامم الغربية التى تسير على وحدة الزوجة - اذ بلغت نسبة اولاد السفاح فى فرنسا مايقرب من نصف مجموع المواليد هناك .

من اجل ذلك كان تحريم تعدد الزوجات بصفة مطلقة مؤديا الى عواقب اجتماعية وخيمة .

على ان ذلك لايعنى ان يترك هذا الحق - حق الرجل فى الزواج باكثر من واحدة - مطلقا من غير قيد . وقد قيده الاسلام بضرورة اقامة العدل بين الزوجات وبعدم الاضرار . فحق الرجل فى الزواج باكثر من واحدة مشروط بتحقق هذين الشرطين .

ولكن - ماسبيل التحقق من توفر هذين الشرطين ؟

يرى البعض أن هذا امر من امور الدين ، يترك فيه الجزاء لله الرقيب الحسيب ولكنا نرى ان من واجب ولى الامر ان يعمل على تحقيق العدالة ، وان يقيم العدل بين أفراد الاسرة التى هى كيان المجتمع ، وان يضع من المبادىء ويفرض من الاحكام مايمنع الظلم او الاضرار .

لهذا فمن واجب ولى الامر ان يتدخل وان يفرض ما من شانه اقرار احكام الشريعة الاسلامية التى قيدت الحق فى التعدد . ومن واجب ولى الامر وسائل الوقاية من الظلم قبل وقوعه ووسائل علاجه بعد تحقيقه .

ومن الوسائل المقترحة فى هذا الشان :

ا - اخذ تصريح من القاضى قبل الزواج من الثانية :

يقترح البعض النص فى مشروع قانون الاحوال الشخصية الجديد على تحريم زواج الرجل باكثر من زوجة واحدة الا بأمر القاضى ، وهو الذى يقدر المصلحة فى الزواج من عدمه .

ونحن لانوافق على هذا الاجراء . لان المصلحة فى الزواج يقدرها الرجل صاحب الشأن وحده . وقد ذكرنا أن من اسباب الزواج بزوجة اخرى وقوع الرجل فى حب سيدة اخرى غير زوجته الاولى أو عدم صلاحيته هذه الزوجة من الناحية الجنسية أو العاطفية - وهى مسائل لايحس بها ولا يقدرها الا الزوج ولا يحسن اثارتها فى المحاكم ، واذا اثيرت فليس من سبيل الى اثباتها ، واذا ثبتت فانها تضر بكيان الزوجة الاولى او بسمعة الزوجة الثانية .

ب - موافقة الزوجة الاولى قبل الزواج من الثانية :

على انه من الواجب أن تقتنع الزوجة الأولى بالاسباب المبررة للزواج من زوجة اخرى ، وأن هذا الزواج لن يضرها ضررا بليغا لايتناسب مع الفائدة منه . ولهذا فمن الواجب أخطارها بالشروع فيه وباتمامه ، وأخذ موافقتها عليه ، فاذا رفضت امتنع على الزوج انيتزوج باخرى الا أن يطلق الاولى .

ولنا بالنسبة لهذا المبدأ فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة - اذ استؤذن عليه السلام فى زواج على بن أبى طالب من احدى بنات أبى جهل فوق فاطمة الزهراء بنت الرسول - فلم يأذن عليه الصلاة والسلام فى ذلك - وقال : (ان بنى هشام بن المغيرة (وهو ابو جهل) استاذنوا فى ان ينكحوا بنتهم على ابن أبى طالب ، فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فانما هى بضعة منى يريبنى مارابها ويؤذينى ماآذاها ، وانى لاتخوف أن تفتن فى دينها)

ولا يعنى هذا ان يشترط - كما يقترح البعض - موافقة الزوجة الاولى كتابة على الزواج من الاخرى . ولا يعنى أن تتوقف صحة زواج الرجل بامراة اخرى على اذن زوجته الاولى او موافقتها . فان اشتراط الموافقة الكتابية الصريحة فيه اساءة الى الزوجة الاولى واذلال لها واهدار لكرامتها ، وان وافقت ضمنا على هذا الزواج .

ج - اخطار الزوجة الاولى وعلم الزوجة الثانية وموافقتها :

على انه يجب أن تعلم الزوجة الاولى بالزواج الثانى بطريقة ما وان تعلم الزوجة الثانية بوجود الزوجة الاولى وان توافق على هذا صراحة .

ومن رأينا لذلك ان تتضمن قسيمة الزواج بندا يتضمن اجابة الزوج عن عدد زوجاته السابقات واسمائهن واسماء أوليائهن وعناوينهم - من طلقن منهن ومن لاتزال على ذمته . ويعتبر الاقرار بغير الحقيقة فى هذا المحرر الرسمى تزويرا فى ورقة رسمية مما يعاقب عليه القانون بالسجن .

وعلى الموثق الذى يقوم بعقد الزواج ، فى حالة وجود زوجة أخرى ، اخطارها هى ووليها بوقوع هذا الزواج بخطاب مسجل .

وبهذا الاجراء يضمن الا يتم الزواج بغير علم الزوجة الاولى ، وتتمكن من حماية حقوقها اذا رات لزوما لذلك

د - اقرار حق الزوجة فى الطلاق من الزواج المتزوج من زوجة اخرى :

ومن رأينا ان تعطى الزوجة الحق فى طلب الطلاق اذا تزوج الرجل من غيرها . وفى هذه الحالة تعطى حقوقها كاملة . اذ يكفى زواج الرجل من زوجة اخرى سببا للاضرار بالزوجة الاولى - وذلك كما يقول الرسول (يريبنى مارابها ، ويؤذينى ماآذاها)

ومن رأينا أن تعطى الزوجة الاولى الحق فى طلب الطلاق فى اى وقت تراه ، سواء كان ذلك بمجرد عقد الزواج الثانى ، وقبل تحقق الضرر ، او بعد ذلك بوقت قليل او طويل . فالزوجة هى التى تقدر مايريبها ومايؤذيها ، وليس عليها أن توضح اسبابا لطلبها الا اثبات زواج الرجل من زوجة أخرى .

ويجب أن يعطى هذا الحق ايضا للزوجة الثانية ، اذا رات ان زوجها لايقيم العدل بينها وبين الزوجة الاولى .

كتاب الأمثال في القرآن

تأليف : محمود بن الشريف

عرض وتلخيص

الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

(الأمثال) تشكل فى الأدب العربى خطا كبيرا من خطوطه التى تحدد معالمه . وقد أطلق العرب المثل وراء المثل من واقع تجربتهم فى الحياة . وقد حبب اليهم المثل ملاءمته لطبيعتهم المولعة بالايجاز فالمثل من ناحية الشكل الفنى صورة مكتنزة من صور التعبير وهو لامتلائه بالمعنى ، ووعيه للتجربة ، وتوقيعه فى اللفظ حظى بالسيرورة والحفظ .. فان أكثر ما حفظه لنا الأدب العربى من (قديمه) ، الشعر والأمثال . ولهذا سهل جمعها فى مجلدات فى عصور التدوين .

أقول هذا بمناسبة الكتاب الذى بين أيدينا (الأمثال فى القرآن) . استهل المؤلف كتابه بأن من سنن الهدى الاسلامى مراعاة النفسيات .. نفس متينة مكينة ، ونفس هشة قميئة وثالثة .. فكان الطباب الاسلامى لهذه الألوان من النفسيات (مزاج من نصح ، وأمشاج من هداية ، ومقادير من أدوية تقدم لكل نفس بمعيار وقدر فما يصلح لاحداها لا تنتفع به أخرى ، وما ترغب فيه نفس ترغب عنه أخرى .. وما يقنع نفسا مطمئنة تعافه نفس جامحة شموس .

ومن أجل هذا كانت الأمثال فى القرآن لونا من الوان الهداية الالهية تغرى النفوس بالخير ، أو تحضها على البر ، أو تمنعها من الاثم أو تدفعها الى فضيلة ، أو تدفع عنها شائبة أو تمنع نقيصة .

ومن أجل هذا أيضا تناولت الأمثال القرآنية مجالات عدة ، فمثلت الايمان ، ومثلت بالكفر ، وفضحت النفاق ، وحضت على الانفاق ونادت بالخير ونددت بالشر ، وصورت الطيب والخبيث والصالح والطالح وغير ذلك مما أشادت به أو أشارت اليه .) (ص ٧ - ٨)

وهكذا أوضح المؤلف منذ البداية وظيفة المثل فى القرآن .. كيف خدم كتاب العربية الاكبر ، المثل . ثم مضى المؤلف يدلل على مكان المثل من البلاغة أو فن القول من خلال اقوال الجرجانى فى : (أسرار البلاغة) ، وأبى السعود فى تفسيره ، وابن المقفع وابراهيم النظام .

وهذا الاستهلال من المؤلف يبشر بوقفات بلاغية عند فن الصورة فى القرآن . كيف خدم القرآن ، المثل ، لتجسيم المعانى أو تعميقها باللون والصوت والحركة مثل آية وصف المنافقين « أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين - يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، واذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ، ان الله على كل شيء قدير .

فى الآية ، كما نرى ، أضواء وعتمات ، وأصوات تعلو وتشتد فتصمى حتى يضع السامع المشدوه ، أصابعه فى أذنه لينجو من هول يتخطفه من كل جانب فان سلم على الرعد خطف البرق بصره فاذا هو صورة حية للحيرة والتيه والضياع ... ولكن المؤلف احتفل بشرح المعانى ومدلولات الألفاظ .

وأثار الكتاب فى عملية سرد الأمثال القرآنية قضايا كثيرة عالجها القرآن الكريم . فالتقليد ، والصبر على البلاء ، والبعث ، والعطاء ، والرياء فيه الذى يحيله من (جنة بربوة) الى (صفوان عليه تراب) لا ينبت الزهر ولا يعطى الثمر وان جاده الحيا أو أصابه وابل .

وكما ضرب الله الأمثال للمعانى والأفعال ، ضرب الأمثال للانبياء . والمؤلف اذ يهتم بالشرح يأتى بمناسبات الآيات وملابساتها والأحداث التى ساقتها .

ووقف المؤلف وقفة ليست بالقصيرة عند مثل « الحياة الدنيا » بزيفها وبريقها وباطلها وفتنتها . وأورد أقوال الشراح والمفسرين ومواقف الناس منها وحض الله على عدم التهافت عليها وحضه أيضا على السعى فيها فهى وان كانت « متاع الغرور » الا أن المولى سبحانه آذن بالكفاح فيها والتنافس المشروع « فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » .

ومثل الجنة .. (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم .)

تلك الآية التى اعتقد أنها كانت وراء تصورات العرب لمنبع النيل وخيالاتهم عنه وما نسجوه حوله من أساطير تنظر الى النهر العظيم نظرة غيبية فهو مرة يجرى من تحت سدرة المنتهى ، وهو مرة نهر العسل فى الجنة ، ويراه الكندى (أشرف) أنهار الأرض ، وابن اياس يرى أن منبعه من الجنة وكم من أحاديث نسبوها الى النبى فى الفضائل التى رأوها هم ، للنيل .

ولعل تفسير الطبرى يفسر ما ذهبوا اليه من ألوان التكهنات والتصورات ، فقد قال ان الذى توصف به أنهار الجنة انها جارية فى غير أخاديد وقد رأوا النيل نهرا جاريا فوق الأرض بين الأشجار والثمار . انه ليس نهرا جوفيا . اذن فهو شبيه بأنهار الجنة أو أنه من أنهار الجنة أو هو نهر من الجنة .

قالوا بهذا كله عندما رأوا الصفات التى فسروا بها أنهار الجنة ، تنطبق عليه .

ولكنى ألمح وراء أقوالهم وخيالاتهم الآية الكريمة (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) .

ماء غير آسن .. عسل مصفى .. ولهم فيها من كل الثمرات .. أوصاف كلها ليست بعيدة من النيل .. انه غير آسن .. انه جار دائما ، متجدد دائما .. وهو عذب مفرط العذوبة حتى ظن حكماؤهم أنه « لولا الليمون بمصر لوخم أهلها من حلاوة النيل » ، والحلاوة الزائدة تشبه فى مصر خاصة ، بالسكر .. بالعسل .

وقرينة أخرى تعزز ما حسبوه تفسيرا للآية الكريمة ومضمونا .. قرينة « كل الثمرات » لقد رأوا النيل يجرى تحت أبصارهم فى مهرجان من زروعه وعيونه ورياضه وغياضه وزهوره ونواره .. من دوحه وثماره .. كل الثمرات ما أشبه ما تراه العين منه بالجنة .

لقد أوصى النبى عليه السلام بمصر وأصهر اليها ، واحتفى القرآن الكريم بمصر فى مواضع كثيرة . أتراهم شبه لهم ؟

من الطبيعى ما دام خيالهم رأى النهر ينبع من الجنة ، ان يخلعوا عليه صفاتها ولا سيما أنهارها . ومن الطبيعى أيضا أن يتداخل فى مفهومهم الصفات والشيات فمايلبثون بوعى منهم أو بغير وعى ، أن يزاوجوا بين النيل وبين الجنة التى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من عسل مصفى وفيها من كل الثمرات ... أوصاف لم تخطىء عينهم منها شيئا فى مصر النيل .

وضرب الله الأمثال الحق والباطل « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال . »

وكم من شواهد فى تاريخ الحياة والناس يذهب فيها الزبد جفاء ويستعلن الحق ، وينتصر ، ويبقى ، لأنه عدل ولأنه صدق ، ولأنه مستقيم ، ولأن السماء تباركه ، ولأنه من روح الله « الحق » . ويوما يطبق الباطل على أهله كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور .

مصير مظلم للباطل ، ما دام الحق متربصا به ليصرعه وانه لقادر .

ويضرب الله مثلا للمعركة الأبدية بين الخير والشر . « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار . يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء . »

وهنا أترك المجال للمؤلف يرسم من خلال الآيات ، شجرة الخير وشجرة الشر :

« ان الكلمة الطيبة ـ دعوة كانت أو حركة أو عملا ـ كالشجرة الطيبة ثابتة سامقة مثمرة .. ثابتة لا تزعزعها الأعاصير ولا تعصف بها رياح الباطل ، ولا تقوى عليها معاول الطغيان ... وان خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق فى بعض الاحيان .. سامقة متعالية تطل على الشر والظلم والطغيان من عل .. وان خيل الى البعض أحيانا أن الشر يزحمها فى الفضاء .. مثمرة لا ينقطع ثمرها لأن بذورها تنبت فى النفوس المتكاثرة آنا بعد آن ..

وان الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة ... قد تهيج وتتعالى وتتشابك ويخيل الى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى ، ولكنها تظل نافشة هشة ، وتظل جذورها فى التربة قريبة ، حتى لكأنها على وجه الأرض .. وما هى الا فترة ، ثم تجتث من فوق الأرض فلا قرار لها ولا بقاء .

ليس هذا وذلك مجرد مثل يضرب ، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع ، انما هو الواقع فى الحياة ، ولو أبطأ تحققه فى بعض الأحيان .

والخير الأصيل لا يموت ولا يذوى ، مهما زحمه الشر وأخذ عليه الطريق .

ونقض العهد مثله فى القرآن كمثل التى « نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا » ! حمقاء مأفونة الرأى .

ومن الأمثلة الطريفة مثل أصحاب التوراة «الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين . »

صورة ساخرة ممعنة فى السخر والتهكم والزراية .

ومن أروع الأمثلة فى القرآن مثل ضربه الله لنوره .. نور السموات والأرض النور الذى يهدى الحيارى ويضىء الظلمات .. النور الذى تصعد اليه الدعوات وتترنم به الصلوات وتهيم فيه السبحات وتترشفه القلوب الصافية نورا لأيامها وأملا لآمالها وزادا على الطريق .

« الله نور السموات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم . »

وبعد فان هذا الكتاب الذى صدر فى سلسلة اقرأ (عدد يناير سنة ١٩٦٥) بما جمع من أمثلة وأورد من شروح فيها الكثير لطالب الفائدة والمتعة معا فالأمثلة فى القرآن بعد أن أدت دورها الدينى تظل معرضا حافلا لفن الصورة وفن الكلمة الموحية المعبرة ذات الأضواء والظلال .

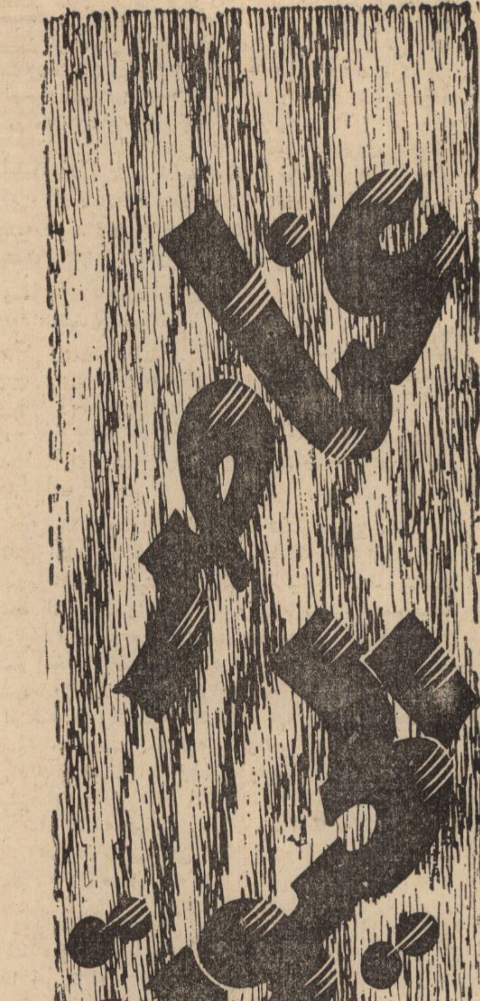

المسئولية :

قرر الاسلام أن للانسان حريته واختياره فى السلوك وأنه مستعد لأن يسعد نفسه بالخير ويشقيها بالشر ، وما كانت منحة الله لعباده فى الحرية الا لاستعمالها فى تحقيق الخلافة فى الارض ، فهى نعمـــة ليست مقصودة قصدا بحتا لذاتها فتكون غاية ، ولكنها وسيلة يتوصل بها الى هدف كبير ، ومن هنا كان العبد الحر مسئولا عن جهوده المبذولة لبلوغ هذا الهدف ، فهى حرية لها ثمن كبير ، ولها تضحيات والتزامات شاقة لا يمكن ان يؤديها الا من منحه الله العقل وكرمه به على سائر المخلوقات فى الارض ، ولعل مسئولية الانسان العاقل فى توجيه طاقاته الى الخير هى المعنية بالامانة المذكورة فى قوله تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » .

فان استعداد الانسان بعقله وغرائزه لتلقى تعاليم السماء وتوجيهات الوحى والتصرف بمقتضاها لم يكن لأى مخلوق حتى ما كان أعظم منه جرما واتساعا ، فهو على صغر حجمه فيه سر عجيب . وقد قال العلماء ان هذا التكريم لا ينقضه قول الله فى آخر الآية « انه كان ظلوما جهولا » ، ذلك أن مجرد الاســتعداد كاف فى التكريم ، وكونه يلتزم الحدود أو يخرج عنهـــا شىء آخر ، بل ان ذلك مظهر الحرية والاختيار الذى ميز الله به ابن آدم . وهو ظلوم ان تعدى الحدود وهو مقيم بذلك ، وجهول ان كان لا يعــلم مع وجود العقل الذى يهديه لعلمها .

وهذه المسئولية التى هى مظهر الحرية والاختيـــار ليست للارض ولا للسماء ولا لغيرهما ، فكل مخلوق لمهمة خاصة على حسب قانون معين لا يمكن أن يتحداه ، كما ان الملائكة وان كانوا مامورين ومنهيين لا يمكنهم ان يتحولوا عما يوافق طبعهم كالاكل والشرب للانسان ، فهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . واباء السموات والارض عن حمل الامانة ليس استكبارا كما أبى ابليس عن السجود ، ولكنه استصغار لأنفسهن وخوف من التقصير ، يشير اليه قوله تعالى « وأشفقن منها » .

الاسلام قرر حرية الاختيار للانسان وجاءت النصوص متواترة بذلك ، منها قوله تعالى « وهديناه النجدين » أى الطريقين ، طريق الخير وطريق الشر ، أى أرشدناه اليهما وبينا له معالمهما وعاقبة كل منهما ، وقوله « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » . كما قرر الاسلام انه مجزى بعمله ويتحمل وحده تبعته فقـــال سبحانه « هل تجزون الا ماكنتم تعملون » وقال « ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » وقال « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » وقال « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

وقد يقول قائل اذا كان الله قد أكرم الانسان فمنحه حرية الاختيار فى العمل ، فكيف يلتقى ذلك مع عقيـــدة القضاء والقدر التى توحى بالجبر والقهر والالزام ؟ ، والجواب على ذلك ، أن القضاء والقدر ليس فيهما جبر ولا الزام أبدا على عمل معين وسلوك محدود لا يتعداه . فان معناهما يؤول الى الاخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما يكون من اكتساب العبد وصدوره عن تقدير منـــه

وخلق له . يقول الخطابي : والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر ، يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد ، والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى « فقضاهن سبع سموات في يومين » أى خلقهن .

فالقضاء والقدر ليس فيهما اجبار ، وعلى هـذا لا يدعوان الى الاستسلام ارتكانا على هذا الفهم الخاطىء .

وقد اخرج مسلم عن جابر أن سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله : بين لنا ديننا كأننا خلقنا الان ، فيم العمل ؟ أفيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل ؟ قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وكل عامل بعمله .

وفي معنى هذا ما روى عن علي قال : كنا في جنازة فى بقيع الفرقد فأتانا رسول الله فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ـ عصا ـ فنكس وجعل ينكث بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة . ثم قرأ « فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى » ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا قدر شبر او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار » رواه البخارى .

وهذا يدل على أن علم الله بما سيصير اليه العبـد لا يلزمه أن يكون كذلك ، فالعبد لم يطلع عليه حتى يقف عند حده ، ومن هنـا نعلم أن حرية الانسـان مكفـولة واختياره للسلوك باق ما دام فى حالته الطبيعية يتمتع بعقله وادراكه .

وعلى هـذا يفسر قول الله تعالى « كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء » فالمعنى أن هذا الشخص آثر الغى على الرشاد فاقره الله على مراده وتمم له مايريد لنفسه .

قال تعالى « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » ويوضحه قوله سبحانه « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وعلى هذا السنن يمكن أن تفسر الآيات والاحاديث الواردة بهذا المعنى .

واذا قلنا ان الانسان له حريته واختياره فى السلوك كاساس للمسئولية ، ينبغى ألا ننسى أن هنـاك أمورا خارجة عن طوق البشر لا يمكن للعبد أن يتحكم فيها أو يفلت من سلطانها ، فهى واقعة بمشيئة الله وحده ، وذلك كالقوى العقلية على تفاوت درجاتها ، والطبائع النفسية واختلاف الطقوس والاجواء ، وما خلق عليه الانسان من طول أو قصر أو جمال أو قبح .. كل ذلك لا يسأل عنه الانسان قال تعالى « هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء » « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فلا بد من الايمان بذلك .

أما الامور الاخرى التى تقع فى دائرة الامكان البشري فالعبد مسئول عنها ويتحمل وحده تبعاتها « قل يايهـا الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » .

بهذا البيان نعلم أنه لا يصح للانسان أن يتخبط فى سلوكه ويتبع هواه غير عابىء بالنتـائج ولا مقدر للمسئولية متعللا بأن ذلك كله مقدور عليه لا مفر منه . لأن هذا الفهم الخاطىء لو صح لكانت التكاليف باطلة والرسالات عابثة ، وحركات الإصلاح لا داعى لها ، فليفعل كل ما يشاء ، وليتمتع بحريتـه وانطلاقه فهو مدفوع مسوق الى ما قدر له .

يقول المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى تفسيره : والذى نراه كما قلنا : أن للعبد قدرة وارادة ، ولم يخلقهما الله فيه عبثا ، بل خلقهما ليكونا مناط لتكليف ومناط الجزاء ، وأساس نسبة الافعال الى العبد نسبة حقيقية ، والله يترك عبده وما يختار لنفسه . فان اختار الخير تركه فيه يدعوه سابقه الى لاحقه ، ولايمنعه بقدرته الالهية عن استمراره فيه ، وان اختار الشر تركه فيه يدعوه سابقه الى لاحقه ، ولا يمنعه بقدرته الالهية عن استمراره فيه . والعبد وقدرته واختياره كل ذلك بمشيئة الله وقدرته وتحت قهره ، ولو شاء لسلب قوة الخير فكان العبد شريرا بطبعه لا خير فيه ، ولو شاء لسلبه قوة الشر فكان خيرا بطبعه لا شر فيه ، ولكن حكمته الالهية فى التكليف والإبتلاء قضت بمـا رسم ، وكان فضل الله على الناس عظيما .

ومن هنا يتبين أن العبد ليس مجبورا لا ظاهرا ولا باطنا ، ولا مجزيا على ضلاله باضلال الله اياه ، فان هذا أمر تأباه حكمـة الحكيم وعدل العـادل وتمنع تصوره .

هذه هى علاقة الحرية بالمسئولية ، وعلاقتهما بالقضاء والقدر . فالعبد مهما حر مختار ولا يصح أن يتعلل بما قدر الله حتى لا يكون كالمشركين الذين قال الله فيهم :

« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » .

« عبد الله المشد »

المقومات الروحية للاشتراكية العربية

للاستاذ الدكتور محمد طلعت عيسى

تتميز الاشتراكية العربية بانها لم تاخذ مذهبا اشتراكيا بعينه وتعتبره أساسا لفلسفتها الاشتراكية ، كما انها لا يمكن أن توصف بانها نمط اشتراكى فى أى صورة من صوره مطبق تطبيقا محليا اذ ان المقومات الانسانية النوعية التى تتميز بها الاشتراكية العربية لا تقابلها مقومات مماثلة لها حتى فى الاشتراكيات التى لا تقف من الاديان موقفا مناهضا .

فالاشتراكيات العالمية - على اختلاف ابعادها وأعماقها - لا تعتبر أن مساندة الاديان على تعددها فى مجتمع من المجتمعات وتهيئة فرص التعايش السلمى بين الديانات المختلفة فى المجتمع وتمكين ديانات الاقليات من أن يجد أصحابها امكانيات النمو وفرص العمل المتكافىء مع أصحاب ديانات الاغلبية أمرا أساسيا أو مقوما ضروريا من مقومات العدالة والتكافل الاجتماعى فى المجتمع .

فالاشتراكيات المعتدلة فى موقفها من القوى الروحية فى المجتمع تقف عادة موقف اللامبالاة أو عدم الاكتراث من الاديان تحت ستار حرية العقيدة وحرية التفكير الدينى - ولا يمكن أن تعتبر هذا الموقف من الاشتراكيات المعتدلة متوافقا مع مبدأ التعايش السلمى للاديان الذى تتميز به الاشتراكية العربية لأنها تقف جميعا موقفا لا يضفى على الاديان السمات التى تجعلها محركا أساسيا للحياة الانسانية فهى بموقف عدم الاكتراث بما يسرى فى المجتمع من قوى دينية تهبط بالاديان الى مستوى التصرفات الفردية أو أنماط الحياة لا ترتبط بالمجتمع ولا بمقومات الوجود الانسانى بصورة مباشرة . فحرية العبادة وحرية العقيدة وحرية التفكير الدينى لا تتحقق بسلبية النظم السياسية والاجتماعية القائمة بالمجتمع وموقفها موقف اللامبالاة من هذه القوى الاجتماعية . فالحرية الحقيقية للاديان تتحقق فى توفير مجالات التعبير والسلوك والمساواة بين أبناء هذه العقائد والاديان بصورة ايجابية - ولهذا فان الاشتراكية العربية لا يمكن أن تعتبر تطبيقا لنظرية من النظريات الاشتراكية العالمية - سواء تلك التى أخذت مجالها فى التطبيق أو التى ظلت فى اطار حدودها الفكرية الايديولوجية دون أن تجد مجالا لتطبيقها فى مجتمع انسانى واقعى وانما تعتبر فريدة فى نوعها بما تتميز به من انها اشتراكية كان التجريب فيها سابقا للنظرية .

فهى تضع فى الاعتبار الاول الايمان بالله وبرسله وبان الدين هو التعبير الحقيقى عن الفضائل الاخلاقية والقيم الروحية التى تهيىء للمجتمع قوة دافعة وخلاقة وانه لا يمكن أن تتلاقى جهود أبناء المجتمع الواحد ويشعرون بالوحدة الحقيقية الا اذا تمكنوا من الشعور بالرعاية الروحية من المجتمع وبشكل يتميز بالتفريد - بمعنى أن يجد كل دين امكانيات التعبير عن الذات والاتصال الروحى بالقوى العلوية بالصورة التى يترسمها أصحاب كل دين دون أن يترتب على هذه الحرية أى ضغط أو تجريح أو اذابة لدين من الاديان فى اطار الاديان الاخرى ولا أحسبنى أغالى اذا اعتبرت أن الدين هو المقوم الاساسى الذى لا يمكن أن يتعرض لأى نوع من التعديل أو التحويل مع التغير المستمر فى حياتنا فقد أرست الاشتراكية العربية الدعامة الاولى فى مقوماتها النظرية عندما أعلنت بوضوح أنها تؤمن بالاديان كمقوم أساسى فى الحياة الانسانية وأنها تعتبر أن الرسالات السماوية تتفق جميعها فى أهدافها الانسانية وانها محور الحياة الفاضلة القائمة على ارتباط الانسان بخالقه مهما اختلفت أساليب الارتباط بما تستلزمه من شعائر وطقوس وعبادات وما الى ذلك .

ولهذا فان الاشتراكية العربية لم تاخذ باسلوب الامر الواقع فى مجتمعنا العربى وهو قدسية الدين كاستمرار للون من ألوان الحياة الانسانية التى عاشها مجتمع ماقبل الثورة وانما اعتبارها ان الدين هو المحور الاصيل لحل المشكلة الاجتماعية هو المقوم الايدلوجى الاول للاشتراكية العربية وهو فى حقيقته تمكين لحرية العبادة القائمة على ايمان المجتمع بان الدين ضرورة انسانية . واذا كان شكل المجتمع فى مصر قبل التحول الى الاشتراكية - كان

يقوم على التعايش السلمى بين دين الاغلبية واديان الاقليات ـ فان هذه القوى الروحية لم يكن يحددها وحدة الفكر ووحدة الهدف ووحدة العمل الانسانى فى مجتمع يقوم فى أساسه على سيطرة القوى على الضعيف واستغلال القادرين لدماء الكادحين ـ لم يكن من الميسور فى مجتمع تتحكم فيه الانانية والاحتكار واستغلال النفوذ أن يكون للقوى الروحية مقومات متكافئة حتى لدى أفراد الدين الواحد .

فالاشتراكية العربية بموقفها الانسانى الخلاق من الاديان والرسل وبأسلوبها العادل فى علاقة الافراد بعضهم ببعض سواء فى مجال المعاملات أو فى مجال العبادات قد أتاحت فرصة الاحساس بالولاء للمجتمع وأشاعت الغيرية والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد بالرغم من تعدد أديانهم أو معتقداتهم وبالرغم من تباين الشعائر التى يسلكونها فى حياتهم .

فالايمان بالله وبالرسالات السماوية واعتبار أن الاديان قوة دافعة الى الوحدة والمحبة والتكافل هى التى تجعل من الاشتراكية العربية طريقا الى الحرية الانسانية والعدالة الاجتماعية . ولهذا فان مناصرة الاديان وتمكين مريديها من العبادة فى ظل وحدة المجتمع ورعايته لم تكن قضية استلزمتها طبيعة الاحوال السائدة فى مجتمع متدين لا يمكن أن يقبل أى اهتزاز لعقائده أو تشويه لأساليبه فى الاتصال بخالقه وانما سمة الايمان التى اتخذتها اشتراكيتنا العربية هى التى أتاحت لمجتمعنا المتطلع الى الحرية والتعاون بين أبنائه فرصة الشعور بوحدة الهدف ووحدة الطريق الى الحرية والعدالة فى صورها الاجتماعية والسياسية .

ولهذا فان الدين فى الاشتراكية العربية ـ كما يقول الميثاق ـ يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولايرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

فى هذه الفقرة الاخيرة بالذات :

« لا يرضى بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ».

تظهر فلسفة الاديان فى الاشتراكية العربية ـ فالدين يعنى العدالة ويعنى الحرية ويعنى الانسانية فى أسمى صورها ـ والثورة لا يمكن أن تحقق أهدافها فى اقامة مجتمع العدالة وتكافؤ الفرص الا اذا استمدت هدايتها ومبادئها من مقومات الاديان التى تتفق جميعا فى تجنب ظلم الانسان لأخيه الانسان وتجنب ظلم النظم الفاسدة لقوى الخير والعدالة والتكافل الاجتماعى فى المجتمع . فالانظمة السياسية الاجتماعية التى تتيح لقلة محتكرة وانتهازية أن تجمع الثروات على حساب الكادحين لاتتفق مع مقدسات الاديان ودعائمها الانسانية الاخلاقية . كما ان توارث الفقر والجهل والمرض نتيجة لانعدام الفرص المتكافئة فى التعليم والتثقيف والتربية الاجتماعية يؤدى الى وجود طبقات متصارعة بالضرورة ترتكز علاقاتها على الحقد الطبقى والاستغلالى من جانب أفراد قلائل للملايين من الكادحين الذين كتب عليهم الفقر والمرض نتيجة لفقر آبائهم واجدادهم وعجزهم عن تمكين أبنائهم من الحياة الحرة الكريمة .

فالدين يعنى الايمان بعدالة الخالق والنظم الاساسية هى التى ترتكز على المقومات والدعائم العادلة للأديان وهى التى تعتبرها نبراسا تهدى به البشر الى طريق العدالة والتكافل الانسانى .

ان الاشتراكية العربية باعتبارها « ان حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة . وان القيم الروحية الخالدة النابعة من الايمان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

تعبير بصورة لا لبس فيها عن أهمية الاديان فى حياة الناس وحرية العقيدة فى الاشتراكية العربية تقوم على ايجابية المجتمع ازاء العقائد الدينية به ولا تعنى سلبية هذا المجتمع بأى حال من الاحوال . فالحرية كما سبق أن أسلفنا لا تعنى عدم مبالاة المجتمع أو عدم اكتراثه وانما تعنى اتاحة فرص ممارسة الشعائر الدينية وتنمية العقيدة بين الناشئين الصغار كل بحسب عقيدته الدينية بالصورة التى تهيىء فرص الهداية والاخاء والمحبة .. وهذه هى محور الحيرة عن الاشتراكيات العالمية ـ فالدين فى الاشتراكية العربية مقوم أساسى لا غنى عنه فى منح الانسان الطاقات الكامنة لتحقيق العدالة وتجنيب الاستغلال والاحساس بآلام الناس ومتابعة مشاكلهم والاسهام فى تخفيف ويلات الانسانية من أجل اقامة مجتمع يقوم على المحبة والتكافل وتسود فيه الانظمة العادلة التى لا تسخر الضعفاء لصالح الاقوياء والتى تمكن كل فرد فى المجتمع من أن لا يحقد على أخيه الانسان بسبب تفاوت الفرص المتاحة لكل منهما .

فالاديان وقداستها هى التى تمنح الاشتراكية العربية خاصيتها الانسانية الفريدة بين الاشتراكيات العالمية وعندما يقول الميثاق :

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته وان واجب المفكرين الدينيين الاكيد هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » .

فانما ينفى عن الاشتراكية العربية شبهة الانحياز أو مناصرة دين الاغلبية على ديانات الاقليات . فاليهودية والمسيحية والاسلام بوصفها الديانات السماوية الكبرى تعتبر جميعها فى نظر الاشتراكية العربية النور الذى يهدى الناس على اختلاف أديانهم بالحق والعدل والمحبة فهذه الديانات جميعها رسالات سماوية تعبر عن الثورة على ظلم الانسان لأخيه الانسان . فاذا كانت الاشتراكية تعنى حقا توفير العدالة بين البشر فلا بد لها أن تأخذ فى اعتبارها ان الاديان نفسها عبارة عن ثورات انسانية تستهدف تحقيق العدالة والرفاهية والسعادة والعزة للانسان المتكافىء مع أخيه الانسان فى فرص الحياة .

المقدمات الدينية للاشتراكية العربية

من هذا العرض السريع المقارن يمكننا أن نحدد المقومات الدينية للاشتراكية العربية فيما يلى :

١ ـ حرية العقيدة هى أسمى أنواع الحريات فى المجتمع وهى الطريق للقضاء على الاستغلال والتخلف وتتحقق هذه الحرية باتاحة الفرص المتكافئة أمام جميع الاديان فى ممارسة شعائرها وطقوسها وتعبر حرية العقيدة عن ارتباط المريدين من كل دين بالخالق عز وجل بالاساليب التى يرونها ملائمة لهم فى اطار الوحدة الوطنية وتحت راية الاخاء الانسانى دون ما تسلط أو انحراف فى ممارستها .

٢ – مساندة الدولة بكافة أجهزتها للاديان السماوية القائمة بالمجتمع والعمل على تنمية الطاقات الروحيـة وتعبئتها بما يحقق وحدة الامة – اذ أن الطاقات الروحية كما يقول الميثاق :

« تستطيع أن تمنح آمالهـــا الكبرى أعظم القوى الدافعة – كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات » .

فالاديان فى الاشتراكية العربية هى القوى الخلاقة الدافعة الى الايمان بالقضايا العادلة وهى التى تسلح المواطنين بأسلحة من الصبر والشجاعة فى مواجهـة الصعاب والعقبات – وقد تجلت وحدة الامة منذ قيام الثورة فى جميع التجارب التى واجهها الشعب العربى الباسل وخاصة فى مواجهة القوى الاستعمارية العدوانية وفى مناصرة قضايا التحرر فى العالم أجمع والوقوف مع الشعوب المحبة للحياة الحرة الكريمة موقفا واضحا يقوم على التأييد والمساندة القلبية والمعنوية والمادية ولولا أن مجتمعنا الثائر على التخلف والاستغلال قد استطاع أن يعبىء الطاقات الروحية للمواطنين ويبعث فيهم الاحساس بوحدة الهدف ووحدة المصير – بالرغم من تباين الاديان والمعتقدات لما حالفنا النصر والتوفيق الذى حققناه فى مراحل التحول الاشتراكى العظيم والانطلاق الاشتراكى العظيم .

٣ – لا يمكن أن يسير المجتمع فى طريق التقـدم والتنمية الاقتصادية دون تنمية الحوافز الروحية والمعنوية وقد أشار الميثاق الى ذلك صراحة بقوله « اذا كانت الاسس المادية للتقـدم ضرورية ولازمة فان الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هـذا التقدم أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد »

فاذا لم تقم التنمية على أسس انسانية وأخلاقية لأدى ذلك الى زيادة الاغنياء غنى وزيادة الفقـراء فقرا ، ولانعدمت العدالة والفرص المتكافئة بين أبناء المجتمع الواحد – وهذا لا يتفق مع طبيعة الاديان الداعية الى العدالة والتكافل وتجنيب الانسان ظلم أخيه الانسان – ولهذا فان اتاحة فرص الاتصال بالقوى الروحية أثناء العمل واعتبار هذه الرعاية فى مرتبة سامية وايجاد جو متكامل فى اطار العمل تدعمه فضائل الايمان والمحبة والاخلاص .

٤ – الدين كمقوم ايديولوجى للاشتراكية العربية هو التعبير عن ايمانها باهمية العدالة الاجتماعية . وقـد أخذت اشتراكيتنا من الدين أحكامه فى تقريب الفوارق بين الطبقات وحماية الضعيف والمحـروم والمريض فى الوقت الذى أشاعت فيـه على المجتمع وحـدة الآمال والاهداف الانسانية التى ترمى الى استغلال الطبيعـة ومواردها وتسخير العلم وامكانياته لسعادة ورفاهيـة الانسان . وهنا يكمن الفـارق العميق بين الاشتراكية العربية وغيرها من الاشتراكيات العالمية فى أنها جعلت من الاديان والرسالات السماوية محور الارتكاز فى حل المشكلة الاجتماعية .

ففى جوهر الاديان السماوية جميعها يكمن الحـل المباشر والوحيد لمشاكل هذا الكون ، واذا ما أمكن فهم الاديان بعمق والتعرف على أهدافها الانسانية والاخلاقية فى اقامة مجتمع تسوده المحبة والتكافل بين أفـراده وجماعاته وطبقاته أمكن القضاء على المشكلة الاجتماعية التى تتمثل فى الفوارق العنيفة فى الثروات والامكانيات لدى الافراد والجماعات والشعوب . والاديان جميعهـا ذات أهداف تقدمية ترمى الى تهيئة الحياة الحرة الكريمة لبنى البشر مهما اختلفت عقيدتهم وتباينت أسـاليب ارتباطهم بالقوى الروحية المقدسـة التى تشيع فيهم الوحدة والحب وفعالية صعاب الحياة وتحمل قسوتها والابتسام أمام العقبات المادية وتسخير خيرات الطبيعة لسعادة الانسان ورفاهيته .

ولهذا فان الاشتراكية العربية عنـدما أعطت للاديان مكان القداسة والتبجيل فى اطارها الايدولوجى فانمـا سلكت الطريق الانسانى الموضوعى الذى يتصف بالتحليل الواعى لمعانى الاخاء والسلام والمحبة والتعاون والتكافل والغيرية التى تبعتها الاديان السماوية جميعها .

والاسلوب الذى اتخذته الاشتراكية العربية فى حل المشكلة الاجتماعية عن طريق التعبئة الروحية ومساندة الاديان السماوية فى الوصول الى قلوب وعقول أتباعها يختلف تماما عن الاسلوب الذى درجت عليه الرجعية واتخذه المستعمرون والمحتكرون لمســـاندة تصرفاتهم وأساليبهم غير المشروعة فى جمع الثروات والسيطرة على مقدرات الملايين من الكادحين . فعن طريق الدين استطاعت الرجعية أن تدعم سيطرتها على الجماهير المؤمنة بالله تحت ستار العقيدة الدينية .

وقد عبر الميثاق عن هذه الطريقة غير الانسانية فى استغلال الاديان على غير حقيقتها استغلالا يثبت نفوذ الرجعية والاستعمار والتسلط وتوارث الحكم والتصرف فى مقدرات الـكادحين دون أن يستطيعوا التعبير عن آلامهم تحت سطوة الارهاب والتفسيرات الدينية التى تشيع فى الانسان الحر الاحساس بالخطيئة مما يجعله يستكين ويرضى بالهوان حتى لا ينحرف عن الانمـاط التى يرسمها هؤلاء المنحرفين من أذناب الرجعيـــة وحوارييها .

وفى هذا يقول الميثاق :

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقـائق الحياة ، وانما ينتج التصـادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ، ولـكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الارض لصالحهـا وحدها أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيـار التقدم » .

وأمامنا أكثر من دليل على انه تحت ستار التفسيرات المجافية لروح الدين وعدالته استطاعت الرجعية أن تحرم الكادحين من حقهم الطبيعى والانسانى فى الحياة الحرة الكريمة وفى الحصول على الفرص المتكافئة فى الحياة . فالفوارق العنيفة التى تمثلت فى ملكية الاراضى الزراعية فى مصر قبـل الثورة – والتى تظهر فى صورة منحنى يمثل الانعدام التام فى العدالة – فبينما يملك الملايين النذر اليسير من الاراضى الزراعية تتركز الملكيات الكبيرة فى أيدى حفنة قليلة توارثت هذه الثروات دون جهد أو كد وانما نتيجة لاستغلال النفوذ والسيطرة الناشئة عن تتابع الوزارات الحزبية التى تسعى الى تمكين أنصارها من جمع الثروات بأساليب غير مشروعة وتتنـافى مع أبسط مبادىء العدالة والقيم الروحية .

وتحت ستار الدين استطاعت الرجعية ايضا أن تشيع الرهبة والخنوع لدى كثير من الافراد والجماعات .

وبالرغم من التستر وراء الدين واحكامه الا ان الرجعية كانت تلتمس فى الاديان ما يتعارض مع روح الاديان ذاتها بقصد تعويق التقدم وايقاف تيار العدالة والحرية الاجتماعية . ومن الامثلة الواضحة لذلك ما كانت تستغله الرجعية من أحكام الدين حول حرية التملك ، ففسروا هذه الاحكام على انها حرية الاستغلال والسيطرة والاحتكار فى حين أن روح الاديان لا يمكن أن تقبل هذا التفسير ، فحرية التملك تعنى عدالة هذا التملك وانسانيته ..

وتحت ستار الدين ايضا أمكن للرجعية أن تدعم الاقطار القدرية بغية اشاعة الخنوع والرضا بما هو موجود والرضا بالاوضاع الطبيعية ، وبذلك استطاعت حفنة من محترفى السياسة أن تثرى وتجمع الثروات واستطاعت أن تقيم طبقية جامدة وخاصة فى اطار العمل والعلم والثقافة فاصبح من المقبول وجود طبقة من حقها احتكار المناصب الرئيسية والقيادية وتتمتع وحدها بالتعليم فى أعلى مراحله وتتشدق وحدها بان الثقافة للمثقفين وأن الكادحين ليس لهم الا البحث عن زاد البطون دون أن يزجوا بانفسهم فى اطارات المثقفين .

٥ ـ ان تحقيق مجتمع الكفاية والعدل لا بد أن يرتكز على تكافؤ الفرص ، و « أن الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرصة المتكافئة امام البشر أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة » .

فاذا كانت الاشتراكية هى السبيل الى تحقيق الفرص المتكافئة عن طريق فتح أبواب التعليم والتثقيف أمام الجميع وعن طريق ازالة المعوقات القائمة على أساس الثروة أو الحسب أو النسب أو المركز الاجتماعى عن طريق العاملين المتطلعين الى حياة الرفاهية ، فان هذه الاشتراكية لا بد أن تأخذ من الاديان السماوية أحكامها فى عدالة الفرص التى تتاح للجميع سواء فى اطار المعاملات أو اطار ممارسة العقيدة .

ولهذا فان قداسة الاديان فى الاشتراكية العربية واعتبارها المحرك الاصيل للقوى الروحية ولحياة المحبة والفضيلة والتكافل بين الانسان وأخيه الانسان يعطيها الصفة المميزة التى تجعلها اشتراكية واقعية بعيدة عن المثالثة أو الخيالية التى تميزت بها اشتراكيات القرن التاسع عشر .

ويؤكد الميثاق هذه الحقيقة عندما يقول :

« ان العمل الاشتراكى لم يعد حتما عليه أن يلتزم التزاما حرفيا بقوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر » .

ان الاشتراكيات المثالية والخيالية لم تجد طريقها الى الذيوع والانتشار لأنها أغفلت أهمية الارتكاز على قوة الحوافز الدينية التى يدعمها الايمان بعدالة الخالق ووضعه الفرص المتكافئة أمام البشر . ولأن هذه الاشتراكيات حاولت أن تقيم مجتمعا تحدوه العدالة وتكافؤ الفرص دون أن تتنبه الى انه يكمن فى جوهر الاديان السماوية جميعها التفسير الحقيقى للمشكلة الاجتماعية والتحديد الواضح لحلها والتخفيف من الويلات الاجتماعية الناشئة عن الانانية واستغلال الانسان لأخيه الانسان .

وعلى هذا فان الاشتراكية العربية ليست تطبيقا محليا لاحدى النظريات العالمية ، وانما هى اشتراكية ذات خصائص تتميز عن الاشتراكيات العالمية سواء منها المعتدلة أو المتطرفة . وقد نص الميثاق على أن التجارب الاجتماعية لا يمكن أن تعيش فى عزلة عن بعضها وانما التجارب الاجتماعية كجزء من الحضارة الانسانية تعيش بالانتقال الخصب والتفاعل الخلاق ، ومع ذلك فان هذه التجارب الاجتماعية بالرغم من أنها قابلة للانتقال ، ولكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار .

واشتراكيتنا العربية ـ اذن ـ اشتراكية منبثقة عن محصلة تاريخنا الانسانى والعالمى والقومى ولهذا جاءت اشتراكية ذات مقومات لم يسبقها اليها أصحاب الايدولوجيات الفكرية السابقة أو المعاصرة . فالمجتمع العربى ـ من المحيط الى الخليج ـ يعيش تاريخا انسانيا وعالميا وقوميا واحدا فى كل بقعة من هذا الوطن العربى ، وفى هذا يقول الميثاق :

« ان عهودا طويلة من العذاب والامل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للامة وهى « الحرية والاشتراكية والوحدة » . ان الاشتراكية العربية جاءت محصلة لمجموعة من الكفاح فى وجه الاستعمار والملكية والحزبية والرجعية والاحتكارات الرأسمالية وأذناب أصحاب النفوذ فى الداخل وفى الخارج ، كما جاءت محصلة كفاح سياسى فى سبيل التحرر القومى والتحرر الانسانى .

« ان النصر ضد الاستعمار ـ كما يقول الميثاق ـ بالنسبة لهذا الشعب العظيم ، لم يكن نهاية المطاف وانما كان بداية العمل الحقيقى وكان مجرد مركز أكثر ملاءمة لمواصلة الحرب من أجل الحرية الحقيقية وضمانها مزدهرة على أرضه الى الابد » .

والظروف التى عاشها مجتمعنا ـ بوصفه جزء من الامة العربية ـ فرضت عليه طريقا خاصا فى الفكر والسياسة والعمل الاشتراكى . فبالرغم من وجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى ـ كما يقول الميثاق ـ فان تجربتنا الوطنية وفلسفتنا فى الحياة وفى العمل وفى العبادة وفى معانى العلاقات الانسانية تفرض علينا ألا نقبل النظريات الجاهزة على علاتها ونطبقها فى مجتمعنا لمجرد ما تحمله هذه النظريات من بريق أو انتشار أو نجاح فى مجتمع معين أو فى عدد من المجتمعات .

« ان الحلول الحقيقية لمشاكل أى شعب ـ كما يقول الميثاق ـ لا يمكن استيرادها من تجارب شعب غيره » .

ومشاكل شعبنا ـ كجزء من الشعب العربى الكبير ـ هى التحرر من قيود الاستغلال والسيطرة والانانية وتحرير الانسان من قيود الظلم والعبودية التى تفرضها النظم الفاسدة . وحلول مشكلات الشعب العربى لايمكن أن توجد بمعزل عن القوى الدينية الخلاقة القادرة على تحقيق مجتمع العدالة والكفاية والحرية والمحبة والتكافل بين الانسان وأخيه الانسان .

ولا يعنى ذلك ـ على الاطلاق ـ أن تجربتنا الاشتراكية ترفض مقدما أن تستفيد بالخبرات التى وصلت اليها النظريات السابقة عليها أو تقطع برفض الحلول التى توصل اليها غيرها ، فان ذلك ـ كما يقول الميثاق ـ « تعصب لا تقدر أن تتحمل تبعاته ، خصوصا وان ارادة التغيير الاجتماعى فى بداية ممارستها لمسئوليتها نجتاز فترة أشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها الى زاد فكرى لكنها فى حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه وأن تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية . انها تحتاج الى معرفة ما يجرى من حولها . لكن حاجتها الكبرى هى الى ممارسة الحياة على أرضها . وان تجربة الصواب والخطأ فى حياة الامم ، كشأنها فى حياة الافراد ، طريق النضج والوضوح » .

ان الاشتراكية العربية مع ايمانها بأهمية النوافذ المفتوحة على جميع آفاق المعرفة وبأهمية الخبرات والتراث الحضارى العالمى وثمار الفكر الحر فى سبيل ايجاد المجتمع الحر والفرد الحر ، تعتبر أن تراثها المحلى وشرايين الحياة فى بنائها القومى لا بد أن يمتزج بثمار الفكر والتجارب الاصيلة العالمية . وهذا الامتزاج يعنى اعطاء تجاربنا وخبراتنا وتراثنا الانسانى الاخلاقى أهميته المرتقبة منه وفى ضوء هذا التزاوج الفكرى يتضح اللون العقائدى وشكل التنظيم السياسى والاجتماعى والاقتصادى والاخلاقى الامثل بالنسبة لنا .

٦ - تعتبر الاشتراكية العربية أن الارث حق طبيعى وانسانى وانه لا بد من صيانته والحفاظ عليه فى ظل الملكية الفردية غير المستغلة ، ومن هذا نتبين أصالة الاشتراكية العربية وتقديسها للشرائع السماوية والمحافظة على ثمار الحوافز الانسانية فى الادخار الشريف المنتج وفى تمكين الخلف والاجيال القادمة من شق طريقهم فى الحياة بصورة لا استغلال فيها ولا تخاذل . فحق الارث فى الاشتراكية العربية مضمون فى حدود تشريعات الضرائب التصاعدية وضرائب التركات ، ولكن الابقاء على هذا الحق يعتبر مقوما ايدولوجيا بالغ الدلالة تتميز به الاشتراكية العربية بين الاشتراكيات العالمية .

وتتضح هذه الايدولوجية فى قول الرئيس جمال عبد الناصر : « اننى لست ضد الارث ، ان الارث فى تقديرى شرع سماوى وقطعة من الطبيعة البشرية ذاتها . وليس فى المرض ، فى العمل وليس فى البطالة ، فى العلم وليس فى الجهل ، أريد مجتمعا تذوب فيه الفوارق بين الطبقات عن طريق تكافؤ الفرص بين المواطنين » .

ويعنى هذا أن حرية وحق التملك عن طريق الميراث لا بد أن يقوم فى اطار العدل الانسانى والاخلاقى والاجتماعى . ان على الدولة أن تورث أفرادها مالايستطيع اباءهم أن يورثوهم اياه ولهذا لا يصبح الفقر ارثا أو الجهل ارثا أو المرض ارثا فى مجتمع الكفاية والعدل وانما يرث المواطنون الصحة والعلم والكفاية ، وهى المقدمات التى نزلت الشرائع السماوية جميعها من أجل توفيرها لبنى البشر فى كفاحهم من أجل الحياة الحرة الكريمة .

بقية مقال (الصراط المستقيم)

ونخلص من ذلك كله بأن الصراط المستقيم

١ - هو طريق الله كما يفهم من قوله « **ان ربى على صراط مستقيم** »

٢ - وهو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يفهم من قوله « **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** »

٣ - وهو منهج خاتم الأنبياء والمرسلين كما يفهم من قوله تعالى : **انك لمن المرسلين على صراط مستقيم** »

٤ - وهو الايمان بالله والانقياد له والتزام حدوده والاعتصام بحبله كما يفهم من قوله تعالى « **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** »

٥ - وهو الاستجابة الى دعوة رسول الله كما يفهم من قول الله فيه : « **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** »

٦ - وهو الدين الذى بعث به خاتم الأنبياء والمرسلين كما يفهم من قوله تعالى « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** » .

٧ - هو كل ذلك وبعبارة موجزة مركزة كل ذلك هو قوله تعالى : « **وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم** »

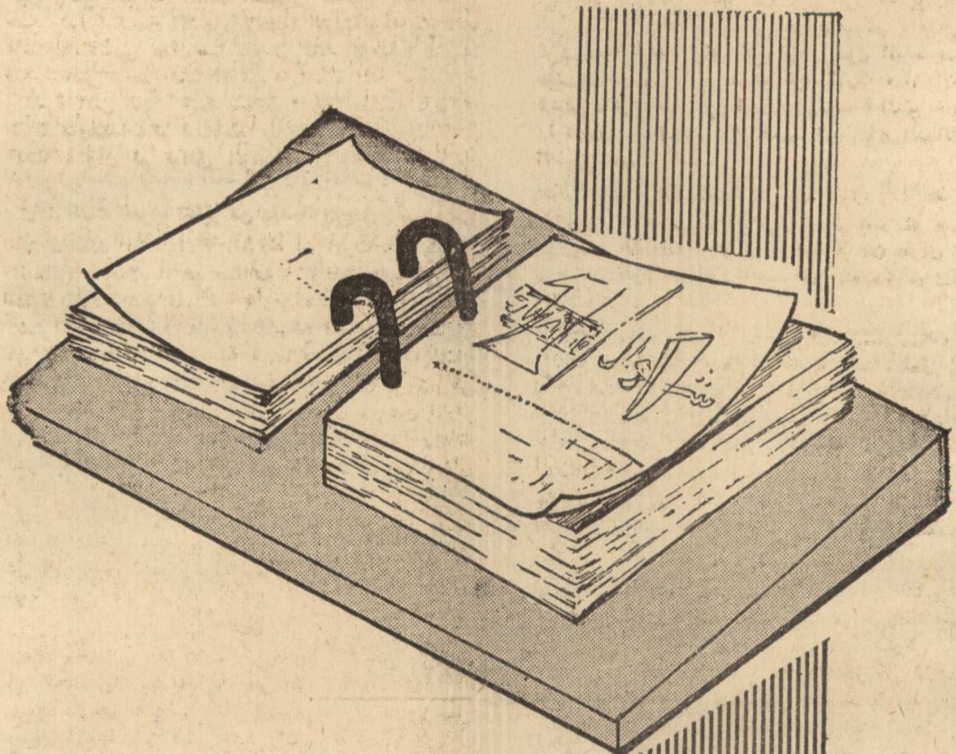

شهر شوال

الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم

شهر شوال هو الشهر الذى يلى شهر رمضان ، وهو أول شهر الحج ، وسمى بذلك لشولان الناقة فيه بذنبها ، أى ترفع ذنبها للطروق ، وقد كان الجو فى هذا الشهر حين وضع العرب أسماء الشهور يناسب ذلك فانهم حين وضعوا أسماء الشهور لاحظوا الازمنة وما يقع فيها فاشتقوا للشهور معان مما يقع فى تلك الازمنة ، فسموا الفترة التى ترمض فيها الارض من شدة الحر رمضان ، والفترة التى يكون فيها شولان الناقة بذنبها للطروق شوالا ، وهكذا ، ثم استعملوا هذه الاسماء بعد ذلك فى الاهلة ، وان لم توافق الزمن الذى اشتق منه اسم الشهر .

وقد كانت العرب تتطير من عقد الزواج فى شـــوال ، ويزعمون أن المرأة اذا عقد زوجها فى هذا الشهر امتنعت من زوجها ، فابطل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ طيرتهم وتزوج عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى شـــوال ، أخرج الترمذى عن عائشة قالت : تزوجنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شوال ، وبنى بى فى شوال ، وجاء بعد هذه العبـارة فى رواية أخرى : (فاى نسائه كان أحظى عنده منى ؟)

ويقع عيد الفطر فى اليوم الأول من شوال ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن الأعياد الاسلامية هى عيد الفطر وعيد الأضحى فقط ، أخرج النسائى عن أنس بن مالك قال : كان لأهل الجاهلية يومان فى كل سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة قال : كان لكم يومان تلعبون فيهما ، وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما ، يوم الفطر ، ويوم الأضحى .

***

وقد وقعت فى هذا الشهر من السنة الثـالثة للهجرة غزوة أحد ، ولا نريد هنا أن نعلق عليهـا بشىء ، فامرها معروف ، واهم ما يلفت النظر فيها هزيمة المسلمين نتيجة عصيان الرماة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم .

كما وقعت فى هذا الشهر أيضا من السنة الخامســة « على الصحيح » غزوة الخندق ، أو غزوة الأحـزاب ، وكأن الله أراد أن يعوض المسلمين عما أصابهم فى غزوة أحد .

وغزوة الخندق من صنع اليهود ـ كما سنذكر بعـد قليل ، وقد اختلف المؤرخون فى السنة التى وقعت فيها تلك الغزوة .

فقال بعضهم : انها وقعت سنة أربع من الهجـرة ، واستدلوا لهذا بحديث عبدالله بن عمر فى الصحيحين أنه عرض على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ، ثم عرض عليـــه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه ، وقال أصحاب هذا الرأى : انه قد صح أنه لم يكن بين غزوة أحد وغزوة الخندق الا سنة واحدة .

وقال آخرون : انها كانت فى السنة الخامسة من الهجرة، وهذا أصح القولين ، وذلك أنه بعد انتهاء غزوة أحد واعد المشركون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باللقـاء للحرب فى العام المقبل ، (أى العـام الرابع للهجرة) ، ولكنهم أخلفوه ، لما نزل بهم من الجدب فى تلك السنة ، ووافوه فى السنة الخامسة .

وردوا دليل الأولين بأنه ليس فى حديث ابن عمر ماينفى انه فى غزوة الخندق كان قد جاوز الخامسة عشر من عمره بسنة أو نحوها .

***

واما كون هذه الغزوة من صنع اليهود فلانهم لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد فى السنة الثالثة أرادوا أن تكون هذه الانتصارات مسـتمرة ، وودوا أن تواصل قريش حربها للمسلمين ، لأن هـذا هو الطريق الى ابادتهم ، والقضاء على هذا الدين الجديد ، ولذلك فانهم لمـا رأوا قريشا أخلفت موعدها ولم تحضر لقتال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى السنة الرابعة ، خرج زعماؤهم ، وعلى رأسهم سلام بن أبى الحقيق ، وسلام ابن مشكم ، وكنانه بن الربيع ، وغيرهم ، وذهبوا الى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ ووعدوهم بان يكونوا معهم ، فاجابتهم قريش ، ثم ذهبوا الى غطفــان ، فصنعوا معهم مثل ما صنعوا مع قريش ، ثم ذهبوا الى غيرهم من القبائل الأخرى كذلك .

فخرجت قريش بقيادة أبى سـفيان فى أربعة آلاف ، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران ، وخرجت بنو أسـد ، وفزارة ، وأشجع ، وبنو مرة ، كما خرجت غطفان بقيـادة عيينة بن حصن ، وجملة من وافى الخندق من المشركين عشرة آلاف .

فلما سمع رسول الله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ بمسيرهم استشار أصحابه ، فاشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق بين العدو وبين المدينة ، وراقت هذه الفكرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فامر بتنفيذها ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعمل بنفسه مع المسلمين فى حفر الخندق .

وخرج ـ صلى الله عليــه وسلم ـ فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بجبل سلع من خلفه ، وبالخندق من أمامه .

وفى هذه الفترة العصيبة انطلق حيى من أخطب « سيد يهود بنى النضير » الى يهـــود بنى قريظة ، ولما اراد الدخول فى حصنهم أبى كعب بن أسد القرظى أن يفتح له ، فما زال به حتى فتح له ، فلما دخل قال لكعب : لقد جئتك بعز الدهر ، وببحر طام ، جئتك بقريش وغطفان وأسد لحرب محمد ، فاجابه كعب بقوله : جئتنى بالله بذل الدهر ، فلم يزل به حيى حتى نقض العهد الذى كان بينه وبين النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانضم الى المشركين .

وبلغه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فعلته بنو قريظة ، فبعث اليهم أربعة من أصحابه ليتاكدوا من صحة الخبر ، فوجدوا الأمر كما بلغهم ، فرجعوا الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبلغوه ذلك .

وعظم الأمر على المسلمين ، حتى لقد فكر ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصلح مع بعض طوائف الأعـداء على الرجوع فى مقابل أن يقطعهم ثلث ثمار المدينة ، واستشار سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ـ من زعماء المدينة ـ فى هذا ، فقالا : يا رسول الله ، ان كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة ، وان كان شىء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه ، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن ياكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا ، فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ؟ والله لا نعطيهم الا السيف ، فاستحسن رأيهمـا وقال : انما هو شىء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة

ولقد نصر الله المسلمين من حيث لم يحتسبوا ، فهيأ لهم سببين لهذا النصر العظيم :

الأول ـ أن رجلا من غطفان يقال له نعيم بن مسـعود ابن عامر جاء الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله ، انى قد أسلمت فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فان الحــرب خدعة ، فذهب على الأثر الى بنى قريظة ـ وكان صديقا لهم فى الجاهلية ـ فدخل عليهم وهم لا يعلمون باسلامه ،

فقال : يابنى قريظة ، انكم قد حاربتم محمدا ، وان قريشا ان صابوا فرصة انتهزوها ، وان لم يصيبوا هذه الفرصة عادوا الى بلادهم وتركوهم لمحمد فينتقم منكم ، قالوا : فماذا نصنع يا نعيم ؟ قال : لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن لتضمنوا بقاءهم معكم ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى ، ثم تركهم وذهب الى قريش ـ وكانوا كذلك لا يعلمون باسلامه ـ فقال لهم : تعلمون ودى ونصحى لكم ، فقالوا : نعم ، فقال : ان يهود بنى قريظة قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه ، وانهم قد راسلوه ، وتعهدوا له بأن يحتالوا عليكم ليأخذوا منكم رهائن ، فلا تعطوهم ، ثم تركهم وذهب الى غطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كانت ليلة السبت أرسلت قريش الى اليهود : انا لسنا بارض مقام ، وقد هلك الكراع والخف ، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا ، فاجابوا بأن اليوم يوم سبت ، وتقضى علينا شريعتنا بان لا نعمل فى هذا اليوم شيئا ، ومع هذا فانا لن نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن ، وعندئذ علمت قريش أن نعيما صدقهم القول ، وبعثوا الى اليهود يقولون : انا والله لن نرسل اليكم احدا ، فاخرجوا معنا حتى نناجز محمدا ، فعلم اليهود أن نعيما صادق فيما أخبرهم به عن نية قريش ، وامتلات قلوب كل فريق توجسا وخوفا من الفريق الآخر ، وكان ذلك سببا فى تخاذلهم جميعا .

الثانى ـ أن الله عز وجل سلط على المشركين ريحا عاصفة ،قوضت خيامهم ، وكفأت قدورهم ، وأرسل اليهم جنودا من الملائكة ملأوا قلوبهم فزعا ورعبا ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ، واذ يقول : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا ، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا ، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا »

***

وارسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ حذيفة بين اليمان ليأتيه بخبر الأحزاب ، وأمره بأن يلتزم جانب الحذر ، وأن لا يجعل أحدا يعرفه ، ولما صار حذيفة بين المشركين لم يعرفه أحد من شدة الظلام ، واذا بأبى سفيان ينهض قائما ويصيح فى الناس : يا معشر قريش ، احذروا الجواسيس ، وليتأكد كل منكم ممن على يمينه وممن على يساره ، وهنا يظهر حسن اختيار الرسول لحذيفة ، فانه حين سمع أبا سفيان يقول ما يقول بادر الى من جانبيه فقبض على ذراعيهما ، وقال لهذا : من أنت ؟ قال : أنا معاوية ، وقال للآخر : من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن العاص، ولم يكونا قد أسلما بعد ، ولما اطمأن أبو سفيان الى أنه لا يوجد بين قومه جواسيس خاطبهم بقوله : يا معشر قريش ، انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع « الخيل » والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منهم ما نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فانى مرتحل ، ورجع حذيفة وأخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما رأى ، وارتحلت قريش ، وتبعتهم غطفان والأحزاب ، وأصبح الصبح ولم يجد الرسول منهم أحدا ، فانصرف راجعا الى منازل المدينة والمسلمون معه ، يرفعون أكف الضراعة الى الله شكرا ، ان كشف الضر عنهم ، وأن كفى المؤمنين القتال .

وعندئذ جاء جبريل عليه السلام وهو يغتسل فى بيت أم سلمة فقال : أوضعتم السلاح ؟ ان الملائكة لم تضع بعد أسلحتها ، انهض الى غزوة هؤلاء «يعنى بنى قريظة» فنادى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة ، فخرج المسلمون اليها سراعا ، وحاصروا حصون اليهود ، وانتهى الأمر بنزولهم على حكم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فجعل الامر لسعد بن معاذ ، الذى حكم بقتل رجالهم وسبى نسائهم وذراريهم ، ونفذ ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الحكم فيهم ، لأنه حكم العلى الاعلى جل جلاله .

وبالقضاء على بنى قريظة فقد طهرت المدينة من جميع اليهود الذين كانوا يقيمون فيها « بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة » .

***

ولا ينبغى أن نخرج من الكلام عن هذه الغزوة دون أن نشير الى ما نستفيده منها من دروس ، لا شك فى أن المسلمين الآن فى أشد الحاجة اليها .

أولا ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أرسل حذيفة يستطلع خبر الأحزاب راعى فى اختياره جانب الكفاءة وحدها ، فوضع الشخص المناسب فى العمل الذى يناسبه ، وذلك أن المهمة التى ذهب اليها حذيفة تحتاج الى أعصاب قوية ، وبديهة حاضرة ، وقدرة على التخلص من المآزق التى قد يقع فيها ، ولقد كان حذيفة عند حسن ظن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانه لما بوغت بوقوف أبى سفيان يحذر قومه من الجواسيس ، ويطلب من كل منهم أن يتأكد ممن على جانبيه أسعفت حذيفة بديهته الحاضرة ، فبادر الى من على يمينه ومن على يساره ، فقبض على ذراعيهما ، متظاهرا بأنه من قريش ، وسأل كلا منهما عن اسمه ، فأجاباه الى ما سأل دون أن يتبينا شخصه من شدة الظلام ، ولو أن حذيفة كان ضعيف الأعصاب ، بطىء التفكير لارتبك وعجز عن التصرف ، ولافتضح أمره ، ولكان عرضة للقتل دون أن يحقق للمسلمين منفعة .

وكذلك يجب أن يكون ذلك شأننا ، نبتعد عن المجاملات، ونضع كل انسان فى العمل الذى يناسبه ، فليس أضر بالأمة من اسناد الأمور الى من لا يحسنونها .

ثانيا ـ أن العقوبة التى أنزلها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيهود بنى قريظة ـ مع شدتها وصرامتها ـ هى العقوبة التى يستحقونها ، وهى العقوبة التى تلائمهم فى كل زمان ومكان .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد أن يفهم المسلمون من تصرفه هذا أن من كان الغدر طبعه ، ومن كانت الخيانة شيمته ، فان السبيل الى اراحة الناس من شره هو استئصاله والقضاء عليه .

والتاريخ يحدثنا أن اليهود فى جميع أطوار حياتهم مثال الخسة والدناءة واللؤم والخيانة والغدر ، ولم تسلم أمة من الأمم ـ من أقصى الأرض الى أقصاها ـ من شرهم ، ولم تثره فتنة فى أى مكان الا وهم المحركون لها ، ولم تقم حرب فى أى زمان الا وهم من ورائها ، ولم يحاول أحد أن ينتصف منهم ، أو أن يكشف أمرهم الا اغتالوه بطريقة يعجز الشيطان نفسه عن تدبير مثلها .

والآن وقد استفاض شرهم ، وعم فسادهم ، فانه يتعين على الناس جميعه وعلى العرب بصفة خاصة أن يتضامنوا لتطهير الأرض منهم ، وانقاذ البشرية من اجرامهم ، حقق الله الآمال .

إنسان الإسلام .. حر!

الأستاذ إبراهيم عوضين

وانسان الاسلام - الى أنه مزاج من الروح والجسد كما أوضحناه فى مقالنا السابق - هو كذلك حر ..!

فالانسان فى نظر الاسلام هو الحر ، والحر فى نظر الاسلام هو الانسان ، لا يفترق واحد منهما عن الآخر ، لأن الحرية هى استطاعة الاختيار فى الفعل والترك ، والتمكن من الموازنة بين الامور ، والترجيح فى الحكم على الاشياء وتقويمها .

ولأن انسان الاسلام - وهو الانسان الاصيل - يمتاز عن غيره باستعداده لأن يفكر ، ولأن يوازن بين موضوع تفكيره ، ولأن يصدر حكمه تبعا لتلك الموازنة ، ولأن يختار ما يراه مناسبا فيتجه اليه بالتنفيذ .

وحرية الإنسان المسلم تكاد تخلو من القيود والضوابط فيما عدا الحاق الضرر بنفسه أو بالآخرين ممن يشاركونه الحياة ، فطالما انسان الاسلام لا يؤذى بنفسه -بسلوكه- ولا يؤذى غيره ، فلا حق لسلطان فى أن يحد من نشاطه ، أو يقف فى وجهه .

وهذا الضابط لحرية الانسان - وهو تجنب الحاق الضرر - ليس مفروضا على الانسان من الخارج - فيكون تشويها لحريته - ولكنه نابع من الطبع ، ومنبثق من الفطرة الانسانية ، لأن الانسان مفطور على الاحساس الاجتماعى .

والميل الى تكوين المجتمع يدعو الانسان الى رفع الايذاء ، وتجنب الضرر ، ليضمن الانسان أخوة أخيه ومحبته .

فليس انسان الاسلام - فى ذلك - الا الانسان الحق الذى يصوره كلمة انسان ، ويوحى به مدلولها .

انسان الاسلام - اذن - حر فى تفكيره ، حر فى معتقده ، حر فى تعبيره ، حر فى ملكه ، حر فى معاملة غيره .

***

١ - وحرية الانسان فى تفكيره - ككل نشاط - متعددة المسالك ، متشعبة الدروب ، يمكن أن تتجه به الى الهدم ، ويمكن أن تتجه به الى البناء .. يمكن أن يحصل بها المعرفة ، ويمكن أن يصد بها عن المعرفة .

واتجاهات الناس - تبعا لذلك - تختلف .. ليس فى الطاقة الفكرية - فهى طاقة مشتركة - ولكن فى توجيه تلك الطاقة .

الامر الذى يحوج الانسان الى الموجه ، ويخضعه فى تفكيره الى المرشد .

وفى أثناء التوجيه والارشاد تحدث المتناقضات التى قد تحول النشاط التفكيرى الى جمود ، والحرية الفكرية الى حجر وكبت .

وهنا نقطة أفتراق بين الاسلام - فى توجيه النشاط الفكرى وارشاده - وبين غيره من العقائد والمذاهب ، لأن دارس الاسلام يراه يقف من تفكير الانسان موقف المؤكد له ، اذ التفكير طبيعة من طبائع الانسان التى خلقها الله فيه ، والاسلام رسالة بعثها الله - خالق الانسان - الى الانسان ، فما تحمله الرسالة - اذن - لا يتوقع فيه التناقض مع ما تشتمله الطبيعة ، بل هو - وهذا أمر بدهى - يؤسس على مقومات هذه الطبيعة .

« .. فطرة الله التى فطر الناس عليها .

« لا تبديل لخلق الله .

« ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(الروم)

فالاسلام لا يكبت هذا النشاط فيه فيعطله ، لأن تعطيل النشاط الفكرى فى الانسان - كما يقر بذلك الاسلام - تغيير لطبيعة الانسان .

انما توجيهه وارشاده قائم على رسم الاتجاه الذى يسير اليه ، معتمدا على رسم الخطوط العامة التى توصله الى وجهته .

وقارىء القرآن الكريم يجده لا يذكر العقل - وسيلة التفكير فى الانسان - الا فى مقام التعظيم ، ويجده لا يتحدث عن العقل - وحديث القرآن عن العقل لا يرد عارضا ، بل يأتى متكررا عن قصد - الا فى مقام التنبيه الى الاهتمام به ، والرجوع اليه ، وتحريكه فى كل ما يحيط بالانسان من كائنات .

« ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره .

« ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون .

« وله من فى السموات والارض كل له قانتون .

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .

« وله المثل الاعلى فى السموات والارض .

« وهو العزيز الحكيم .

« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم .

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون » .

(الروم)

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب » .

(يوسف)

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض » .

(آل عمران)

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء .. »

(الاعراف)

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

(يونس)

« أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين » .

(المؤمنون)

« كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب » .

(ص)

بهذه الآيات وما جرى مجراها ـ وهو كثير ـ يتضح أن الحديث عن العقل والتفكر ـ فى القرآن ـ لم يرد عرضا ، ولا هو من قبيل التكرار المعاد ، بل هو نتيجة منتظرة ، يستلزمها لباب الدين وجوهره ، ويترقبها ـ فى القرآن ـ من عرف كنه الاسلام ، وعرف كنه الانسان فى تقدير الاسلام .

***

فواجب انسان الاسلام أن يفكر فيما ينفع نفسه وينفع غيره ، وفيما يقى نفسه ويقى غيره الضر والاذى .

واجب انسان الاسلام أن يفكر مهتديا بالنصح الاسلامى « لا ضرر ولا ضرار » .

فالحلال والحرام فى الاسلام ليس حجرا على حرية الانسان ، ولا حدا لنشاطه الفكرى ، ولكنه توجيه لعقله ووقاية له من الانحراف الضار المؤذى ، لأن الاسلام يريد أن تكتنف السعادة وجود الانسان وحياته .

وبهذا يقر الاسلام « وجود الانسان » على نحو ما له من طبيعته .. ولكن الفرق بين « الوجود » الذى يريده الاسلام للانسان ، وبين « الوجودية » التى يروجها بعض ضعاف النفس والفكر باسم الفلسفة .. هو الفرق بين الذى يدعو الى السمو ، والذى يدعو الى الانحطاط .

ان الاسلام يريد لانسانه أن يفكر .. كيف يصعد ، لا كيف ينحدر ويهبط .

ان الاسلام يريد لانسانه أن يفكر .. كيف يتعلم ويزداد علما ، لا كيف ينشغل عن العلم ، ويهمل المعرفة .

ان الاسلام يريد لانسانه أن يفكر .. كيف يحسن ، لا كيف يسىء ، كيف يبنى ، لا كيف يهدم .. يبنى لنفسه ولامته ، ولا يهدم نفسه وأمته .

وكما أن الاسلام ـ فى توجيه النشاط الفكرى ـ يفارق الدعوة الى الحرية المطلقة باسم « الوجودية » أو تحت أى عنوان ، فهو ـ كذلك ـ يفارق غيره من الديانات والعقائد التى استغل رجالها الحلال والحرام فى الحجر على حرية الانسان ، والحد من نشاطه الفكرى .

فالاسلام دين ..

***

ا) ينكر الكهانة ، لأنها مضادة لحرية التفكير ، ولذلك اقترن بالدعوة الى التذكير نفى الكهانة عن الدعوة الى الاسلام .

« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » .

(الطور)

« انه لقول رسول كريم .
« وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون .
« ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون .
« تنزيل من رب العالمين » .

(الحاقة)

ب) ولا يعترف بالوسطاء ـ من السدنة والاحبار ـ بين المخلوق والخالق ، لأن ذلك مناقض لحرية التفكير .. فالحبر انسان من الناس يخطىء كما يخطىء سائر الناس .

« يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .. »

(التوبة)

والحبر ان أصاب فهو يصيب كما يصيب أى انسان من الناس .

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار .. »

جـ) ولا يفرض على الانسان قربانا يسعى به الى المحراب بشفاعة من ولى متسلط ، أو قديس مطاع .

« الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون .. »

(السجدة)

د) ولا يحدد للعبادة هيكلا ، يخضع الانسان لسلطانه .

« فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم »

(البقرة)

***

والاسلام حينما يدعو انسانه الى الايمان بالله يعمل على تحرير نشاطه الفكرى .. فالله ـ كما يصوره الاسلام ـ كمال مطلق . وتصور الكمال المطلق فى الوجود من الصعب على الانسان ، لأن ذلك يقتضيه التركيز فى التفكير وعدم التأثر فيه بأوضاع المحسوس وحده .. والتركيز فى التفكير طابع الانسان الرشيد ، والتجرد فى الحكم أمارة الانسان الذى حرر عقله من هوى نفسه فيما يحكم ، ولذلك فان الاسلام يدعو انسانه الى الايمان بالله عن طريق توجيه التفكير ، لا عن طريق ارغامه عليه .

وتوجيهه هنا سبيله طلب التجرد فى الحكم ، وتمكين العقل دون الهوى فيه .

« واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

(البقرة)

***

٢ ـ وحرية الانسان فى معتقده ..

تعتمد على نظرة الاسلام الى العقيدة ، ونظرته الى آثارها .

وفارق كبير بين العقيدة وأثرها وبين فلسفات الفلاسفة وآراء المفكرين ..

فالنظريات الفلسفية ، والافكار البشرية ـ التى صنعها أصحابها فى محاولة تفسير الوجود وعلاقة الانسان به ـ تبقى فى حدود المعرفة الفكرية الباردة ، أما أثر العقيدة فانه ينبثق فى الضمير ، ويتفاعل مع المشاعر ، ويتلبس بالحياة ، فهو وشيجة حية تربط الانسان بعضه ببعض ، كما أنها وشيجة حية ـ كذلك ـ بين الانسان وبين الوجود وبينه وبين خالق الوجود .

ولكى تحقق العقيدة أثرها ، وتصل بالانسان الى هدفها لا بد أن تتسم الحياة من حولها بالحرية ، ولا بد أن يزول كل أثر للعنف والقهر ازاءها .

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى .. »
(البقرة)

فالعنف والقهر بشتى صوره .. لا يقر عقيدة ـ فضلا عن أن يغرسها ـ لأنه ..

ا) ان كان عنفا يعتمد على المادة ، فلن يخضع غير المادة .. وسلطان المادة على العقيدة سريع الزوال .

ب) وان كان عنفا يعتمد على الفكرة الشائهة ، والرأى الزائف ، فلن تدوم العقيدة التى يكره عليها كثيرا ، لأن الحياة ـ بتغيرها المستمر ـ كفيلة أن تكشف ذلك التشويه والزيف .

ومثل تلك العقائد ـ التى تنتظر المحو ـ لا يمكن أن تقوم عليها حياة ، أو أن يستقر عليها بناء الوجود .

ولو أن العقيدة فىالاسلام تقوم على العنف والقهر ، فلن يكون هناك أعنف ولا أقهر من الله ـ سبحانه ـ لو شاء أن يكره الناس جميعا على عقيدته فلن يمتنع عليه أحد .

« ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا .
« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »
(يونس)

***

ان الاسلام يؤكد للانسان أنه حر فى اعتقاده ، وان حريته ـ تلك ـ قائمة على الوضوح والتبين ، معتمدة على التفريق بين الرشد والغى .

« .. قد تبين الرشد من الغى .. »

والرشد والغى أثران لنشاط التفكير الانسانى ..

وقد كفل الاسلام لانسانه حرية التفكير مضبوطـا بالبعد عن الضرر والضرار .

فكأن الاسلام يبنى أمر العقيدة على أن حرية الانسان فى الاعتقاد أمر مفروغ منه ولا جدال فيه ، بحيث لاتخرج تلك الحرية على الخط الذى يرسمه الرشد وتحـدده الهداية ، لأن حريته فى الاعتقـاد ترتبط بحريته فى التفكير ، فلا بد من أن تنضبط بضوابطها ..

فاذا دار الانسان بحرية الاعتقاد فى مجال الهـداية والرشد ضمن أنهيدور فى مجال الصالح الخاصوالصالح العام ، وضمن الامن من ايذاء نفسه ، والامن من ايذاء غيره معه فى مجتمعه .

ولقد عمل الاسلام على تقرير ذلك التأكيد ، فأوضح مهمة الرسول للناس .

« يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ، ومبشرا ، ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »
(الاحزاب)

« وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين .

« فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون . »
(الانعام) .

وأوضح حقيقة الرسالة وهدفها وعلاقتها بالهداية .

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا .

« ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهـدى الى صراط مستقيم . » (الشورى)

فلم يكن الاسلام ـ على وجه الاطلاق ـ بمكره انسانا على عقيدة يعتقدها ـ وقد وضح رأيه فى العقيدة وهدفهاـ بل هو مشعل يضىء الطريق .. ثم الانسان ـ بما له من تفكير سليم ـ لن يختار الا الطريق المضاء .

ان الاسلام لم يتدخل فى شأن الانسان وطبيعته ، وانما هو توجيه لتلك الطبيعة فحسب ، وفارق بين دين يوجه ويرشد ، وبين دين أو مذهب يقهر ويكره .

وبذلك تسقط دعوى من يرجفون حول الاسلام،ويدعون أنه دين لم ينتشر الا بقوة السيف ، وفى غمار الحـرب مستشهدين بالحروب الكثيرة التى خاضها المسـلمون الأولون فى مختلف الانحاء ، فالاسلام لم يأمر المسـلمين بالحرب لنشره ، واكراه الناس عليه .. وانما جاء ذلك فى مواجهته الاعتداءات المتكررة على المسلمين ممن يعـادون الاسلام .

والمسلمون لم يقاتلوا غيرهم حملا لهم على الاعتقـاد بالاسلام ، وانما قاتلوهم ليؤمنوا أنفسهم ، ويؤمنوا حرية العقيدة .

« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . » (الحج)

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا ان الله لا يحب المعتدين . » (البقرة)

وقاتلوهم حتى لا تـكون فتنـة ويكون الـدين لله فان انتهو فلا عدوان الا على الظالمين » .

ولقد أثبت هذه الحقيقة المسيو « هنرى دوكاسترى » ـ وهو لا يمت الى الاسلام بصلة ـ أحد حكام الجزائر ـ وقت أن كانت مستعمرة فرنسية ـ فى كتابه « الاسلام تأثرات ومباحث » فقد قال فيه :

« وبعد أن دان العرب للاسلام ، واستنارت قلوبهمبهذا الدين ، برزوا فى حال جديدة أمام أهل الارض كافة .. هو حال المسالمة وحرية الأفكار فى المعاملات ، واذعانا منهم لما ورد فى القرآن من التوصية بمحاسنة الناس بعد تلك الآيات التى كانت تنذر القبائل المارقة كقول الكتاب :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

وقوله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم . »

وقوله : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجـرا جميلا . »

وقوله : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرضهونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . »

ثم قارن المسيو « هنرى دوكاسترى » بين هذا اللين والعطف من الاسلام ، وبين الشدة والروح الحـربية فى الاديان التى تقدمته ، فنقل عن الكتاب الخامس من الزبور قوله :

« اذا اقتربت من مدينة لتحاصرها فاعرض عليهاالايمان، فان قبلته ، فقد سلم كل من فيهـا ، وان أبت وبادأتك بالعدوان فشدد الحصار عليها ، ومتى وفقك الله للظفر بها فاحطم رأس كل ذكر فيها بحد الحسام . »

ثم قال : « وهذه المحاسنة العظيمة من جهة المنتصـر للمقهور هى التى ضعضعت الديانة النصرانية جدا ، ثم زالت بالمرة من شمال أفريقيا .

على أن الاسلام لم يكن له دعاة يقومون بنشره ، فلم يكره على الأخذ به أحد بالسيف ولا باللسان ، بل دخل القلوب عن حب واختيار ، وكان هذا من آثار ما أودع فى القرآن من صفات التأثير والأخذ بالألباب . »

الشعر الديني

مختارات من شعر ابن عربي في التصوف (١)

الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل

– ١ –

محيى الدين بن عربى

فى عهد ازدهار فلسفات ابن طفيل وابن رشد وذيوع مذهب الغزالى على يد تلميذه المهدى بن تومرت فى دولة الموحدين ولد محيى الدين بن عربى أو محمد بن العربى الحاتمى – كما سمى نفسه كذلك فى بعض شعره ولد فى مدينة مرسية بالأندلس فى رمضان سنة ٥٦٠ هـ من أسرة عريقة فى العلم والتقوى والجهاد . وكان ابوه على بن محمد من أئمة الحديث والفقه والزهد والعبادة وخاله كذلك من الأعلام وهوأبو مسلم الخولانى الزاهد المعروف .

ثم انتقل مع أبيه الى أشبيلية ذات الجامعة العتيدة وفيها درس على أبى بكر بن خلف كبير فقهائها وبرز فى القراءات ثم اختلط بجلة من العلماء والزهاد . ثم حان له أن يلحق بديوان بعض ملوك المغرب موقعا ، ولعلها وظيفة الحاجب أو الوزير الذى يوقع أوامر الملك الشفوية ، وسرعان ما ابتأس من حاله ووقعت بينه وبين الملك وأهل بلاطه جفوة شديدة اذ طرق بابه طارق روحانى اتجاه الى محاريب العبادة والذكر ليستعيض بها عن طريق العلم المرسوم فخرج الى البرارى على وجهه ونزل قبرا من القبور ، حتى اذا مكث فيه مدة خرج منه وهو يتكلم بطريقته التى تكلم بها فى العلوم .

وجعل ابن عربى يسيح فى البلدان ونزل أول ما نزل على أبى الوليد ابن رشد قاضى قاضى قرطبة وتفاهما عند أول لقاء بالاشارات ولكنهما لم يتفقا فى الطريق الى الغايات اذ اتخذ ابن رشد طريق العقل واتخذ ابن عربى طريق الكشف فافترقا ولكن عن تراض .

ثم اتجه ابن عربى نحو المشرق كاتبا كل ما يخطر بباله قائلا انه ملهم به من الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم – وخلف فى كل بلد رجل عنه كل ما كان قد كتبه به . وقد وفد الى مصر ولقى جمهورا من علمائها وأهل

التصوف بها وكان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره . ثم ارتحل الى مكة المشرفة وجاور بها فتسارع علماؤها الى مجلسه والأخذ عنه .

وأكثر ما اشتغل بمكة فى الحديث سماعا واسماعا ثم صنف فيها « الفتوحات المكية » الذى اختار زبدة ما فيه الامام الشعرانى فى كتابه « اليواقيت والجواهر » . ثم ارتحل الى الشام وأقام بها بقية عمره نحوا من ثلاثين سنة حتى قبض الى جوار ربه سنة ٦٣٨ هـ وقد قارب الثمانين . وقد أخرج بالشام كل علومه المسطرة فى كتبه وكان آخرها اكمال موسوعته « الفتوحات المكية » .

مذهبه فى التصوف :

يقول الشعرانى فى مقدمة كتابه « اليواقيت والجواهر » : ان جميع ما لم يفهمه الناس من كلام ابن عربى انما هو لعلو مراقيه . ثم يقول : ان جميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كعادة الناس فى الدس على الأئمة حسدا لهم وافتراء عليهم ، وقد أصاب ابن عربى من ذلك ما أصاب احمد بن حنبل وأبا حامد الغزالى وعز الدين بن عبد السلام وغيرهم بل اصاب أكثر مما أصاب هؤلاء حين زيفوا عليه ما قال.

والحق أن المرء لتأخذه الحيرة حين يرى ما قاله الفرنجة والمتأثرون بهم الناقلون منهم فى ابن عربى وبين ما يقوله الشعرانى وأمثاله من أئمة العرب فيه . وقد رماه أولئك بأنه قال بالحلول والاتحاد ونفاها عنه صوفية المسلمين .

ويبدو ان هذا الخلاف قد جاء من اعتماد من لم يفهموا رموز ابن عربى على التأويلات التى يرونها وربما وصلوها بآراء فلاسفة غربيين أو فلسفات قديمة وحسبوا ابن عربى يرددها ويعتقدها فى حين ينفيها عنه الشعرانى وأمثاله قائلين : ولكن الغافلين عن فهم معانيه يأبون الا رميه بأنه قال بالحلول والاتحاد .

ولعل السبب فى ذلك اختلاف مدلول الكلمتين فى عرف الفلاسفة وصوفية المسلمين، ومن لم يدرك الفرق بينهما خبط فى جهل ورمى بافتراء : فالفروض التى يفترضها الصوفية من انعدام الكون الا فى الوهم والقيام بالغير ووجود الخالق وحده وقيامه بنفسه يتناقض مع فكرة الحلول . وقول الصوفية بأن الوحدة هى رجوع النفس الى منبعها النورانى ينفى القول بالاتحاد . ولكن أقوال الفلاسفة لا تساير هذه الأقوال بل ترى فى الحلول والوحدة القول بالاتحاد بين الكائن والمكون وهو ما لم يقل به الاسلام .

ويقول مجد الدين الفيروزآبادى صاحب القاموس : لم يبلغنا عن أحد من القوم انه بلغ فى علم الشريعة والحقيقة ما بلغ ابن عربى . ثم يقول : والذى أقوله وأتحققه وادين الله تعالى به أن الشيخ محيى الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام المحققين حقيقة ورسما ومحيى علوم العارفين فعلا واسما .

ويقول ابن عربى نفسه : ان جميع ما تكلمت به انما هو من القرآن العظيم واننى استمد علمى من كلمات الله التى لا تنفد « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى » . « ولو ان ما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » . ولو ان علمى كان نتيجة بحث او فكر لحصر فى أقرب فرصة ولكنها موارد الحق .. والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار .

كتبه ومؤلفاته :

أشار الدكتور أبو العلا عفيفى فى تصديره لكتاب « نصوص الحكم » الأخبار التى وردت عن مؤلفات ابن عربى ومنها اخبار الشعرانى عنها . والشعرانى يقول : واما كتبه فهى البحار الزواخر . . ومن خصائصها انهما واظب احد على مطالعتها الا وتصدر لحل المشكلات فى الدين ومعضلات مسائله . وقد ذكر الشعرانى انها بلغت نيفا واربعمائة مؤلف ما بين صغير وكبير .

منها تفسيره الكبير فى خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى : « وعلمناه

من لدنا علما » ثم قبضه الله اليه فلم يكمله .. ومنها تفسيره الصغير فى ثمانية أسفار كتبه على طريقة المحققين من المفسرين .. ومنهـا كتاب الرياضات الفردوسية فى الأحاديث القدسية ، ولم تزل هذه الكتب غائبة عن الناس ، أما ما هو ذائع معروف فكتاب الفتوحات المكية كتبه جوابا عن أسئلة تلميذه بدر الحبشى وقد طبع قديما فى مصر فى خمس مجلدات وقيل أنه لما فرغ من مسوداته طرحها على سطح الكعبة عاما ثم عاد اليها فوجدها كما هى سليمة لم تتأثر بشمس ولا مطر وقد لخصها الامام الشعرانى فى كتابه « اليواقيت والجواهر » . وكتاب نصوص الحكم وقد قال الشعرانى انه شرح من جماعة من أعلام الشافعية وغيرهم وآخر طبعة له التى اخرجها الدكتور أبو العلا عفيفى مع تعليقاته عليه . وكتاب لطائف الأسرار الذى نشرته لجنة نشر التراث الصوفى باشراف المرحوم ط هعبد الباقى سرور . وكتاب انشاء الدوائر وعقلة المستوفر والتدبيرات الالهية وهذه الثلاثة الأخيرة مطبوعة فى ليدن ومعاد طبعها بالعراق .

تلاميذه

من غير الميسور أن يحصى تلاميذ ابن عربى وهم من المغرب الى قونية ومنهم الملوك والأئمة كالظاهر بيبرس صاحب حلب الذى أجازه ابن عربى بخط يده ليروى عنه جميع مؤلفاته . وحسب القارىء أن يعرف من تلاميذه صلاح الدين الصفدى والحافظ الذهبى الذى كان يثنى على ابن عربى لصدقه مع انكاره على الصوفية ثم قطب الدين الشيرازى وفخر الدين الرازى ومحيى الدين النووى وزكريا الانصارى والامام اليافعى ومحمد المغربى الشاذلى وشيخ الجلال السيوطى وسلطان العلماء المعز بن عبدالسلام وتقى الدين السبكى وسراج الدين البلقينى وغيرهم ممن لقيه أو لم يلقه . وقد كتب بعض هؤلاء كتبا فى الدفاع عنه ، وصنف الجلال السيوطى فى مناصرته كتاب « تنبيه الغبى فى تبرئة ابن عربى » . وهذا كله منقول عن الشعرانى .

صعوبة كلامه :

وانه لمن الصعب الشديد ـ حتى على العلماء ـ فهم كلامه اذ كثرت فيه الرموز والاشارات والحذوف والمصطلحات ، وكان سلوكه هذه الطريقة اعتمادا على أن امثاله وأهل طريقته يعرفون ما يشيرون اليه وما يحذفونه وما يتخاطبون به .

ومع هذا الغموض على أكثر الناس فان لكلامه صولة الكلام الحق والقول الصدق . وقد قالوا انه لا يحق لأحد ان ينكر على الصوفية الا بعد أن يطلع على علوم الأوائل والأواخر . وقد أنكر عليه بعضهم قوله فى بعض شعره :

فيحمدنى وأحمده ويعبدنى وأعبده

قائلين : انه جعل الحق والخلق واحدا ـ على فهم الفلاسفة والمتأثرين بهم فى معنى وحدة الوجود عندهم ـ ويرد الشعرانى هذا الانكار بقوله : ـ بتقدير صحة ذلك عنه وكان الشعرانى لا يتثبت من انه قاله ـ ان معنى يحمدنى انه يشكرنى اذا أطعته كما فى قوله تعالى « فاذكرونى اذكركم » وقوله : فيعبدنى واعبده . اى يطيعنى باجابته دعائى . وهكذا خرج الشعرانى كلامه الى الصواب بالمجاز وان لوحظ أن فيه بعض المغالاة فى التسامح .

شعره :

لم يدع ابن عربى لنثره وحده أن يعبر عن أفكاره والهاماته بل لجأ الى الشعر يعبر به حتى فى حديثه عن أسرار العبادات والأوقات التى تؤدى فيها والحركات التى تؤدى بها . وكان جديرا بالنثر ان يختص بها وييسرها ولكنه تناولها بالبيان المنظوم ، ولعله لا يكون من المبالغة او الخطأ أن ابن عربى قد صعب على غير ائمة الصوفية وأحيانا على غير نفسه فلم يفهم أحد كل ما قال .

وقد زادت اشاراته الغامضة الكلام تعقيدا وغموضا ، حتى صعب على ناشريه اصلاحه ووزنه فجاء فى بعض المطبوعات خليطا مؤسفا ولا سيما حين تعرض لنشره تجار الكتب وفاقدو العلم وأذواق الموازين .

وكان طبع ديوانه لأول مرة بمطبعة القاهرة الأميرية أيام سعيد باشا الخديوى بتصحيح محمد بن اسماعيل شهاب الدين وذلك فى سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٥ م . ومع أن الديوان نشر جافا ولم يتعرض أحد لشرحه فقد خرج بديع الشكل جميل التنسيق . ومن ثم أعادت العراق الطبعة نفسها على مطابع اليابان بنفس هيئتها وخطها وتنسيقها بلا شرح ولا تصحيح ولا توضيح .

مختارات منه :

ولما كان شعره بكل هذه الصعوبة فقد رأيت أن اختار منه بعض ما يستطاع فهمه وما يسهل شرحه - ولست أدعى أنى أبلغ فى ذلك غاية ولا وسطا بل بداية - متخذا نفس الطريقة الحرفية التى سلكتها فى عرض شعر الامام الشافعى على صفحات هذه المجلة الغراء مبتدئا بحرف الهمزة وما بعدها من الحروف الخطية . وأستعين الله سبحانه أن يلهمنا - أنا والقارىء - السداد ، وأن يرزقنا - أنا والقارىء - التوفيق .

من قافية الهمزة :

الفلك والانسان

قال ابن عربى :

انظر الى العرش على مائه
سفينة تجرى باسمائه

واعجب له من مركب دائر
قد أودع الخلق بأحشائه

يسبح فى بحر بلا ساحل
فى حندس الغيب وظلمائه

وموجه أحوال عشاقه
وريحه أنفاس أبنائه

فلو تراه بالورى سائرا
من ألف الخط الى يائه

ويرجع العود على بدئه
ولا نهايات لابدائه

بكور الصبح على ليله
وصبحه يفنى بامسائه

فانظر الى الحكمة سيارة
فى وسط الفلك وأرجائه

ومن أتى يرغب فى شأنه
يعقد فى الدنيا بسيسائه

حتى يرى فى نفسه فلكه
وصنعة الله بانشائه

هذه المعانى التى تناولها ابن عربى - وتبدو غامضة - انما هى من القرآن ولكن يصور الشاعر التى يغرب فيها ، حتى لتكاد تبدو أنها لا ترد الى أصولها . ولكنى سأحاول أن أرد ما يقوله الى ما ورد فى الشريعة تحقيقا لقول الامام الشعرانى : انه لم يعارض قط ظاهر الشريعة .

وعلى ذلك فالبيتان الأولان مقتبسان من قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » ومن الأحاديث التى قالت انه كان فى عماء . أما الجرى بالأسماء فهو قول الصوفية بأن كل اسم من أسمائه تعالى يعمل بحسبه كما أن احاطة العرش بالكون انما هو قول يلتقى فيه أهل الشريعة بأهل الحقيقة .

والبحر الذى لا ساحل له هو اللانهاية . اما حندس الغيب وظلماؤه فبالنسبة للانسان الذى لا يدرى من اللانهاية شيئا . هذه اللانهاية التى تشق سكونها أمواج العشق الالهى من كل مخلوقاته وتعطرها أنفاس محبيه وذلك العرش يسيطر على الكون ويسيره حسب مشيئته من الألف الى الياء أى من الأول للآخر ومن الأمر الدقيق فى الصغر الى العظيم فى الكبر ولا مشيئة لمخلوق مع مشيئة الخالق .

ويدور الكون دورات متتابعة ونظام مرسوم ومظهره على الأرض بتكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل ويظل يدور هكذا لحكمة أراد الصانع أن تمضى لغايتها .

ويختم ابن عربى الكلام بقوله : ان من رغب أن يعرف ذات العرش رغب فى غير طائل . وقد عبر عن ذلك بالقعود فى الدنيا بالسيساء . والسيساء من معانيها حارك ظهر الفرس اى طرف جانبه الذى يسقط منه الراكب لو

انحرف ويكنون به عن المشقة والشدة . وأولى بالانسان ان يعرف حقيقة الكون الأكبر بالنظر الى نفسه وصنعة الله فيه وانشائه فان الانسان هو الكون الأصغر وهكذا حيث تمكن معرفة الأكوان لا تمكن معرفة الرحمن .

وهذه الأقوال قريبة من أقوال اخوان الصفا . والله أعلم .

الغنى والاستغناء

بالمال ينقاد كل صعب
من عالم الأرض والسماء

يحسبه عالم حجابا
لم يعرفوا لذة العطاء

لولا الذى فى الدعاء منه
لم يجب الله فى الدعاء

لا تحسب المال ما تراه
من عسجد مشرق لرائى

بل هو ما كنت يا بنيى
به غنيا عن السواء

فكن برب العلا غنيا
وعامل الحق بالوفاء

وهذه من المقطعات السهلة لابن عربى وهو يريد بالمال خالص العبادة والفناء فى الله وهو ما يستطيع العابد أن ينال به ما يطلبه ويخضع به كل صعب كفعل المال ولكن هذا اقدر لأنه ينال به رضا السماء ايضا . وان كثيرا من الجهلاء الذين لم يذوقوا لذة القرب لا يحسبون العبادة موصلة الى الله . وانما يعرفه من تحققوا اجابة الدعاء باخلاص قلوبهم لله .

ويقول ابن عربى :

لا تحسب المال هذا الذهب اللامع الذى تراه يبهر العيون بل هو الذى تفتقر به الى الله وتستغنى به عن كل ما سواه . فاذا طلبت الغنى فهذا هو طريقه وهو أن تستغنى بالله وعلى شرط أن تفى له كل الوفاء وتقسط له فى الكيل وتؤدى كل الفروض فانه هو الحق والحق أولى بالحق والوفاء .

ذكر الله

انى لأذكر من يأتى فيذكرنى
بافضل الذكر فى نفسى وفى ملأ

ذاك الاله الذى عمت عوارفه
أتى به السيد المعصوم فى النبأ

كما أتى نبأ من هدهد صدقت
أخباره لنبى الريح من سبأ

فالذكر يحجبنى والذكر يكشف لى
خبء السماء وخبء الأرض فى نبأ

فالبيت الأول مقتبس من قوله تعالى « فاذكرونى أذكركم » ومن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم . وكل التجاوز فى كلمة يأتى .

والاله الذى يذكره هو الذى عمت فواضله وآلاؤه وأخبر به الرسول المعصوم فى القرآن الكريم الذى من أسمائه النبأ . وقد جاء الرسول بما فيه من عالم الغيب الذى لم يكن الرسول يعلم عنه شيئا كما جاء هدهد سليمان اليه بنبأ بلقيس ، ومن الغريب أن يكون خبر بلقيس غيبا للنبى الذى يسخر الرياح فسبقه فى العلم به طائر صغير . ولعل ابن عربى يريد بذلك الاشارة الى أن العلم قليله وكثيره انما هو القاء من الله الى من يجتبيه بغير سعى ولا سبب .

ويقول ابن عربى فى البيت الأخير ان الذكر يحجبه وان الذكر يكشف له غيب السماء والأرض . وفى هذا قولان : فاما ان يكون معنى كلمة الذكر واحدا فيكون المراد انه يحجبه عن الخلق ويكشف له الغيب ، واما أن يكون معنى الذكر فى الكلمتين مختلفا فيكون الذكر الذى يحجب هو ذكر الكون والنفس والدنيا فانه يحجبه عن الله ويكون الذكر الثانى هو ذكر الله دون الغير وهو الذى يكشف له علم ما لم يكن يعلم « واتقوا الله ويعلمكم الله » هذا والله أعلم .

الله

الشاعر عبدالله شمس الدين

أَنا فى رحابك يا إِلهى بلبل　　بين الرياض مُكبِّرٌ وَمُهلِّلُ
أَشدو بلحْن الحمد فى سمْع الورى　　وأَهيم باسمك فى الوجود وأَهدل
قيثارتى بين الضلوع تحيَّةٌ　　لسناك يخطر فى البهاءِ ويرفل
يا مَنْ ملكْتَ القلْبَ : حُبُّكَ أَيْكتى　　أَبَدًا بظلِّ جمالها أَتنقَّلُ
أَنا ليس لى شغل سواك . ملأْتَنِى　　بهواك . حاشا عن شهودك أُشْغَل

* * *

الله يا مَنْ جلَّ فى عليائِهِ　　عن كل منظور وما يُتَخَيَّلُ
عقلى أَمام علاك شئٌ عاجِزُ　　وشهود ذاتك فوق ما يُتَحَمَّلُ
طورُ الكليم هوى ودُكَّ بِنَاؤهُ　　لما تجلَّى نورك المتهلِّل

سبحانك اللَّهمَّ : ذاتُكَ حُجِّبَتْ بظهورها ... وسناك حاشا يأْفل
ما حيلة الصلصال . رغم جموده يمتدُّ نحو علاك وهو مُكَبَّلُ
لا يستطيع تحرّرا من قيده ويكاد فى سبحاته يتزلزل
عيْنُ الثرى حاشا تراك . وإنما بالقلب يشهد نورَكِ المتبتِّلُ

* * *

إنى لأَعجب من جهول غرَّهُ زيْفُ الثرى فمضى يعيث ويَجْهَلُ
أَودى به الحادُه وغرورُه فغدا برغم الجِدِّ غرًّا يهزِلُ
مُتَعَالِمًا زعم الوجود طبيعةً خلَّاقةً . وكأنه لا يعقِلُ
مَنْ قال أَن الشىء يخلُق نَفْسَهُ ماذلك العَتَهُ العجيب المُذْهِلُ ؟ !

* * *

كلُّ العلوم حقيقةٌ كوْنِيَّةٌ تدعو إلى الإيمان وهى تُفَصِّلُ
والكوْنُ فى ظلِّ المدى أَنشودةٌ إيحائها التوحيدُ وهى تُرَتِّلُ
سبحانك اللهم إنك واحدٌ رغم الذين على الجحود تكتَّلوا
بيديْك أَنت خلقْتَهم ورزقْتَهُمْ وصبرْتَ لمّا عن حماك تحوَّلوا
إن يُنْكروك فخَلْقُهُمْ لك شاهدٌ والموْتُ مَوْعِدُهُمْ ... وأَنْتَ الموئِلُ

من خواطر العيد

الشاعر محمد صلاح عفيفي

هو العيد قد هلت علينا البشائر ... وغنى أناشيد المحبة طائر
ثلاثون يوما صامها كل مسلم ... يريد رضاءَ الله والقلب عامر
وزكى غنى للفقير بماله ... وساعد ميسور وأَسهم قادر
فمن يحفظ الشهر الكريم يصونه ... ومن صانه نعمى فهو له ظافر
به الباب مفتوح لصاحب توبة ... يدق عليه شارد الفكر حائر
ويذكر اسم الله فى كل مسجد ... وفى طاعة المولى تقول المنابر
وعن أَلف شهر ليلة القدر خيرت ... لأَ فضالها الذكر المنزل ذاكر
وعند صلاة العيد الله أَكبر ... ترددها بعد القلوب الحناجر
وللعيد بعد الصوم للقلب بهجة ... يجنبها عاص ويحرم كافر
به احتفلت أَرض البطولة حرة ... وما منبت الأَبطال الا الجزائر
وفى اليمن الشعب الذى طال سجنه ... طليق إلى ما ضاع منه يبادر
ويتجه السودان نحو شقيقه ... فيخطو خطاه للنهوض يساير
ونزداد من شعب العراق أُخوة ... وقد جمعتنا من قديم أَواصر
لنا منهج سرنا عليه موحد ... لسان ودين ثم ماض وحاضر
أَهل وفى أَرض الكنانة عزة ... وشعب على كل الشعوب يفاخر

قصة العدد

الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

بلغ الشام أن أبا لؤلؤة ، أحد الموالى الذين قدموا من الكوفة الى المدينة طعن عمر أمير المؤمنين فى أثناء تكبيره للصلاة فقتله وأن عمر ترك الأمر شورى بين على وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير وطلحة ، فقال أبو ذر : انها لعلى والله ما أحد أحق بالخلافة منه .

وحمل أبو ذر زوجته وابنته ولحق بالقافلة المنطلقة الى المدينة ، وفى الطريق تقابلت القافلة بأخرى قادمة من المدينة الى الشام ، فعلم أبوذر أن عثمان بن عفان اختير خليفة للمسلمين ، فقال :

« عثمان بن عفان رجل صالح ولكنه ليس من القدرة والعزم والحزم بحيث يخلف عمر أو يملأ الفراغ الذى تركه عمر .

ودخل ابو ذر المدينة ورأى ميل عثمان الى بنى أمية وتغلغل نفوذهم فى الدولة الاسلامية ، وانقلاب الحكم فى عهده ملكا ، له مظاهر الملك ، من عظمة وترف وتهافت على الدنيا ورأى كثيرا من الصحابة يتغيرون ، فالزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف اقتنوا الضياع والدور وابتنى سعد بن أبى وقاص داره بالعقيق ، فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل اعلاها شرفات ، فقام أبو ذر لا يخشى خليفة ولا يهاب أميرا يدعو الناس الى الزهد ويهاجم عثمان .

وفى يوم علم ان عثمان أعطى مروان بن الحكم خمس خراج أفريقية ، والحارث بن أبى العاص ثلاثمائة الف درهم وزيد بن ثابت مائة الف درهم فجلس فى المسجد وراح يتلو : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .**

وبلغ مروان ان أبا ذر يهاجمه ويهاجم عثمان ، فرفع ذلك الى عثمان أمير المؤمنين فنادى مولاه قائلا وأمره أن يدعو أبا ذر اليه .

دخل أبو ذر على عثمان ، الذى ما كاد بصره يقع عليه حتى قال :

ـ يا أبا ذر ، انته عما بلغنى عنك

ـ وما بلغك عنى يا امير المؤمنين ؟

ـ بلغنى انك تحرض الناس على .

ـ وكيف ذلك ؟

ـ انك لا تقرأ فى المسجد الا : « والذين يكنزون الذهب والفضة »

ـ أينهانى عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله ؟! فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان ، أحب الى وخير لى من أن أسخط الله برضاه .

فبان الغضب فى وجه عثمان ولكنه لم يدر بما يرد عليه .. فلزم الصمت . فخرج أبو ذر من عنده وهو أكثر عزما على عيب من ترك امر الله .

وفى ذات يوم دخل أبو ذر على عثمان ، وكان كعب الأحبار ـ وكان يهوديا ثم أسلم ـ جالسا عنده ، فسلم عليهما وجلس ودار الحديث بينهم ، وقال عثمان لصاحبه وهو يحاوره

ـ أيجوز للامام ان يأخذ من المال فاذا أيسر قضى ؟

فقال أبو ذر :

ـ لا يجوز .

فقال كعب الأحبار :

ـ لا بأس بذلك .

فالتفت أبو ذر الى كعب وقال :

– يابن اليهودية ، أتعلمنا ديننا !.

فالتفت كعب الى عثمان ، فقال عثمان

– قد كثر أذاك لى وقولتك بأصحابى .

وارتفع الجدل بينهما واشتد ، فقال عثمان محنقا :

– الحق بالشام .

بلغ أبو ذر الشام وكان معاوية يبنى الخضراء وآلاف العمال يحملون مواد البناء ، يروحون ويغدون ووقف معاوية يتطلع الى الخضراء مزهوا ولمحه أبو ذر فاتجه اليه وقال :

– يا معاوية ، ان كانت هذه هى من مال الله فهى الخيانة ، وان كانت من مالك فهى الاسراف .

فأشاح معاوية بوجهه ولم يرد عليه ، فاستأنف أبو ذر سيره ، وبلغ المسجد فجلس واقبل بعض نفر من المسلمين يشكون معاوية لأبى ذر ، ويخبرونه انه قد انقضى الحول ولم يعطهم عطاءهم ، فاطرق أبو ذر قليلا ثم نهض ، فتطلع اليه الناس ، فقال :

– لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هى فى كتاب الله ، ولا سنة نبيه ، والله انى لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيا وصادقا مكذبا وأثره بغير تقى . يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء وبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم . يا كانز المال ، اعلم أن فى المال ثلاثة شركاء : القدر لا يستامرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت ، والوارث ينتظر أن تضع راسك ثم يستاقها وأنت ذميم ، وأنت الثالث . ان استطعت الا تكون أعجز الثلاثة فلا تكون . ان الله عز وجل يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . يا كانز المال ، الا تعلم أنه اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث : من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ان ربى عرض على أن يجعل بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يا رب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما ، اما اليوم الذى اجوع فيه فأتضرع اليك وادعوك ، واما اليوم الذى اشبع فيه ، فاحمدك وأثنى عليك .

اتخذتم ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمتم الاضجاج على الصوف الاذربى وكان رسول الله ينام على الحصير واختلف عليكم بألوان الطعام وكان رسول الله لا يشبع من خبز الشعير .

يا كانز المال ، الا تعلم أنه ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا .

استمع الناس اليه فولع الفقراء به وأوجس الأغنياء منه خيفة ، وشاهد أحد أعوان معاوية التفاف الناس حول أبى ذر فقال :

– انها الفتنة الكبرى .

وانطلق الى معاوية حتى أتاه فأخبره وقال له :

– ان أبا ذر مفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله ان كان لكم حاجة فيه .

فأطرق معاوية يفكر ، أيأخذه بالشدة ؟ لا . ان ذلك مما يزيد النار لهيبا . أيشكوه الى عثمان ؟ ولكن ما يقول عثمان ، عجز عن تقويم احد رعاياه ؟ لخير له أن يبعده عن الشام وأن يبعثه فى احدى الغزوات ، فما أحب الغزو فى سبيل الله الى نفسه .

واطمأن معاوية الى ذلك فأرسل اليه وقال له :

– الحث على عثمان فى فتح قبرص ، فأجابنى على خيار الناس وطوعهم ، والأمر الآن لكم فاختاروا ما ترون .

فقال أبو ذر :

– رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل ، لقد دعينا الى الجهاد فى سبيل الله فما علينا الا تلبية النداء .

وخرج أبو ذر مع المجاهدين وانطلق الأسطول الاسلامى واستولى على قبرص ، فلم تعد هناك حاجة لبقاء أبى ذر بها ، فعاد الى الشام ، ليقلق معاوية وليقض مضاجع الأغنياء .

وورد ابن سبأ ، وكان يلقب بابن السوداء ، الى الشام من المدينة ، وكان يهوديا ثم أسلم ،

وعلم أن أبا ذر عاد الى الشام ، فمشى اليه ، وكان ابن سبأ يدعو لأهل البيت ، ويعمل على تحريض الناس على عثمان وعماله ، فلما قابل أبا ذر عمل على ايغار صدره على معاوية ، فقال له :

– يا أبا ذر ، ألا تعجب من معاوية ، يقول المال مال الله ، الا ان كل شيء لله ، كأنه يريد ان يحتجبه دون الناس ويمحو اسم المسلمين؟

فقال أبو ذر :

– أوقد قال ذلك ؟

– أجل ، انه يقول ذلك فى كل خطبة .

– والله لأعتبن عليه .

ونهض أبو ذر من فوره الى قصر معاوية وطلب الاذن بالدخول ولما دخل ، هش له وبش ، ولكن أبا ذر لم يلتفت الى كل ذلك ، بل اندفع الى غرضه ، وقال :

– يا معاوية ، ما يدعوك الى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟

– يرحمك الله يا أبا ذر . ألسنا عباد الله والمال ماله ؟

– فلا تقله .

– سأقول مال المسلمين .

وهم أبو ذر بالانصراف ، فقال معاوية :

– يا أبا ذر ، ما الذى أوجدك علينا ؟

– ان أموال الفىء من حقوق المسلمين وليس لك أن تختزن منها شيئا ، ولكنك خالفت الرسول وأبا بكر وعمر وكنزتها لك ولبنى أمية .

– يا أبا ذر ، انى لا أكنز المال كما تظن ، ولكنى أدخره لأصرفه فى وجوه المصالح العامة وانى لا أبخل بالمال على المسلمين ، فما تركت من سبيل يجب ان ينفق فيها الا انفقت فيها .

– انك لا تريد بعطاياك وجه الله ، بل تريد أن يقال انك جواد وقد قيل . يا معاوية لقد أغنيت الغنى ، وافقرت الفقير .

– يا أبا ذر ، أرجع عما أنت فيه ، فانك تقود الناس الى فتنة لا يعلم الا علام الغيوب مداها .

– والذى نفسى بيده ، لا ارجع حتى يبذل الأغنياء المعروف .

ثم ولاه ظهره وخرج ، وأطرق معاوية قليلا ، ثم راح يذرع الحجرة ذهابا وايابا ، ثم أمر باحضار صرة بها ثلاثمائة دينار ونادى أحد خدمه ، وأمره أن يلحق بأبى ذر ، وأن يعطيه الصرة ، فأسرع الخادم خلفه ، ولما لحق به فى الطريق ، قال له :

– ان معاوية بعث اليك بهذه .

فنظر أبو ذر الى اليد الممدودة بالصرة وقال :

– ان كانت هذه من عطائى الذى حرمتمونيه عامى هذا قبلتها ، وان كانت صلة فلا حاجة لى فيها .

وظل الخادم واقفا والصرة فى يده ، فقال أبو ذر :

– ردها عليه ، ولا حاجة لى فيها .

وانطلق حتى بلغ المسجد ، فانجفل الناس اليه ، فقال :

– يا معشر الأغنياء ، انفقوا مما أعطاكم الله ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ، واجعلوا فى أموالكم حقا للسائل والمحروم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى، وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت !))

يا معشر الأغنياء ، لقد نهى الله عز وجل عن الكنوز وقال رسول الله :

((تبا للذهب .. تبا للفضة .. تبا للذهب .. تبا للفضة :)) فشق ذلك على أصحابه ، كما شق عليكم ، فقالوا : ((فأى مال نتخذ ؟)) فقال لهم عمر رحمة الله عليه : ((أنا أعلم لكم ذلك)) فدخل على رسول الله وقال له : ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا : فأى المال

نتخذ ؟ . فقال النبى الحبيب : « لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه »

ان أموال الفىء من حقوق المسلمين ، ولكن معاوية قد احتجنها ، ليصرفها على خدمه وحراسه وأبهته ونسى معاوية انه لا يحل له من مال الله الا حلتان : حلة للشتاء وحلة للصيف وما يحج به ويعتمر وقوته وقوت أهله، كرجل من قريش ، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم . هذا ما سنه عمر الصالح ، فلم لا يتبعه معاوية ؟.

ان مال الفىء ينبغى أن يقسم على المسلمين، كما كانت الحال فى عهد النبى وأبى بكر وعمر . أصبحت الضياع والدور تقتنى وتصرف لتجميلها آلاف الدنانير ويترك المسلمون . لقد حج عمر فانفق فى ذهابه ومجيئه الى المدينة ستة عشر دينارا . فالتفت الى ولده وقال : « لقد أسرفنا فى نفقتنا فى سفرنا هذا » . ان عمر أمير المؤمنين يصرف ستة عشر دينارا فى حجه فيستكثرها ومعاوية يوزع الآلاف لبنى أمية فيستقلها !.

فهمس أحد الجالسين بالقرب منه :
ـ ان تخوض فى معاوية فحاذر .

فالتفت أبو ذر اليه وقال :

ـ أوصانى خليلى أن أقول الحق ولو كان مرا وألا أخشى فى الله لومة لائم وانى أدعو دعاءه : « اللهم انى أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر » .

والتجأ الأغنياء الى معاوية ، وجعلوا يشكون اليه ما يلقونه من الناس، بسبب دعوة أبى ذر، فأرسل معاوية فى طلبه ، فدخل عليه بقامته الطويلة النحيلة ، فقام معاوية لاستقباله وأجلسه بجواره ، ثم نادى على الخدم وامرهم أن يحضروا الطعام ، فمد الخوان ووضع عليه ما لذ وطاب وطلب معاوية من أبى ذر أن يأكل فأبى وقال :

ـ طعامى كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا أزيد عليه شيئا حتى القاه .

ثم التفت الى معاوية وقال :

ـ قد غيرتم . ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخيرتم المرقق. جمعتم ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام ، وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم تكونوا هكذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ لقد انقضى ذلك العهد ونحن هنا فى بلد الأعاجم ، فان لم نظهر أمامهم بالمظهر اللائق استخفوا بنا .

ـ أما أنا فلن أغير من هيئتى شيئا ، عسى ان أكون أقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، وذلك انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها » وانه والله ما منكم من أحد الا وقد تشبث بشىء منها غيرى .

ـ يا أبا ذر ، لقد اشتكى الأغنياء منك وقالوا انك تؤلب الفقراء عليهم .

ـ انى أنهاهم عن الكنز .

ـ ولمه ؟

ـ لقوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » فانى أبشرهم بعذاب الله .

ـ ان الآية نزلت فى أهل الكتاب .

ـ بل نزلت فينا وفيهم .

ـ انى آمرك أن تكف .

ـ والله لأستمرن على دعوة الناس الى الزهد وعلى تحذيرهم الكنز ، ولأبشرن الكانزين بعذاب النار .

ـ خير لك أن تنتهى عما أنت فيه .

ـ والله لا انتهى حتى توزع الأموال على الناس كافة .

فقال معاوية مهددا :

ـ يا أبا ذر . هذا فراق بينى وبينك فحاذر .

ـ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

ونودى لصلاة الجمعة فصعد معاوية المنبر يخطب الناس ، قال :

ـ انما المال مالنا والفىء فيئنا ، فمن شئنا اعطيناه ومن شئنا منعناه .

فقام رجل اليه ممن حضر المسجد ، فقال :

ـ كلا انما المال مالنا والفىء فيئنا ، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه الى الله بأسيافنا .

وانصرف معاوية بوجه باسر يعض على نواجذه ، ودخل قصره ودخل عليه بعض أهله فأنكروه ، وقال له أحدهم :

ـ ما بك ؟ ومالى أراك اليوم محنقا ؟.

ـ أعضل بى ابو ذر . والله ليفسدن القوم علينا ان تركناه .

ـ والله لأكفينكه .

ـ لن تفلح الشدة معه .

ـ من يدرى ؟.

وانطلق الرجل الى أبى ذر وقال له :

ـ ان لم تنته عن مهاجمة معاوية وتأليب الناس عليه فلن تمشى على الأرض بعد اليوم .

فقال ابو ذر فى هدوء :

ـ انى لا اهاب الموت ولا اخشاه .

ـ يا أبا ذر ، دع ما انت فيه ، ولا تغضب معاوية خير لك .

ـ اغضاب معاوية خير لى من اغضاب الله .

ـ ثب الى رشدك ولا توغر صدور القوم علينا وكف عن دعواك .

ـ والله لا اكف حتى يوزع المال على جميع المسلمين .

ـ والله انا لنعلم لحساب من تعمل . والله ان لم تكف لنصبن عليك سوط عذاب .

ـ والله لا اكف حتى ترجعوا الى كتاب الله ،

ـ يا أبا ذر ثكلتك امك . ان عليا لا يستطيع أن يجزيك أو يمنع عنك اذانا . اما معاوية فأمواله كالبحر الزاخر وهى طوع بنانك .

ـ لا حاجة بى الى أموالكم وانى لا أطمع الا فى رضا ربى وما عند الله .

ووقف أبو ذر يخطب الناس فقال :

ـ ان بنى أمية تهددنى بالفقر والقتل ، والفقر أحب الى من الغنى ، ولبطن الأرض أحب الى من ظهرها . يا معشر الأغنياء . انفقوا مال الله على عباده ولا تقولوا : « يد الله مغلولة » و « ان الله فقير ونحن أغنياء » . « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم » .

واستمر أبو ذر فى الحملة على كانزى المال واخذ يبشر الكانزين بعذاب أليم .

فكتب معاوية الى عثمان أمير المؤمنين : « ان أبا ذر تجتمع اليه الجموع وقد ضيق على وأعضل بى ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فان كان لك فى القوم حاجة فاحمله » .

فرد عليه عثمان : « ان الفتنة قد اخرجت خطمها وعينيها ولم يبق الا أن تثب ، فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر الى » .

وحمل معاوية أبا ذر على بعير عليه قتب يابس ، ومعه خمسة من الصقالبة ، يطيرون به ولا يدعونه يستريح فى الطريق ، حتى تسلخت بواطن أفخاذه وتذكر يوم كان يسير مع النبى فى دروب المدينة وقد قال له الرسول « يا أبا ذر . انك رجل صالح وسيصيبك بلاء بعدى » . فيسأله : « فى الله ؟ » . فيجيبه : « فى الله » فيقول : « اذن مرحبا بأمر الله » فامتلأ قلبه ثباتا واطمئنانا وانقشعت سحابة الألم التى كانت تغيم على وجهه وحل محلها هدوء وصفاء .

باب
الرياضة
اعداد : ناصف سليم
12

حول زيارة فريق سراييفو المسلم للجمهورية العربية المتحدة

عندما لمست أقدام لاعبي فريق سراييفو أرض مصر . علت وجوههم ابتسامة مشرقة ، وشعر مستقبلوهم فى المطار أن نفوسهم قد امتلأت زهوا ، وأن أمنية غالية تحققت لهم .. وقال رئيس فريقها فى حياء وتواضع : « لا أتصور أننى أستطيع أن أسجل أهدافا فى مرمى اخوانى المسلمين » .

وحقيقة كانت زيارة فريق سراييفو المسلم للجمهورية العربية المتحدة فى الشهر الماضى حدثا ضخما بالنسبة للاعبيه المسلمين الذى يبلغ عددهم ١٢ لاعبا ، فزيارة الجمهورية العربية المتحدة والتعرف على شعبها الطيب ـ أمل يراود كل مسلم ، لأنها حصن الاسلام ، والدرع الذى يقى العروبة مؤامرات المستعمر المتعصب فى كل حين .

لقد أمضوا بيننا أسبوعين لعبوا خلالهما خمس مباريات ، لم تلحق بهم فيها أية هزيمة ، ولست الآن فى معرض الحديث عن مستواهم الفنى أو ما تميزوا به من فنون اللعب ، ولكنى أتحدث هنا عن الرابطة القوية بينهم وبيننا ، حتى بلدهم الذى تردد على ألسنة الجماهير فى كل مباراة ، ولم تتعرض له الصحف اليومية بالتعريف :

لقد تبدى لنا من خلال مباريات هـذا الفريق ، أن لاعبيه حريصون أشد الحرص، على أن يحافظوا على التقاليد الاسلامية ، فكانوا يتقبلون كل قرار للحكام ـ ولو كان مجحفا ـ بالرضا التام ، ولم يبد منهم ما بدا من زملائهم لاعبى فريق بارتيزان عندما زارونا منذ عامين ، فقد احتدمت المناقشات بينهم وبين الحكام الى درجة جعلت أحد حكامنا يطرد أحدهم فى مباراة بأرض دمنهور واضطرت يوغوسلافيا لايقاف هذا اللاعب المطرود عقب عودتهم الى بلادهم .

كان لاعبو سراييفو على النقيض من لاعبى بارتيزان ، لأنهم وضعوا فى اعتبارهم أن بيننا وبينهم أقوى رابطة ، توجب تبادل المحبة ، وتدعو الى التسامح فى كل حال .

وصح هذا بالرغم من أن جيل هؤلاء اللاعبين، هو الجيل الذى نشأ فى فترة ضياع الاسلام من عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٥٠ .

.. كانت هذه الفترة حالكة السواد ، أغلقت فيها المساجد ، وأنكرت الدولة الدين، وتربى جيل هذه الفترة على مبادىء مختلفة ، فلم تكن توجد فى ذلك الوقت مدرسة دينية أولية بينما كان المسنون من المسلمين يتعبدون خفية فى منازلهم ، لا يقدرون على ممارسة أى نشاط دينى علنى .

قال لى هذا الأستاذ عبد الرحمن حوقيتش مدير مكتب فضيلة الحاج سليمان كمورا رئيس الطائفة الدينية فى يوغوسلافيا ، عندما زرت سراييفو منذ عامين .. والأستاذ عبد الرحمن أحد خريجى الأزهر ، ويقع عليه عبء كبير فى ترجمة معانى القرآن والحديث الشريف فى المسجد كل أسبوع .

وسوف أقدم الآن شيئا عن سراييفو المسلمة ، بمناسبة أول زيارة لفريق رياضى منها لبلدنا الذى تعلق به كل مسلم منذ قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، خاصة وقد وجد مسلمو يوغوسلافيا من الرئيس جمال عبد الناصر كل عون .. والتف أولو الأمر هناك الى الطوائف الدينية ، وقاموا بحل مشاكل العلماء والموظفين الدينيين فى المساجد .

الدين فى يوغوسلافيا

ليس الدين الاسلامى وحده فى يوغسلافيا بل هناك أديان عديدة ، منها الارثوذكسية والكاثوليكية ، ومذاهب مختلفة ، وكان دستور هذا البلد منذ عام ١٩٢١ يقضى - نظريا - بأن الأديان كلها متساوية فى الحقوق ، ولكن الحقيقة الواقعة كانت غير ذلك لأن الارثوذكس كان دين الدولة .. **وكانت للكنيسة الارثوذكسية من الحقوق ما ليس لغيرها ، ولم يكن الحال فى عهد الحكومة الكرواتية المستقلة أحسن من ذلك ، بل كان أسوأ كثيرا ، اذ كانت الكنيسة الكاثوليكية مسيطرة على الحكم .. تدير دفة السياسة ، وتمسك بزمام الامور .**

وكان للطائفة الدينية المسلمة فى ذلك الوقت أوقاف كثيرة ، تنفق منها ، وتعين علماء المساجد الى أن جاءت الفترة التى ذكرتها من قبل (١٩٤٠ - ١٩٥٠) فترة ضياع الدين ، وتوقف كل نشاط له . ثم قضت مشيئة الله أن تعرف أوروبا أخيرا أن الدين ضرورة للحياة ، لا غنى فلانسانى عنه ، فقررت حكومة يوغوسلافيا عودته ، بشرط أن ينفصل عن الدولة ، فتمتنع الحكومة عن التدخل فى شئون الدين ، ويمتنع رجال الدين عن التدخل فى السياسة ، وأن تكون الأديان كلها متساوية فى الحقوق .

من هنا ، كانت فرصة الاسلام كبيرة ، كى ينتشر ، ويمارس رجاله نشاطهم فشغفت القلوب حبا وتعلقا بما يقولون ، ووضعت الطائفة الدينية المسلمة دستورا جديدا لها ، يحفظ حقوق العلماء ، ويضمن لأئمة المساجد معاشات بعد الموت ٠

لقد كان تحقيق المساواة بين الطوائف الدينية فى يوغوسلافيا أملا جاهد من أجله المسلمون فى عهد النمسا ، ولكنهم لم يوفقوا الى أن تحقق لهم ذلك فى عهد يوغوسلافيا الاشتراكية ٠

المساجد فى سراييفو

والمسلمون نجدهم بكثرة فى سراييفو ٠ وهناك تجد المآذن كقطع الشطرنج ، متناثرة على سفوح الجبال ، وسامقة بين أسطح المنازل ٠ وفى هذا البلد وحده ٧٠ مسجدا أصبحت كلها مفروشة ومفتوحة للمصلين ، بعد أن كان معظمها معطلا من قبل ٠

ومسجدها الكبير تحوط به محلات الصناعات الدقيقة ، كما هو الحال فى حى الحسين وخان الخليلى ٠٠ وهذا المسجد قبلة مسلمى أوروبا ، ونجد أمامه بصفة دائمة عددا وفيرا من السياح الأجانب ، وفى داخله يقرأ الشيخ أسعد صبرى – ٧٠ سنة – القرآن الكريم فتنقله مكبرات الصوت الى الشارع والمنازل المجاورة وكل سكانها من المسلمين ويلفت نظر الداخل الى المسجد سجادة فخمة بجوار المنبر ، ويحدث شيخ المسجد كل عربى زائر بقوله :

هذه السجادة الكبيرة هدية للمسجد من الرئيس جمال عبد الناصر ، وهذه السجادة الطويلة المفروش بها المنبر هدية من السيد أنور السادات ٠٠ وحديثهم دائما لكل زائر، عن التلاميذ الصغار الذين أتموا حفظ القرآن الكريم معا،وفى مقدمتهم الفتاة «نجارة سكولى ٠٠ وعمرها ١٥ سنة ، وهى تجيد تلاوة الأناشيد والقصائد الدينية فى الاحتفالات التى ينظمها المسجد الكبير ٠

فى أندية سراييفو

أما الرياضة فى سراييفو – وهى التى أوحت الينا الكتابة فى هذا الموضوع – فانها تسير بنفس النظام الذى وضعته الدولة ، ويقضى بأن يكون فى كل مدينة كبيرة مركز للشباب ، يضم مختلف الملاعب ، ويمارس فيه جميع الرياضات على اختلاف أنواعها ، وهذه المراكز الرياضية تختلف كثيرا عن الأندية من حيث الادارة٠٠ فالنادى له مجلس ادارة مستقل كما هو الحال عندنا ، أما المركز الرياضى فيديره مجلس مختار من أندية المدينة ، ليكون فى خدمة الأندية والشعب

والأندية يدفع أعضاؤها اشتراكات شهرية أو سنوية ، أما المراكز الرياضية فلا اشتراك بها ٠ بل تمارس فيها الرياضة دون مقابل ، الا اذا كان لها نشاط ترويحى خاص ، كالتمثيل والحفلات ، والمباريات الرسمية ٠

وكرة القدم هى الرياضة الأولى هناك ، وتنفيذ مسابقاتها بين الأندية على نظام الدورى العام تصادفه دائما عقبات السفر، فالمسافات بعيدة بين كل بلد ، وتضطر بعض الفرق لكى تؤدى مباراة فى برنامج الدورى ، الى أن تذهب فى يوم ، وتلعب فى يوم ، وتعود فى يوم ثالث ٠

وبسبب كثرة النفقات ، عملت يوغوسلافيا بنظام المراهنات البغيض الذى ينادى به – مع الأسف – بعض رجال الرياضة عندنا للعمل به ٠

وتشتهر يوغوسلافيا كذلك بكرة الماء ، والكرة الطائرة وكرة السلة ٠٠ وقد شاهدت فى سراييفو بعض فرق كرة السلة ، فوجدت لاعبين تزيد أطوالهم على مترين ، وهذا سر النبوغ فى هذه الرياضة التى تحتل المركز الثانى هناك ، كما هو الحال عندنا ٠

وبعد ٠٠ فقد كانت زيارة فريق سراييفو المسلم ، لبلدنا فرصة للتعرف عليهم ، والقاء الضوء على جانب كبير فى أوربا يحيا فيه الاسلام والمسلمون حياة طيبة ، لا تخلو أبدا من الكفاح المثمر ، والجهاد النفسى ٠٠ وهكذا كانت الرياضة واسطة لنقل بعض المعارف ، وتدعيم الروابط بين اخوة الاسلام ٠٠ وهى بلا شك أقوى رباط ، والمؤمنون اخوة ، مهما اختلفت الوانهم واجناسهم ٠٠ والله الموفق ٠

باب الفن

تذويق المخطوطات الإسلامية

الدكتور أحمد موسى

اتى على الباحثين فى تاريخ الآثار والفنون الاسلامية حين من الدهر قصروا فيه جهودهم على درس ماكان بارزا من تلك الفنون للعيان فى المبانى والآثار الظاهرة ذات الوجود المادى الضخم ، مما شاهدوه من المساجد والمنائر والعمائر وكل مابناه رجال التـــاريخ الاسلامى ليتخير مكانا بينا فى نظر الحاكمين والمحكومين ، لان الفن كان ذا صفة يأبه لها رؤساء الدول والملوك والامراء واهل الرأى ويجيزون عليه أربابه ، فلم يكن للفنان المسلم مجــال يظهر به الفن لعامة الشعب ، بل كان كل همه أن يتقدم رجل عظيم بثمرة نبوغه الفنى ليكافئه عليها . كما ان العظماء والملوك اتخذوا عادة تشييد البناء وما يتبعها من التزيين والتزويق والتأثيث تخليدا لاسمائهم وذكـر عهودهم وما اشتهروا به من الغنى والقدرة على تســخير المواهب فى تمجيد الدين تارة والمجــد الدينوى تارة أخرى .

وعندما انبرى مؤرخو الفنون الاسلامية الى تقسيمهــا وتبويبها وتحديدها بعد انتشار الاستشراق فى أنحـــاء اوربا المتحضرة ، وبعد ان طاف فريق كبير من علمـاء المشرقيات بلاد الاسلام وعادوا بدراسات متوافرة ومثـل للآثار التى وقعت ابصارهم عليها ودرسوها فى حواضر الشرق القريبة والبعيدة ، طبق فريق منهم على تلك الفنون القواعد التى اتبعها علمـــاء الفن الاوربى فى ترتيب الآثار ، فجعلوا أقساما خاصة للعمارة ، وأخرى للنحت والرسم البارز والحفر ، وثالثة للتصوير ، وغيرها لانواع التذويق والتحلية والزخرفة .

وكان هؤلاء العلماء يزعمون أن الدين الاسلامى يحرم التصوير مع أنهم رأوا آثاره ، ومع أن الدين لم يكن ليمنع هذا الفن الا من ناحية واحدة خشــية أن يتجه التأويل الى عبادة الاصنام . هذا فى الوقت الذى لايوجد فيه نص يتنافى مع تقدير الجمال الخالص الذى كانت نفس النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم مشبعة به ، بــدليل ماورد من الآيات والاحاديث والتفاسير فى تمجيده .

وجعل المؤرخون مقصورا على تلك الآثار ، ثم فحصوا كثيرا من المبانى الاسلامية بزخارفها وما فيها من تجارة وقاشانى وأشغال معادن ، كذلك ماكان على الحلى والحلل وفى الاقمشة من الخز والديباج والاستبرق من تطـريز وكتابة وصور . هذا الى جانب دواوين الشعر التى لم يجد المسلمون مانعا من تحليتها بتصاوير عجيبة للنبات الذى اتخذوا منه وحدات زخرفية كالازهار والسنابل والاشجار ، والحيوان كالسباع والغزلان والظباء والطيور والاسماك ، ولكنه لوحظ أن الفنان أمسك يده حينمـا وصل الى تصوير الانسان ، لاخشية الكفر ولكن خشية الملام والفتنة . واستمر الامساك عن تصوير الانســان حينا حتى ازدهر الاسلام فى بغداد ، فترى احد المصورين من الفرس يزين قصر احد الملوك المسلمين فى بغــداد بفصول من قصة يوسف وزليخا توضيحا وشرحا لديوان الشيرازى الذى جعل من تلك السورة القرآنية ملحمة شعرية أتى فيها على وصف الغرام الذى كان مستوليا على فؤاد تلك الاميرة المصرية نحو ذلك النبى العبرى .

الا ان هناك جانبا من الفن الاسلامى لم يلتفت اليــه كثيرا قد اهتدينا اليه وهو مازينت به كتب العلمـــاء والمؤرخين والجغرافيين والادباء من الصور التوضيحية فى الكتب وكان اولها القرآن الكريم الذى بذلت الجهود فى

تدويقه وتحليته ، وان لم يكن بنصوصه فى حاجة الى التجميل والتزويق . ولا تزال نسخ عدة منه الزينة الكبرى والحلية المثلى لكثير من المتاحف ودور الكتب فى الشرق والغرب ، التى اتخذت وجوده فيها مفخرة وبهجة ودليلا على الغنى الفنى والثروة الادبية .

ولم يكن فى استطاعة بعض المتزمتين من رجال التفسير ان يمنع فريقا من الفنانين من ادخال التصوير فى الكتب ، بدليل ماجاء فى مقامات بديع الزمان المتوفى سنة ١٠٠٧ م ومقامات الحريرى (١٠٥٤-١١٢١ م) التى تجلى فيها التصوير بالالوان لتمثيل مغامرات البطل المشهور ابى زيد السروجى وغيره . وشمل غيرهما من الكتب ككليلة ودمنة ، وبعض اجزاء الاغانى للاصفهانى (٨٩٧-٩٧٦ م) والف ليلة وليلة ، كثيرا من الصور الرائعة التى دلت الى حد بعيد على الدقة والتذويق .

ولا يمكننا ان ننكر ان فنانى الفرس كانوا أسبق الى التصوير من سواهم ، فقد اعطاهم الشعراء الفحول كالفردوسى المولود سنة ٩٣٩ م ، وعمر الخيام المولود فى القرن الحادى عشر ، والسعدى (١١٨٤-١٢٩١ م) وحافظ المتوفى سنة ١٣٨٩ م وغيرهم ، موضوعات منوعة توحى الى المصور فكرة الرسم لتوضيح النصوص . فالشاهنامة وحدها وهى تنطوى على جزء عظيم من تاريخ ايران اشبه شىء بالياذة هوميروس ، وفيها من أخبار الملوك والامراء وخدع الحروب وحيل السياسة ووصف الاقطار ومواقع البلدان وجمال المناظر وفتنة الجبال والوديان ماجعل التصوير فيها امرا محتما وكذلك ماورد فى شعر السعدى من النوادر والقصص فى بستان الورد دع عنك رباعيات الخيام وما اقتضته من تصاوير تمثل الشاعر الفنان المحب للخمر المفتون بالجمال ، المسحور برشاقة التكوين الجسمانى ، وهو يطرق باب الحان ليوقظ رفاقه لمعاقرة اقداح الشراب قبل بزوغ الوان الفجر ، فلم يكن للمصور يد من الخضوع لذلك الالهام الشعرى الموسيقى القوى فى سبيل الحب واندفاع النفس . وهذا هو الذى حدى بالمصورين الى تصوير الانسان فى اوضاع مختلفة أهمها اوضاع الحرب والحب والتى اثبت فيها انه قد اوتى من نقاوة الالهام وطهارة الروح وسمو الخيال وتمجيد الجمال ماجعل صورته آية فى العفة وجميل الظن مع اجتماع الحسن بالشغف الظاهر فى اعين المحبين .

ومن اجل هذا كله وجب على القارىء كلما قلب بين يديه كتابا افرنجيا مصورا او مزينا بالرسوم ان يتذكر ان هذا الفن ، وهو توضيح النصوص بالتصاوير ، انما هو اقتباس من فن شرقى قبل كل شىء . وان الذى فكر فى تزيين دواوين الشعراء وكتب القصص والتاريخ والجغرافيا والعلوم بالصور كانوا من اهل الشرق كالفرس والهنود وبعض السوريين ، فى الوقت الذى لاننكر فيه على بعض علماء اليونان الكلاسيكيين انهم وضحوا كتبا من تآليفهم برسوم تعين على فهم النصوص دون ان يكون لهذا أثر كبير فى ابتكار المشارقة لفنون تزويق الكتب وتحليتها .

وانا لانذكر ان هذا البحث لايزال بكرا لم تتجه اليه الانظار ولم يطرقه باحث ، كما اننا لانذكر انه كتلك الموضوعات التى سبق البحث فيها فلا تكلف كاتبها مجهودا كبيرا ، وانما نذكر انه قد آن لنا ان نختط خطة اخرى فى دراسة الآثار الاسلامية فندرس الطريف الجديد . ولما كانت العلوم التطبيقية اول ماتتجه اليه

نظرنا فى هذا البحث بالاضافة الى مجموعة المصاحف المخطوطة ، وكان أقدم المخطوطات فى هذا الموضوع حسب ماعثرنا عليه كتاب الى ابى زيد البلخى (نسبة الى بلخ فى جنوب افغانستان) راينا ان نبدأ بتعريف احدى صوره وهى صورة العراق فى زمانه والتى قصد بها ان تكون خريطة لتلك البلاد ، وهى الخريطة التى اصطحبها ياقوت الحموى (١٢٧٩-١٢٩٩ م) أثناء رحلته فى سوريا وفلسطين كما ذكر ذلك فى ارشاد الاريب ، عندما نوه بذكر كتاب البلخى مما يدل على قيمته فى عهده .

وقد جعل البلخى للانهار صورة تشبه الخطوط الغليظة المهشرة رمزا للماء ، وأحاط المدن والمعالم بدائرة تحدد القطر المقصود بالوصف ، ورسم نهر دجلة وشطه فقسم البلاد الى قسمين ، واظهر مصبه فى الخليج الفارسى عند شط العرب ، ورمز للمدائن بمربعات ومتوازيات اضلاع ودوائر ذات مساحات مختلفة تتناسب على مايظهر مع قيمتها المدنية ، ولا يضيره انه جعل الخريطة بأكملها منحرفة نحو خمس واربعين درجة عن الافق . ومن المدن الواضحة على الخريطة بغداد والبصرة كما يتضح من النظر اليها .

والخريطة الثانية مختارة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى المولود حوالى عام ١١٠٠ وهو من امهات الكتب فى علم وصف الارض ومن ابرزها تأليفا وأعرقها أثرا منذ القرون الوسطى

وقد نقل الكتاب الى كثير من اللغات الاوربية ولاسيما اللاتينية والايطالية والفرنسية ، وضعه الادريسى تلبية لرغبة الملك رودريجو (روجر الثانى ١٠٩٧-١١٥٤ م) ملك صقلية ونابولى ، الذى كلفه بعد دعوته الى بلاطه وضع هذا الكتاب وفرغ من تأليفه فى منتصف القرن

الثانى عشر المسيحى . والمؤلف عالم مغربى من مواليد ثغرسوتيا ، ذو ثقافة عربية اندلسية وذهن اوربى ، وكان فى مقدمة الرحالة الجغرافيين الذين جابوا الاقطار ، وهو سابق على الرحالة ليفنجستون (١٨١٣-١٨٧٣) والرحالة ستانلى (٨٤١-١٩٠٤) وغيرهما من الذين قرروا انهم كانوا اول من اكتشف منابع النيل ، ووضعوا هم ومن سبقهم اسماء ملوكهم وامرائهم على البحيرات التى رسمها الادريسى فى احدى خرائطه الفذة لسبعة قرون قبل مولد هؤلاء المستكشفين ، فبينما ترى بحيرتى فيكتوريا نيانزا (اصلها اوكايونيانزا) والبرت نيانزا (اصلها موتان نزيجا) اللتين تتكونان من المياه المنحدرة من جبال القمر قد تغير اسماها فى الجغرافية الحديثة ، لاترى الادريسى يفكر فى اطلاق اسماء بعض خلفاء المسلمين او امرائهم على تلك البحيرات التى لايبعد ان يكون قد رآها بعينيه كما رسمها بيده ، وترى نهر النيل بعد تدفقه من تلك البحيرات والتفافه فى وادى السودان وعبوره القطر المصرى ليصب فى البحر الابيض المتوسط الذى هو جزء من بحر هائل احاط بالخريطة الشاملة لبقع بيضاء تمثل الجزائر واشباهها .

واذا انتقلنا الى فنون المقاتلة التى كانت ولاتزال شاغلة لاذهان كبار الشخصيات والفرسان ، نجد سفرا شاملا لطرقها وقواعدها اسمه كتاب « السؤال والامنية فى اعمال الفروسية » لمحمد بن زين الدين العثمانى ، يرجع تاريخ تاليفه الى القرن الخامس عشر الميلادى ، وهو مزين بتصاوير توضيحية لفصوله وترى صورة فارسين وقد امتطى كل منهما ظهر جواده وربط ذيل كل منهما بالآخر حتى لا يفترقان ولا يبتعدا ، فيتمكن كل فارس من مبارزة خصمه ووقف الجوادان على ارض مزرعة ذات زهر ، وكان المصور حريصا على تجميل الخيل وسروجها .

ومما يثبت نجاح المسلمين فى العلوم الفلكية والميكانيكية التى بنى عليها فن التوقيت بالساعات بعد المزاول ، ماتراه فى الصورة الرابعة المنقولة من كتاب علم الساعات والعمل بها ، تاليف رضوان محمد الخراسانى ، والتى تمثل دائرة وساعات الليل فى نصفها الاعلى حيث ترى قنديلا معلقا بسلك رفيع بينما ظهرت ساعات النهار فى النصف الاسفل منها . والى اليسار ثقلان معلقان بسلك آخر ، احدهما توسط ارتفاع الصورة والآخر قريب من اسفلها ، وهما متصلان بالسلك المرتكز على بكرة فى الركن الاعلى الايسر . وعند الثقل الاسفل تشاهد طيرا كان المقصود منه ان ينقر بمنقاره لتحديد الوقت . اما المجارى الرفيعة التى توسطت الصورة حيث النقط البيضاء المستديرة ، فهذه كانت طريقا لاثقال تمر منها فى اوقات معينة ، مارة بفتحة فى راس الطائر الذى ترى عند قدميه وعاء نصف مستدير لجمع هذه الاثقال .

وصورة اخرى ماخوذة من كتاب « السر الروحانى » فى علم الكيمياء القديمة الذى يرجع تاريخ تاليفه الى القرن السابع عشر الميلادى ، وكتب فيها : السويد فى جميع الطبايع فى العمل الاول ، وبالنظر اليها ترى داس الغول فى الركن الاعلى الايسر ، وهو عبارة عن وجه مستدير لآدمى له عينان واسعتان مستديرتان وانف افطس واسنان فظيعة والى جانب عقاب وانف على قوس وآخر على شجرة مثمرة ، وهو اسود اللون . قال المؤلف :

« وقد طار الناس من هذا السواد الاول ، واما الغراب الثانى فمنقاره احمر ، وفى وسط الصورة على اليسار ترى رجلا قد وقف الى فرن ، ووضع على رأسه غطاء أشبه بالقاووق وامسك بيسراه شيئا يخيل الينا انه بوتقة ليصهر فيها المعادن الخسيسة بقصد تحويلها الى ذهب . وفى الوسط غراب اسود حالك السواد ، وطير مقفص على اليسار ، وعند ذيله وعلى عين الصورة تشاهد حوضا رقد فيه انسان بعينين مفتوحتين ورسمت اعضاؤه بكيفية لاتخرج عن طريقة رسم التوصيلات الكهربائية اليوم ، وكتب الى جانب الحوض حمام ماريه حيث تسلب روح الانسان بطريقة السالب والموجب . اما الركن الأيسر مليء بصور الآلات والادوات الى جانب الرموز الكيميائية القديمة .

كل هذا الى جانب صفحات من القرآن الكريم زينت اجمل تزيين ورسمت على اعظم جانب من الدقة والعناية ، ذات الوان اخاذة تسحر الالباب تكتفى ببعض نماذجها فى هذا المقال .

وينتج مما تقدم اننا قد اهتدينا بالبحث الى باب جديد من الفنون الاسلامية تناولناه بشىء من التسجيل العلمى لم تشرئب اعناقنا فيه الى قباب المساجد ولا الى رءوس المآذن ولا الى سقف العمائر لنجده ، ولكنا وجدناه فى الكتب المهملة والكنوز المتروكة حيث نجد فى البحث والتنقيب عن معالم جديدة للحضارة الاسلامية العظيمة المسجلة عن طريق الفن فى مؤلفات المسلمين ، الشاملة لعلوم الطب والنبات والحيوان مما لا يتسع المجال لذكره وايضاحه ، فان كتبنا اليوم عن تذويق الكتب الاسلامية بالرسم والتصوير فانما نكتب لنساهم فى اظهار عظمة الحضارة الاسلامية عن طريق التسجيل الفنى مؤملين ان يتناول المسلمون فى نهضتهم الحاضرة وثورتهم المجيدة مؤلفات اجدادهم بتلك الروح التى تناولها بها اهل اوربا ، فيكون لنا بعث واحياء لا يقلان عن بعث واحياء اوربا فى عصر النهضة .

أخبار سريعة

السيد الرئيس جمال عبد الناصر يقدم
فى عيد العلم جائزة التفوق إلى الطالب
اللبنانى يحيى ناجى الرافعى الحائز على درجة
جيد جدا من كلية الشريعة

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون
شيخ الجامع الأزهر يهدى السيد/ عدنان الحكيم
رئيس حزب النجاده بلبنان المصحف الشريف
مع كلمة إهداء موقعة من فضيلته

فى ٤ رمضان ١٣٨٤ الأربعاء ٦ يناير ١٩٦٥

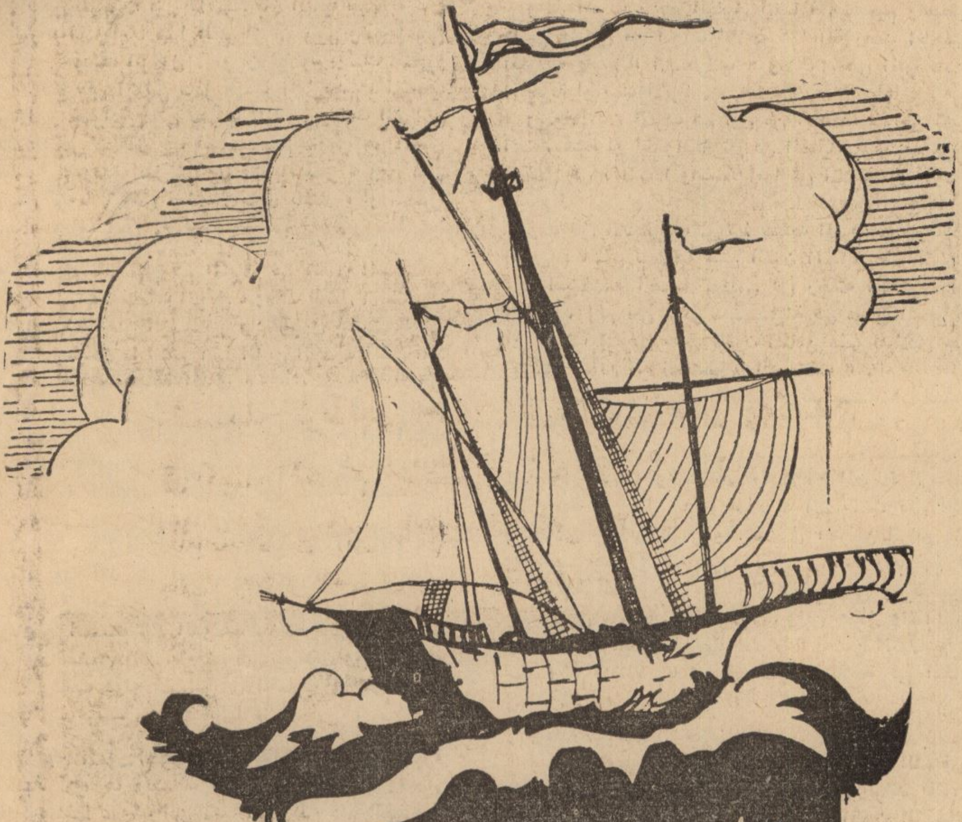

العرب والكشوف البحرية في القرون الوسطى

الدكتور أنور عبد العليم

فى عقاب القرن الأول الميلادى وحتى أواخر القرن العاشر الميلادى أيضـا ـ وهى الفترة من الـزمن التى أعقبت سقوط امبراطورية الروم ، عاشت أوربا فى جهل مطبق وظلام فكرى دامس وقسمت بلادها الى دويلات وامارات حكمها الاقطاعيون . وفى تلك الآونة سادت الخرافات التى توارثها الناس منذ ذلك الحين ، وتدهورت المعلومات الجغرافية التى كانت قد ازدهرت قليلا أيام الاغريق والرومان ، وحلت محلها الاساطير والفوضى الفكرية ، ومنها تلك المعتقدات الزائفة التى لم تزل راسـخة فى أذهان بعض الناس ، مثل الاعتقاد بأن الدنيا محمولة على قرن ثور ، فاذا أراد هذا الحيوان أن يغير وضعها على قرنه الآخر حدثت الزلازل . أو أن الملائكة تمسك النجوم حتى لا تقع على الارض فاذا أفلتت منها حدثت الشهب والنيازك والصواعق التى تصيب الناس. وكانت الامراض تصيب الناس ـ على حد اعتقـادهم ـ من جراء مس الشياطين ، ومداواتها لا تكون الا بالسحر ، ومن تكلم منهم عن كروية الارض صلب وأحرق بالنار ، أو أهمل فى غياهب السجون .

وما ان ظهر الاسلام فى المشرق فى القرن الســابع الميلادى حتى بدد ظلمات الجهل ، ومجد العقل الانسانى ، وحث النـاس على التفـكير والتدبر فى جلال الخلق والكون ، وسرعان ما انتشر هذا الدين الجديد الذى أعاد للبشر انسانيتهم بسرعة البرق فى مشـارق الارض ومغاربها ، وكان حافزا فى نفس الوقت على ظهور نهضة علمية وفكرية حديثة على أيدى من اعتنقوه من العرب أو العجم ، فظهر من بينهم حكماء وعلماء وفلاسفة رفعوا لواء النهضة العلمية والفكرية التى أضاءت مشـارق الأرض ومغاربها من جديد .

ولم يكد يمضى قرن من الزمان على ظهور الاسلام حتى قامت الدولة العربية العظمى فى عهد الامويين وامتدت ارجاؤها من الخليج العـربى الى المحيط الاطلسى . وسرعان ما اتسعت تلك الدولة فشملت حدودها أواسط آسيا وجانب من الصين حتى نهر سيحون وجيحون فى المشرق وقامت دولة الأندلس فى المغـرب ووصل العرب حتى جنوب فرنسا .

وكان من الامور الطبيعية لتنظيم هذه الدولة الكبرى ان تحدد أرجاؤها وتصنف مواردها الاقتصادية وتدرس معالمها ومناخها ، وقد أدى ذلك الى تقدم علم الجغرافيا الذى عرف بعلم تقويم البلدان عن العـرب وأن يتقدم أيضا علوم الفلك والملاحة . وكان سـكان شبه الجزيرة العربية بحكم طبيعة بلادهم وسـواحلهم وبحكم بيئتهم القاسية التى تغرس فى النفس حب المخاطرة والشجاعة والاقدام ، وبحكم اعتمادهم الكبير على التجارة وقيامهم من أجلهـا برحلات طـويلة ـ نقول كانوا ملاحين مهرة ورحالة ومستكشفين ذوى بأس ، لا يرهبهم ركوب البحر ولا تثنى من عزيمتهم عواصفه وانواؤه . فلا غرو اذن أن كان لهم فى مجال الكشوف البحرية والملاحة تاريخ مجيد وصفحة مشرقة وضاءة كان لهـــا أثر كبير فى نجاح الكشوف البحرية التى تمت فيما بعد فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى .

فضل العرب فى تحسين وسائل الملاحة :

ولقد بدأت النهضة العلمية العربية كما هو معروف بترجمـة علوم الاغريق والفرس والهنود فى الفلك والرياضة والهندسة والطب وغيرها . ولم يكتف العرب الذين كانوا شغوفين بالعلم بهذه الترجمات بل هضموا ما فيها من أفكار وزادوا عليها ، أو ابتدعوا علوما جديدة لم تكن معروفة من قبل مثـل علم الجبر والمقـابلة للخوارزمى أو علم الكيمياء الذى لا يزال بعض علمـاء الغرب يطلقون عليه اسم « علم جابر » أو علم البصريات لابن الهيثم .

ولقد وضع علماء مصر والعراق والاندلس جداول فلكية جـديدة أعانت الملاحين والرحـالة على السير فى البر والبحر ومنها تلك الجداول التى وضعها ابراهيم الفزازى وابن يونس المصرى والزرقـانى والبيرونى . وأول من وضع مثل هذه الجداول من العرب هو أحمد النهوندى فى كتابه « زيج المشتمل » عام ٨٠٢ ميلادية .

والى العرب يرجع الفضل أيضا فى تقسيم وتحسين آلتين هامتين من أدوات الملاحة هما آلة رصد النجـوم المعروفة باسم « الاسطرلاب » والاخرى هى البوصـلة البحرية أو بيت الابرة .

وسواء أكان العرب هم أول من اكتشف خواص الابرة المغناطيسية أو أخذوا فكرتها عن الصينيين فاليهم يرجع الفضل فى تقسيمها واستخدامها فى الملاحة على نطاق واسع .

وقد ظل الاسطرلاب ـ كما قسمه العرب ـ هو الاداة الوحيدة المثلى للملاحة حتى القرن السابع عشر الميلادى وقد استخدمه أيضـا كولمبس فى رحلته المشهورة الى الغرب . ولم تكن تخلو سـفينة فى عرض البحر من الاسطرلاب العربى حتى القرن الثامن عشر الميلادى حين اكتشف نيوتن آلة السدس « الكستانت » .

وقد اشـتهرت بعض العائلات العربيـة فى صناعة الاسطرلاب وتعرف حتى اليوم باسم « الاسطرلابى » .

وقد كان لهاتين الآلتين الهـامتين بالاضافة الى الجداول الملاحية وآلات حساب الزمن العربية أثر كبير فيما بعد على الكشوفات البحرية التى تمت على أيدى فاسكودى جاما وكولبس وماجلان فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، كما سيرد ذكره . هذا وقد نبغ فى صنع الخرائط رجال من أمثال الخوارزمى والبطـانى والمسعودى والبلخى والاصطخرى وابن حوقل والمقدسى. وللمقدسى رسالة مشهورة بعنوان « أحسن التقاسيم فى معـرفة الاقاليم » توضح خطوط الملاحة فى المحيط الهندى .

رحالة سليمان التاجر :

ومن مشاهير العرب الاوائل فى تلك الفترة النيرة من تاريخ العلوم البحرية ذلك الربان العربى الرائد المشهور باسم سليمان التاجر الذى عاش فى القرن الثـالث الهجرى ودون أخبار رحلته فى مخطوط أثرى يرجع عهده لعام ٨٥١ الميلادى (القرن التاسع) ولعله أقدم مخطوط من نوعه فى تاريخ الرحلات البحرية . والمخطوط المشار اليه محفوظ فى مكتبة باريس تحت اسم « رحلة التاجر سليمان » .

وسليمان التاجر هـذا كان ذا خبرة ودراية كبيـرة بالبحر وظواهره ، فقد سجل فى رحلته الكثير مما صادفه منها خلال جولاته فى البحـرين الابيض والاحمر وفى المحيط الهندى وارخبيل الملايو وعلى مشارف المحيط الهادى قرب سواحل الصين .

وقد أضاف الى هذه الرحلة شخص آخر عاصر سليمان التاجر هو أبو زيد حسن السيرافى من بلدة سيراف ـ أضاف هو الآخر الكثير مما سـمعه من أخبار البحار وأوصاف البلدان مما جرى ذكره على ألسنة التجـار والنوتية .

وفى الرسالة المذكورة أوصاف ممتعة عن الظواهر الجوية غير العادية كالزوابع والأنواء الحلزونية المعروفة اليوم باسم « التيفون » أو « التورنادو » وهى التى تدفع الرياح أمامها بشدة وعنف ويكثر حدوثها فى بحر

الصين والفلبين واليابان وأحيانا فى المحيط الهندى وشرقى مدغشقر ، وتكتسح ما يعترض سبيلها من منازل أو قرى مدمرة الحرث والنسل .

كما ورد ذكر غرائب البحر وحيواناته فى تلك الرسالة ومنها وصف الحوت ومحار اللؤلؤ والغوص عليه فى الخليج العربى .

ومن طريف ما ورد فى هذه الرسالة عن الحوت أن العرب كانوا يجمعون زيته ويستخدمونه فى طلاء المراكب ، كما كانوا يصنعون من فقرات عظام هذا الحيوان البحرى مقاعد يجلسون عليها ، ومن ضلوعه سقوفا لبيوتهم تقيهم الحر والبرد .. وفى ذلك يقول :

« وسمعت من يقول انه وقع فى قديم الايام الى قرب سيراف منه واحدة (الحوت) فقصد للنظر اليها فوجد قوما يصعدون الى ظهرها بسلم لطيف .. والصيادون اذا ظفروا بها طرحوها فى الشمس وقطعوا لحمها ، وحفروا لها حفرا يجتمع فيها الورك (الدهن) ويعرف الورك من عينيها بالحرارة اذا أذابتها الشمس فيجمع ، ويباع على أرباب المراكب .. ويسد به خرزها ، ويسد أيضا ما يتفتق به من خرزها .. »

وهذا الوصف الاخير ذو أهمية بالغة ويلقى ضوءا على طريقة طلاء المراكب عند العرب ومبلغ اهتمامهم بسفنهم وهى الطريقة التى لا تختلف كثيرا عما هو مستعمل فى الوقت الحاضر فى العملية التى نعرفها باسم «القلفطة» وتتلخص فى اخراج أراكب من آن لآخر على الشاطىء وكشط ما تجمع على الجزء من جسمها المغمور فى الماء من أحياء البحر وأصدافه ثم سد ثقوبها بخيط وطلائها بالقار أو الزيت وبانواع خاصة من الطلاء تحميها من التآكل .

ابن ماجد الملاح :

ومن مشاهير الملاحين العرب الافذاذ أيضا أحمد بن ماجد النجدى (نسبة الى مسقط رأسه نجد بالحجاز) المتوفى فى مستهل القرن العاشر الهجرى ونهاية القرن الخامس عشر الميلادى . ويعتبر ابن ماجد سيد ربابين عصره غير منازع . وكان أكثرهم خبرة بأسرار الملاحة ومسالكها فى البحر الأحمر والمحيط الهندى وتياراته وخلجانه ومنافذه ، كما كان خبيرا أيضا بالملاحة فى المسالك الضيقة بين الشعاب المرجانية التى يرهب أكثر القباطين خبرة اليوم الاقتراب منها . وقد اكتسب ابن ماجد معلوماته الواسعة عن البحر والملاحة من سفرياته العديدة ومن خبرة طويلة بالبحر وتقلباته وبالجو وأنوائه وله مؤلفات قيمة فى علم البحار وفنون الملاحة منها مخطوطه الذى نشر مؤخرا فى موسكو بعنوان « ثلاث أراجيز فى علم البحار وارتباطه الوثيق بعلم الفلك » . ويعتبر هذا الكتاب أول موسوعة عن فنون الملاحة كتبها رجل خبر البحر وعرف أسراره وأودعها علمه وتجاربه ولم ينقل عن غيره كما كان المتبع المألوف فى ذلك الوقت ومن ثم يعتبر ابن ماجد فى الواقع واضع أصول العلم التجريبى فى كتاباته . ومن قوله فى مؤلف آخر بعنوان « الفوائد » : ان التجريب شىء ما بعده شىء .. أو « وأصل علم البحر الفن والتجريب » أو قوله « فوالله ما حققت هذه القياسات المنتخبات الا بعد أن كررت عليها التجربة عشرين سنة » .

وترجع شهرة ابن ماجد فضلا عن مؤلفاته الى انه كان مرشدا لسفينة فاسكو دى جاما فى رحلته الشهيرة حول رأس الرجاء الصالح لاول مرة فى التاريخ . وفى ذلك يقول مؤرخ معاصر لابن ماجد هو الشيخ قطب الدين أحمد ابن محمد المكى المعروف بالنهر والى المتوفى عام ٩٨٨ هجرية فى مخطوط له محفوظ بالخزانة التيمورية ما يلى :

« وقع فى أول القرن العاشر (الهجرى) من الحوادث الفوادح النوادر دخول الفرتقال (البرتغاليين) اللعين من طائفة الافرنج الملاعين الى ديار الهند.. وكانت طائفة منهم يركبون زقاق سبتة فى البحر ويلجون فى الظلمات.. ويمرون بموضع قريب من الساحل فى مضيق أحد جانبيه جبل والجانب الثانى بحر الظلمات .. فى مكان كثير الامواج ، لا تستقر به سفنهم وتتكسر ولا ينجو منهم أحد .. فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر يقال له أحمد بن ماجد - صاحبه كبير الفرنج - وكان يقال له الملندى (الاميرال) .. الخ .

الجغرافيون العرب فى القرون الوسطى :

فى عصر الخليفة المأمون من خلفاء العباسيين تقدمت علوم الرياضة والفلك تقدما محسوسا . وقد أشار المأمون نفسه بقياس قطر الارض ، واستخدم علماء العرب الرياضة والجبر والهندسة فى حساباتهم الفلكية بشكل لم يسبقهم فيه غيرهم ، ولذا كانت جداولهم الفلكية بالغة الدقة . ومن الحوافز التى دفعت العرب على النبوغ فى تحديد المواقع حاجتهم لتحديد « القبلة » للصلاة فى الاقطار المختلفة وذلك بالاضافة الى ضرورة معرفة مواقيت الصلاة بدقة فى الامصار التى تقع على خطوط الطول المختلفة ، واليهم يرجع الفضل فى ابتكار المزولة وتقسيمها .

ومن أشهر الجغرافيين العرب فى تلك الفترة أبوجعفر محمد بن موسى الخوارزمى (المتوفى عام ٢٠٥ هـ) الذى قسم خطوط الطول والعرض ووضع عليها مواقع المدن الاسلامية الشهيرة وكان فى نفس الوقت عالما فى الهندسة وقد ألف مجلدين عن الهند بيد أن أصولهما فقدت ولم يصلنا عنهما سوى التراجم اللاتينية لهما . كما يعد الخوارزمى صاحب أول مصور جغرافى عربى .

وكان لأبى جعفر اخوان آخران هما أحمد والحسين ، أما أحمد فقد تخصص فى علم الحيل (الميكانيكا) وأما الحسين فقد تخصص فى الموسيقى .

ثم يأتى بعد أولاد أبى موسى الخوارزمى الثلاثة النوابغ عالم عربى آخر هو محمد بن الفرغانى الذى ألف كتاب « الحركات السماوية وعلم النجوم » وقد ترجم هذا الكتاب أيضا الى اللغة اللاتينية . ولمحمد الفرغانى فضلا عن ذلك مؤلفين آخرين أحدهما عن « الاسطرلاب » والآخر عن « المزولة » .

ومن علماء ذلك العصر أيضا أبو يوسف يعقوب الكندى الفيلسوف الذى ضرب فى كل العلوم بسهم وكان دائرة معارف متنقلة ، يفيض على الناس بالعلم والحكمة . وقد أعانه على العلم سعة اطلاعه واجادته للغات الفارسية والهندية واليونانية الى جانب العربية ، وقد ترك هذا العالم نحو مائتى مؤلف وبحث .

أما أبو الحسن المسعودى (المتوفى عام ٣٤٦ هـ) وهو من علماء القرن العاشر الميلادى فقد كان هو الآخر حجة فى الجغرافيا والتاريخ ، وكتابه « أخبار الزمان » موسوعة ضخمة وصف فيها رحلاته وأخبار الناس وجغرافية فارس والهند وسيلان والملايو والصين وارمينيا وبحر قزوين ومصر والشمال الافريقى وأسبانيا وبيزنطة ويعرف المسعودى عند علماء الغرب بانه كان أول من سجل مبادىء صحيحة ومشاهدات قيمة عن البخر وتكوين المطر وملوحة البحار ، وكتابه الآخر « مروج الذهب »

غنى عن التعريف .

ولا يجب أن ننسى أيضا مؤلفين من أمثال الاصطخرى صاحب « مسالك الممالك » وابن حوقل صاحب «المسالك والممالك » .

ويعتبر أبو ريحان محمد البيرونى درة القرن الحادى عشر الميلادى فى التأليف والترجمة والبحث والدقة فى الوصف وتحرى الحقيقة ولذا كانت كنيته « الشيخ المحقق » ، وقد تتلمذ على ابن سينا فى خوارزم ، وقد أقام له العلماء السوفيت منذ سنوات تمثالا اعترافا بفضله واحيوا ذكراه بنشر مؤلفاته .

وقد صاحب البيرونى السلطان محمود الغزنوى فى حملة الهند الشهيرة وخرج البيرونى من هذه الرحلة بمؤلف قيم بعنوان « تحقيق ما للهند من مقولة .. » ويعد هذا الكتاب مرجعا من المراجع الرئيسية عن هذا الاقليم ، كما كتب البيرونى أيضا فى الجغرافية الرياضية والفلكية ومؤلفه الشهير بعنوان « القانون المسعودى - نسبة الى السلطان مسعود الذى خلف محمود الغزنوى - يصف فيه المسائل الفلكية بدقة كثيرة . ولهذا العالم رسالة مشهورة فى خطوط الطول والعرض كما أنه اكتشف قانون الاوانى المستطرقة واهتم أيضا بدراسة طبقات الارض « الجيولوجيا » .

ويعتبر الشريف أبو عبدالله محمد الادريسى (المتوفى عام ٥٤٨ هـ) أشهر جغرافى العرب فى القرون الوسطى على الاطلاق . وقد ولد هذا العالم فى مراكش وقام برحلات عديدة فى آسيا الصغرى وغيرها ، وانتهى به المطاف فى جزيرة صقلية حيث استخدمه ملك النورماند وصاحب صقلية المدعو روجر الثانى رئيسا للبحرية والخرائط ومن ثم كانت كنية الادريسى « بالروجارى » وكانت بالرمو فى عصره من أشهر موانى البحر الابيض المتوسط تفد اليها تجارة الشرق والغرب وترسو عليها سفن تحمل أعلاما مختلفة . وكان الادريسى يجمع معلوماته عن الممالك وأخبار الاقطار والبحار من افواه القباطين والبحارة بالاضافة الى خبراته الشخصية . ولذلك كان مؤلفه المعروف باسم « نزهة المشتاق » من أحسن ماكتب فى ذلك الوقت . وفيه قسم الدنيا الى مناطق مناخية متميزة ، كما وضع لاول مرة مصطلحات عربية لفنون البحر وظواهره ، ومن ذلك تسميته للمناطق التى تترسب فوقها الرمال وتجعل عمق الماء فوقها ضحلا لا يسمح بالملاحة « بالاقاصير » . وقد اهتم الادريسى بالتعريف بجغرافية الغرب أكثر من اهتمامه بجغرافية الشرق . ومن جغرافى القرن الثانى عشر الميلادى أيضا ابن جبير الاندلسى صاحب الرحلة المشهورة .

وشهد القرن الثالث عشر الميلادى أيضا باقة مزهرة من علماء الجغرافيا العرب نذكر من بينهم ياقوت الحموى المتوفى فى سوريا عام ١٢٢٩ م (٦٢٦ هـ) وقد وصف البلدان بين سوريا وخراسان وكتابه معروف باسم « معجم البلدان » .

ثم يأتى بعد ذلك الشيخ زكريا بن محمد القزوينى وهو عالم طبيعى وجغرافى توفى عام ١٢٨٠ م وترك لنا كتابه الشهير « عجائب المخلوقات » ضمنه ما هو معروف من علوم الطبيعة والجو والحيوان والنبات والاساطير .

ثم أبو الفداء اسماعيل بن على الايوبى المتوفى عام ١٣٣١ م وقد كان واليا على حماة من قبل الملك الناصر وله مؤلف جغرافى هام باسم « تقويم البلدان » وقد أفاد من كتابات بطليموس والاصطخرى وابن حوقل والادريسى

ويلمع فى القرن الرابع عشر الميلادى الرحالة أبو عبدالله محمد بن بطوطة المولود فى طنجة . وقد ترك وطنه شابا فى عام ١٣٢٥ ليبدأ رحلاته الشهيرة الى جزيرة العرب وزنجبار وآسيا الصغرى والهند وسيلان وسومطرة والصين ثم يعود الى مسقط رأسه بعد عشرين سنة ليبدأ رحلة أخرى الى افريقيا الاستوائية يبلغ فيها حتى تمبكتو . ويعد كتابه « تحفة الأنظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » من أمتع كتب الرحلات عند أهل الشرق والغرب على حد سواء وقد ترجم الى عديد من اللغات الحية فى وقتنا المعاصر .

العرب وجغرافية البحار :

للجغرافيين العرب أوصاف ممتعة للبحار وأعاصيرها ونواتها وتياراتها وعجائب المخلوقات التى تعيش فيها . وبعض هذه المشاهدات ينم فى الواقع عن عقلية علمية مفكرة ، كما أن الكثير منها ورد ذكره سماعا أو عن الاساطير والمعتقدات التى تداولها الناس قديما . بيد أن الحقائق الجديدة التى أوضحها علماء العرب عن البحار تعتبر فى حد ذاتها فريدة فى نوعها بل واضافات جديدة للعلم حتى ذلك الوقت ، وهى مستمدة فى جملتها من خبرة شخصية ومعرفة بالبحر .

ومن وصف ابن جرد ذابة فى القرن التاسع الميلادى يتضح أن التجار العرب وصلوا حتى كوريا واستقروا فيها .

والى العرب يرجع الفضل فى التعريف ببحيرة آرال فى روسيا وهى التى لم يرد ذكرها فى كتابات بطليموس ولا غيره ممن سبقوهم وقد سماها العرب بحر خوارزم فى عهد الخليفة المأمون . هذا وقد قام ابن فضلان عام ٩٢١ ميلادية بأول رحلة فى مصب الفولجا الى بلاد البلغار . والى البيرونى يرجع الفضل فى وصف بحيرة بيكال فى بلاد الروس أيضا .

ومن قول أبى الحسن المسعودى « وقد ركبت عتو من البحار كبحر الصين والروم والخرز والقلزم واليمن وأصابنى فيها من الاهوال مالا احصيه كثرة ، فلم أشاهد أهول من بحر الترنج وفيه السمك المعروف بالوال (الحوت) .. وربما ظهر طرف جناحيه فيكون كالقلاع العظيم ، وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء فى الماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من ممر السهم . والمركب تفزع منه بالليل والنهار ، وتضرب له بالخشب والدبادب لينفر ... »

هذا وقد تقدم وصف الحوت فى رحلة التاجر سليمان وزاد عليها كل من المسعودى والقزوينى ، كما أورد القزوينى ذكر وحوش البحر الاخرى ، وكلها مبنية عن مشاهدات البحارة للحيتان والحيوانات الضخمة أو مشاهدة جزء منها فيبنون حولها أسطورة ومنها أساطير التنين البحرى وحيات البحر الماردة وما اليها . وعن العرب أخذ الاوربيون كثيرا من هذه الكتابات .

أما عن الظواهر الطبيعية للبحار فقد أجاد العرب فى كثير منها وبزوا غيرهم من غير شك .

ففيما يتعلق بوصف جغرافية البحار بعامة يقول الادريسى : « واستدارة الفلك فى موضع خط الاستواء ٣٦٠ درجة وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين ٩٠ درجة ، الا أن العمارة فى الارض بعد خط الاستواء ٦٤ درجة والباقى من الارض خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود . والارض ذاتها مستديرة لكنها غير صادقة الاستدارة .. والبحر المحيط يحيط بنصف الارض احاطة متصلة دائرتها ، فكذلك الارض نصفها مغرق فى البحر ، والبحر يحيط به الهواء » وللعرب آراء جديرة بالاحترام فى موضوع المد والجزر .

وقد ذكر هذا الادريسى أيضا أخبارا تعتبر الاولى من نوعها عن المحيط الاطلسى أو بحر الظلمات .

ومن ذلك قوله « وأهم الملاحين فى هذا البحر هم المعروفون باسم الانكلسية (الانجليز) ، أى سكان انكرطره ،

وهى جزيرة عظيمة بهـا مدن كبيـرة .. وبه السمك الكثير يصيدونه من أمكنة معلومة (يقصد الرنجة) وبه دواب بحرية تبلغ من عظم الجرم ما يجعل أهالى تلك الجـزر يستعملون عظامها وفقارها بدل الخشب فى ابنيتهم ، ويصطنعون منها مطارق وسهاماورماحا وخناجر (يقصد الحوت) ..

ويرد ذكر المحيط الاطلسى فى كتابات البيرونى أيضا وعنه يقول « أما البحر الذى فى مغرب المعمورة وعلى ساحل بلاد طنجة الاندلسى ، فانه سمى البحر المحيط وسماه اليونانيون « الاقيانوس » ولا يلجلج فيه ، وانما يسلك بالقرب من ساحله ، وهومشيد من عند هذه البلاد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ، ويخرج منه خليج عظيم فى شـمال الصقالبة (ربما يقصـد بحـر الشمال) » .

ثم هو يصف بعد ذلك الجزء من المحيط الهادى المتصل بالصين ودورانه حول الهند فيما يسمى المحيط الهندى واتصاله بالبحر الاحمر حتى السويس .

كما يصف أيضا بحر قزوين ويعتبره بحرا مقفلا .

ثم نرى القزوينى يتحدث هو الآخر عن ايرلندا وعـن صيد « عجول البحر » فى البحار الشمالية ..

أما ابن بطوطة فيقول فى بحر الظلمات « ولا يعلم أحد ما خلفه ولا وقف منه بشر على خبر صحيح لصعوبة عبوره ، وليس أحد من الربابين يركبه عرضا ولا ملججا وأمواجه تندفع متفلقلة كالجبال لا يتكسر ماؤها » وهو تعبير دقيق عن الامواج الطويلة التى تقدم من مسافات كبيرة .

هذا ويشتهر الادريسى عند علماء الغرب بأنه سـمى الجزر الخضراء التى تقع فى المحيط الأطلسى والمعـروفة اليوم بجزر تناريف .

ولقد ورد ذكر الرياح النكباء التى تهب فى المحيط كثيرا فى كتابات الجغرافيين العرب الاوائل ومثل هذه الرياح تكثر فى بحر الصين واليابان وحول جزر الفلبين وفى المحيط الهندى وشرقى مدغشقر . وللقزوينى تعليل بديع لهذه الرياح يتفق كثيرا والتعليل العلمى الحديث الذى وضعه علماء المتيوولوجيا (علم الطقس) وفى ذلك يقول ذلك المؤرخ « هى الريح التى تدور على نفسها شبه المنارة ، وأكثر تولدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحابا تدروه الرياح المختلفة ، فيحدث عن دوران الغيم تدوير الرياح فتنزل على تلك الهيئة .

وربما يكون مسلك صدورها مدورا فيبقى هبوبها مدورا كذلك .. وربما يكون سبب الزوبعـة ريحين مختلفى الهبوب ، فانهما اذا تلاقيا تمنع احداهما الاخرى من الهبوب فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه المنارة وربما وقعت قطعة من الغيم وسط الزوبعة فتدروها فى الهواء فترى شبه سفين يدور فى الجو .

ومن المعروف ان مثل هذه الزوابع قد تشفط ماءالبحر بما فيه من أسماك وكذلك الضفادع والدواب الصغيرة التى على الساحل . وقد وصف القزوينى واحدة منها مما كانت تعرف عند القدماء بالتنين الطائر ، هبت ذات مرة بنواحى حلب فيقول « وقد أقبلت سحابة من البحر وتدلت حتى اشتملت عليه وروحته نحو السماء ، وقد لف التنين ذنبه على كلب ورفعـه والكلب ينبح فى الهواء .. »

وبعد فهذه لمحات عن الآثار التى خلدها الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى فى مجال الكشف البحرى والملاحة ويلاحظ أن الكثير من كتاباتهم قد فقدت ، كما أن بعض مخطوطاتهم الاصلية أو المنقولة لما تزل بعـد حبيسة المكتبات ، ومن ثم فلم يزل الدور الذى لعبه العرب أقل مما هو فى الواقع وعلى الاقل فى نظـر الكتاب الغربيين .

ومنذ عهد قريب بدا الاهتمام يشتد مرة أخرى بآثار العرب الجغرافية ، وبخاصة بعد أن اكتشفت مخطوطات أوضحت أهمية الملاحين والجغرافيين العرب فى الكشوف البحرية الكبرى التى تمت فى القـرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادى ، فقد استعان البرتغال والاسبان بخبرة الملاحين العرب ومؤلفاتهم عقب سقوط الاندلس ـ فى البحث عن طرق جديدة لتجارة التوابل من الهند عبر المغرب .

اذ كان العرب لا يزالون يسيطرون ويتحكمون فى المسالك البحرية من الشرق . وبفضل الادوات الملاحية التى ابتكرتها العرب وبفضل الخبرة العربية أصـبح الاوربيون مزودين بجميع المؤهلات الضرورية لتحقيق هذه الكشوف وقد لعب الحظ هو الآخر دورا كبيرا فى اكتشاف أمريكا على يد كريستوف كولمبس وان كان ثمة رأى يقول بأن العرب كانوا أسبق منه فى الوصول الى هذه القارة .

ندوة الشهر

الجهاد فى الاسلام

الأستاذ عبد الرحمن الشربينى

ماذا عن الجهاد فى الاسلام ؟ .. لماذا شرع .. ؟ وهل معنى هـذا أن الاسـلام انتشر بالسيف .. ؟ وما مكانة الجهاد فى الاسلام ؟ ..

وفى ندوة هذا الشهر نتعرض بشىء من التفصيل تحمله هذه الأسئلة عن فرضية الجهاد فى الاسلام ..
تحدث فى الندوة :

١ـ فضيلة الأستاذ البهى الخولى

٢ ـ فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

٣ ـ قدم للندوة ووجه اسئلتها الأستاذ احمد فراج.

وبدأ الندوة أحمد فراج سائلا لماذاشرع الاسلام الجهاد ومع قضية شرعية الجهاد تدور فكرة انتشار الاسـلام بالسيف .. وهذه شبهة حاول بعض المستشرقين الصاقها بالاسـلام .. وربما لقيت هوى من بعض النفوس التى لم يتح لها استيعاب الاسلام استيعابا سليما ونستطيع ان نرد هذه الشبهة . وسننتهز الفرصة للرد على ذلك ونحن نتكلم عن . لماذا شرع الاسلام الجهاد حيث يتحدث فضيلة الاستاذ البهى الخولى :

لو نظرنا الى الواقع الذى لاجدال فيه على أسـاس الوثائق والنصوص ، نرى ان الحكمة فى مشروعية الجهاد سيتبين منها موضوع الاسلام والسيف .

لقد بدأ الاسلام بسيدنا محمد صلوات الله عليه .. بدأ بفرد واحد .. ولايمكن أن يقال عن فرد واحدانه نشر الاسلام بالسيف..ثم امتد الى الأربعة الخلفاء المعروفين .. وهكذا بدأ الاسلام ينتشر بالدعوة الاقناعية المنطقية .

وحينما كثر المسلمون نوعا ما خشى المشركون عـلى أنفسهم فبدأوا ينكلون بالمسلمين ويعذبونهم عذابا أليما .. عذبوا سمية حتى تموت ولاتترك المسلمين .. وكذلك عمار وبلال وغيرهم حتى يرتدع غيرهم فلا يدخلون دين الاسلام . ولكن الاسلام رغم هذا بدأ ينتشر .

وفى الفترة المكية التى بلغت نحو اثنى عشر عاما من الاضطهاد والخسف لم يرفع الاسلام سيفا ولم يقم حربا . وانما كان الاسلام هو المعتدى عليه اعتـداء انتهى بالمسلمين وعلى رأسهم رسول الله الى الهجرة الى المدينة .. وفى هذه الفترة كلها لم يستعمل الاسلام سيفا ولا خاض حربا .

بعد ذلك جاءت فترة المدينة فانقلب الشرك كله عـلى الاسلام يحاول أن يهدمه دينا وعقيدة ، وكانت الغزوات المتعددة التى البها المشركون .. وكانت غزوة الخنـدق التى لجا اليها المسلمون الى حفره دون أن يرفعوا سيفا .. فى هذه الفترة أتاح الله للاسلام من ينشرونه بالمنطق والأسوة والقدوة الحسنة الى غير ذلك من الوسـائل

السلمية لأن هناك عقيدة تملأ قلوب الداعين الى المذهب الجديد لينشروا بواسطته الحق ويعلون رايته ..

وكان لابد أن تتصدى معارضة لهذا الحق .. وكان لابد من تحطيم هذه المعارضة حتى ينتشر الحق .. كان هناك ملوك يستبدون بأقطارهم فكان لابد من تحطيم هؤلاء الذين وقفوا حائلا بين الحق وبين انتشاره فى الشعوب ليمكنوا للاسلام من أن يدعو الى نفسه فى الأقطار التى اغلقت دونه .. وكان ذلك حينما نزل الاذن بالقتال .. « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » .. الى غير هذه الآية التى تأذن بالقتال فى سبيل انتشار الحق .

بقى بعد هذا عوامل أخرى ..

« الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بداوكم أول مرة » .. ونطق القرآن فى هذه النقطة يبين طريق الجهاد - ينكثوا ايمانهم .. هموا باخراج الرسول .. بدأوه أول مرة .. من هنا كانت الحكمة فى القتال هى لنشر المبادىء الاسلامية ضد هؤلاء الذين يعارضون نشر هذه المبادىء من بلد من البلدان .. اذن نشر الحق والاعتداء هما الحكمة فيما يتعلق بفرضية القتال فى الاسلام .

س - ماهى مكانة الجهاد فى الاسلام ؟

يرد فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى فيقول :

الواقع أن الجهاد هو ذروة سماء هذا الدين .. لأنه دفاع عن النفس أولا .. وثانيا فهو دفاع عن العقيدة .. وثالثا فهو دفاع عن الشعوب المظلومة والأمم المغلوبة .

لايمكن ابدا الدفاع عن النفس أو العقيدة ، ولايمكن تحرير الأمة المظلومة الا اذا كا نهناك قوة ممثلة فى الجهاد .. ولهذا كان الجهاد فريضة كأى فريضة من الفرائض .. لاتقل عن الصلاة أو الزكاة أو الحج .. والله يقول .. « كتب عليكم الصيام » .. وفى السورة نفسها يقول .. كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ويقول .. «وجاهدوا فى الله حق جهاده » .. وحق الجهاد أن يبذل الانسان كل طاقاته بحيث لايستبقى على شىء من قواه ..

واللهسبحانه يجعل الجهاد طريقا للهداية والى رحمات الله فيقول .. والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .. ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهداو فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » .. واذا تتبعنا آيات القرآن نجد أن الايمان يقرن بالجهاد دائما ذلك ان حماية الايمان انما تكون عن طريق الجهاد .. ولذلك كان الجهاد هو المظهر الطبيعى والامتداد للايمان .

يقول الله تعالى .. « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » .. وحينما زعم قوم أن عندهم الايمان ولم يبرزوا الى الجهاد ولم يبذلوا من ذات يدهم وذات أنفسهم اعتبر الله هذا الايمان ايمانا شكليا لا قيمة ولا وزن له فقال .. « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » .

ثم أن الرسول صلوات الله عليه يشيد بالجهاد اشادة مابعدها اشادة . فهو يقول .. « رهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله » فهو يعطى الرهبنة معنى ايجابيا وليس المعنى السلبى الذى ألفه الناس وتعارفوا عليه .. فليست الرهبنة هى الانقطاع عن الدنيا والانطواء على النفس أو السير مع التيار انما الجهاد مقاومة التيار ومواجهة المعتدين .. لابد أن تتحول قوى الانسان الى عمل ايجابى يحق الحق ويبطل الباطل .

والأحاديث فى هذا كثيرة جدا .. يمكن ان نقول ان ثلاثة تخلفوا عن غزوة تبوك فعاتبهم الله عتبا مرا مع أن هذه الغزوة لم يلق الرسول صلى الله عليه وسلم فيها قتالا ، ورغم هذافحين تخلف الثلاثة اعتبر ذلكمنهمجريمة كبرى .. « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل اللهوقالوا لاتنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوايفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون .. فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين .فلاتصل على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره » .. هذاالعتب الشديد للذين تخلفوا عن الرسول فى غزوة لم يلق فيها قتالا يعنى أن للجهاد منزلة كبيرة جدا . هؤلاء الثلاثة كانوا من الصدق بمكان فقاطعهم الرسول والمؤمنون مدة خمسين يوما « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

اذن فالجهاد انما هو الفريضة الكبرى التى لاتقل عن فرضية الصلاة ولافرضية أى عبادة أخرى من العبادات

وقد يسأل سائللماذا عد الرسول أركان الاسلام خمسا ولم يعد منها الجهاد ؟

الجهاد فرض كفاية .. أما الصيام مثلا فهو فرض عين .. وكذلك الصلاة والحج .. فرض عين على الشخص نفسه أن يقوم بها ومتى كان قادرا عليها .. أما فرض الكفاية فهو الفرض الذى اذا قام به البعض أغنى عن الباقين .. مثل الجيش حاليا هو الذى يقوم بهذه الفريضة نيابة عن الشعب كله..فهذه الفريضة منوطة به وساقطة عنا الآن .

وبعد ..

فليس أدل على فرضية الجهاد من ختام الآية الكريمة حين تقول فى شأن الثلاثة الذين تخلفوا فى غزوة تبوك رغم ماكانوا عليه من اداء أركان الاسلام - انهم كفروا بالله وماتوا وهم فاسقون .

عملية تجديد كبرى من اسلامهم تدل على انه لاايمان لمن لاجهاد له .. وأن الجهاد حقا هو ذروة السماء للدين الحنيف .

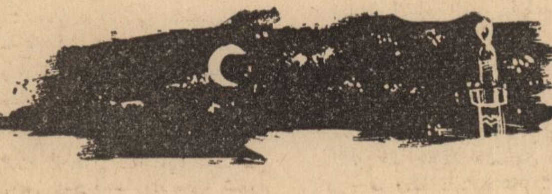

المسلمون يحتفلون بأعيادهم

الأستاذ عبد العظيم ملوك

• وفق الله المسلمين الى حسن طاعته فى شهر رمضان فكرمهم الله وجعلهم ضيوفه فى أول أيام شوال .

• زكاة عيد الفطر طهرة للصائم وقربة له عند ربه .

• مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر

اليوم يودع المسلمون شهر رمضان ، ويستقبلون شهر شوال ويكونون بحمد الله ونعمته فى يوم اوجب الله عليهم فطره وجعله عيدا ، فيه يتبادلون التهانى والتزاور ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ..

***

ومع هذا العيد المبارك تقدم « مجلة منبر الاسلام » ، الى المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها أجمل التهانى بحلول عيد الفطر المبارك ..

وتسال الله ان يعيد عليهم أمثاله وهم على طريق الحق والحرية .. والخير والهدى .. اخوة متحابين متعاونين فى سبيل رفعة الوطن الاسلامى الكبير

***

وللمسلمين فى كل عام عيدان ..

عيد الفطر وهو الذى يحتفل به المسلمون عقب شهر الصيام وعيد الاضحى وهو اليوم العاشر من شهر ذى الحجة عقب الوقوف على العرفات .

ويسر مجلة منبر الاسلام ان تطوف بك ايها القارىء العزيز فى بعض البلاد الاسلامية لتريك كيف يحتفل اخوانك المسلمون بأعيادهم .

***

وقبل هذه الرحلة الجميلة اليك تحية عيد الفطر من فضيلة الامام الاكبر الشيخ حسن مامون شيخ الجامع الازهر .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله وشكره يستقبل المسلمون فى انحاء العالم هلال شوال وقد اتم الله عليهم نعمته ، فعبدوا الله فى رمضان ، وادوا ماعليهم نحو شهر كريم على الله حبيب

على المسلمين ، شهر رمضان الذى ودعوه كأكرم مايودع به الضيف العزيز ، لقد احتفى المسلمون برمضان ، فصاموا ايامه ايمانا واحتسابا فاستحقوا ماوعدهم الله به فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تاخر » ، ولقد أحيوا لياليه بالقيام والذكر وتلاوة القرآن الذى انزله الله سبحانه هاديا وآخذا بيدهم الى سواء السبيل .

واذا كان المسلمون قد وفقهم الله الى حسن طاعته فى شهر رمضان المبارك فانهم اليوم فى فرح وسرور لتكريم الله لهم ، فلقد كرم الله عباده الصائمين فجعلهم ضيوفه فى أول أيام شوال ، وجعل هذا اليوم المبارك عيدا للمسلمين ، وما أجمل أن يكون المسلمون فى عيد وهم على الله سبحانه ضيوف مكرمون .

هم اليوم فرحون مسرورون تحقيقا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » .

ان الله سبحانه الذى جعل هذا اليوم اول شوال عيدا للمسلمين اراد سبحانه ان يشعر عباده جميعا ببهجة العيد ، فكانت زكاة عيد الفطر طهرة للصائم وقربة له عند ربه ، انها نوع من التكافل الاجتماعى يفاخر بها المجتمع الاسلامى سائر المجتمعات فانه مجتمع متعاون يعطف غنيه على فقيره ، ويعين قويه ضعيفه ولا عجب ، فمثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر .

من اجل ذلك جعلت الشريعة الاسلامية زكاة الفطر مكملة لصوم رمضان ومطهرة له ماعساه ان يكون قد شابه شيء من الشوائب فهو معلق لايرفع الى الله سبحانه الا بعد اداء زكاة الفطر - واننى أهيب بكم اخوانى المسلمين أن تخرجوا زكاة فطركم فى هذا اليوم الكريم حتى تغنوا فقراء المسلمين عن ذل السؤال وأن تحفظوا على اخوانكم ماء وجوههم فى يوم العيد ، وعليكم ان تشعروا جميعا بانكم فى عيد تلبسون له الجديد ، وتوسعون على أولادكم وتصلون ارحامكم وتعطفون على اخوانكم وجيرانكم ، وليقبل كل منكم على أخيه مهنئا بهذا العيد منتزعا من صدره الاغلال والاحقاد .

ايها المسلمون فى انحاء العالم ، اننى باسم علماء الازهر الشريف أبعث اليكم بتحية الازهر فى هذا اليوم السعيد مقرونة باطيب التهانى واكرم الامانى سائلا المولى سبحانه ان يعز العروبة والاسلام وأن يجمع كلمة العرب والمسلمين ويوحد بين صفوفهم ويوفق قادتهم وحكامهم الى مافيه الخير والسداد .

هنيئا لكم بعيد الفطر المبارك ، وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

***

وبعد تعال معى أيها القارئ الكريم الى العالم الاسلامى لترى وتشاهد معى اعيادهم :

فى السودان

يحدثنا الملحق الثقافى بسفارة السودان عن احتفال اخواننا السودانيين بالاعياد الاسلامية فيقول

تحتفل الجمهورية السودانية باعيادها الاسلامية كعيد الفطر المبارك وعيد الاضحى بان تستعمل الحكومة اجهزة الاعلان واجهزة الاذاعة واجهزة التليفزيون

وهناك تغص المساجد بالمصلين ويرتفع فيها اصوات المكبرين فى حالة العيدين عيد الفطر وعيد الاضحى واما فى مولد الرسول الاكرم فينشدون فيها القصائد النبوية ويقراون قصة المولد النبوى الشريف وتقام الاحتفالات فى البيوت ويذبحون الذبائح ويكثرون الولائم ويزينون البيوت والشوارع ويهنيء بعضهم بعضا وكذلك فى هذه الحالة يحتفل أصحاب الطرق الصوفية ينصبون الصواوين ويرفعون الاعلام ويفرقون الحلوى ويذبحون الذبائح ويستعملون الميكروفونات لنشر القصائد النبوية وترتيل الآيات القرآنية وناهيك مايكون من الافراح يحتفل السودان بهذا المولد اكثر من احتفال المرء بعرسه ولا أستطيع أن أصف كم يكون الفرح والبشر مهيمنا على الشعب السودانى وكم يكون للدين فى هذه الحالات من روائع مدهشة ومناظر عظمة يذهب البعض لبيوت البعض ويتهادون ويصلون ارحامهم ويكرمون فقراءهم ويلبسون الثياب الجديدة كل هذا احتفالا باعيادهم الاسلامية .

فى الأردن

اما كيف يحتفل الاردن الشقيق باعياده الاسلامية فيحدثنا السيد هانى الحضاونه الملحق الثقافى قائلا :

ما من عيد من الاعياد الاسلامية يمر فى الاردن الا وفيه للاردن وللشعب الاردنى اعياد هائلة وجميلة فمثل عيد الاضحى وعيد الفطر تبدأ المعايدات اولا بارسال البطاقات تحمل أعطر واجمل التهانى وهذا بالنسبة لمن بعد عن زيارتهم واما للاقرباء من الاصحاب والاهل فيتزاورون فى بيوت بعضهم بعضا ويحتسون اكواب القهوة والشاى ويتناولون قطع الحلوى وتكون موائدهم حافلة باطايب الوان الاطعمة ويتفننون فى لبس الجديد من الملابس نساء ورجالا ويقوم الآباء والاخوة فيصلون ارحامهم ويغدقون عليهم الهدايا ويفرقون عليهم النقود وعلى أولادهم وهذه العادة متبعة فى الاردن من قديم الزمن واما اعيادهم فى مثل شهر رمضان فان اهالى البلاد يتسابقون ليدعون كل غريب الى موائدهم لياكل ويشرب مع مايقيمون من الاحتفالات الدينية بقراءة القرآن وسهر الليالى على طاعة الرحمن واما اعيادهم فى راس السنة الهجرية فكم لها من الجمال فيزينون البيوت بانواع الزينات وكذلك الشوارع وتحتفل الحكومة الاردنية بهجرة الرسول الاعظم - صلى الله عليه وسلم - فتعتبره يوم أجازة ثم يتناول الخطباء والشعراء القاء الخطب والقصائد يعددون فيها مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم من الفضل ومكارم الاخلاق وكم لاقى فى دعوة ربه من الجهاد حتى اقام هذا الدين وأرسى بنيانه وقوى قواعده فهو لا يزال قائما الى قيام الساعة وأما اعيادهم فى مولده الشريف فقد يكون هو العيد الوحيد فى الاردن لكثرة مايظهرون فيه من الحفاوة والكرم تحتفل فيه الناس شعبا وحكومة ينحرون الذبائح ويولمون الولائم ويفرقون الحلوى ويقيمون الاندية فى المساجد بالتواشيح الدينية والقصائد النبوية وهكذا البيوت تكون عامرة بالذاكرين والمنشدين وهذه نبذة صغيرة عن اعياد الاردن وما فيها من مكارم الاخلاق

فى العراق

واما كيف يحتفل العراق الشقيق باعياده الاسلامية يقول السيد الدكتور عبد الجبار المطلبى الملحق

الثقافي :

في مثل هذه الاعياد وخصوصا في عيد الاضحى المبارك وعيد الفطر نذهب نحن العراقيين بعد تادية صلاة العيدين مبتهجين فرحين لأبنائنا وأزواجنا في بيوتنا ونحن نلبس الجديد وفي هذه الحالة نحاول بشتى المسائل جاهدين لندخل عليهم الافراح والسرور ولا سيما الاولاد الصغار لابد من تفصيل الجديد لهم من الثياب واعطائهم النقود واما نحن الكبار فنذهب لبيوت بعضنا بعضا فنحتسي في بيوت بعضنا اكواب القهوة وقطع الحلوى ثم ننصرف وهكذا يتم هذان العيدان فرحا وسرورا مدة ايام الاجازة والمسافر يعود لاهله مهما بلغ البعد ليأتنس بهم ويعيد معهم وايضا نصنع الولائم الطيبة في بيوتنا التي لانصنعها سوى في مثل هذه الايام وقبل هذا نتراسل بالبطاقات نزف التهاني لبعضنا بعضا بحلول ايام الاعياد واما احتفالاتنا برأس السنة الهجرية فقليل من الشعب العراقي أن يحتفل وتقوم الدوائر الحكومية بتهنئة الشعب العراقي والشعوب الاسلامية مع بعض القاء الخطب الدينية بذكرى هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واما امتناعنا عن اقامة الاعياد براس السنة فهو أن اخواننا الشيعة في ١٥ يوم الاول من راس السنة يعتبرونها ايام حزن حدادا على استشهاد سيدنا الحسين فلاجل هذا السبب تقتصر الافراح لان الجميع مرتبط بالجميع واما احتفالاتنا بالمولد النبوي الشريف فليس أكثر من قراءة القصة المولدية في المساجد وقد يكون في البيوت واما الاحتفالات الرسمية فتقيمها الحكومة لان للدولة منهج حكومي رسمي وقد تحتفل بعض الجمعيات على هيئة احتفالات الحكومة بالقاء الخطب والقصائد الشعرية يذكرون فيها افعال سيد الخلق وما كان عليه من الخلق ومقدار ما اصطفاه الله وفضله على جميع عباده ورسله وملائكته

في باكستان

اما في باكستان فاذا ما انقضت ايام رمضان ، ويعلن الاحتفال بالعيد حتى تتخذ الحياة في باكستان مظهرا جديدا ملؤه الغبطة والفرح ..

واول مايفعله الباكستانيون هو الخروج الى الاماكن الخلوية لاداء صلاة العيد وبعدها يرجعون الى بيوتهم ، ليتناولوا طعاما خاصا بهذه المناسبة عبارة عن شعرية بالسكر مع اكواب الشاي ، وبعد أن يعيد كل واحد على الاخر مع اهل بيته وأصدقائه يلبس ملابسه الجديدة ويخرج للنزهة أو للزيارة ، والاطفال يلبسون ملابسهم الزاهية ويخرجون الى الحدائق حيث يشتركون في الالعاب المختلفة .. وييسر الاغنياء على الفقراء بدفع الزكاة حتى تعم الفرحة الجميع .

وفي المساء يجتمعون في اجتماع عام اسمه الشاعرة حيث ينشد كل منهم بيتا من الشعر يواصل غيره انشاد بيت غيره يبتدىء باللفظ الذي انتهى اليه الشخص الاول .

وفي عيد الاضحى يحرص كل منهم على أن يقدم اضحية بعد الخروج من الصلاة وتتكرر نفس المظاهر التي تحصل في عيد الفطر المبارك

في مالي

وعندما يعلن العيد في مالي يلبسون الجديد ويذهبون في الصباح الباكر لتادية صلاة العيد راكبين الخيول بعد أن يزينونها باجمل الزينات ويركبون العربات لتوصيلهم الى ساحة فسيحة في الخلاء

وبعد الصلاة يخرجون للتزاور والمعايدة . ومن المظاهر

المتبعة ان يخلع الصغير حذاءه عند سلامه على الكبير ٠
ويقيمون الحفلات ويدعى فيها الاصدقاء والاقرباء يقدم فيها الاكل ويقدم فيها مشروب اسمه الخورجاكولا وهو شراب يشبه الكاكولا ثم تـدق الطبول وتعزف الموسيقى ٠

فى الهند

وهناك اعياد ذات طابع اسلامى خاص ، تحتفل بها الهند حكومة وشعبا على اساس كل الهنـد ، وتلك المناسبات ايام اجازات رسمية عامة فى جميع المكاتب الحكومية ، فى المركز والاقاليم ، ويشترك مع المسلمين فى برامج هذه الاحتفالات ، ابناء الطوائف الاخرى ٠ وتتجلى فى تلك المناسبات مظاهر الاخوة الاسلامية ، والتضافر الوطنى ، والصداقة المتبادلة بين مختلف طوائف وهيئات المجتمع الهندى فمنها :

عيد الفطر

هو يوم عطلة رسمية فى طول أنحاء الهند ٠ ومنذ رؤية هلال أول شوال ، تكتسى المدن والقرى الآهلة بالمسلمين حللا قشيبة ، وتزدحم الطرق والحارات من اكشاك باعة الحلوى والفواكه ، ومحلات بيع الملابس الفـاخرة ، والمزينة ٠ واما الاستعدادات للاحتفال بعيـد الفطـر فتبتدىء فى منتصف شهر رمضان المبارك ٠ وقبل ايام حلول يوم العيد يهرع الناس الى الاسواق لابتيـاع الملابس الجديدة واللوازم المنزلية ، ويدب فى كل بيت من بيوت المسلمين نشاط وفرح ابتهاجا بقدوم هذا اليوم السعيد ، ويلعب الاطفال بالمفرقعـات وادوات اللعب العديدة ، وتضاء الجوامع بالانوار الساطعة ٠ ويبدأ تبادل التهانى بين الصغار والكبار ، والكلمة المرددة فى كل مكان « عيد مبارك » ويتبادل فيه المسلمون فيمـا بينهم وبين اخوانهم المواطنين من الطوائف الاخـرى ، التهانى والزيارات ، وتقـام الحفلات والولائم ٠ ومن الصباح الباكر يتوافد المسلمون مهللين ومكبرين ، فى الميادين العامة المخصصة لصلاة العيد التى تسـمى فى الهند « عيد كاه » او فى المساجد ٠ ويعمد المسلمون الى التوسع والتكريم فى الانفاق على الاهل والاقرباء ٠ كما يحرصون على اداء زكاة الفطر وتوزيعها قبل اداء صلاة العيد اتباعا بالسنة المحمدية ٠

عيد الاضحى

هو العيد الاسلامى الثانى الذى يقام رسميا فى كل الهند مع الابتهاج الكبير ٠ ويعرف هذا العيد فى الهند عموما بعيد القربان او « عيد البقر » نظرا لما يقام فيه من ذبح القرابين ، واما مظاهر الاحتفالات به فـلا تختلف عن احتفالات عيد الفطر ٠ ولكن الحفلات العامة والاجتماعية تقام فيه عادة فى المساء لان المسلمين يكونون مشغولين من الصباح الباكر فى أداء صلاة العيد وشعائر تقـديم القرابين ٠ ويستمر ذبح القرابين لمدة ثلاثة ايام بعد يوم العيد ، اى العاشر من شهر ذى الحجة ، اى الايام الثلاثة المعروفة بايام التشريق فى العرف الاسلامى ٠ ويظهـر المسلمون فى كل مكان بمظاهر البهجة والعزة فـرحين مستبشرين بنعماء الله تعالى التى منحها لهم فى هـذه المناسبة السعيدة ٠ ومن مظاهر الاحتفال بالعيدين فى الهند ان يكون من عوامل توثيق العـلاقات بين الافراد والجماعات فى الامة المسلمة ٠

فى ماليزيا

* ابتداء من يوم ٢٧ رمضان يبدا الشعب المسلم فى الاحتفال بالعيد والاستعداد له ٠٠ فتقـام الانوار على المنازل جميعها وتظل هذه الانوار مضاءة حتى نهـاية العيد ٠

* بعد صلاة العيد ٠٠ يتجمع الناس عند احد المشايخ لتقديم الزكاة ثم تتبادل الزيارات بين الاهل والاصدقاء

* وهناك طعام معين يعمل مخصوص فى العيد واسمه « كتوبيت » وهو عبارة عن كارى وفول سودانى وتمر هندى وزيت وشطة وسكر وهو الطبق الرسمى الخاص بالعيد هناك ٠

ومعه طبق اخر اسمه « سانير » وهو مكون من لحوم وسكر وهو مثل الكباب المصرى ٠٠

* تشترك النساء مع الرجال فى صلاة العيـد فى المساجد ٠

* يحتفل شباب النوادى بالعيد باقامة المهرجانات الرسمية ٠

فابتداء من منتصف شهر رمضان يبدا الاسـتعداد للمسابقات الرياضية ويتفق اعضاء النادى على اقـامة المهرجان ٠ ويستعدوا لكل مايلزمه وهذا المهـرجان يبدأ ثالث يوم العيد وتقام مسابقات رياضية وتـوزع الجوائز على الفائزين ٠٠

وتلقى الخطب والشعر تمجيدا للاسلام ٠

وهذه المهرجانات الرياضية تقام مخصوصا للعيـد ـ وتستمر اياما ابتداء من ثالث يوم العيد

فى اليمن

اما كيف يحتفل اليمنيون بالعيد ؟

فهم يعودون من منازلهم بعد تادية الصلاة ٠٠ ويبداون فى التزاور بعد ان يلبسون الحلل القشيبة ٠٠ وهـم يستعدون لهذا العيد من قبله بايام لعمل الحـلوى والكعك وشراء الملابس الجديدة ٠ ٠

وفى العيد يتعطر الناس باجمل العطور ٠٠ وتمتلىء البيوت برائحة العطور ٠٠ وماء الورود ٠

وتقام مهرجانات شعبية وحكومية

ففى الميادين يرقص الناس رقصة يسمونها « برع » وهى الرقص بالسلاح الابيض

اما المهرجانات التى تقيمها الحكومة فيقام السرادق الذى يقوم الخطباء بالقاء الخطب والشعراء فى تمجيد الاسلام والمسلمين وحثهم على الوحدة بين صفوفهم

وكذلك الاحتفال بالعيد فى ليبيا فهو لايختلف عنه احتفالنا به فى الجمهورية العربية المتحدة واهم مظهـر لهذه الاحتفالات هو اعداد الملابس الجديدة ٠٠ وعمل الكعك والبسكويت ويذهبون الى الجوامع فى صبيحة ايام الاعياد ليؤدوا صلاة العيد ثم يتزاورون ويصلون الرحم ويهنئون بعضهم البعض ٠٠

وبعد لعلنى ايها الاخ الكريم قد نقلت اليك صورة صادقة لمظاهر الاعياد الاسلامية فى بعض البلاد الاسلامية

والى اللقاء وكل عام وانت بخير ٠

أم النبى

آمنة بنت وهب

اعداد عائشة حسنى

اذا نسى التاريخ أن يحدثنا عن كل شيء فانه لم ينس فضل هذه السيدة الجليلة ، مجد الأمومة وبطولة الأنوثة ، نجمة تلألأت بنورها شرف سمائه فكانت نجمة البركة والخير التى أخرجت لنا البطل فى كل صورة محمد بن عبد الله .

من هى :

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم الذى هو الجد الخامس للنبى صلى الله عليه وسلم .

أبوها وهب سيد بنى زهرة وجدها عبد مناف بن زهره الذى يقرن اسمه بابن عمه عبد مناف بن قصى ، فيقال (المنافان) تعظيما وتكريما .

وجدتها لأبيها (عاتكة بنت الأوقص بن مرة ..) وهى من اللاتى اعتز بهن الرسول فقال : ((أنا ابن العواتق من سليم))

كما أن نسبها من أمها لايقل اصالة عنه من أبيها .

فآمنة نشأت وترعرعت فى بيت عريق الأصل ووراثة مجيدة نقلتها لابنها فجعلته يعتز بنسبه ويقول فى حديث رواه بن عباس:

(لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا ، لاتتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما)

نشأت آمنة فى اسرة قرشية عرفت بصلة الود لبنى عبد مناف . فحدث أن جزأت قريش الكعبة ، وكان شق الباب لبنى عبد مناف ، وزهرة وبذلك كانت الاسرتان متجاورتين لا تنفصلان . وصلتها الأحداث التى شهدتها مكة قبيل الاسلام وتحالفها مع هاشم وبنيه

نذر وفداء :

قال ابن سعد فى طبقاته ، ان عبد المطلب بن هاشم لما رأى قلة أعوانه فى حفر زمزم نذر لئن

اكمل الله له عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم فلما تكاملوا عشرة جمعهم ، ثم اخبرهم بنذره ، ودعاهم الى الوفاء لله (به) فما اختلف عليه منهم أحد ، وقالوا : أوف بنذرك وافعل ماشئت فقال : ليكتب كل رجل منكم اسمه فى قدحه ففعلوا ، فدخل عبد المطلب فى جوف الكعبة وقال للسادن (خادم بيت الأصنام) اضرب بقداحهم فضرب ، فخرج قدح عبدالله أولهما ، وكان عبد المطلب يحبه فأخذ بيده يقوده الى المذبح ومعه المدية ، فبكى بنات عبد المطلب وكن قياما ، وقالت احداهن لأبيها : أعذر فيه بأن تضرب فى ابلك السوائم التى فى الحرم ، فقال للسادن : اضرب عليه بالقداح ، وعلى عشرة من الأبل ، وكانت الدية يومئذ عشرة من الأبل ، فضرب فخرج القدح على عبد الله ، فجعل يزيد عشرا عشرا ، كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى كملت مائة فضرب بالقداح فخرج على الابل فكبر عبد المطلب والناس معه ، واحتمل بنات عبدالمطلب اخاهن عبد الله ، وقدم عبد المطلب الأبل فنحرها بين الصفا والمروة ، وخلى بينها وبين كل من وردها من انس أو سبع أو طائر ، لم يذب عنها احدا ، ولم يأكل منها هو ولا احد من ولده شيئا • وجرت فى قريش والعرب مائة ،وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

زواج آمنة من عبد الله :

كانت آمنة فى رعاية عمها وهيب بن عبد مناف كما كانت أفضل فتاة فى قريش نسبا وموضعا • وحينما فدى عبد المطلب ابنه عبدالله أخذه بيده وخرج به الى وهيب بن عبد مناف ، فخطب آمنة وخطب اليه عبد المطلب بن هاشم فى مجلسه ذلك ابنته هالة بنت وهب على نفسه فزوجه اياها فكان زواجهما فى مجلس واحد ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وكان حمزة عم رسول الله فى النسب وأخاه فى الرضاعة •

عن ابى يزيد المدنى انه قال : نبئت ان عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة من خثعم فرات بين عينيه نورا ساطعا الى السماء فقالت : هل لك فى ؟ قال : نعم حتى أرمى الجمرة فانطلق فرمى الجمرة ، ثم اتى امرأته آمنة بنت وهب ، ثم ذكر الخثعمية فأتاها فقالت : هل أتيت امرأة بعدى ؟ قال نعم، امرأتى آمنة بنت وهب ، قالت : فلا حاجة لى فيك ، انك مررت وبين عينيك نور ساطع الى السماء ، فلما وقعت عليها ذهب فاخبرها انها قد حملت بخير أهل الأرض •

استمرت الأفراح ثلاثة أيام بلياليها كان عبد الله اثناءها يقيم مع عروسه فى دار ابيها على عادة القوم حتى كان اليوم الرابع سبقها الى داره يستقبل المهنئين ثم ودعت أهلها وذهبت الى دارها حيث كان عبد الله فى استقبالها ومعه ضيوفها الأعزاء الذين صحبوها الى بيتها • وكان بيتهما مناسبا جدا اذا قيس ببيوت مكة • فعاشت فيه تشعر بالسعادة والراحة الا أنها لم تدم فحدث مالم يكن فى الحسبان •

كيف تلقت خبر وفاة عبد الله :

خرج عبد الله بن عبدالمطلب الى الشام قاصدا غزة فى عير من قريش يحملون التجارة ولم يمض على زواجه غير عشرة أيام • وبعد ان انتهوا من تجاراتهم وانصرفوا مروا بالمدينة وكان عبد الله يومئذ مريضا متخلفا عند اخواله بنى عدى بن النجار واقام عندهم مريضا شهرا ومضى اصحابه الى مكة

عاشت آمنة فى عزلة تامة بعد سفر زوجها ومكثت الأيام والليالى فى فراشها لا تبارحه ولم يمض أكثر من شهر حتى أنها شعرت بالبادرة الأولى للحمل •• وتهيأ لها لقاء زوجها فى شوق لتخبره بهذا النبأ السعيد •واستمرت قلقة مضطربة الى ان لاحت طلائع القافلة •• فذهبت جارتها أم ايمن منذ شاع قدوم القافلة لتكون لها أول المهنئين •

طال الانتظار بآمنة ولكنه لم يعد بل جاءها عبد المطلب فى صحبة أبيها ومن ورائهم أم أيمن تحاول أن تخفى دموعها وأخبرها أبوها بأن تلزم الشجاعة لان القافلة عادت من غير زوجها وأخبرهم رفاقه أن وعكة طارئة المت به وهو فى طريقه اليهم وعما قريب سيعود سالما اليهم والى مكة وقريش •

وانحلت عقدة ربطت لسان عبد المطلب فعقب قائلا : هو ذاك يا آمنة .. وعكة بسيطة ولا شيء اكثر •

وقال الرفاق : (خلفناه بيثرب عنداخواله

من بنى مخزوم ؟ فبعثت اليه أخاه الحارث كى يكون معه ويصحبه فى طريقه الينا فثوبى الى صبرك وادعى له .. رواه ابن اسحق .

وانصرفت آمنة الى الصلاة والدعاء واستمرت على حالتها تقاسى الألم والحزن فى انتظار عبدالله ورددت عبراتها فى لوعة :

عفا جانب البطحاء من زين هاشم
وجاور لحدا خارجا فى الغمـاغم
دعتـه المنـايا دعـوة فأجابهـا
وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم
عشيـة راحـو يحملون سريره
تعـاوره أصحـابه فى التزاحـم
فان تك غالته المنـون وريبهـا
فقد كان معطاء كثير التراحـم

بعث عبدالمطلب بابنه الحارث فوجد عبدالله قد توفى ودفن فى دار النابغة وهو رجل من بنى عدى بن النجار فرجع الى ابيه واخبره بما حدث . ولذلك توفى عبد الله وهو فى ريعان شبابه فى الثامنة عشرة من عمره .

قدوم محمد بن عبد الله :

استمرت آمنة فى احزانها حتى ادركهـا الاعياء فأغفت مجهدة والعيون تراقبها فى حنان وقلق وما لبثت أو افاقت من غفوتها وقالت لمن حولها .. كأنى عرفت سر الذى كان : ان عبد الله لم ينج من الذبح لمهمة عظمى ! لقد أمهله الله ريثما يود عنى هذا الجنين الذى احسست به اللحظة يتقلب فى احشائى والذى من أجله يجب أن أعيش ..

ومنذ تلك اللحظة ، أنزل الله عليها السكينة فطوت احزانها فى قلبها وبـدأت تفكـر فى طفلها الذى يجب ان تعيش من أجله .

وعن عمته قالت : كنا نسمع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت به آمنة بنت وهب كانت تقول : ماشعرت انى حملت به ، ولا وجدت له ثقلا كما تجـد النسـاء ، .. وأتانى آت ، وأنا بين النائم واليقظان فقال : هـل شعرت انك حملت ؟ فكأنى أقول ما ادرى ، فقال : انك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين ، قالت : فكان ذلك مما أكد عندى الحمل ، ثم امهلنى حتى اذا دنت ولادتى اتانى ذلك الآتى فقال قولى : (اعيذه بالواحد الصمد ، من شر كل حاسد) قالت : فكنت أقول ذلك .

فمجىء آت اليها يدل على ايمان آمنة ومنزلتها الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى فقد اصطفاها دون نساء العالمين لتكون أم محمد رسول الله .

وروى كذلك أنه من دلائل حمل آمنة برسول الله أن كل دابة فى قريش نطقت تلك الليلة وقالت : حمل بمحمد ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج أهلها ، ولم تبق كاهنة فى قريش ولا قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبها ، وانزع علم الكهنة منهم ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا .

وكان مولده عليه السلام عام الفيل بعد قدوم اصحاب الفيل بخمس وخمسين ليلة فى يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة ٥٧١ م اضاء له ما بين المشرق الى المغرب ، ثم وقـع

وقالت آمنة : لما فصل منى خرج منه نور على الأرض على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب قبضها ، ورفع رأسه الى السماء .

وفى رواية انه حينما ولدت آمنة رسول الله أرسلت الى جده وأخبره البشير بكل ما حدث لها وما أمرت أن تسميه ، قال : فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة ، وقام عندها يدعو الله ويشكر ما اعطاه .

قال الواقدى واخبرت أن عبد المطلب قال يومئذ :

الحمد لله الذى اعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذى الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من شر ذى شنان
من حاسد مضطرب العنان

اما أسماؤه صلى الله عليه وسلم منها ماجاء بنص القرآن ، ومنها مانقل الينا من الصحف المنزلة أو الأحاديث أو السنة الائمة رضوان الله عليهم .

ومن القابه فى القرآن : قوله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) ومنها

(يايها النبى انا ارسلناك شاهداومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)

ايقنت آمنة مند ولادة محمد ان رسالتها لم تنته بعد بل مهمتها أن ترعى ولدها حتى ينضج فتحدثه عن أبيه ثم تصحبه الى يثرب حيث قبر أبيه عبدالله • أخذت آمنة ترعى ابنها واستمرت فى رضاعته ثلاثة أيام حتى جف لبنها وكان ذلك لكثرة حزنها على عبد الله • وجاءت المراضع من جميع الجهات يعرضن خدماتهن على نساء الطبقة الموسرة من قريش ولكن حيما علموا بيتمه وفقره رفضوا جميعا • وكاد اليأس يدب فى قلب آمنة لولا أن احدى المرضعات عادت تطلب محمد بعد ان انصرفت من قبل وهى حليمة بنت أبى ذؤيب السعدى •

وهكذا نما محمد فى صميم البادية بين قبيلة بنى سعد وهى من أعرق واشرف قبائل العرب ، وبعد فطامه أرجعته حليمة الى أمه فى البلد الحرام ، حيث مجد آبائه العريق • عاد محمد بنوره على آمنة فازاح عنها الكآبة والحزن الذى كان يلازمها فى فراقه عنها •

وكان لعنايتها ورعايتها فى هذه الفترة الاثر الجليل على رسول الانسانية فيقول ابن اسحق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أمه آمنة بنت وهب فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتا حسنا .

وفى بوادر السادسة من عمر محمد وجدت آمنة ثمرة رعايتها فوجدت فيه الرجل الذى طالما تمنته ووعدت نفسها به وادركت ان الوقت قد حان لتحقق رغبتها فى أن تحدثه عن أبيه عبد الله كما وجدت الفرصة فى الذهاب الى يثرب لتزور قبر زوجها •

فاعدت عدتها وذهبت مع وحيدها وجاريتها بركه أم أيمن •• وتمت الرحلة فى أمان ولكن فى الرجوع حدث مالم يكن فى الحسبان فانتاب آمنة اعياء شديد واحست ان الساعة آتية لاريب فيها وان اجلها انتهى فعانقت محمدا بشدة ثم تراخت ذراعاها عنه فجأة وقالت :

كل حى ميت وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى • وأنا ميتة وذكرى باق ، فقد تركت خيرا وولدت طهرا ••)

نعم لقد تركت لنا اثرها الجليل وصفاتها الحميدة وسيرتها العطرة وشخصيتها القوية متمثلة فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم • وصدق قائل فيها :

تتباهى به العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء
فهنيئا به لآمنة الفضل
الذى شرفت به حواء

المرأة السعودية تؤدي فريضة وجودها في المجتمع

اعداد نجاة أحمد الزبيري

اخذت حكومة المملكة العربية السعودية على نفسها افساح المجال للفتاة السعودية لتتلقى من العلم ما يتلاءم ومركز البلد الدينى وتقاليده العربية الصميمة ..

واخذ عدد المدارس يزداد يوما بعد يوم ليستوعب العدد الكبير من الفتيات اللواتى انخرطن فى هذه المدارس ليكونوا نواة صالحة لمجتمع صالح تعمل من أجل المجموع وتقدمه وهنائه ..

ونظرة واحدة للجهود الكبيرة التى تبذل من جانب الدولة فى هذا السبيل تعطينا فكرة واضحة عن الجهد المبذول من أجل هذه الغاية ـ غاية طلب العلم من أجل العلم والحياة نفسها ـ وكان من آثار انطلاق الفتاة العربية السعودية لنهل العلم على أسس اسلامية هذا الجيش الجرار من الفتيات المتعلمات اللواتى يشاركن فى صنع جيل ويبعثن الرغبة فى بناء المجتمع بناء متماسكا قويا يحقق الاهداف السليمة للمجتمع الاسلامى ..

وظهرت أيضا الجمعيات النسائية التى بدأت تتكون فى كل منطقة من مناطق المملكة السعودية لتؤدى المرأة فريضة وجودها فى هذا المجتمع ولتقوم بواجب التوعية فى محيط المرأة خاصة أولئك اللواتي فاتهن ركب العلم .

وهذه هى قصة انطلاقة تعليم المرأة فى المملكة العربية السعودية ومجهودات الدولة فى هذا السبيل ..

***

عام ١٩٦٠ هو عام تعليم الفتاة رسميا :

تعليم الفتاة فى المملكة العربية السعودية لم يأخذ طابعه الرسمى الا فى عام ١٩٦٠ . عندما رصدت الدولة أول ميزانية رسمية لهذا التعليم وبدىء فى تنفيذ برامجه فى غرة ربيع الثانى ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠

وان كان هذا لا يعنى ان الفتاة فى السعودية كانت محرومة من التعليم حرمانا تاما ، وانما يعنى أن التنظيم الرسمى لهذا النوع من التعليم قد بدىء تنفيذه فى العام المذكور . وكان تعليم الفتاة السعودية فى الأعوام السابقة يأخذ طابعا خاصا ويتصل الى حد كبير برغبة الآباء وتوجيههم الخاص .

واعتبر عام ١٩٦٠ عام خير بالنسبة للفتاة السعودية ففيه ظهر التخطيط الرسمى لسياسة تعليم الفتاة بعد أن ضمن هذا التخطيط اشراف الرئاسة العامة لتعليم البنات على جميع المدارس النسوية الأهلية .

وقد عمدت الدولة الى اختيار العدد الكافى من المدرسات ذوات المؤهل العالى والاخلاق الحميدة . وأخذت فى تامين ما يلزم لهذه المدارس كما أنها أيضا أخذت بعين الاعتبار

ما يتطلبه المجتمع المسلم المحافظ فخصصت للمدارس السيارات لنقل الطالبات من بيوتهن وضاعفت الاحتياجات التى تكفل استمرار ذلك .

وكان من نتائج ذلك افتتاح سبع مدارس ابتدائية وثلاثة معاهد لأعداد المعلمات ..

وسارت الدراسة كأحسن ما تكون انتظاما وانتاجا وازدحمت المدارس بالطالبات وتزايد الضغط على المدارس بصورة منتظمة النظير فعمدت الدولة الى افتتاح سبع مدارس اخرى فى المناطق المهمة حتى بلغ عدد المدارس التى فتحت خلال عام ١٩٦٠ خمس عشرة مدرسة منها ثلاثة معاهد لاعداد المعلمات عدا المدارس الأهلية المنتظمة البالغ عددها تسعا وثلاثين مدرسة خاضعة للاشراف الحكومى .. وبلغ عدد الطالبات المنتظمات فى المدارس الحكومية ٥٢٠٤ طالبات .

وفى ميزانية عام ١٩٦٠-١٩٦١ ارتفع نصيب مدارس تعليم الفتاة الى ٤٫٤٠٠٫٠٠٠ ريال قدمت منها الدولة مبلغا قدره ٩١٠٫٠٠٠ ريال اعانة للمدارس الأهلية .

ثم ازداد رقم الميزانية ارتفاعا فى عام ١٩٦١-١٩٦٢ فبلغت ميزانية تعليم الفتاة مبلغا قدره ٧٫١٦٤٫٤٠٠ ريال بينما ظلت المعونة التشجيعية التى تقدمها الدولة للمدارس الأهلية عند الرقم السابق الذى قدم لها فى عام ١٩٦٠ - ١٩٦١ وكان هذا التشجيع من جانب الدولة للمدارس الأهلية يعنى رغبتها فى نشر الثقافة وتعميم العلم ودفع عجلة النهضة العلمية الى الأمام .

وقد تم فى عام ١٩٦١ - ١٩٦٢ افتتاح ست عشرة مدرسة ابتدائية جديدة وثلاثة معاهد لاعداد المعلمات زيادة على ما سبق افتتاحه فى العام الأول وبلغ عدد الطالبات المنتظمات فى المدارس ١١٫٩٤٤ طالبة .

واخذ التعليم النسوى فى العربية السعودية طريقته الجادة فى اعداد الفتاة العربية السعودية اعدادا يتفق والبيئة الاجتماعية وتربية النشء تربية اسلامية مع الأخذ بنصيب وافر من متطلبات العصر الحديث وضروريات الحياة . فجمعت مدارس الفتاة الى جانب التعليم المدرسى تعليما آخر فقررت تعليم الفتاة التدبير المنزلى واشغال الابرة والخياطة والتفصيل والطهو وما الى ذلك مما يتصل بطبيعة الفتاة ..

التعليم المهنى :

كان من أهم الدوافع التى دفعت بتعليم الفتاة الى الظهور رغبة القائمين على هذا العمل فى الاستفادة من جهود الفتاة فى حقول التربية والتعليم من جهة وفى الحقول الاخرى التى يجب أن تشارك فيها الفتاة كالتمريض والخدمة الاجتماعية .. وغير ذلك .. فاتفقت رئاسة تعليم البنات مع وزارة الصحة على افتتاح مدارس للتمريض .. وانتظمت الدراسة فى هذه المدارس انتظاما بشر بالمستقبل الباهر للفتاة السعودية .

كما تخرجت فتيات التحقن بالعمل فى ادارة الشئون الاجتماعية ورعايتها فى وزارة العمل والعمال والشئون الاجتماعية وقد اثبتن انهن على درجة كافية من النضج والادراك والفهم لمتطلبات العمل الاجتماعى ..

المعارض النسوية :

لما كانت الرئاسة العامة لمدارس البنات قد قررت تدريس العلوم المتصلة اتصالا مباشرا بعالم المراة كالتدبير المنزلى وفنون التطريز والخياطة واشغال الابرة فقد أعطى التوسع فى هذه الدراسة فرصة كبيرة لافتتاح المعارض التى اخذت طابع الاستحسان من جميع الأمهات اللواتى كن يقمن بزيارة المعارض - واختارت مدارس البنات فرصة العطل الرسمية لعرض منتوجات الطالبات التى اثبتت انها على مستوى كبير من حسن الاداء والعمل .

كما كانت هذه المعارض فرصة طيبة لتلاقى الافكار بالنسبة لأمهات الآن وأمهات المستقبل ونظرت الرياسة بعين الاعتبار الى هذه المعارض فاعطتها جميع التسهيلات التى مكنتها من البروز وبرعت الفتاة السعودية الى جانب هذا فى الرسم بجميع انواعه وبرزت مواهب الصغيرات فى النشاط المسرحى الذى أعطى صورة جديدة للمجتمع السعودى الواعى المتفتح ، وقد دلت جميع التقارير التى قدمت عن هذه المعارض

على لبوغ الفتاة السعودية واستعدادها الفطرى .

التعليم العالى :

بدات الفتاة السعودية تفكر فى التعليم منذ عام ١٩٥٧ ، فانشئت مدرستان أهليتان واحدة فى جدة باسم « مدرسة الحنان » والثانية فى الرياض اسمها « مدرسة المبرة » .

وفى أول الأمر كان التعليم يجري سرا تحت ستار تربية اليتامى ورعايتهم .. ثم اعترفت الدولة رسميا بتعليم الفتاة وعرفت الفتاة السعودية طريقها لتعوض ما فاتها وبذلت جهودا جبارة لتثبت كيانها بعد أن أصبح العلم سلاحها وحياتها .

فالتحقت بجامعات الخارج فى القاهرة وبيروت وغيرها .. على نفقتهن الخاصة .. ووصلت كثيرات الى مرحلة هامة من التعليم وتخرجن من أكثر من جامعة .. وفى مستشفيات السعودية الآن تعمل أكثر من طبيبة سعودية .. هذا غير عشرات المدرسات والمفتشات بوزارة المعارف وعشرات الأخصائيات بوزارة الشئون الاجتماعية وأكثر من مذيعة فى اذاعة السعودية واكثر من صحفية .. وغيرها من الوظائف الحكومية ..

ويصل عدد الجامعيات الآن حوالى ٣٠٠ طالبة يدرسن الصيدلة والهندسة وغيرها ..

الجمعيات النسائية :

الجمعيات النسائية فى السعودية تهدف الى رفع مستوى المراة دينيا واجتماعيا وثقافيا وذلك بتنظيم الدراسات الثقافية على مختلف المستويات ونشر الوعى الدينى فى محيط الأسرة وتنظيم النشاط الخيرى والاجتماعى ورفع مستوى المراة من كل الوجوه لتصبح المواطنة الصالحة والزوجة والأم التى تدرك رسالتها فى المجتمع السعودى لمواجهة أعباء الحياة وانشاء مراكز الخدمة الاجتماعية والضمان الاجتماعى .

ففى الرياض : تاسس « نادى فتيات الجزيرة الثقافى » وتشرف عليه « الملكة عفت الفيصل » والكاتبة « سميرة محمد خاشقجى » وسيدات الوزراء والموظفات .. ويستمع عضوات النادى الى المحاضرات الثقافية ويتعلمن اللغات الاجنبية .. ويعلمن النساء البدويات مبادىء القراءة والكتابة وفن التطريز وكيفية رعاية أطفالهن . وهذا النادى خاص بالمراة .

أما فى جدة .. فقد بدات تظهر الى الوجود فكرة « الأميرة حصة بنت سعود » بانشاء ناد رياضى ثقافى خاص بالمراة وستكون به مكتبة ضخمة وجميع أنواع الرياضة ..

أهم التقاليد الأسرية :

هذا وما زالت الفتاة السعودية تختفى وراء الحجاب .. فهى لا تدخل المدرسة الا بالعباءة التقليدية وغطاء الرأس تحملها سيارة المدرسة ذهابا وايابا مهما كان عمرها ..

والبيت السعودى له بابان — باب للحريم وآخر للرجال .. وتوجد حجرة ضيوف خاصة بالحريم حيث تستقبل الزوجة ضيفاتها مرتدية ثيابا طويلة تغطيها حتى الأرض ورائحة البخور تملأ الحجرة .. ثم تأتى سيدة وتقدم القهوة العربية المرة وهى ماء مغلى بالحبهان — ثم تقدم الشاى فى فناجين صغيرة — ثم تمر السيدة عليهن بمبخرة تنبعث منها رائحة البخور والمسك .

و « الكبشة » أهم طبق سعودى وهو لحم الخراف المحمر وحوله الارز ..

وبعد .. ان خروج المراة السعودية الى ميدان العلم والعمل هو بداية قوية لا بد ان تتلوها خطوات جبارة فى طريق تحريرها من ربقة الانزواء الذى ابعدها عن ميدان الكفاح الواجب على كل عربية مسلمة تؤمن بعروبتها وتعمل مخلصة على السير فى ركب دينها .

ولقد تحققت الغاية التى أرادها المجتمع العربى السعودى من فتح المجال للفتاة العربية السعودية لتأخذ بيد أختها الى الحياة العربية التى تريدها لها فى ظل التعاليم الاسلامية الخالدة .

والمستقبل بالنسبة لفتاة السعودية اليوم مستقبل ميسور .. فقد وضعت الأسس العملية للبيت السعيد فى ظل المجتمع المسلم الناهض .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

الدار المصرية للتأليف والترجمة

تقدم السلاسل الآتية خلال شهر فبراير ١٩٦٥

المكتبة الثقافية

تطلب من الباعة ومن دار القلم
١٩ شارع ٢٦ يوليو
القاهرة
ت ٣٢٠٥٥ / ٧٧٧٤١

الحلى
فى التاريخ والفن
للدكتور
عبد الرحمن زكى
الثمن قرشان

أعلام العرب

تطلب من مكتبة مصر ٣ شارع
كامل صدقى
بالفجالة

أبو العلاء المعرى
للدكتورة
بنت الشاطئ
تصدر فى ٧ فبراير
الثمن ٥ قروش

تطلب من مكتبة دار التأليف والترجمة
القومية سابقا ٥ ميدان عرابى ت ٤٦٣٨٣

تراث الإنسانية
المجلد الثالث
العدد ٢٠
يصدر فى ٥ فبراير
الثمن ٥ قروش

روائع المسرح العالمى

يطلب من مكتبة الخانجى شارع عبد العزيز

كلهم أولادى
تأليف
آرثر ميللر
ترجمة
حسن عبد المقصود
مراجعة وتقديم
الدكتور عبد الغنى عبد الله خلف الله
تصدر فى ١٠ فبراير الثمن ٥ قروش

أنت تسأل ... ؟

والمفتى يجيب ...

فضيلة الامام الأكبر الشيخ حسن مأمون

س ١ من السيد / سمير عبد العزيز الشامى ـ بمنوف

يقول السائل :

ان والدته أرضعت ابنةعمته معه ثم تزوج بالرغم من ميوله منها لعلمه أنها أخته دون أدنى شك وأن لها أختا تصغرها بفارق أخ رضعت من أمه مع أخيه الذى يصغره بفارق أخ ، وأن اخويه توفيا ثم أراد الزواج من بنت عمته الصغيرة التى رضعت على أخيه المتوفى من أمه بعد أن سأل والدته التى أخبرته أنها أرضعتها مرتين منفصلتين مشبعتين ويطلب معرفة رأى الشريعة هل يتزوجها لأنهاليست اخته أم لا يتزوجها لأنها أخته ؟

جـ ١ ـ ان زواجك أيها السائل من بنت عمتك الصغرى التى رضعت من والدتك مرتين غير جائز فى مذهب الامام أبى حنيفة المعمول به فى محاكم الأحوال الشخصية لأنها برضاعها من أمك تصير أختا رضاعا لأخيك وسائر أخواتك وأنت منهم ويمكنك أن تقلد مذهب الامام الشافعى والامام احمد فى احدى روايتين عنه اللذين يشترطان فى التحريم بالرضاع أن يكون التيقن من حصول خمس رضعات مشبعات . وانا أرتضى العمل بهذا المذهب وأفتى به ولا مانع من أن تقلد هذا المذهب وتتزوجها مع ملاحظة أنه يفهم من سؤالك انك تزوجت من أختها الكبرى ولا يجوز الجمع بين الأختين رضاعا كما لا يجوز الجمع بينهما نسبا ، وعليك أن تسلك أحد طريقين : أما الا تتزوج الصغرى وتبقى على زواجك من ابنة عمتك الكبرى متى تحققت من والدتك أنها لم ترضعها خمس رضعات مشبعات وهذا افضل فى نظرى ، واما أن تفارق ابنة عمتك الكبرى بالطلاق وبعد انقضاء عدتها يحل لك أن تتزوج أختها الصغرى . والله أعلم .

س ٢ ـ من السيد / على عبد الله زلط ـ العامل بمجلس مدينة أبو حمص

يقول السائل :

أنه كان يعيش مع خاله وزوجته فى سكن واحد وبسبب اختلاط السيدات مع بعضهن رضعت أنا من زوجة خالى مع بنتها الأولى ، وبعد أن أنجبت ثلاث بنات أريد الآن أن أتزوج من ابنتها الأخيرة التى هى الرابعةمع العلم باننا لم نعرف عدد الرضعات لأن أمه وأم البنت كانتا تعيشان مع بعضهما ؟

جـ ٢ ـ اذا تحققت من أنك لم ترضع من زوجة خالك خمس رضعات مشبعات جاز لك أن تتزوج بنت خالك الرابعة عملا بمذهب الشافعى والامام أحمد ، أما اذا كان العكس بان تيقنت انك رضعت خمس رضعات مشبعات فأكثر أو غلب على ظنك ذلك فانه يحرم عليك الزواج منها . ولا عبرة فى هذه الحالة بأنك رضعت من والدتها مع بنتها الأولى لأنك بهذا الرضاع تصير اخا للبنت الأولى ولجميع أخواتها من الرضاع ويحرم على الرجل أن يتزوج اخته رضاعا كما

يحرم عليه ان يتزوجها نسبا — وافضل عدم الزواج لأنه يفهم من عبارتك أن والدتك ووالدتها كانتا تعيشان معا وتتبادلان طبعا ارضاع أولادهما ، ويفهم من ذلك تبعا ان الرضاع كان أكثر من خمس رضعات مشبعات والله أعلم .

س — ٣ من السيد/مصطفى محمود الدعوشى — بالتربية والتعليم

يقول السائل :

رأيت مسيحيا يستأجر مقرئا للقرآن الكريم يرتل القرآن فى منزله ومحل عمله ورأيت مسيحيا آخر يخصص غرفة يصلى فيها الناس علما بأن هذين المسيحيين يشتغلان بالطب الشرعى — فهل هذا حلال أم حرام ، وما جزاء من يفعل ذلك من المسلمين ؟

ج ٣ — تلاوة القرآن فى أحد البيوت المسيحية فى المكان اللائق بتلاوة القرآن فيه ويستمع اليه من يحافظ على آداب سماع القرآن الكريم جائز ولا شىء فيه وكذلك الصلاة فى مكان طاهر من بيت أو عبادة أحد المسيحيين جائز ولا شىء فيه ، وقد جرى العمل على ذلك وقد أسلم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما دخل بيت أخته رضى الله عنها ورآها تتلو القرآن الكريم ، ولما سمع تلاوة بعض آيات الذكر الحكيم منها خشع قلبه ومالت نفسه الى اعتناق الاسلام، وتوجه الى الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته وأعلن اسلامه ، وكان عمر الفاروق من أجل الصحابة وكان اسلامه اعزازا للاسلام ايام الدعوة الأولى وله أكبر الأثر فى نشر الدعوة. ولعل من يفسح بيته من المسيحيين لتلاوة القرآن فيه لتدبر معانيه ينتهى به الأمر الى اعتناق الاسلام وادراك خير الدنيا والآخرة .

س ٤ — من السيد عبد الفتاح شهاب الدين — المدرس بمدرسة المنشاة الكبرى مركز قلين

يقول السائل :

ان أى فرد فى الريف عند الزواج يطلب منه أن يعمل تحويطة عند أحد الناس ويسمونه الشيخ وذلك حتى لا يقع فى أحبولة الرباط ، فهل هذا صحيح وما رأى الدين فى هذه المشكلة وهل الرباط حقيقة أم خرافة ؟

ج ٤ — الاسلام لا يعرف شيئا عن التحويطة التى يلجأ اليها بعض الدجالين ليحصلوا على نقود بعض الجهلة وضعاف النفوس . والضعيف فى المسائل الجنسية ان وجد مرض يداوى كسائر الأمراض عند الأطباء الاخصائيين فى هذا الموضوع ، وربما كان الضعف الجنسى نتيجة لخوف أوتفكير يؤثر فى حالته النفسية فيمنعه من اداء العملية الجنسية او يضعفه عن ادائها . وعلى السائل وامثاله أن يضم الى العلاج الطبى عدم التفكير فى هذه المسالة وان يقدم على اداء العملية الجنسية بشجاعة وبعد عن التفكير فى الضعف الجنسى والا يلجأ الى عمل تحويطة او الى ظن أن هناك رباطا يمنعه من أداء واجباته الزوجية ، فكل ذلك خرافة ينكرها الدين ولا يعترف بها .

س ٥ — من السائل السابق نفسه : يقول :

يسأل عن رأى الدين فى موضوع عدم الخلف وهل حقيقة أن بعض الدجالين يستطيعون أن ييسروا سبل الخلف كما يعتقد ضعاف النفوس ؟

ج ٥ — ان عدم الخلف او العقم مرض من الأمراض التى تصيب الرجل أو المرأة والاخصائيون فى هذه الأمراض ينبغى ان يلجأ اليهم من يصاب بعدم الخلف . وليجعل امامه ونصب عينيه اعتماده على الله والله سبحانه وتعالى هو الذى يرزقه الخلف أو يمنعه عنه . قال الله تعالى « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما » وبعد ذلك كله يكون الرضا التام منه بحظه ونصيبه فى الحياة ان رزقه بأولاد شكر الله وان لم يرزقه حمد الله ولم ييأس من رحمة الله . والله اعلم .

س ٦ — من السائل السابق نفسه ، يقول :

هل الجان أو العفريت يتقمص روح الانسان وجسده ويؤذيه ويؤثر فيه أو لا ؟

ج ٦ - اننى لا اعلم أثرا صحيحا يعتمد عليه فى اثبات ما يعتقده بعض الناس من ان الجان أو العفريت يتقمص روح الانسان او جسده ويؤثر فيه ، واغلب الظن ان ما يشاهده الناس وينسبونه الى الجان أو العفريت نوع من الصرع الذي يصاب به الانسان ويعالج عند الاخصائيين ويبرأ منه صاحبه ان كان المرض قابلا للشفاء وقد يستعصى فلا يبرأ منه فى بعض الحالات ، وعلى من أصيب بمثل هذا أن يتذكر قوله تعالى « قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس» وعليه ان يفوض امره الى الله تعالى ويعتقد ان الله قادر على ان يحفظه من شرور الانس والجان .

س ٧ - من السائل السابق نفسه يقول :

مرض والدى ولم يستطع الصيام مدة خمسة وعشرين يوما فى شهر رمضان. ويسال ما هى الكفارة المطلوبة ؟ وهل يجوز اعطاؤها يوميا او مرة واحدة عن المدة كلها مع العلم بانه لا يستطيع أداء الصيام ؟

ج ٧ - ان من أفطر فى رمضان بسبب المرض وجب عليه القضاء بعد ان يتم شفاؤه من مرضه لقوله تعالى « فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر . واذا كان من أفطر فى رمضان شيخا فانيا أو مريضا مرضا لا يرجى برؤه منه ولا يستطيع فى الحالتين القضاء فان الواجب عليه فى هذه الحالة الفدية لقوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أى انه يطعم مسكينا عن كل يوم من الأيام التى افطرها فى رمضان واطعامه يشمل الوجبات المعتادة اى وجبة الغداء والعشاء فى غير رمضان من أوسط ما يطعم به نفسه واهله وفى رمضان وجبة الأفطار والسحور . ويجوز اعطاء الفقير بدلا من الاطعام عن كل يوم نصف صاع من بر او قيمته والصاع قدحان وثلث بالكيل المصرى وتقدر قيمته حاليا بنحو عشرين قرشا ، وهو مخير فى ان يدفعها مرة واحدة او عن كل يوم فديته .

س ٨ - من ح.ع.ب - من الغربية يقول السائل :

انه يحب فتاة حبا خالصا من النفاق والرياء ويقول أنه لا يحبها لجمالها ولا لأى شىء فيها ، ويعتبرها كأخته ولكن لا يشبع من النظر فى وجهها ، فما حكم هذا النظر فى رأى الشرع ؟..

ج ٨ - ان النظر الذى يسأل عنه السائل غير جائز شرعا لأن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين أن يغضوا من ابصارهم وامر المؤمنات أن يغضضن من أبصارهن حتى لا يكون النظر سبيلا الى ما حرمه الله شرعا ، قال تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » ، « وقل للمؤمنات يغضضن أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » وأيضا فان تكرار النظر الى وجه الفتاة ولو كان لغرض برىء يخدش حياء هذه الفتاة ويعرضها للفتنة . فدرءا للمفاسد وسدا للذرائع يجب على المؤمن أن يتمثل أمر الله وأن يغض بصره عن الفتاة التى يقع نظره عليها - اللهم الا اذا وجبت ضرورة تقتضى النظر كعلاج بعض الأمراض او تبادل المعاملات من بيع أو شراء الخ . فاذ ذاك يجوز النظر بالقدر الذى تقتضيه الضرورة . والله أعلم .

س ٩ - من السيد/ عبد القادر عمر محمد - طالب بقسم البعوث بالجامع الأزهر يقول السائل :

يسال هل يزكى عن الفول السودانى ؟

ج ٩ - الزكاة ركن من اركان الاسلام الخمسة وتجب على من توفرت فيه شروطها وفرضت فى السنة الثانية من الهجرة - وثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى : « وآتوا الزكاة » وقال تعالى : « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس .. وذكر منها ايتاء الزكاة .

واجمعت الأمة على فرضيتها حتى صار ذلك معلوما من الدين بالضرورة .

والزكاة انواع منها زكاة الزرع والثمار - وقد ثبتت فرضيتها بالدليل العام الموجب للزكاة الذى تقدم ذكره كما ثبتت فرضيتها بقوله تعالى « وآتوا حقه يوم حصاده » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « ما سقت السماء ففيه العشر وما سقى بقرب أودالية (اى دولاب) ففيه نصف العشر » ويشترط الحنفية فى غير زكاة الزرع والثمار العقل والبلوغ ، فلا تجب الزكاة فى مال الصبى والمجنون ولكن هذين الشرطين غير مقيدين فى زكاة الزرع والثمار فتجب فى مال الصبى والمجنون، ويشترط لزكاتهما ان يكون الخارج مما يقصد به استغلال الأرض وثمارها فلا تجب فى الحطب والحشيش والقصب النارى (الغاب) والسعف ولو قطعها وباعها واستفاد منها وجبت فيها الزكاة متى بلغت نصابا . وحكمها وجوب « الخراج » عشر الزرع أو الثمار اذا كانت خارجة من أرض تسقى بالمطر أو السيح أى الماء الذى يسيح من المصارف وغيرها » ونصف العشر اذا كانت خارجة من أرض تسقى بالآلات وبالدولاب ونحوهما - ويخرج زكاة كل ما تخرجه الأرض من الحنطة والشعير والدخن والأرز وأصناف الحبوب والبقول والخضروات والفاكهة . الخ ويدخل فى ذلك بطبيعة الحال الفول السودانى الذى تخرجه الأرض فهو كغيره من الحبوب فى وجوب الزكاة فيه - وليس للامام مالك فيما نعلم خلاف فى هذه الأحكام .

غير أن زكاة « الحرث والثمار » عنده يتعلق بها الوجوب من وقت الطيب وهو بلوغ الزرع حد الأكل منه كما أن نصاب الحرث عنده خمسة أوثق ، لقوله صلى الله عليه وسلم « ليس فى حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوثق) وقدر النبى صلى الله عليه وسلم الوثق بستين صاعا بصاع المدينة فى عهده والصاع خمسة أرطال وثلث بالرطل العراقى وبالكيل أربعة أمداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم والمد ثلث قدح بالقدح المصرى فيكون الصاع قدحان وثلث - وقدر النصاب بالكيل المصرى بأربعة ارادب وكيلتين .

والواجب اخراجه عند المالكية نصف العشر من الحب أو التمر متى بلغ الحب نصابا اذا سقى بالالات فان سقى بالمطر او السيح ففيه العشر .

وهذا كله بالنسبة لمن يزرع الأرض ويخرج منها زرع أو ثمار أما من لا يزرع الأرض ويملك حبا كالفول السودانى مثلا أو الحنطة ويتاجر فيه فان الزكاة تجب فيه على اعتباره من عروض التجارة والواجب حينذاك اخراج ربع العشر .

وعروض التجارة ما ليس « ذهب أو فضة » وتجب فيها الزكاة ومقدارها ربع العشر بشروط نصتها المذاهب متى بلغت نصاب الزكاة وحال عليها الحول الى آخر الشروط التى بينتها كتب الفقه ولا داعى لتفصيلها هنا .

س ١٠ - من السائل السابق نفسه :

اذا كان الزوجان شريكين فى مال أوحيوان أو تجارة أو زراء، فهل يعتبر مالهما واحدا فيزكى عنه زكاة واحدة أم أن كلا منهما يزكى عن نصيبه ؟

ج ١٠ - الأصل أن من ملك ملكا خاصا به وبلغ نصابا وحال عليه الحول وجب عليه فى نهاية الحول اخراج زكاته - واشترط الفقهاء فى ذلك شروطا بينوها فى كتبهم .

وعلى هذا فالزوجان الشريكان فى مال أو حيوان أو تجارة أو زراعة يزكى كل منهما عن عن ماله وحده ولا يعتبر مالهما مالا واحدا فى وجوب الزكاة عليهما متى كان لكل منهما نصيب معين فيه . والله أعلم .

س ١١ - من السائل السابق نفسه :

يقول السائل فى بلادنا حيوان متوحش يسمى « الحلوف » اختلف الناس فى جواز أكله ويرجو بيان الحكم الشرعى فى ذلك ؟

ج ١١ - المعروف أن الحلوف هو الخنزير - والخنزير محرم بنص القرآن الكريم . قال تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » واجمعت الأمة على تحريمه وأصبح تحريمه مما علم من الدين بالضرورة . والله أعلم .

نادية ادوار مسيحة التى أصبحت نادية محمد فهمى

ان النور لاينكره ذو عينين وأن الحق لاينكره ذو عقل .. ومن ينكر الضوء وهو يرى والحق وهو يعقل فهو انسان مكابر جانبه الصواب بعير من غير بعيرة محروم من نعمة التفكير السليم تائه فى ظلمات ضل سعيه وحبط عمله .

والسماء قد عودت البشرية أن تأخذ بيدها كلما ضلت وتنير لها الطريق كلما تشعبت بها السبل .

فاضاءت السماء المشعل يتلو المشعل .. ولكن البشرية تركت النور وحرفت الكلم عن مواضعه واتخذوا أولياءهم آلهة يحبونهم لحب الله ويتخذون من تمائمهم زلفى وقربى .

فجمع الله المشاعل فى مشعل واحد متوهج يعشو اليه من طلب الهداية ويأنس اليه من خاف الظلمة والوحشة أما الخفافيش التى تهرب من الظلام فمتى كان النور لها هدى والحق لها مسعى ؟؟ فكان جزاءوها ظلمات البطالة تودى بها الى قاع اليأس والحرمان .

ولكن الزمن أثبت أن مشعل الاسلام لا يخبو ضوءه يقتبس منه من أراد الهدى ويسير على ضوئه من أراد الله له الهداية وشرح صدره للايمان وهم بحمد الله كثير جد كثير فى عدد منقطع المثل والنظير .. !!

ومن هؤلاء ضيفة هذا العدد الأخت نادية محمد فهمى التى كانت تدعى نادية ادوارد فيما مضى .. وقد آن لنا أن نترك الأخت نادية تتحدث وتحكى قصتها القصة التى تتكرر فى اليوم مرات ومرات فتقول لك .

عزيزى القارىء :

ان اسلامى يرجع الى سنوات مضت منذ عام ١٩٥٥ حين كنت طالبة فى المدرسة الاعدادية .. وكانت لى صديقة حميمة مسلمة من بيئة متدينة .. ورغم ماكان يفرق بيننا من اختلاف الأديان الا أننا مخلصتان فى صداقتنا .. تأتى كل يوم وشعرها مبتل فالح على سؤال فى خاطرى عن هذه الظاهرة الغريبة .. وفى يوم تجرأت عليها بالسؤال فقالت :

اننى أتوضأ لصلاة الصبح قبل أن أحضر للمدرسة وجدير بكل مسلم أن يقف بين يدى الله وهو طاهر عسى الله أن يقبله .. أفى ذلك شك ؟؟ !!!

وكم حاولت بينى وبين نفسى أن أضمها للمسيحية وأجعلها تترك الاسلام لاعتقادى أنها على باطل !!

وحين فاتحتها قارعتنى بحجج ناصعة من القرآن والسنة .. !!

منذ ذلك الحين اقتنعت بان الاسلام دين الحق . واننى على باطل وتزعزع الايمان بالنسبة لدينى القديم .. ولكن هل هذا يكفى ؟؟

أصررت على البحث عن الحقيقة مهما كلفنى .. وكتمت ذلك عن أهلى وصحبى مخافة الضرر ... كنت أذهب معهم الى الكنيسة من غير اقتناع .

وأتاحت لى الظروف الحسنة الانتظام فى كلية الحقوق فدرست الشريعة الاسلامية وعكفت على قراءة القرآن والسنة والبحوث الاسلامية فوجدت عجبا !! مبادىء واضحة وحجج بالغة .

فاعلنت اسلامى ... !!

ولك ياعزيزى القارىء أن تسألنى ماذا وجدت ؟؟

لم أجد فى الاسلام ألغازا يفسرها أهل الكهنوت فقط .

اذا اقترف المسلم خطيئة ماذا عليه أن يفعل ؟؟ هل يجلس على كرسى الاعتراف . ويكشف ستر الله عنه ؟؟!!

لا ليس فى الاسلام واسطة بين الله وعباده من حزن بث حزنه وشكواه لله ومن أخطأ فتوبته الى الله .. فاله الاسلام قريب مجيب غفور رحيم .

وهو أقرب اليك من حبل الوريد ..!

وجدت الله فى الاسلام الها منزها عن المثل والشبيه ليس له والد ولا ولد فرد صمد ليس له كفوا أحد .

وجدت فى الاسلام الوضوح والسهولة .. جوابا لكل سؤال .

لذلك وجدت نفسى شغوفة بالاسلام محبة لتعاليمه .. واعتنقت الاسلام دينا موحدة بالله لاشريك له رضيت به ربا وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .. والسلام على من اتبع الهدى ..

شركة مصر لتجارة السيارات

اجدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتجارة

١٢ شارع عبد الخالق ثروت .. القاهرة

تعتبر أولى شركات القطاع العام المصرح لها بالاستيراد والوكيلة عن الشركات العالمية الآتية :-

توكيلات عالمية

مصانع سيارات فولكس واجن — مصانع أوناش بيل

مصانع سيارات مرسيدس — مصانع موتورات كمنز

مصانع سيارات فولفو — مصانع موجهارت بالمجر

مصانع س.أ.ف ولوكاس — مصانع موتوكوف بتشيكوسلوفاكيا

مصانع جرارات دافيد براون

محطات الخدمة :

- ورشة مرسيدس
  ١٠ شارع الجلاء ت ٧٣١٣٢ - ٢١ - ٧٣٠ بالقاهرة
- محطة خدمة سيارات نصر بالقاهرة
  ١٢ شارع عبد الخالق ثروت - ت ٤٩٧١٠

ورش فولكس فاجن

٥ شارع النيل بإمبابة ت ٨٠٠٦٨٢ - ٨٠٩٨٤٩ - ٨

٤ شارع الادريسي بمنشية البكري بمصر الجديدة تليفون ٦٠٤٠٦

٣ شارع رياض بالأزاريطة بالإسكندرية تليفون ٢٥٨٩٦

MERCEDES - BENZ

مع القراء

اعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

اليوم يودع المسلمون شهر رمضان المعظم، ويستقبلون بحمد الله ونعمته يوما جعله الله عيدا لهم ، فيه يتبادلون التهانى أن أعادهم الى حريتهم التى تمكنهم من حقهم البشرى وما اتيح لهم بمقتضى انسانيتهم ، وفيه يتعاطفون ويتراحمون ، وفيه يشكر الله على نعمته وتوفيقه وهدايته ان أفهمهم معنى الحرية والعبودية ٠٠ حرية لله لا للشهوة والهوى ، وعبودية لله لا للظلم والطغيان ، وبذلك تكون عزتهم من عزة الله وسلطانهم من سلطانه ٠٠ ومع عيد الفطر المبارك يطيب لنا ان نهنىء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ٠٠ سائلين الله أن يعيد عليهم أمثاله وقد حققوا عمليا المفهوم الاسلامى للحرية الانسانية ٠

القرآن الكريم ٠٠ والعلم الحديث

السيد / فوزى مصطفى نطط - طالب - غزة فلسطين ٠

يتساءل فى رسالته عن مدى صحة النظرية العلمية الحديثة القائلة بثبوت الشمس ودوران الأرض - فى ضوء النص القرآنى الكريم ؟

لقد بعثنا يا أخى - بسؤالك هذا الى **السيد الدكتور محمد جمال الدين الفندى ، وقد تفضل سيادته مشكورا بتبيان الحقيقة على النحو الآتى :**

ان العلم الحديث لايقول أن الشمس ثابتة ، فهى ولاشك تجرى ضمن مجموعات النجوم الأخرى التى فى مجرتنا ٠ ومجرتنا التى تعتبر من وحدات الكون العظمى هى كقرص يدور حول نفسه فى الفراغ ، ولكن لعظم حجمه لم يتم أكثر من ٢٠ دورة حول نفسه منذ ظهور أقدم النجوم فيه ، أى من نحو ما يقرب من خمسة آلاف مليون سنة ، رغم السرعة الفائقة التى تتحرك بها حافة القرص والتى تبلغ زهاء مليون ميل فى الساعة الواحدة ٠

هذه ناحية ، ومن ناحية أخرى اذا ماعتبرنا الأرض التى نعيش عليها هى مركز الرصد فان الشمس تجرى ظاهريا بالنسبة اليها كما هو مشاهد ٠

وعلى ذلك فان العلم يتمشى مع نصوص القرآن الكريم ، ولم يقل أحد بثبوت الشمس ويقول القرآن الكريم : « **والشمس تجرى لمستقرلها ٠٠ » ويقول كذلك « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** » أى أن سائر اجرام السماء بما فيها الشمس والقمر والأرض كلها تسبح فى الفضاء حسب نظام معين لايختل ولا يتبدل ٠ وهذه الحقائق العلمية التى أجملها القرآن فى سلامة واعجاز قام العلم الحديث ببيان تفاصيلها فقال مثلا :

ان الارض تدور حول الشمس ، وان القمر يدور حول الارض ، وان الشمس هى مركز المجموعة الشمسية ، وتأخذ معها هذه المجموعة بأسرها وهى تسبح فى الفضاء داخل المجرة كما قدمنا ٠

ومن هنا يجب علينا نحن المسلمين ان نتدبر آيات الله اذ أمرنا بالنظر فى الكون فى غير آية **لنلمس عنايته ورعايته تعالى :**

« ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ٠٠ »

بريد التعارف

الاســم : أمين عبد المعبود محمد زغلول
البـلد : الجمهورية العربية المتحدة
الســن : ١٩ سنة
المهنـة : طالب بمعهد منوف الدينى
الهواية : الخطابة والمراسلة وجمع الصور
العنوان : أبو سنيطة مركز الباجور منوفية

الاسم : محمـد عفيفى رضوان السعداوى
البـلد : الجمهورية العربية المتحدة
الســن : ٣٦ سنة
المهنـة : رقيب سـائق بالقوات المسلحة
الهواية : القراءة التاريخية الحربية
العنوان : عزبة المناوفة ببيلا كفر الشيخ

الاســم : رضا أحمد عبدالله رضا
البـلد : البحرين
الســن : ١٧ سنة
المهنـة : طالب
الهواية : جمع الطوابـع والمناظر الطبيعية والمراسلة
العنوان : البحرين جـد حفص شارع البديع طرف الوالد أحمد عبد الله رضـا رقم ٢٠

الاســم : أبو هاشم محمود خليل ثروت
البـلد : الجمهورية العربية المتحدة
الســن : ٢١ سنة
المهنـة : نساج بالشركـة العامـة لمنتجات الجوت ببلبيس
الهواية : قراءة الـكتب الدينية والمراسلة
العنوان : أبو حماد شرقية ش أحمد عرابى

الاســم : اسامة محمـد ابراهيم خليل
البـلد الجمهورية العربية المتحدة
الســن : ١٩ سنة
المهنـة : طالب
الهواية : القراءة والاطلاع
العنوان : أجا شارع عبدالله

الاسم : ابراهيم على المصرى
البـلد : الجمهورية العربية المتحدة
الســن : ١٧ سنة
المهنـة : توزيع الصحف
الهواية : المراسلة والرياضة
العنوان : كفر الشيخ مكتب توزيع الصحف

الاســم : زكى عبد الوهاب صالح مصطفى

البـلد : الجمهورية العربية المتحدة

الســن : ١٩ سنة

المهنـة : مدرس بالمدارس الابتدائية

الهواية : قراءة الكتب الاسلامية . وفن الكتابة والرسم

العنوان : الميثار العدوة ـ المدرسة الابتدائية بنزلة رمضان

الاســم : سمير عبد الفتاح وهدان

البـلد : الجمهورية العربية المتحدة

الســن : ١٦ سنة

المهنـة : طالب بمدرسة الزقازيق الثانوية القسم الادبى

الهواية : قراءة الكتب الدينية وتاليف القصة ونظم الشعر والمراسلة

العنوان : البلاشون مركز بلبيس شرقية

الاســم : شودار حسين

البـلد الجزائر

الســن : ١٧ سنة

المهنـة : طالب

الهواية : جمع الطوابع

العنوان : ٢٠ ش فورسلى ـ قسنطينة الجزائر

الاســم : احمد قناوى حرب

البـلد : الجمهورية العربية المتحدة

الســن : ٢٧ سنة

المهنـة : طالب فى كلية اصول الدين شعبة التفسير

الهواية : قراءة الكتب ونظم الشعر والمراسلة

العنوان : كلية اصول الدين

الاســم بدوى احمد بدوى

البـلد : الجمهورية العربية المتحدة

الســن : ٢٣ سنة

المهنـة : موظف بحسابات شركة الحديد والصلب

الهواية : قراءة الكتب الدينية الادب الصحافة

العنوان : شركة الحديد والصلب باسوان

الاســم : معمد تو

البـلد : الجمهورية العربية الجزائرية

الســن : ١٩ سنة

المهنـة : معلم بالمدارس الابتدائية

الهواية : مكاتبة الاخوان العرب ، تبادل الصور والمناظر الطبيعية

العنوان : تو معمد شارع الصمام عمارة سيدى بلعباس ـ الجزائر

الاســم : عبد الفتاح جمال الدين عبد الفتاح

البـلد الجمهورية العربية المتحدة

الســن : ١٧ سنة

المهنـة : طالب بمدرسة الزراعة الثانوية بالاسكندرية

الهواية : كرة القدم ـ ومراسلة الشباب المسلم

العنوان : المدرسة الثانوية الزراعية سيدى بشر ـ الاسكندرية

الاســم : رعد حمدى شلال الاعظمى

البـلد : الجمهورية العراقية

الســن : ١٨ سنة

المهنـة : طالب

الهواية : جمع الطوابع والمراسلة

العنوان : الجمهورية العراقية ـ بغداد اعظمية رقم الدار ٤/٣٤

اقرأ فى هذا العدد :

صفحة

معالم الطريق ٣

زعماء العالم الاسلامى .. .. السيد الاستاذ حسين الشافعى ... ٨

تطور التنظيم الشعبى ... ... الاستاذ محمد بن احمد المطاع ١٤

العيد والعام الجديد ١٦

خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الامة ... ...

كلمة السيد الاستاذ محمد توفيق عويضة امين التنظيمات الطلابية بالاتحاد الاشتراكى العربى ...

علم عمر بن الخطاب .. .. فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ... ١٧

الحديث الثالث ... ... فضيلة الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٢١

الاسلام والقومية العربية .. .. الدكتور احمد الحوفى ٢٨

فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ... ٣١

من حضارة الاسلام ... ... الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل ... ٣٥

اعجاز القرآن فى أصول الاحكام ... ... الاستاذ محمود كمال ٤١

ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين .. ... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ... ٤٤

العيـــد ... ... الاستاذ حسن الشيخة ٤٨

الشريعة الاسلامية كمصدر أساسى للتقنين المستشار عبد الحليم الجندى ... ٤٩

مقارنة الاديان ... ... الدكتور احمد شلبى ٥٥

جامعات لها تاريخ ... ... الدكتور عبد الحليم منتصر ٥٧

فقهاء فى الدين ... ... الدكتور عبد اللطيف حمزة ٥٩

من المعانى الانسانية فى العيد ... ... الدكتور سعد الدين الجيزاوى ... ٦١

العقوبات جوابر ... ... الاستاذ محمد فاوى عسر ٦٣

موقف الاسلام من الوثيقة المقدمة ... ... الدكتور على عبد الواحد وافى .. ٦٥

الاسلام ودستور العلاقة بثروة الارض ... الاستاذ البهى الخولى ٦٨

فرحة العيـــد ... ... الاستاذ محمد محمد السباعى ٧٤

الاشتراكية العربية مادية وروحية ... ... الدكتور شحاتة السيد شحاتة ... ٧٦

الصراط المستقيم ... ... الاستاذ عبد الرحيم فودة ٧٩

دعوة الميثاق الوطنى من دعوة الاسلام ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ٨١

العيـد فى ليبيـا ... ... الاستاذ محمد امين هلال ٨٥

خواطـــر مستشـــار ... ... المستشار على على منصور ٨٨

عين جالوت يوم من أيام الاسلام ... ... الدكتور سيد عبد الفتاح عاشور ... ٩١

احتياجنا الى الوحدة ... ... الدكتور سليمان الحكيم ٩٤

الزار خرافة ... ... الاستاذ على الجندى ٩٧

الاسلام وحقوق الانسان ... ... الاستاذ اسماعيل كشميرى ١٠٠

الفكر العربى الاسلامى ... ... الاستاذ انور الجندى ١٠٤

دراسات اسلامية ... ... الاستاذ محمد كمال شبانة ١٠٧

الاسلام والتقاليد الافريقية ... ... الدكتور محمود سلام زناتى ١١٠

التسامح روح الاسلام ... ... الاستاذ محمد عطية الابراشى ١١٣

المرأة وميادين العمل ... ... الدكتورة طلعت الرفاعى ١١٥

مناقب السفراء فى الاسلام ... ... الاستاذ حسن فتح الباب ١١٧

أوهام الصهيونية ... ... الدكتور محمد وصفى ١٢١

مع الاحـــداث ... ... الاستاذ عبد العليم المهدى ١٢٥

فى التعريف العقلى الجديد ... ... الاستاذ عبد المنعم خلاف ١٢٦

الذكر والانثى ... ... الدكتور عبد الحليم كامل ١٢٩

يحق أن يكون للصائمين عيد ... ... فضيلة الشيخ مبشر الطرازى الحسينى ١٣١

		صفحة
هكذا .. جمع القرآن الكريم	الاستاذ محمد محمد الشرقاوى	١٣٥
الدعوة ... والدعاة	الاستاذ جاد المولى سليمان	١٣٧
ماذا تعرف عن شعب ماليزيا المسلم	الاستاذ مختار بن حاج أحمد	١٤٢
كشف علمى جديد حول الاديب ابن المقفع	الدكتور جمال الدين الرمادى	١٤٥
الاسلام بين العقل والنقل	الاستاذ محمود ابوالفيض المنوفى	١٤٧
عبد الناصر صانع السلام	الاستاذ كامل عبد المجيد	١٤٩
الاسلام والاشتراكية العلمية	الدكتور محمود دياب	١٥٢
عداوة مخلصة	الاستاذ احمد محمد بريرى	١٥٤
حياة القر الشهابى	الاستاذ محمد عبد الجواد الاصمعى	١٥٧
من أمجاد الاسلام	الاستاذ عبد العال السيد شعيب	١٥٩
الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين	عرض ونقد طاهر الطناحى	١٦٢
عبد الله بن عامر	الاستاذ محمد سيد جاد الحق	١٦٦
اضواء على التاريخ الاسلامى	الاستاذ محيى الدين الالوائى	١٦٨
حول تعديل قوانين الاحوال الشخصية	الدكتور محمود حلمى	١٧٢
كتاب الامثال فى القرآن	الدكتورة نعمات أحمد فؤاد	١٧٥
عناصر الحيوية فى الدين الاسلامى	الاستاذ عبد الله المشد	١٧٧
المقومات الروحية للاشتراكية العربية	الدكتور محمد طلعت عيسى	١٧٩
شهر شـــوال	الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم	١٨٤
انسان الاسلام حر	الاستاذ ابراهيم عوضين	١٨٧
الشعر الدينى	الاستاذ عبد العزيز سيد الاهل	١٩٠
الله « شـعر »	الشاعر عبد الله شمس الدين	١٩٥
من خواطر العيد « شعر »	الشاعر محمد صلاح عفيفى	١٩٧
الثائر « قصة العدد »	الاستاذ عبد الحميد جودة السحار	١٩٨
با ب الرياضـــة	الاستاذ ناصف سليم	٢٠٣
باب الفن	الدكتور احمد موسى	٢٠٧
اخبـــار سريعـة	الدكتور انور عبد العليم	٢١٠
باب العلم	اعداد : عبد الرحمن الشربينى	٢١١
ندوة الشهر	اعداد : عبد العظيم ملوك	٢١٦
المسلمون يحتفلون بأعيادهم	اعداد : عائشة حسنى	٢١٨
ام النبى	اعداد : نجاة الزنيرى	٢٢٢
المرأة السعودية		٢٢٦
انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الشـيخ حسن مأمون	٢٣٠
لماذا أسلمت	اعداد : فؤاد هيبة	٢٣٤
مع القراء		٢٣٦
بريد التعارف		٢٣٧

مجموعة اسطوانات

الصلاة

وتحتوى على ٧ اسطوانات شاملة
الأذان ✻ الوضوء
الصلوات الخمس

اسطوانات

المصحف المرتل

فى ٤٤ اسطوانة

ترقبوا فى منتصف كل شهر عربي

سلسلتى

كتب إسلامية

و

دراسات فى الإسلام

تضمن الحصول على
مكتبة اسلامية جامعة
باقلام كتاب متخصصين

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية